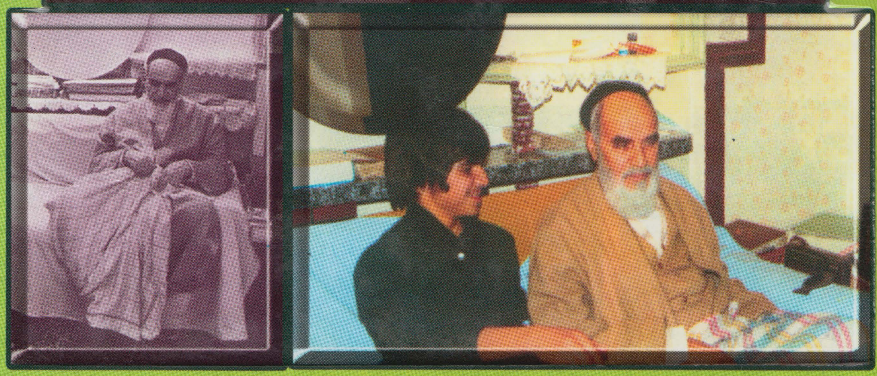
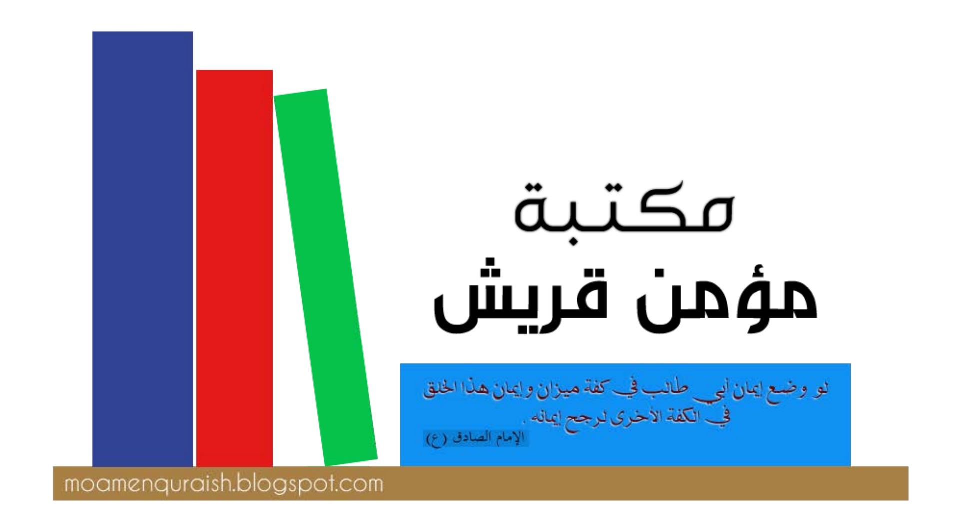
قبسات من سيرة الإمام الخميني

الحياة الشخصية





الدار الإسلامية



قبسات من سيرة الإمام الخميني(قده)

الحياة الشخصية



قبسات من سيرة الإمام الخميني (قده)

الحياة الشخصية

إعداد
غلام علي الرجائي

ترجمة
لجنة الهدى

الدار الإسلامية
بيروت - لبنان

اسم الكتاب: قبسات من سيرة الإمام الخميني (قده)
الحياة الشخصية
إعداد: علي غلام الرجائي
ترجمة: لجنة الهدى
تعريب: موسى حسين صفوان
الناشر: الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع
تاريخ الطبع: الطبعة الثانية ٢٠٠٦م / ١٤٢٧هـ



حارة حريك - شارع دكاش - مقابل مدرسة الليسيه أميكال مودرن
هاتف: ٠١/٥٥٣٨٦٣ - ٠٣/ ٣٨٩١٦٦ - ص.ب: ١٤/٥٦٨٠
WWW-DARALISLAMIA.COM INFO@DARALISLAMIA.COM

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين، وآله الأطهار الميامين، ورضوان الله ورحمته على خلّص أصحابه المنتجبين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فلا يخفى على ذي بصيرة، ان العالم منذ مطلع القرن الهجري الخامس عشر هو غير العالم قبل هذا التاريخ... فبعد ان كانت الشعوب والأمم تعيش كابوس الحرب الباردة بين القوتين العظيمتين وتحكمها قوانين تلك الحرب، المادية، القائمة على أساس المصالح الإستكبارية... وبعد أن كانت الشعوب المستضعفة تنتظر أقدارها بلا حول ولا قوة، وتصفق للمنتصر في حلبة الصراع الدولي، وهي لا تعلم انها ستكون فريسته بعد قليل!!!

بعد كل ذلك، ودون سابق إنذار، أشرقت شمس ربانية بأنوار محمدية، ورايات علوية، ودماء حسينية، وعزائم مهدوية... فإذا العالم غير العالم، وإذا الصراع، يعود إلى معدنه وأصله، بين الحق والباطل، النور والظلام، الهدى والضلال، الإسلام والجاهلية.

إنه الإمام روح الله الموسوي الخميني (قده)... رجل من قم، أشرق من فجر التاريخ، ليكون مجدداً، يعيد إحياء الدين... ليس

المذهب الجعفري، أو الإسلام وحدهما، بل ليعيد إنعاش عالم الروح، ويوقظ تلك البواعث الغافية في أعماق النفوس الحائرة، ويعلن ان هذا القرن؛ هو قرن انتصار المستضعفين على المستكبرين بسلاح الروح والإيمان...

والدار الإسلامية، إيماناً منها بضرورة إيفاء هذا العظيم بعض حقه، وضرورة الإقتداء بسيرته وسلوكه، الذي كان منهاجاً وسبيلاً للعروج إلى ملكوت الحق واستحقاق الألطاف الإلهية والموفقية، تتشرف بتقديم هذه الباقة من شهادات تفضل بها بعض معاصري الإمام (قده) من أهل بيته والمقربين من حضرته تحت عنوان **قبسات من سيرة الإمام الخميني (قده)**، مراقباته وسيرته الشخصية.

سائلين المولى العلي القدير ان يتابع ألطافه على هذه الأمة، وينفع أجيالها الحاضرة والقادمة بسيرة هذا الإمام العظيم.

والحمد لله رب العالمين

الثامن عشر من ذي الحجة ١٤٢٢ هـ

مقدمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه الذي أعزّ دينه بأوليائه، وجعل من صالحي عباده أسوة وقدوة للخلق يهتدون بهداهم ويقتفون آثارهم لسلوك صراط الولاية وطريق الكرامة والمحجة البيضاء الضامنة لسعادة الدارين، والصلاة والسلام على أئمة الأولياء وسادة الأتقياء ينابيع الرحمة ومعادن الحكمة وسفن النجاة، المصطفىٰ محمد وعترته الطاهرين ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ.

وبعد؛ فإنّ مما لا شك فيه إن إسم «آية الله الامام السيد روح الله الموسوي الخميني»، هو من الاسماء ذات المكانة المرموقة الخاصة، التي سجلها التاريخ الإسلامي بل والإنساني عموماً بحروف وضّاءة، وأقرَّ لها بالخلود والبقاء في صفحاته البيضاء.

فهذا الإسم المبارك يدل على تلك الشخصية التاريخية الفذة، التي جمعت من خصال الخير وخصائص السمو ماندر إجتماعها كاملة في غيره من الشخصيات التاريخية، باستثناء كوكبة من أهل بيت العصمة والقداسة والطهارة، الذين لا يُقاس بهم أحدٌ من الناس، مهما بلغ من مراتب الكمال والعظمة، فهم صفوة اللّه من خلقه ـ صلوات الله عليهم ـ.

روح اللّه الموسوي الخميني، هو العالم الرباني العامل والمتبحّر المجدد في مختلف فنون المعارف الإسلامية، وهو مجدد الإسلام في القرن الأخير، الذي أزاح ـ بعلمه وعمله وسيرته ـ عن وجه الدين

المحمدي النقي الكثير من غبار التحريف والخرافات والتحجر والبدع.

إنه الفقيه حقاً في دين الله سبحانه، والأصولي البارع والمجتهد المقتدر، الذي جمع بين حفظ الأصالة المميزة في الفقه الإسلامي العريق والإحتياط الشديد في التمسك بعراه الوثيقة، وبين المعرفة العميقة بمقتضيات الزمان والمكان ورعاية خصوصياتهما في العملية الإجتهادية وإستنباط أحكام الشريعة الخاتمة تجاه الحوادث الواقعة بما يجسد الميزة الأصيلة للشرعة المحمدية في كونها الدين الأصلح لكل زمانٍ ومكان والشرع الأكمل في الإستجابة لمختلف التطورات، والنهج الإلهي القادر على تقديم الحلول الناجعة السليمة لمختلف مشاكل الإنسان في كل العصور والأمكنة والهادي للفرد والمجتمع إلى سبل الصلاح والسلام.

وروح الله الموسوي الخميني، هو الحكيم العارف والسالك الزاهد، الذي جمع إلى المراتب السامية لتعظيم الخالق وعبادته، الدرجات الرفيعة لخدمة الخلق وهدايتهم. فلم يشغله إنهماكه الدؤوب في الرياضات الروحية، والمجاهدات النفسية والأذكار والأوراد السلوكية، والإقبال الشديد على التعبد للخالق في الخلوات والجلوات؛ عن الإهتمام الشديد بالخلق وهم عيال الحق تعالىٰ، فكان يصبح ويمسي مهتماً بأمورهم ومصالحهم ساعياً لصلاحهم، هادياً لمسيرتهم، معبراً عن طموحاتهم، مدافعاً عن دينهم وكرامتهم، متفانياً في خدمتهم، مصرحاً بحبه لأن يسموه «خادمهم» بدلاً من تسميته «قائدهم».

وروح الله الموسوي الخميني، هو القائد الرباني الذي رفع ـ في عصر ظلمات التغريب ـ نبراس مدرسة الثقلين الوضاء، وعلم الإسلام النقي، وتحدىٰ بهما طواغيت العصر، وأئمة الإستكبار والكفر شرقاً وغرباً، وحطم بالعصا الموسوية، وقبسات من الشجاعة الإبراهيمية والهمة المحمدية والصولة الحيدرية والروح الحسينية، الكثير من الأوثان النمرودية

العصرية والأصنام الجاهلية الجلية منها والخفية، وأقام دولة الإسلام في عصر غربة الإسلام، وأعزّ الإسلام في حقبة شوكة أعدائِهِ الفرعونيين، الذين تصوروا أن جهود التغريب قد أعطت ثمارها في دار للإسلام، وأن تغييبهم للإسلام قد بلغ مرحلة اللاعودة، فكانت نهضة هذا القائد الرباني منطلقاً لانبعاث حركة العودة للإسلام، وانفتاح القلوب لمدرسة الثقلين في أرجاء العالم الإسلامي وجاليات المسلمين حيثما كانوا؛ بل وانبعاث حركة التطلع للإسلام ولمدرسة الثقلين في خارج ديار المسلمين، فساهم بذلك بحظٍ عظيم من شرف التمهيد والتوطئة لظهور المصلح الأكبر المهدي الموعود ـ عجل الله فرجه وجعلنا من أعوانه وأنصاره في غيبته وظهوره.

لقد ذاب الخميني في الإسلام الحق، وإلتصق بثقليه الخالدين، فكانت سيرته تجسيداً عملياً لقيمهما الإلهية، وبذلك صار من أولياء الله حقاً، وإسوة لكل من يطلب السير على الصراط المستقيم، ويطمح لطي معارج الكمال والتحلي بمدارج الفضيلة وبلوغ الحياة الكريمة في الدارين.

والكتاب الذي نقدم ترجمته لقراء العربية يشتمل على مجموعة قيمة من الذكريات، التي رواها عددٌ من المقربين من هذا العبد الصالح، من أفراد عائلته وأعضاء مكتبه وتلامذته وملازميه، فيما يرتبط بسيرته، جمعها وصنفها الأستاذ غلام علي الرجائي ضمن عدة أبواب رئيسة وفصول فرعية، تشتمل على خصوصياته الشخصية وحالاته المعنوية وسيرته الإجتماعية. فهي تمثل مادة وثائقية مهمة للتعرف على أبعاد شخصية هذا العبد الكريم الصالح، تعينُ مَن يريد التأسي بالصالحين على التعرف على أخلاق الربانيين وطريقة تجسيدهم لوصايا الثقلين، كمقدمة للإقتداء بهم والتحلي بأخلاقهم، وفقنا الله جميعاً لذلك.

وقد إلتزمنا بترجمة أجزاء الكتاب، وأحاديث الرواة لذكرياتهم كما هي دونما تصرف، باستثناء تغيير قسم من عناوين الروايات سعياً للتنبيه

على العبر المرجوة منها. نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل بفضله جهود جميع المساهمين في إنجاز هذا العمل ويباركها، ويجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، واداءً لليسير من الحق العظيم علينا لهذا العبد الصالح. إنه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

لجنة الهدى

منتصف جمادى الثاني ١٤٣٣

الفصل الأول:

النظم والاستثمار الدقيق للوقت

النظام اليومي في مرحلة الشباب

يقول المرحوم السيد مصطفىٰ: أنّ الامام عندما تزوج وضع لنفسه برنامجاً، نظّم فيه شؤونه اليومية بحيث يستطيع التفرغ للتعبد والدراسة إلى جانب ضمان رضا زوجتِهِ، وعلى الرغم من أن أغلب الناس يغفلون ـ عادة ـ عن إلتزاماتهم اليومية في أيام الزواج الأولىٰ ويهملون الكتب والدراسة؛ إلا أنّ الامام لم يغفل عن ذلك ببركةِ هذا النظام الدقيق، فكان يرجع إلىٰ المنزل بعد أداء صلاتي المغرب والعشاء جماعةً، ثم يتناول طعام العشاء، ويذهب بعد ذلك إلىٰ فراش النوم مبكراً لكي يستيقظ آخر الليل لاداء صلاة الليل والتهجد ويتابع دراسته بانتظام[1].

عمل الامام يدل على الوقت

كان العاملون في بيت الإمام في النجف الأشرف يعرفون كم الساعة ـ في أي وقت ـ بملاحظة ما يقوم به الامام من شؤونه اليومية! فهو يقوم بكل عمل في وقته المحدد كل يومٍ دونما تغيير[2].

---

(١) آية الله الشهيد المحلاتي، مجلة (١٥) خرداد الشهرية، العدد: ١٠.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني.

دقة الالتزام بأوقات البرنامج اليومي

كانت جميع أعمال الامام تسير وفق برنامج منظم، فبعد أيامٍ قليلة من إقامتي في النجف الأشرف: أصبحتُ أعرف العمل الذي يقوم به في كل ساعة من ساعات يومه، بل أصبحتُ أعرف كم الساعة من خلال ملاحظة العمل الذي يقوم به. وقد سألتُ «السيدة (زوجته) مرّة» عن أعمال الامام، فأجابتني: يكفيكِ أن أُخبرك ببرنامجه ليوم واحدٍ وما عليك الا أن تضربيه في ٣٦٠ يوماً لتعرفي ما يقوم به في سنته!

لقد كان ـ رحمه الله ـ يلتزم بدقةٍ بالقيام بكل عملٍ في وقتِهِ المعين، وكان يشدد الوصية عليَّ بمثل ذلك[١].

حاكمية النظام الثابت على جميع حركاته وسكناته

كانت جميع حركات الامام وسكناته تسير وفق نظام دقيق وخاص، فمثلاً كان دائماً يضع يده اليسرىٰ على الأرض ويستند عليها إذا أراد أن يقوم، أو أنه كان دائماً يبدأ بالرجل اليسرىٰ إذا أراد الصعود على المنبر لإلقاء درسه، ويتوقف هنيهة عند الدرجة الأولىٰ قبل أن يرتقي المنبر، أو أنه كان يلتزم دائماً بتقديم الرجل اليمنىٰ عند الدخول إلىٰ المسجد أو المنزل أو المدرسة[٢].

وضوء الامام وطبخ طعام العائلة!

لقد كان التزام الإمام الدقيق بالنظام في مختلف شؤونه اليومية، سبباً في تنظيم أعمال أهل بيته أيضاً، فمثلاً يُنقل عن خادمة منزله أنها قالت: عندما كان يخرج السيد لتجديد الوضوء قبيل الظهر، كنت أعرف حينئذٍ أن

---

(١) إحدىٰ أرحام الامام، مجلة (زن روز = إمرأة اليوم)، العدد: ١٢٦٧.

(٢) حجة الاسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (بررسي وتحليلي أزنهضت إمام خميني دراسة تحليليه لنهضة الإمام الخميني)، ج١.

وقت طبخ الأرز قد حان، فإذا كان طعامنا في ذلك اليوم أرزاً ذهبتُ فوراً إلىٰ المطبخ لطبخه[1]!

القيام بكل عملٍ في الوقتِ المخصص له

كان الامام قد خصص أوقاتاً معينة للمطالعة والقراءة وللأعمال المستحبة التي لم يرد فيها أوقات خاصة، مثل تلاوة القرآن والزيارات والأدعية، وكان يلتزم بالقيام بكل عملٍ في الوقتِ المخصص له وبدقةٍ بالغة، بحيث أن كل مَن يعاشره ولو لمدة قصيرة يعرف حتىٰ ـ لو ابتعد عنه كثيراً فيما بعد ـ العمل الذي يقوم به في أي ساعة بمجرد النظر إلىٰ ساعته، لأنه عرف سابقاً العمل الذي إلتزم الإمام القيام به في تلك الساعة[2].

درس في تعليم إحترام المواعيد

في أحد الأيام إتصل الامام بنا وأخبرنا بأن في حنفية الماء خللاً، فتقرر أن أذهب إليه في صباح اليوم التالي وفي الساعة الثامنة لإصلاحها، لكنني وصلت في الساعة الثامنة وخمس دقائق: وعندما إستأذنتُ للدخول لإصلاح الحنفية: لم يأذن لي الإمام وقال: لقد قلت: تعال في الساعة الثامنة، فإذهب الآن وتعال غداً في الثامنة[3]!

عجّلوا قبل فوات الوقت

كان الامام ملتزماً على الدوام بالقيام بأعماله في أوقاتها المعينة، ولذلك كنا نحرصُ على أن نتم الأعمال التي نؤديها في محضره دون أن نتجاوز الوقت الذي خصصه لها، وإلا ذكرنا بذلك قائلاً: عجلّوا بإتمام العمل[4].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الرسولي المحلاتي، مجلة حوزة، العدد المزدوج: ٣٧ ـ ٣٨.

(٣) حسن السليمي، أحد أعضاء مكتب الإمام.

(٤) السيد خادم أحد حرس بيت الإمام، كتاب (درثاي نور = في رثاء النور).

وكان الأمر كما توقعنا...

كنت ـ وعدد من الزملاء المكلفين بتقديم تقاريرنا بشأن المهمات المحولة إلينا، نعلم جيداً أنّ صوت جرس الإذن بالدخول على الإمام لتقديم هذه التقارير اليومية، لو لم يرن في الساعة الثامنة وثلاث إلىٰ خمس دقائق ـ أي بعد أن يستمع الامام لموجز أخبار الساعة الثامنة ـ: أن حادثاً ما قد وقع، كأن تكون الحالة الصحية للإمام قد تدهورت أو أنّه قد إضطر إلىٰ إستقبال شخص ما، لانه كان يلتزم باستدعائنا بعد إنتهاء موجز الانباء مباشرة، أي بعد مضي دقيقتين أو ثلاث على الساعة الثامنة؛ فإذا تأخر عن ذلك ذهبنا إلىٰ غرفته لنجد الأمر كما توقعنا[١]...

البرنامج المنظم يستوعب كل الأعمال اللازمة

إلىٰ جانب إلتزامه الدقيق ببرنامجه اليومي المنظم، لم يكن السيد الامام يسمح لأي عمل أن يشغله عن عمل آخر، فقد كان برنامجه متوازناً يشتمل على التعبد وتلاوة القرآن والادعية، ومطالعة الكتب والصحف والتقارير وغيرها، والاستماع للأخبار عبر الإذاعة [المسموعة والمرئية]، والمشي والقيام بالحركات الرياضية التي أوصىٰ بها الأطباء كعلاجاتٍ ضرورية لحفظ سلامته، والاجابة على الاستفتاءات الشرعية وكتابة الإجازات والوكالات وقبض الحقوق الشرعية، وعقد اللقاءات، ومجالسة أفراد عائلته، والاستحمام والاستراحة، كان يقوم بجميع هذه الأعمال ولكن مع الالتزام بأداءِ كل منها في وقته المعين.

وهذا التنظيم الدقيق كان جارياً في برنامج أعماله الاسبوعية أيضاً، فمثلاً كان يستعد كل يوم جمعة وبعد إنتهاء إستماعه لموجز أخبار الساعة الثامنة مباشرة، للإستحمام [وأداء غسل الجمعة]، وكان الذي يتولىٰ

(١) حجة الاسلام والمسلمين الرسولي المحلاتي، مجلة حوزة، العدد المزدوج: ٣٧ ـ ٣٨.

تنظيف بدنه بواسطة «الكيسة»، طوال هذه السنين [أي مدة إقامة الامام في منطقة جمران]، رجلٌ متدينٌ طاعنٌ في السن كان يعمل في الحمام العام في جمران، فكان يأتي إلىٰ منزل الإمام كل يومِ جمعة في الساعة الثامنة وخمس دقائق ليدخل حمام المنزل لاداء مهمته بعد أن يأذن له الامام. وكان إستحمام الامام الاسبوعي يستغرقُ عادة أكثر من ساعة(١).

إذا أعطىٰ موعداً لا يخلفه

كان للإمام برنامج منظم يلتزم به بدقةٍ بالغةٍ، فيقوم دائماً بكل عملٍ في وقته المحدد، فيأكل طعامه في موعده المحدد، وهكذا حال نومه وإستيقاظه، وإذا قرر القيام بعملٍ معينٍ أو وعد أحداً بلقاء، فإنه لا يتخلف عن ذلك أبداً. وفي هذا النظام الدقيق الشامل لجميع الأمور يكمن أحد أسرار نجاح الامام في أعماله. لقد كان معروفاً مُنذ بدايات شبابه باهتمامه بالنظافة وبالالتزام بتنظيم شؤونه. وكان دقيقاً في ذلك إلىٰ درجةٍ أنه لو تأخر خمس دقائق عن الحضور إلى مائدة طعام الظهيرة مع عائلته، لأصاب القلق جميع أفرادها، وعندها كنا نسارع إلىٰ غرفته ولهين للتعرف على سبب تأخره، فنرىٰ مثلاً أن السيد أحمد قد دخل عليه وسأله سؤالاً فتأخر للإجابة عليه(٢).

يضع كل شيءٍ في محله

عندما كنتُ أدخل على الإمام، كنت ألاحظ كثرة الكتب والأوراق والرسائل فيها، ولكنه كان يستخرج بسرعةٍ أي ورقة أو رسالة يريدها، لأنه كان يرتبها بصورة منظمة ويضع كلاً منها في محله الخاص به(٣).

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان، من أعضاء مكتب الإمام.

(٢) السيدة فريدة المصطفوي، إبنة الإمام.

(٣) الدكتور محمود البروجردي (صهر الإمام)، مجلة (باسدار إسلام = حارس الإسلام)، العدد: ٢٤.

قائمة بالأعمال اليومية

كان للإمام قائمة بأعماله اليومية يعدها بنفسه ويكتب فيها أعمال كل ساعة من ساعات الليل والنهار باستثناء الساعات التي يستيقظ فيها سحراً لإقامة صلاة الليل والتهجد[1].

التنظيم يشمل العبادات أيضاً

كان الامام ملتزماً للغاية بتنظيم أعماله، فلم يكن يقوم بأي عمل دون برمجة مُنذ إستيقاظه صباحاً، كما لم يكن يغفل عن وضع هذا البرنامج والعمل به في أي مرحلةٍ من مراحل حياته، كان يقوم بكل عملٍ في الوقتِ المخصص له، لا يشذ عن ذلك في أي عمل من أعمالِهِ اليومية، كالمطالعة والاستراحة والنوم والاستماع للإذاعة وغيرها. فقد كان يقوم بكل منها في الوقت المخصص له، حتىٰ عباداته. كنا نعرف وقت إستراحته الذي يمكننا فيه الدخول عليه فنستعد لذلك، ونعرف ساعة تعبده التي لا يمكننا الدخول عليه فيها، وكذلك الحال مع ساعة مطالعته العلمية، أو قراءة التقارير الحكومية، فلا يمكننا الدخول عليه في هذه الساعات، أجل كان بإمكاننا الإلتقاء به خلال ساعة إستراحته، وكذلك الساعة التي كان يلتزم فيها بالمشي على فترتين طول كل منهما نصف ساعة، الأولىٰ صباحاً والثانية عصراً، فكنا نتحدث إليه ونسأله عن أحواله أو نسأله عن بعض الأمور خلال هاتين الفترتين[2].

تأخر في الإستيقاظ لمرة واحدة

لمرة واحدة لا أكثر تأخر الإمام في الإستيقاظ [من نومة القيلولة]، إذْ إستيقظ قبيل الظهر، فقال لي: يا ربابة، لقد تأخرتُ في الاستيقاظ اليوم،

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، صحيفة (رسالت)، ٩/ ٣/ ١٣٧٢ هـ.ش.

(٢) السيدة صديقة المصطفوي، ابنة الإمام، مجلة (سروش)، العدد: ٤٧٦.

فانتبهي أنت، وتعالي لإيقاظي كل يوم في الساعة الحادية عشرة والنصف.

إلتزمتُ أنا بأمره، وكنتُ أترك كل عملٍ لديّ كل يوم في هذه الساعة، لكي أذهب لايقاظه، ولكني في كل مرة، وما أن أفتح باب المطبخ للذهاب إلى غرفته أجده قد إستيقظ وقد أخذ بتجديد الوضوء، فإذا رآني إستولىٰ عليّ الخجل وقلت: لقد أمرتني يا سيدي بالمجيء في هذه الساعة لايقاظك! فيقول: أحسنتِ العمل إذ جئتِ لإيقاظي!

اجل، إنها المرة الوحيدة التي تأخر في الاستيقاظ إلىٰ الساعة الثانية عشرة[1].

إن شئتم فأتونا بطعام العشاء

كان الإمام يدخل في تمام الساعة الواحدة بعد الظهر إلىٰ غرفة العائلة التي كانت تحت السلم، فنقدم له طعام الظهيرة، ويبقىٰ في هذه الغرفة إلىٰ الساعة الثانية، ثم يذهب للإستراحة، وموعد تناوله الشاي هو الساعة الرابعة، وحدث عدة مرات أني ذهبت إليه بالشاي في هذه الساعة فوجدته نائماً، فكنتُ أسيرُ بخطوات مسموعة بهدف إيقاظه، فإذا لم يستيقظ ناديته بصوتٍ منخفض لمرةٍ واحدة، فكان يستيقظ فوراً، فأخبره بأنني قد جئتُهُ بالشاي.

ومن الساعة السادسة إلىٰ الساعة السادسة والنصف كان موعد قيامه برياضة المشي، ثم يذهب بعدها لإقامة الصلاة، ثم الاستماع بعدها للأخبار. وعندما يأتي لغسلِ يديه إستعداداً لطعام العشاء كان ينادينا ـ أنا أو السيدة كبرىٰ ـ قائلاً: «لو شئتم فأتونا بطعام العشاء». وكان طعام عشائِهِ عبارة عن قليل من اللبن الرائب مع الخيار أو قليل من الجبنة والخيار أو الخس وأمثال ذلك[2].

---

(١) السيدة ربابة البافقي، خادمة في بيت الإمام، مجلة (سروش)، العدد: ٤٧٦.

(٢) المصدر السابق.

بقيت عشر دقائق لموعد طعام العشاء

جاء يوماً بعض الأخوة بفيلم مصور عن حوادث الثورة، ونحن في فرنسا ـ واقترحوا أن نطلب من الامام أن يشاهد هذا الفيلم بعد طعام العشاء، فذهبتُ للإمام وقلتُ له: إن طعام العشاء جاهز فهل نأتيكم به؟ فأجابني بعد أن نظر إلىٰ الساعة: «بقيت عشر دقائق لموعد طعام العشاء». أجل لقد إلتزم بتقسيم أوقاته وبدقة، بحيث كنا نعرف العمل الذي يقوم به حتىٰ دون أن نراه، وذلك من خلال معرفة الساعة[١].

٣٠٠ صفحة مطالعة في يوم إستشهاد السيد مصطفىٰ

لم تُلاحظ على وجه الامام أي آثار للأذىٰ والقلق عندما سمع خبر إستشهاد ولده السيد مصطفىٰ، بل قال ـ كما نقل لنا ذلك أخونا السيد الحاج أحمد ـ: «لقد وهبنا اللّه نعمة وقد إسترجعها الآن». أجل، لقد تحلىٰ الامام بكامل الثبات والاستقامة في مواجهة هذه الفاجعة العظيمة والمصيبة المفجعة، ولم يسمح لها بأن توجد أدنى خلل في برنامج دروسه وصلاته ومطالعاته. يقول أخونا الحاج السيد أحمد: كان الإمام في تلك الأيام منشغلاً بمطالعة أحد الكتب التدريسية فقلتُ في نفسي، إن هذه المصيبة التي نزلت بنا اليوم ستذهل الإمام عن المطالعة، إذْ أنه فقد مثل هذا الابن العزيز، ولن يتمكن من المطالعة، لكني رأيته وقد وضع ذلك الكتاب أمامَهُ! فقلتُ لعله يتشاغل به دون أن يقرأَ منه شيئاً، لكنني بعد أن دققتُ في الأمر ولاحظت محلّ العلامة الموضوعة في داخل الكتاب وجدتُ أنه قد قرأ في ذلك اليوم (٣٠٠) صفحة من هذا الكتاب[٢].

---

(١) السيدة مرضية الحديدجي (الدباغ)، كتاب (سرگذشتهای ویژه أزرندگی إمام خميني = حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٤.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، مجلة (پيام إنقلاب = رسالة الثورة)، العدد: ١٨٣.

الاستفادة المباركة من الوقت

كان للإمام برنامجٌ منظمٌ يشمل جميع ساعات ليله ونهاره، فقد خصص فيه ساعات: للمطالعة، العبادة والدعاء، متابعة شؤون المسلمين والدولة الاسلامية، النوم وأموره الشخصية. وهذا النظام الدقيق مكّنَهُ من الإستفادة وبأفضل صورة من جميع أوقات عمره المبارك، فتحلىٰ بروحٍ عالية لا يمكن وصف سموها.

لقد قسم الإمام أوقات يومه بصورةٍ مكنته من مطالعة صحف الصباح والمساء وملاحظة ما تكتبه أو تبثه وسائل الإعلام الأخرىٰ، بل ومن الإحاطة بمحتويات جميع برامج الاذاعة والتلفزة والصحف والمجلات المحلية[1].

برنامج يومي منظم وثابت

البرنامج اليومي للإمام كان غايةً في الإنتظام والثبات، بحيث أن ضربه في (٣٦٥) يوماً يُنتج برنامجه السنوي، يبدأ في الساعة السابعة صباحاً عندما يدخل محلَّ عمله (غرفة الإستقبال) فتبدأ اللقاءات: وقد يسبقها أحياناً فحوصات يجريها عليه الطبيب أو أن يدخل عليه بعض الأشخاص مثل الشيخ الرسولي أو الشيخ التوسلي، أو الشيخ الأنصاري فيوزع عليهم برامج أعمالهم.

وعلى أي حال، فأنا لم أكن أدخل لتلك الغرفة الخاصة بالرجال، لذلك لا أعرف تفصيلات «عن» لقاءات الإمام، ولكن من الثابت أنها تشمل لقاءات خاصة بإجراء عقود الزواج أو لقاءات شخصية، ثم لقاءات مع القادمين من أنحاء البلاد رجالاً ونساءً طبقاً لجدول معد سلفاً إستناداً لطبيعة الأعمال الحكومية التي يريدون عرضها على الإمام.

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الآشتياني، مجلة (مرزداران = حرس الحدود)، العدد: ٨٥.

وفي الساعة التاسعة يخرج الإمام من غرفةِ عمله إلىٰ الساحة حيث يقوم برياضة المشي لمدة نصف ساعة، ثم يتوجه بعدها إلىٰ غرفته الخاصة لقراءة التقارير الخبرية والتقارير التي كانت تُرسل إليه من أنحاء البلاد، والتي تكون مختومة، فيفتح ختومها بنفسه، وكان يلتزم بمطالعتها جميعاً إلىٰ الساعة التاسعة وخمسٍ وأربعين دقيقة، فيقدم له حينئذٍ مقدارٌ من الفاكهة التي يختلف نوعها باختلاف الفصول، ، مثل النارنكي أو التوت أو الخس، ثم يأخذ قسطاً من الإستراحة ما بين الساعة العاشرة وعشر دقائق إلىٰ الساعة الحادية عشر والنصف حيث كان يضطجع فيها ـ واللّه يعلم إن كان ينام فيها أو يبقىٰ مستيقظاً. . .

في الساعة (١١,٣٠) ينهض للإستعداد للصلاة، فيبدأُ بالوضوء ثم تلاوة القرآن ثم إقامة صلاتي الظهر والعصر مع نوافلهما. ويُتم ذلك في حدود الساعة (١٢,٥٥)، ثم يجلس للتحدث مع أفراد عائلته أو لمتابعة مطالعاتِهِ الصباحية ولمدة عشر دقائق. إذْ أنه يتوجه في تمام الساعة الواحدة وخمس دقائق ـ بالضبط ـ إلىٰ غرفة السيدة [زوجته]، لتناول طعام الغذاء وعادةً ما يكون «ماء اللحم مع الليمون» فهذا ما يفضله على غيره كما أنه يأكل الأرز والحساء إذا وجد، فهو يأكل ما يجد ولكن الطعام المخصص له ـ دون أفراد العائلة ـ هو «ماء اللحم». ومن دقته أثناء تناول الطعام أنه يضع على صدره قطعة قماش خاصة تغطي صدره وحجره وتُشد بخيط حول العنق، وهي مغلفة ببلاستيك رقيق ومبطنة ببلاستيك سميك. وكل شيءٍ من وسائل طعامه كان وفق نظام دقيق ومتكامل، فمثلاً إذا تغيّر الصحن الذي يوضع تحت كاسة طعامه كان يسأل عن سبب تغييره رغم عدم وجود ارتباط مباشر لهذا الصحن بطعامه، وعلى أي حال فقد كانت وسائل طعامه ـ أي الصحن والكاسة والملعقة ـ خاصة به.

وبعد الإنتهاء من تناول طعام الظهيرة، كان يتحدث عدة دقائق معنا

أو مع أحفاده وحفيداته، وجهاز المذياع ملازم له طوال هذه المدة وهو يستمع لما يبثه. كان يستمع لمذاكرات مجلس الشورىٰ، ويحرصُ على الإستماع للمحاضرة اليومية التي تُبث بين الساعة الواحدة إلى الثانية، ثم يتوجه قبيل الساعة الثانية إلىٰ غرفته الخاصة ويستمع فيها لأخبار الساعة الثانية، ويقرأ التقارير الخبرية. ثم يستريح وينامُ إلىٰ الساعة الرابعة حيث ينهض لتناول الشاي، ثم يقوم برياضة المشي لمدة نصف ساعة يشتغل خلالها بذكر الله، إذ لم يكن ثمة موضوع مهم تبثه الإذاعة، أما في الأيام التي كانت حافلة بالحوادث السياسية المهمة، فكان يستمع إلىٰ الإذاعة من جهاز مذياع صغير كان يعلقه بيده، كما كان يصطحب أحياناً صحيفة يطالعها أثناء ذلك، وأحياناً يأخذ المسبحة بيده ويسبح اللّه، وأحياناً كان أحفادُهُ يحيطون به خلال مشيه ويأخذون بيديه ويجرونه ويحرفونه عن مسيره ولكنه لم يكن يعترضُ على ذلك. هذا في الوقت الذي لم يكن يريدُ الإستماع للإذاعة بدقة، أما في الأيام التي كانت تشهد وقوع حوادث مهمة، فلم يكن يسمح للأطفال بالإلتفاف حولَهُ، كما لم يكن يسمح لنا بالتحدث معه إذْ كان يصغي لما يبثه المذياع بدقة، خلال المشي.

وكان عندما ينتهي من المشي في الساعة (٤,٣٠)، يتناول الشاي. هذا برنامجه في أيام الشتاء، أما في أيام الصيف، فقد كانت تطرأُ بعض التغييرات على برنامجه، فمثلاً إستيقاظه من النوم لم يكن دائماً في الساعة الرابعة، بل إن ذلك كان يرتبط بطول النهار أو قصره. ففي النهارات الطويلة كان يتوجه لمطالعة الصحف الصباحية والمسائية بعد المشي، وكان يهتم بمقالاتها الرئيسة، أو الكلمات الخاصة التي يوليها الأهمية، وكان يحرص على قراءة كل ذلك بنفسه، إلا أن يكون متعباً أو أن نكون حاضرين عنده، فحينئذٍ كان يطلب منا أن نقرأها له لكي لا نجلس دون عمل! فكنا نقرأ له ما يهتم بالإستماع إليه.

وقبل غروب الشمس، كان يبدأ بتلاوة القرآن، ثم يجدد الوضوء، ثم يعاود تلاوة القرآن، ثم يتهيأ لإقامة صلاتي المغرب والعشاء مع نوافلهما بالطبع، وكان في الأغلب يقيمها في ساحة البيت تحت السماء إلا في الليالي التي يشتد فيها البرد، حيث كان يجتنب ذلك خشيةً من الإصابة بالزكام.

ثم يرجع إلىٰ غرفته، للمطالعة، وكان يهتم بمطالعة الكتب المطبوعة حديثاً وبدقة، إضافةً إلىٰ الصحف والمجلات. وعندما بدأت محطة التلفاز ببث البرامج عصراً، إستغنىٰ بالتلفاز عن المذياع، فكان يتابع برامج القناتين الأولىٰ والثانية. وبعد إتمام الصلاة والمطالعة، ثمة حدود الربع ساعة أو العشرين دقيقة لا أتذكر ما الذي كان يفعله فيها، ولكن عندما كانت تحين الساعة السابعة كان يصغي بدقةٍ للأخبار فلم يكن يتحدث معنا بغير رد السلام أو كحد أقصىٰ يسأل عن أحوالنا بعينه، فكنا نفهم حينئذٍ أنه لا ينبغي لنا أن نتحدث معه ولا مع بعضنا البعض، فإن ذلك يؤذيه وإن كان يجتنب الإعراب لنا عن آذاه. وبالطبع كنا نراعي ذلك ونلتزم الصمت.

وبعد إنتهاء الأخبار كان يستمع للتقارير الخبرية ويصغي بدقة للمقابلات والتصريحات المهمة. وكان لا يرتاح لبعض البرامج، مثل برنامج الأسرة، فمثلاً كنتُ يوماً عنده وكان هذا البرنامج يُبث فلم ينظر إليه وأطفأ جهاز التلفاز، وعندما سألته عن السبب، أجاب: إنه برنامج غير جيد بالكامل، ففيه الكثير من التكلف.

وبعد الإستماع للأخبار، كان يحين وقت قيامه بالتمارين الرياضية التي وصفها له الطبيب وتستمر ربع ساعة، يضع خلالها رأسه على وسادة ويرفع ساقه ويطويه إلىٰ الركبة، يفعل ذلك عدة مرات حسب الوصفة العلاجية. ثم يشاهد برامج التلفاز إلىٰ حين وقت طعام العشاء في الساعة التاسعة، وبعد الإنتهاء من تناوله يقوم ببعض الأعمال الخاصة به تستمر

إلىٰ العاشرة أو العاشرة وعشر دقائق، وحينئذ كان يذهب إلىٰ غرفته للنوم إلىٰ الساعة الثانية بعد منتصف الليل، إذْ كان ينهض لصلاة الليل، وهنا أيضاً تحدث بعض التغييرات الطفيفة في ساعات النوم والتهجد تبعاً لقصر الليالي وطولها في فصول السنة المختلفة؛ فكان يصلي النوافل بدءً من الساعة الثانية والنصف تقريباً إلىٰ حين صلاة الفجر، تتخللها فاصلة قصيرة تلي إقامته صلاة الليل كان يقرأ فيها الإستفتاءات التي أجاب عليها مكتب استفتاءاته إذْ كانوا يضعون الإستفتاءات التي يجب أن يراجعها الإمام بنفسه في علبة كارتونية خاصة، ثم يقومُ لصلاة الفجر، وبعدها يستريح إلىٰ الساعة السادسة حيث ينهض للمشي مدة نصف ساعة، يتلو بعدها القرآن، ثم يتناول طعام الإفطار قبل الساعة السابعة وفي تمام الساعة السابعة يذهب إلى محل عمله[١].

أستطيع أن لا أفكر

كان الإمام يحدثنا ـ وإستجابةً لإلحاحنا الشديد ـ عن ذكرياته بشأن السجن ونفيه إلىٰ تركيا، كل ليلة ولمدة عشر دقائق فقط لا أكثر، فقد خصص هذا الوقت لذلك قبل أن يذهب إلىٰ فراش نومه وهو يقول: «إنها ساعةُ النوم وينبغي أن أذهب إلىٰ الفراش وإن كنت أعلمُ أنني لن أنام». فكنتُ أقول له: حدثنا إذن عن تلك الذكريات ما دمت لا تستطيع النوم، بدل ان تهجم عليك الأفكار حينئذٍ. فكان يجيبني: «كلا، إنني أستطيع أن لا أفكر»! فكنتُ أسأله: وكيف لا تفكر وأنت تبقىٰ نصف ساعة تتقلبُ في فراشك قبل أن تنام؟! فكان يجيبني ثانية: «أستطيعُ أن لا أفكر». ولم أدرك أنا يومئذٍ المعنىٰ العظيم الذي يتضمنه قوله هذا وما يعبر عنه من سيطرته على نفسه إلىٰ درجةٍ يكون معها قادراً حتىٰ على عدم التفكير بشيء[٢].

---

(١) السيدة زهراء المصطفوي، إبنة الإمام.

(٢) السيدة فاطمة الطباطبائي، زوجة ولده السيد أحمد، مجلة (ندا)، العدد الأول.

تنظيم الساعات على وقت عبوره

جميع أعمال الامام كانت لها أوقات معينة لا تتغير، سواءٌ الاستحمام أو القيام برياضة المشي أو إقامة الصلاة أو المطالعة، أو قراءة تقارير الشؤون السياسية والحكومية للدولة وحتىٰ الاجتماع بأرحامه. يُنقل أن الكسبة في محل إقامته في قم، كانوا ينظمون ساعاتهم إستناداً إلىٰ وقت عبوره من أمام دكاكينهم، فمثلاً إذا كان يمر في الساعة الخامسة من أمام أحد هذه الدكاكين، فإن ذلك يتكرر كل يومٍ في تمام الساعة الخامسة. وحتىٰ ساعة نومه كانت محددة، فكان ينامُ في الساعة العاشرة. وكان يستيقظ كل ليلة قبل أذان الفجر بساعةٍ ونصفٍ لاقامة صلاة الليل، وهذا أمرٌ ثابت لا يتغير. كما أنه كان يشرع بتلاوة القرآن قبل نصف ساعة من آذان الظهر ويستمر إلىٰ الآذان فيقوم عندها لإقامة الصلاة[١].

عندما كنتُ أُحضرُ له الشاي...

كانت أعمال السيد منظمة للغاية، يتناول غداءه في الساعة الواحدة، ويشرب الشاي الذي أحضره له في الساعة الرابعة عصراً، ولا أعلم متى كان يستيقظ في الليل لكنه كان يبقىٰ يقظاً إلىٰ الصباح. وعندما كنتُ أُحضر له الشاي أجده يتلو القرآن، وبعد أن يشرب الشاي يقوم كعادته إلىٰ المشي[٢].

رفض تغيير برنامجه اليومي في ظل القصف الصاروخي

في أواخر الحرب المفروضة، أخذ العدو يقصف طهران بالصواريخ التي كان يزيد عددها أحياناً على العشرة كل يوم والكثير منها كان يقع

---

(١) أحد حرس بيت الإمام، كتاب (در رثاى نور = في رثاء النور).

(٢) السيدة ربابة البافقي، مجلة سروش، العدد: ٤٧٦.

بالقرب من جمران [محل إقامة الإمام]، وقد خرج الكثير من أهالي طهران ومنطقة شميران [شمالي طهران] إلىٰ المدن الآمنة، أما الإمام فقد رفض تغيير محل إقامته ورفض الاستفادة من الملجأ، كما رفض إجراء أي تغيير في برنامج أعماله اليومي[١].

لا يضيع من وقته ولا دقيقة واحدة

يصعب على مَن لم يشاهد عن قرب الإمام أن يصدق دقته في الالتزام ببرنامج حياته اليومي، مثلاً كنا إذا أحضرنا له الشاي عصراً ودعوناه لشربه، فإنه كان ينظر أولاً إلىٰ ساعته ثم يقول: لا زالت أمامنا بضع لحظات (أي ثواني) لموعد شرب الشاي!

أجل، لقد كان دقيقاً في ذلك بحيث أنه لو تأخر مرةً ولم يفتح باب غرفته في تمام الساعة الواحدة وعشر دقائق لكي يتوجه إلىٰ غرفة العائلة لتناول طعام الغداء، أصاب القلق الجميع لأنهم تعودوا على خروجه في تلك الساعة بالضبط كل يوم. كان يذهب في الوقت المحدد ـ بل في الدقيقة المحددة ـ إلىٰ النوم، وهكذا حاله مع موعد الطعام والاستيقاظ.
كان يمارس رياضة المشي ثلاث مرات في اليوم، لمدة عشرين دقيقة في كل مرة، فإذا بقيت منها ثواني سار بضع خطوات إضافية ثم يدخل إلى الغرفة في الوقت المحدد!

إنه غريبٌ حقاً في دقة تنظيمه، كان هذا حاله على الدوام مُنذ مرحلة الشباب. فقبل أيام لاحظت قضيةً معينة دعتني إلىٰ التصور بأنّ دقته قد إزدادت في هذا المجال، فقلتُ له: يبدو أنّ دقتكم في هذا النظام قد إزدادت وأصبحت شديدة جداً. فقال بجدية: «كلا، كان هذا هو حالي على الدوام»، أجل: هذا هو هو حاله في دقةِ الإلتزام، فمثلاً، لم يكن

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأنصاري الكرماني.

يترك العمل الذي هو فيه لكي يتحدث إليّ مثلاً إذا دخلت عليه لمجرد أنني إبنته، بل كنا ندخل فنسلم ونجلس، وهو يتابع ما هو فيه كالإستماع للإذاعة أو التلفاز، أو مطالعة الرسائل التي تصله أو التقارير الخبرية. فلا يبقىٰ ولا لدقيقة بدون عمل، حتىٰ في الحمام يصطحب معه المذياع ويعلقه على عاتقه عند الوضوء. كما أنه دقيق في الإجابة على الأسئلة الموجهة إليه، فمثلاً إذا سألناه مسألة ولم يكن في التلفاز برنامج مهم، قام وأطفأه ثم أجاب على السؤال بدقةٍ وكان علينا أن نحسن الإصغاء للحصول على الجواب لكي لا نضيع وقته، وأستطيع أن أقول بثقة أنه لا يضيّع شيئاً من وقته أصلا[١].

ولم يكن يترك برنامجه الرياضي

في ليلةٍ رأيت الإمام مضطجعاً يمارس ـ كعادته ـ الحركات الرياضية [العلاجية طبقاً لتوصية الطبيب]، وهو يتابع في الوقت نفسه برنامجاً يُبث عبر التلفاز ويحسب أيضاً عدد الحركات الرياضية أيضاً [إذْ أن عددها محدد حسب الوصفة العلاجية]، فأهميةُ البرنامج التلفزيوني لم تمنعه من متابعة برنامجه الرياضي في وقته المحدد[٢].

وكان يواظب على رياضة المشي ثلاث مرات في اليوم

كان الامام يمارس رياضة المشي في ثلاث فترات يومياً لمدة نصف ساعة تقريباً في كل فترة، فالأولى بين الساعة السابعة إلىٰ السابعة والنصف، والثانية من التاسعة إلىٰ التاسعة والنصف، والثالثة عصراً من الساعة الرابعة إلىٰ الرابعة والنصف[٣].

---

(١) السيدة زهراء المصطفوي، إبنة الإمام، مجلة (شاهد بانوان = شاهد للنساء)، العدد، ١٤٨.

(٢) السيدة زهراء المصطفوي.

(٣) السيد رحيم ميريان، من أعضاء مكتب الإمام.

ذكر اللّه أثناء المشي

طوال حياته، كان الامام يلتزم ـ وإضافة إلىٰ أذكاره المعهودة ـ بتلاوة القرآن ثلاث مرات في اليوم كما كان ينظم أذكاره مع برنامج مشيه الرياضي. فمثلاً إذا قام بالمشي لمدة نصف ساعة، إشتغل بالذكر طوال هذه المدة بحيث كان ينتهي ورده من الذكر مع إنتهاء الوقت الذي خصصه للمشي بالضبط، فيكون تنظيمه لوقت المشي بمقدار ذكره المعين لا بالساعة[١].

ويستجيب لنصائح الطبيب

كان الامام يمارس رياضة المشي ثلاث مرات في اليوم ولمدة نصف ساعة كل مرة، ولكننا كنا نطلب منه التوقف عن هذا البرنامج بصورةٍ مؤقتة ليومين أو ثلاثة إذا أحس بأذىٰ، ونطلب منه أن يستريح فكان يستجيب لطلبنا[٢].

يمارس رياضة المشي بانتظام في منفاه التركي

عندما كان الامام في تركيا، كان يذهب أيام الجمعة إلى «المسجد الأخضر» المعروف باسم «مسجد كبود»، كما كان يذهب إلىٰ مسجد آخر في المنطقة. وبعد مدة غيروا محل إقامة الامام من بناية ذات طابقين إلىٰ عمارة بيضاء ذات ستة طوابق تقع مقابل مستشفىٰ عامة غير حكومية، فكان الإمام يمارس رياضة المشي في الشارع المحيط بالمستشفىٰ وبصورة منتظمة ومستمرة، وقد نقل أحد الرجال الطاعنين في السن من أهل تلك المنطقة قائلاً: كنت يومها جندياً وكنت أرىٰ الإمام يمشي في هذا الشارع ذهاباً وإياباً كل يومٍ وفي الوقت نفسه[٣].

---

(١) آية اللّه الشيخ التوسلي.

(٢) الدكتور حسن العارفي، من أطباء الإمام.

(٣) آية اللّه الشيخ صادق الخلخالي.

ممارسة رياضة المشي بعد صلاة الفجر

إن التزام الإمام برياضة المشي أمرٌ معروف، تحدث عنه الآخرون وكتبوا بشأنه مراراً. وكنت أنا أيضاً على إطلاع بأنه لم يترك ذلك أبداً. ففي أيام شبابه كان يذهب مع زملائه ـ في أكثر الأيام ـ إلىٰ البساتين المحيطة ويتباحثون في الشؤون الدراسية أثناء النزهة السليمة، فكان يستفيد من الهواء النقي والأجواء المفتوحة إلىٰ ما بعد الظهر. صحيحٌ أنه كان مضطراً للخروج إلىٰ تلك المناطق النائية عن مركز المدينة بسبب إرهاب حكومة رضا شاه [الذي كان يمنع إقامة حلقات الدراسة الدينية في قم]، لكنه من الصحيح أيضاً أنه كان يخرج طواعية ورغبةً على طريقة الفلاسفة المشائين الذين يميلون إلىٰ الدراسة والمباحثة العلمية أثناء التجوال والنزهة في الأجواء الرحبة، بل ويميلون إلىٰ أصل المشي والتجوال.

وكنت أسمعُ في قم أن السيد الحاج روح الله يواظب على المشي في البستان المجاور لبيته أو في الساحة الواقعة خلف هذا البستان، بعد أن يؤدي صلاة الفجر وتعقيباتها، ويستمر في هذه الرياضة إلىٰ طلوعِ الشمس. وكان بيت الإمامِ هو آخر بيت في محلة «يخجال قاضي»؛ وكانَ يقع خلف بيته بستان رمان وتين، ثم أرض منبسطة رأيتها بنفسي، وقد سمعت أن الإمام كان قد إستأذن صاحب هذا البستان وتلك الأرض في المشي فيهما إلىٰ طلوع الشمس في الصيف والشتاء.

وعندما أُصيب الإمام بالوعكة الصحية في قلبه ونُقل من قم إلىٰ مستشفىٰ القلب في طهران للعلاج، كتبت الصحف، أن الإمام نظر يوماً من النافذة إلىٰ الأرض المغطاة بالثلج وقال: «أرغب في المشي على هذا الثلج لو سمح الطبيب بذلك»!

أجل كان ملتزماً ـ وبإصرار ـ على ممارسة المشي باستمرار لنصف ساعة صباحاً وأخرىٰ مساءً وفي كل يومٍ، ويقوم أثناء ذلك أيضاً بمطالعة

الصحف أو المجلات أو الرسائل. وعندما ذهبت للنجف الأشرف في سنة ١٣٤٧ [هـ.ش، سنة ١٩٦٨م]، وزرت الإمام، وجدتُ أن مساحة ساحةِ منزله لا تتجاوز العشرين متراً مربعاً فقلتُ في نفسي: كيف يمكن للإمام أن يمارس رياضة المشي في هذه المساحة الصغيرة المحاطة بهذه الجدران العالية وفي ظل حرّ النجف الشديد؟ ولم أجد الجواب على هذا السؤال إلىٰ أن سمعت السيدة «دباغ» النائب في مجلس الشورىٰ الإسلامي - التي تطوعت للخدمة الإفتخارية في بيت الإمام لمدة - تقولُ في كلمتها في مجلس الشورىٰ قبل بدء البحث في مداولاته: إن الإمام لم يترك رياضة المشي أبداً، حتىٰ في النجف الأشرف حيث كانت مساحة منزله صغيرة جداً، فكان يقوم بذلك على سطح منزله.

ومن المعروف أن سطوح المنازل في النجف الأشرف محاطة بجدران عالية تمنع من رؤية الواقف عليها؛ الأمر الذي جعل الإمام ينقل مكان ممارسته للمشي يومياً صباحاً وعصراً من ساحة منزله الذي إستأجره في النجف الأشرف إلىٰ سطح المنزل[1]!

الالتزام ببرنامجه المنظم حتىٰ في الزنزانة الانفرادية

عندما إعتقلوا الإمام في مساء إنتفاضة الخامس عشر من خرداد [الخامس من حزيران سنة ١٩٦٣]، ونقلوه إلىٰ طهران، سجنوه لمدة (١٩) يوماً في محلٍ، ثم نقلوه إلىٰ زنزانةٍ إنفرادية سجنوه فيها مدة (٢٤) ساعة، يقول الإمام: «كان طول هذه الزنزانة أربع خطوات ونصف، وكنت أتمشىٰ فيها طبق برنامجي اليومي المعتاد ثلاث فترات، كل فترة نصف ساعة»[2].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدواني، كتاب (إمام خميني درآينه خاطره ها= الإمام الخميني في مرايا الذكريات)، ص: ٥٥.

(٢) الدكتور محمود البروجردي (صهر الإمام)، كتاب (سرگذشتهاى وثيره أز زندگى إمام خميني = حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٣.

المشي وتشخيص الطبيب المعالج

عندما كنتُ مقيماً في النجف الأشرف، أصابتني فجأةً وعكةٌ صحية شملت القلب والكبد والعظام وغيرها. فسعىٰ بعض المعارف إلىٰ أن أذهبَ إلىٰ بريطانيا لإجراء الفحوصات والعلاجات؛ وهناك أخبرني الطبيب المعالج لي وبعد ملاحظة نتائج التحليلات والصور الطبية المتعددة، اتَّضَحَ بأنني غير مصاب بأي مرضٍ، فاستغربتُ قولَهُ لما كنتُ أجدُ في نفسي من تدهورٍ صحي وأعراض مرضية، فسألته عن علتها فأجابني: إن هذه الأعراض ترتبط بالمخ، فأنتم طلبة العلوم، لا تمارسون أية نشاطات بدنية وتنحصر نشاطاتكم في دائرة الفكر والمطالعة والتحقيق، وبذلك تضغطون على المخّ وهو مثل البدن يحتاج إلىٰ الإستراحة عندما يتعب، فإذا لم يسترح إختلَّ عملُ الأعضاء الأخرىٰ، لذلك فالعلاج هو أن تعيدوا النظر في نشاطاتكم وتقللوا من العمل الفكري، وتمارسوا المشي كل يوم بما لا يقل عن كيلومتر واحد أو إثنين، فامشوا ما إستطعتم لكي تتحسن حالتكم وتستعيدوا سلامتكم.

ثم كتب لي بعض الأدوية، وعندما سألته عن وجه الحاجة إليها أجابني: إن الايرانيين إذا لم يكتب الطبيبُ لهم دواءً ظنوا أنه لا يفهم! وعندما رجعتُ إلىٰ النجف زرتُ الإمام فسألني عما جرىٰ، فقلتُ له: يا سيدي؛ لقد شخص الطبيبُ هناك مرضاً مستشرياً في الحوزات العلمية في النجف الأشرف وقم ومشهد واصفهان وكل حوزاتنا الأخرىٰ!!

ثم فسرت له ذلك وقصصتُ عليه ما جرىٰ، فأثنىٰ كثيراً على تشخيص الطبيب وإسلوبه في العلاج، وعندها سألته: هل أنت مستعدٌ لأن أكون في خدمتكم نتمشىٰ يومياً نصف ساعة أو ساعة فاستحسن ذلك، فاستأذنتُ منه أن أحضرَ سيارةً من الغد من أجل ذلك فقال: «إصبرْ إلىٰ الغد، فسأخبرك غداً مساءً بقراري»: وعندما زرته في مساء اليوم التالي لأعرف الساعة التي أحضر السيارة، قال لي: «لقد بدأتُ هذا البرنامج»، فسألته: وأين، فأجاب: «على

سطح المنزل». وسطوح المنازل في النجف محاطة بجدران عالية تجعل الواقف فيها لا يشرف على المنازل المجاورة. وأضاف: «أنا أقوم بالمشي على سطح المنزل، نصف ساعة كل يوم». وهذا الأمر يرجع إلى (٢٧) أو (٢٨) عاماً وقد بقي الإمامُ ملتزماً بهذا البرنامج إلىٰ الأيام الأخيرة من عمره ولم يتركه حتىٰ عندما كان مقيماً في باريس[١].

المشي قبل غروب الشمس

كان بيت الإمام في النجف صغيراً لا تتجاوز مساحته (٤٥) متراً مربعاً، وكان برنامجه اليومي فيه أن يمارس رياضة المشي لمدة نصف ساعة قبل غروب الشمس على سطح البيت لأنّ ساحته كانت صغيرة جداً لا تتسع لذلك[٢].

الاستماع لمذكرات مجلس الشورىٰ أثناء المشي

كان الإمام يمارس المشي ثلاث مرات في اليوم، على مدىٰ (٢٥) دقيقة في كل مرة يقوم خلالها بالأعمال التي يمكن القيام بها أثناء المشي: فمثلاً كان يستمع لمذاكرات مجلس الشورىٰ أثناء مشيه الصباحي والتي كانت تُبثُ عبر الإذاعة[٣].

تأخر موعد المشي!

كنا في إجتماع بحضور الإمام فطال البحث فيه، وتحدثنا كثيراً، وفي وسط حديثنا نظر الإمام إلىٰ ساعته ثم قال: «لقد تأخر موعد المشي»، ثم قام للمشي في الساعة التي حددها الأطباء له لكي يمارس المشي فيها[٤].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ نصرالله الشاه آبادى، كتاب (پابرباى آفتاب = خطوات في اثر خطوات الشمس)، ج٣: ص ٢٦٣.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الناصري، كتاب (گلهاى باغ خاطره = زهور في بساتين الذكريات).

(٣) الدكتور حسن العارفي، صحيفة إطلاعات، بتاريخ ٢٧/ ٣/ ١٣٦٨ [هـ.ش].

(٤) آية الله الخامنئي.

يمشي على سطح المنزل

في النجف الأشرف، كنا جميعاً نعلم أن الإمام يمارس المشي في النصف الساعة الأخيرة التي تسبق غروب الشمس، وعلى سطح منزله لأنه لم يكن بإمكانه القيام بذلك في الزقاق الذي يقع فيه منزله. وكان هذا من برنامجه اليومي[١].

قولوا للإمام: نحن نخشىٰ عليه

كان من البرنامج اليومي للإمام في النجف الأشرف أن يمشي ساعة كاملة ـ موزعة على ثلاث فترات ـ، وكان يلتزم بذلك في باريس أيضاً، فقال لنا رجال الشرطة في محل إقامة الإمام: قولوا للإمام أن لا يظهر عند نوافذ غرفته لأننا نخشىٰ عليه[٢].

إلتزم بالمشي لأنه شخّص فائدته

قال المرحوم الشيخ الإشراقي لقد قلنا للإمام مرة: إن رجال الشرطة الفرنسية قلقون من إحتمال عجزهم عن توفير الأمن لكم أثناء ممارستكم لرياضة المشي، فأجابنا: «عليهم أن يقوموا هم بواجبهم، وأنا أقوم بعملي أيضاً». فرفض الإمتناع عن برنامجه هذا واضطرت الشرطة الفرنسية إلىٰ زيادة عدد رجالها في المنطقة، وتابع الإلتزام بذلك إلىٰ آخر أيام عمره في حين أنني لم ألتزم بذلك إلا لمدةٍ محدودة رغم أنّ الطبيب المعالج قد أمرني بذلك. أما الإمام فقد إلتزم بدقة بذلك بمجرد أنه شخَّص كونه عملاً مفيداً[٣].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الناصري، مجلة (پيام إنقلاب = رسالة الثورة)، العدد: ٥٤.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ فردوسي بور. وسبب خوف الشرطة الفرنسية، هو إحتمال تعرض الإمام بذلك لخطر الإغتيال.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ نصرالله الشاه آبادى، كتاب (پابه پاى آفتاب = خطوات في أثر الشمس)، ج٣، ص ٢٦٤.

الرياضة والمشي في ثلاث أوقات

يذهبُ الامام إلىٰ فراش النوم في الساعة العاشرة مساءً، ويستيقظ في الثانية بعد منتصف الليل، ويمارس الرياضة صباحاً لمدة عشرين دقيقة، ويمارس المشي ساعة عصراً وساعة ونصف بعد طعام العشاء[1].

الاهتمام بسلامته الروحية والبدنية

كانت للإمام خصوصيةٌ تجلبُ الانتباه وهي أنه كان يراعي سلامته الجسمية والروحية معاً، فكان يهتم بحفظ صحته البدنية ويلتزم بالنشاطات التي تناسب حاله وعمره، فكان ملتزماً بالمشي ساعةً كاملة في ساحةِ منزله، وينقل المرحوم الحاج السيد مصطفىٰ: أن السيد لم يترك هذا الأمر حتىٰ في اليوم الذي قضاه في الزنزانة الانفرادية، فقد مشىٰ فيها ساعةً كاملةً[2].

تنظيم أوقات النوم

ينام الإمام ثلاث ساعات في الليل، وساعة أو ساعتين بعد صلاة الصبح، وساعة ـ كحدٍ أقصىٰ ـ بعد الظهر[3].

صلاة الليل في المستشفىٰ

كان الامام ينام في ساعةٍ محددة، ويستيقظ في تمام الساعة الثانية بعد منتصف الليل لصلاة الليل. وطوال المدة التي قضاها في المستشفىٰ للعلاج، ورغم أن الأطباء كانوا يعطونه أدوية منومة لكي يستريح، لكنه

---

(١) السيدة خديجة الثقفي، زوجة الإمام، صحيفة كيهان، بتاريخ ٢١/ ١١/ ١٣٦٦ هـ. ش.

(٢) آية الله الشيخ الرضواني، كتاب (سرگة شيهاى وثيره أز زندكى إمام خميني = حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٥.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (صالحين روستا = الصالحين في القرية)، العدد: ٣.

كان يستيقظ في هذه الساعة نفسها ويسأل عن الوقت لكي يقيم نافلة الليل، الأمرُ الذي يدل على دقة إلتزامه ببرنامجه اليومي المنظم[1].

يستيقظُ من النوم في الوقت المحدد!

كان الامام ينام نومة «القيلولة» بعد إنتهاء أعماله الصباحية في الساعة (١٠,٣٠) أو (١٠,٤٥) ثم يستيقظ بعد ثلاثة أرباع الساعة دون أن ينقص ذلك دقيقة ولا يزيد دقيقة أيضاً، وكنّا نلاحظ ـ على شاشة المراقبة الطبيبة ـ أن درجة نبض قلبه تتغير قليلاً بعد الاستيقاظ، ولم يكن بحاجة لجرس الساعة لكي يوقظه، لأنّ الامام كان ينام في الوقت المحدد ويستيقظ في الوقت المحدد[2].

تنظيم الساعة على وقت زيارته للحرم

كانت سنّة الإمام في النجف الأشرف، أن يجلس في غرفة الاستقبال في منزله بعد أن يؤدي صلاتي المغرب والعشاء، وكان الدخول عليه في هذا المجلس ميسراً للجميع، ثم يقوم من هذا المجلس بعد ثلاث ساعات بالضبط من غروب الشمس ليذهب إلىٰ الحرم العلوي للزيارة، وكان إلتزامه بذلك من الدقة بحيث أن مَن يريد أن يضبط ساعته يعرف أنها الساعة الثالثة بالضبط بعد غروب الشمس إذا رأىٰ الإمام خارجاً من منزله في شارع الرسول باتجاه الحرم؛ أو أن يعرف أنها الساعة (٣,٣٠) بعد الغروب إذا رآه خارجاً من الحرم العلوي[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد إمام الجمراني، صحيفة (جمهوري اسلامی)، ملحق خاص بمناسبة مرور أربعين يوماً علىٰ وفاة الإمام.

(٢) الدكتور بور مقدس، من الأطباء الذين عالجوا الإمام، مجلة (باسدار إسلام = حارس الإسلام): ، العدد: ٩٦.

(٣) آية الله الشيخ محمد هادي معرفت، مجلة حوزة = العدد: ٣٢.

مُنذ ١٣ سنة والإمام يزور الحرم في هذه الساعة

في إحدىٰ زياراتنا للعراق، كنا يوماً جالسين بعد صلاتي المغرب والعشاء في صحن مرقد أمير المؤمنين عليه السلام نتحدث مع مجموعة من طلبةِ وفضلاء الحوزة، وبعد إنتهاء الحديث والاستعداد للتفرق، نظر السادة إلى ساعاتهم فلاحظوا إختلافاً فيها كما أن ساعة الحرم العلوي ـ وهي أيضاً على نظام الساعة العربية ـ كانت تشير إلىٰ الساعة الثانية والنصف بعد غروب الشمس فكانت تختلف عن ساعاتهم بخمس إلىٰ سبع دقائق. وفي تلك اللحظة شاهدنا الامام يدخل من باب القبلة إلىٰ الحرم العلوي، فقال أحد أساتذة حوزة النجف: ـ إضبطوا ساعاتكم الآن على الساعة الثانية والنصف بعد الغروب: ففي هذا الوقت بالضبط يدخل الامام الحرم، منذ ثلاث عشرة سنة، وكان ذلك في السنة الثالثة عشر لإقامة الامام في النجف[١].

الأمن العراقي وبرنامج زيارة الامام للحرم

عندما كنا في النجف الأشرف، كنا نضبط ساعاتنا على ضوء أعمال الإمام، بمعنىٰ كنا نعرف الساعة بالضبط من خلال ملاحظة العمل الذي يقوم به، فمثلاً كان يخرج من منزله بعد ساعتين ونصف بالضبط من غروب الشمس، ويزور الحرم العلوي بعد ثلاث ساعات من المغرب دون زيادةٍ أو نقصان. وفي الأيام الأخيرة من إقامته في النجف ـ وعندما شدد جهاز الأمن من مراقبة الإمام ـ كان أفراد الأمن يطمئنون إذا دخل للحرم العلوي ويذهبون من المنطقة، لأنهم يعرفون الساعة التي سيخرج فيها من الحرم، فيرجعون إلىٰ المنطقة في تلك الساعة[٢].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد عبد المجيد الإيرواني، (كتاب سركذ شيتهاى وثيره أز زندگانى إمام خميني = حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج: ٥.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الناصري، المصدر السابق.

برنامج الزيارة على مدىٰ (١٤) عاماً

كان برنامج الإمام طوال مدة إقامته في النجف الأشرف أن يخرج من القسم الداخلي في منزله إلىٰ غرفة الإستقبال بعد ساعتين ونصف من غروب الشمس ـ وأصبح موعد خروجه في الأعوام الأخيرة ساعتين بعد الغروب ـ، فيستقبل الطلبة وعموم الناس، ثم يذهب في الساعة الثالثة بعد الغروب لزيارة الحرم العلوي المطهر، فيقرأ زيارة «أمين اللّه» واقفاً وزيارة الجامعة الكبيرة عن جلوس ثم يؤدي صلاة الزيارة ويرجع إلىٰ المنزل. وبقي ملتزماً بهذا البرنامج كل ليلة طوال الأربعة عشر عاماً التي قضاها في النجف، باستثناء ليالي السبت من فصل الصيف، فلم يكن يذهب فيها للزيارة لأنهم كانوا يغسلون أروقةَ الحرم فيها[١].

برنامج منظم وثابت في الزيارة

كان مما يجذب إنتباهي وأنا أشاهد بعض العبادات التي كان يؤديها الإمام مداومته ودقته في أداء العبادات وفق ما ورد في الشريعة دون زيادة ولا نقصان. وكان يتشرف بزيارة حرم أمير المؤمنين عليه السلام في الساعة نفسها من كل ليلة تقريباً، وكان يذهب إلىٰ كربلاء لزيارة سيد الشهداء عليه السلام في أوقات زيارته، وكان هذا برنامجاً منظماً وثابتاً[٢].

برنامج منظم وثابت وطوعي

يمكن للإنسان أن ينظم حياته على ضوء ساعات أعمال الإمام، وقد أدرك أهل بيته أن حياته تسير بصورة مبرمجة طوعيّاً ولذلك نظموا ما ينبغي

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد مجتبىٰ الرودباري، مجلة (١٥) خرداد الشهرية، العدد المزدوج: ٥ ـ ٦.

(٢) آية اللّه الشيخ القديري، صحيفة جمهوري اسلامي، الملحق الخاص بمناسبة الذكرىٰ الثانية لوفاة الإمام.

لهم فعله على أساسها، فهم يعلمون موعد نومه وموعد إستيقاظه وموعد تناوله الشاي وموعد لقاءاته بالآخرين. ومعروفٌ أن الطلبة في النجف كانوا يضبطون ساعاتهم على ضوء برنامجه فهم كانوا يعرفون دقته في الذهاب للحرم أو المجيء للدرس في الوقت المحدد[١].

وقت محددٌ للوضوء أيضاً

من القضايا المهمة في حياة الامام، الإلتزام ببرنامج منظم يشمل كل أعماله، من مطالعة الصحف وإجراء اللقاءات وقراءة الرسائل وحتىٰ موعد تجديد الوضوء فله وقت معلوم لا يمكن أن تذهب إليه في غيره فتراه قد ذهب للوضوء! أتذكر أنني كنت يوماً منشغلة مع الأخوة في كتابة محتويات الأشرطة الصوتية في مبنىً لمنزل الامام في باريس، فتذكرت فجأة أن عليّ أن أذهب لتنظيف وترتيب محل الوضوء في منزل الامام ـ إذْ أنني لم أرغب في أن يكون أي جزء غير مرتب في المنزل الذي أتولىٰ مسؤولية تنظيفه ـ فقمتُ فوراً للقيام بذلك لأن موعد تجديد الامام للوضوء قد إقترب، فقال بعض الإخوة مستغرباً: وهل لتجديد الوضوء من وقتٍ معين؟! الا أنني لم أعبأ بهذا القول، وذهبت ونظفت محل الوضوء، فكان أن وصل الإمام إليه في الوقت المحدد لوضوئِهِ[٢].

البرنامج اليومي في باريس

إضافة إلىٰ قيام الإمام كل يوم في باريس بإلقاء الخطابات واستقبال الجامعيين وغيرهم كل يوم ولعدة مرات، كان برنامج عمله اليومي يشتمل على: كتابة أجوبة الاستفتاءات والمسائل الشرعية، قراءة تقارير ترجمات

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأنصاري الكرماني، مجلة (بيام إنقلاب = رسالة الثورة)، العدد: ٥٠.

(٢) السيدة مرضية الحديديجي.

الأخبار والمقالات المهمة للصحف، مطالعة وتحليل التقارير الخبرية الواصلة من ايران بشأن حوادث الثورة والبلد، مطالعة الرسائل الواصلة من الشخصيات السياسية من داخل إيران وخارجها وكتابة الردود على المهم منها، عقد اللقاءات الخاصة مع مختلف الأفراد، إجراء المقابلات الصحفية والإجابة على أسئلة المراسلين المحليين والأجانب، كتابة البيانات بشأن مختلف وقائع الثورة، القيام بالفرائض والنوافل وتلاوة جزء كامل من القرآن ضمن ثمان فتراتٍ منظمة. الاجتماع بالعائلة وأعضاء مكتبهِ وبيته[1].

لا يقوم بالعمل في غير موعده

كان برنامج عمل الامام في باريس منظماً بدقة بحيث أنني كنتُ أعرفُ أنه يتناول شيئاً من الشاي أو الفاكهة في تمام الساعة الحادية عشرة ضحىً فإذا أحضرنا له شيئاً منها في العاشرة والنصف أو الحادية عشر والنصف لم يتناول منه شيئاً، كما كنا نعرف حتىٰ الموعد الذي يتوجه فيه لتجديد الوضوء[2].

برنامج عملٍ يومي في باريس

كان برنامج عمل الامام في باريس على النحو التالي: أربع إلىٰ ست ساعات مخصصة للنوم والإستراحة وبقية الساعات مخصصة للعمل المستمر. فكان يبدأُ عادة بعد صلاة الفجر بتلاوة القرآن ثم مطالعة التقارير والأخبار إلىٰ الساعة الثامنة. وكان يجيب بنفسه على الرسائل التي تصله من مختلف أرجاء العالم. وكان يستريح حدود الساعتين بعد تناول طعام الظهيرة ثم يعاود العمل إلىٰ موعد صلاة المغرب والعشاء، وبعد أدائهما

(١) موسوعة «كوثر» الجامعة لخطابات الإمام، ج: ٢.
(٢) السيدة مرضية الحديدجي.

يعاود العمل إلىٰ منتصف الليل حيث كان ينام في حدود الساعة الواحدة كما ينقل المقربون منه[1].

الجواب يحضر في الساعة الرابعة

بعد خروج الشاه من ايران إحتشد مراسلو الصحف والوكالات عند محل إقامة الإمام لمعرفة رأيه بشأن هذا الحدث المهم، وكانوا يصرون كثيراً على الحصول على مقابلة أو تصريح منه. فتقرر أن يكتب الإمام رأيه ويعطيه للاخوة لكي يترجموه لهم، ثم قام الإمام لأداء صلاتي الظهر والعصر، وبعدهما جاء الأخوة مرةً أخرىٰ وقالوا: إن المراسلين يزاحموننا كثيراً فقولي للإمام أن يكتب بيانه لكي نعطيه لهم. فذهبت إليه وأخبرته بالأمر، فأخذ ورقةً وقلماً، وبمجرد أن قرر كتابةَ البيان وضعهما جانباً وقال: «إذهبي وقولي لهم أن البيان سيحضر في الساعة الرابعة». فتعجبت من ذلك فما الفرق بين أن يكتبه الآن وبين أن يكتبه في الساعة الرابعة؟ لم أفهم السر في حينها. وعلى رأس الساعة الرابعة نادىٰ الإمام: «تعالوا الآن وخذوا الورقة» يعني ورقة البيان[2].

هل تأذنون لي؟!

لم يكن البرنامج المنظم الذي كان يسير عليه الإمام بالصورة التي تجدُ فيها مثلاً أنه يقرأ القرآن متى شاء، بل كان يتلوه في الأوقات المحددة له بالضبط ـ وهي سبعة أوقات في اليوم ـ، وكذلك الحال مع الأدعية مثل دعاء كميل، وقد كان يتلوها بدقةٍ وفي مواعيدها، ودون أن يؤثر على ذلك مَن حضر عنده وأي ضيف حلَّ عليه أو دخل غرفته،

(١) مراسل صحيفة إطلاعات الموفد إلىٰ نوفل لوشاتو في سنة ١٩٧٨م، صحيفة إطلاعات، ١٣/ ١١/ ١٣٧١ هـ.ش.

(٢) السيدة مرضية الحديدجي، مجلة (زن روز = إمرأة اليوم) العدد: ٩٥٤.

وأقصىٰ ما يفعله إذا كان قد دخل عليه أحدٌ منا في تلك المواعيد أن يقول: «هل تأذنون لي؟»، فنجيب: «رجاءً تفضل ونحن أيضاً نصغي ونستفيد»[١].

موعظة في ثمرة النظم

كان الإمام يقول دائماً: «إن مَن تكون أعماله على وفق برنامج وضوابط لا يفعل مالا فائدة منه ولا يصدرُ منه بالتالي ظلمٌ لزوجته وأطفاله»[٢].

متابعة الدرس وكأنه لم يحدث أي شيءٍ

طوال الأحدعشر عاماً التي كنت خلالها في خدمة الامام في النجف الأشرف، لم يحدث ولا لمرة واحدة أنْ تؤدي الحوادث والوقائع السياسية المهمة، إلىٰ التأثير سلباً على البرنامج الحوزوي للإمام وتدريسه للفقه الاسلامي، ولم تبعث فيها حتىٰ البرود في القيام بذلك؛ في حين كنا نحن والكثير من طلبته نعرض عن الحضور في درسه أو نحضر ولكن دون نشاط وتوّجه بسبب تأثيرات تلك الحوادث علينا، ولكنّ الامام كان يجلس للتدريس - في أشد الأوقات حساسية وإضطراباً وإرتباطاً بحياته هو - ويبين المسائل الفقهية بدقةٍ وعمق وكأنّ شيئاً لم يحدث؛ ولم يتغير حاله هذا حتىٰ في اليوم الذي اعتقل فيه النظام البعثي العراقي المعادي للإسلام نجله السيد مصطفىٰ ونقله إلىٰ بغداد، بل استطيع القول أنه كان في ذلك اليوم أعمق في بحثه الفقهي من الأيام الأخرىٰ، بل وحتىٰ بعد إستشهاد السيد مصطفىٰ، إعترض الإمام على علماء الحوزة وأساتذتها الذين عطلوا دروسهم بسبب هذه الحادثة

---

(١) السيدة زهراء المصطفوي، مجلة (شاهد بانوان = شاهد للسيدات)، العدد ١٤٩.

(٢) السيدة فاطمة الطباطبائي.

المؤلمة، طالباً الحيلولة دون هذا التعطيل والتجميد للنشاط الحوزوي ومعاودة الدروس، وقد تعمق هو بنفسه في دروسه في بيان المطالب العلمية وكأنه لم يحدث أي شيء[1].

النظم والانضباط وتحقيق الأهداف

كان الامام يُذَكِّرُ مراراً وفي عدة مناسبات الطلبة غير المنضبطين ـ الذين يتأخرون حيناً ويُبكرون حينا في الحضور للدرس، ولا يلتزمون ببرنامج منظم في حياتهم ويعانون الكثير بسبب ذلك ـ بالحقيقة التالية: «ان الذين استطاعوا تحقيق أهدافهم في هذه الدنيا ووصلوا إلىٰ مراتب مرموقة، هم الذين التزموا بالنظام والانضباط في شؤونهم الحياتية»[2].

تقسيم الأوقات يجعل الأعمال مباركة

كان الامام ينقل عن أستاذه المرحوم آية اللّه الشاه آبادي أن صاحب الجواهر كان قد وضع برنامجاً منظماً لكتابة كتاب «الجواهر»، فكان يكتب كل يومٍ مقداراً معيناً منه، وكان له ولدٌ من أهل العلم والفضيلة يحبه كثيراً فتوفي هذا الولد العزيز، وتقرر تشييع جنازته في اليوم التالي، فوضعت الجنازة في إحدىٰ الغرف، فجلس الشيخ صاحب الجواهر في تلك الليلة إلىٰ جانب جنازة ولدِهِ وكتب عندها المقدار نفسه الذي كان يكتبه كل ليلة من كتاب «الجواهر»! وكان الإمام يقول بعد نقل هذه الحادثة:

«على السادة أيضاً أن يجتهدوا في العمل وعلى وفق برنامج منظم وتقسيم الأوقات بدقة فهذا يجعل الأوقات والأعمال مباركة»[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، مجلة (باسدار إسلام = حارس الإسلام)، العدد الأول.

(٢) المصدر السابق.

(٣) آية اللّه الشيخ القديري، ملحق صحيفة جمهوري اسلامي بمناسبة الذكرىٰ الثانية لوفاة الإمام.

لنطالب السيد بأن يأتي للصلاة بصورة منتظمة

في صيف إحدىٰ السنين، أقام الامام في طهران، وكان يشترك في صلاة الجماعة التي كان يقيمها المرحوم آية اللّه السيد أبو الحسن الرفيعي القزويني في مسجد الجمعة في طهران لصلاتي المغرب والعشاء، السيد القزويني لم يكن يأتي بصورةٍ منتظمة وعندما تأخر عن الحضور للصلاة في أحد الأيام، قام الامام وخاطب المصلين قائلاً: «لنطالب السيد معاً بأن يأتي بصورة منتظمة، فإن عدم إلتزامه بالحضور يؤدي إلىٰ تضييع أوقات الكثير من الناس، فلنجتمع ونقول له جميعاً أن يحضر للصلاة بصورة منتظمة».

ثم حضر السيد الرفيعي وأقام الصلاة وبعد إنتهائِها قال له أحد المصلين: إن سيداً شاباً طلب من المصلين أن يطلبوا منكم الحضور بصورة منتظمة، واعترض - تقريباً - على عدم حضوركم بصورة مرتبة، فسأله السيد: ومَن هو هذا السيد، فأشار الرجل إلىٰ الإمام الذي كان يصلي في زاوية من المسجد، فما أن وقعت عين السيد القزويني عليه حتىٰ قال: «إنه الحاج السيد روح اللّه، إنه رجل فاضل للغاية وتقي وصالح جداً ومنظم في عمله ومهذب، إن الحق معه وفيما قاله، عليكم به، قدموه لإمامة الصلاة متىٰ ما تأخرتُ في الحضور لإقامتها»[1].

ينبغي الترويح عن النفس في ساعة الترويح عن النفس

عندما كان الإمام يراني منشغلة [بالدراسة] في أيام العطلة، كان يقول لي: «لن ينفعك ذلك بشيءٍ، لأن ما ينبغي فعله في وقت الترويح عن النفس هو الترويح عن النفس»، وكان يكرر هذه النصيحة وبجدية لولدي وقد سمعتها بنفسي مراراً منه إذْ كان يقول له: «إنني لم انشغل أبداً

---

(١) آية اللّه الشيخ حسن النوري، كتاب (گلهاى باغ خاطره = ازهار من بساتين الذكريات).

في ساعة الترويح عن النفس بالدراسة، كما لم أنشغل بالترويح عن النفس في وقت الدراسة، أي أن اللازم هو تخصيص كل وقت للعمل المناسب له، كما كان ينصح ولدي بأن يخصص وقتاً للترويح فبدونه يعجز عن التهيؤ للدراسة[١].

لا تدرسوا في ساعةِ الترويح

أتذكرُ أن الإمام كان يقول دائماً: «لا تدرسوا في ساعة الترويح، ولا تنشغلوا بالترويح في ساعة الدرس، بل قوموا بكل عملٍ في وقته المعين»، كما كان يقول أنه ومُنذ صباه لم يخلط بين أوقات هذين العملين كما أنه يراهما متلازمين لا غنىً لأحدهما عن الآخر[٢].

الامام يحضر للدرس قبل طلابه

عندما كنت أحضر درس الامام في مسجد (السلماسي) في قم، كنتُ قلما أحضر للدرس قبل موعده وأجد الامام لم يحضر بعد، فكلما وصلنا للمسجد ـ أنا ومعظم الطلبة ـ كنا نجد الإمام قد حضر قبلنا وجلس على المنبر أو السجادة مستعداً لإلقاء الدرس[٣].

لم أر مثل الامام في دقةِ نظمه

لقد درست دورة كاملة في الأصول والفقه ـ أي على مدىٰ قرابة أربعة أعوام ونصف ـ عند الامام وانتفعت كثيراً منه، والذي يثير الانتباه أنه لم يُعطل درسه طوال هذه المدة سوىٰ يومين! إنني لم أر طوال عمري مثله في دقةِ نظمه، وقد كنا أحياناً نضبط ساعاتنا على وقت حضور الامام

---

(١) السيدة زهراء المصطفوي.

(٢) السيدة عاطفة الإشراقي (حفيدة الإمام)، مجلة «زن روز = إمرأة اليوم»، العدد: ١٢٦٧.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد عبد المجيد اللإيرواني، كتاب (سرگذشتهاى وثيره أززندگى إمام خميني = حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج: ٥.

فنعرف مقدار ما فيها من تأخير أو تقديم في ذلك اليوم[1].

لم يُعطل درسه سوىٰ ليومين

أهم خصوصيات الامام دقتهُ في النظام، ولم أرَ طوال دراستي نظيراً له في جديته في العمل ودقته في الالتزام ببرنامجه المنظم، فلم يحدث ولا لمرة واحدة أن يلقي درسه بدون تحضير مسبق، وكان شديد الالتزام بالدرس، فمثلاً درَّسَ دورة أصولية كاملة في مسجد (السلماسي) في قم إستغرقت أربعة أعوام ونصف لم يعطل درسه فيها - في غير العطلة السنوية المعهودة - سوىٰ ليومين كان في أحدهما مريضاً[2].

روح الله هو روح اللّه حقاً

حضرت لمدة ثمان سنين الدروس الفقهية والأصولية العالية التي كان يلقيها الإمام، وكان الإمام يحضر دائماً في الوقت المحدد للدرس، وفي الأيام التي كان يلقي دروسه في مسجد السلماسي في قم، كان بعض الطلبة يتأخرون دقائق في الحضور للدرس بسبب إشتراكهم في درس آخر، فيدخلون المسجد بعد أن يكون الإمام قد بدأ التدريس، فيؤذيه ذلك وينبه إلىٰ عدم صحته، وكان من المعروف أن الإمام نفسه كان دقيقاً للغاية في الحضور في الموعد المحدد لدروس أساتذته في مرحلة دراسته الاولىٰ، حتىٰ أنّ المرحوم آية اللّه الشاه آبادي - أستاذ الإمام في الأخلاق - كان يقول بشأن دقة الإمام في الحضور المنظم في درسه: «إن روح اللّه هو حقاً روح اللّه! لم يحدث ولا لمرة واحدة أن أراه يحضر للدرس بعد البسملة، فهو دائماً كان يحضر قبل أن أبدأ الدرس بالبسملة»[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد علي الغيوري، مجلة (إطلاعات هفتگي = إطلاعات الاسبوعية)، العدد: ٢٤٤٢.

(٢) السيد علي الغيوري، صحيفة رسالتا، ١٤/ ٤/ ١٣٦٨ [هـ.ش].

(٣) آية اللّه بني فضل، مجلة حوزة، العدد: ٤٩.

لم يتحقق توقعنا بتعطيل درسه

. . .ومن الخصوصيات الأخرىٰ للإمام شدة إهتمامه بالدرس، فكان يحضره دائماً في الوقت المحدد دون تأخير ولا لدقيقةٍ واحدةٍ، وقد كان يدرس في مدرسة الفيضية في سني الإرهاب، فهاجم يوماً أفراد السافاك المدرسة، وكنا قد حضرنا للاشتراك في درسه كما حضر هو في الوقت المحدد، وعندما رأينا الهجوم توقعنا أن يُعطل الإمام درسه، ولكن هذا التوقع لم يتحقق، فقد جلس الإمام على الأرض في صحن حرم السيدة المعصومة [فاطمة بنت الإمام موسىٰ الكاظم عليه السلام]، وأخذ يلقي درسه[1].

عليكم الحضور للدرس في الوقت المحدد

كانت أعمال الامام تجري على وفق برنامج غاية في النظم والدقة، وقد قال مرة بشأن الدراسة: «إذا كنتم تأتون إلىٰ هنا للدراسة فعليكم أن تحضروا للدرس في الوقت المحدد، وإذا كان حضوركم بهدف الحصول على ثواب الجلوس في المسجد، فاعلموا أنه توجد مساجد أخرىٰ قريبة». وحتىٰ في اليوم الذي أخبرنا الإمام بنبأ إستشهاد السيد مصطفىٰ وأستأذناه في الذهاب إلىٰ كربلاء لترتيب أمر الدفن، كنا نتوقع أن لا يحضر الإمام لإمامة الصلاة ولكننا رأينا أنه دخل المسجد في وقته المعهود، بل وتابع مطالعاته العلمية وتلاوته للقرآن طبق برنامجه اليومي، بل وقرأ في عصر يوم إستشهاد السيد مصطفىٰ سبعين صفحة من الكتاب الذي كان بين يديه كما نقل لنا ذلك السيد أحمد[2].

وذنبك الثاني عدم إلتزامِك بالنظم والترتيب

رجعتُ يوماً من الجامعة إلىٰ المنزل وكان وضعي الظاهري غير مرتب،

---

(١) آية الله الشيخ حسين النوري الهمداني، (مجلة زن روز = المرأة اليوم)، العدد ٨٥١.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الناصري، كتاب (سرگذشت شيهاى وثيره أز زندگى إمام خميني = حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج: ٤.

فحذائي كان بالياً وملابسي غير نظيفة، فدخلت المنزل على هذه الحالة وكان الإمام يمشي في ساحة المنزل فأقطب حاجبيه عندما رآني وسألني: «لماذا تذهبين بهذه الحالة إلىٰ الجامعة؟» فأجبته ممازحةً: لا يمكن الذهاب بحالةٍ أفضل من هذه إلىٰ الجامعة في جمهوريتكم الإسلامية!، فأجابني: «لقد إرتكبتي ذنبين؛ الذنب الأول هو وقوعك في الرياء، فأردت بهذه الهيئة القول بأنك لا تملكين من المال ما تشترين به حذاءً مناسباً، أما الذنب الآخر فهو عدم إلتزامك بالنظم والترتيب وهذا خلاف الشرع والقوانين الإسلامية». فقلت له: لو ذهبتُ إلىٰ الجامعة بهيئةٍ مرتبة أفضل من هذه لأشكلوا عليّ واعترضوا، فأجابني: «لو اعترضوا عليك فقولي: إن الخميني قال: يجب أن تذهبي إلى الجامعة بهيئة مرتبة»[1].

الاسراع في تحويل الحقوق الشرعية

كثيراً ما كان يحدث أن يزور أشخاصٌ مثل المرحوم السيد اللواساني، الإمام في فتراتٍ متقاربةٍ ويقدمون له صكوكاً مصرفية هي حقوق شرعية، فيحولها الإمام فوراً لنا لإيداعها في الحساب المصرفي الخاص بها، فإذا نسي لكثرة المشاغل وخرجنا من عنده دق الجرس بعد لحظات وإستدعانا ثانية وسلمنا الصكوك، فلم يكن يبقي عنده شيئاً منها أو من الأمانات ولا ليومٍ واحد دونما مبرر[2].

الامام لا يؤجل عمل اليوم إلىٰ غدٍ

لم يكن الإمام يؤجل عمل اليوم إلىٰ غدٍ في أي حالٍ من الأحوال، وكان يضع كل شيءٍ في محله وينجز كل عمل دون استعجال ودون تأخير، فلا يُلاحظ أحدٌ في حياته تراكمَ الأشياء، ولا يشاهد أعمالاً معطلة

(١) السيدة زهراء الإشراقي (حفيدة الامام)، ملحق صحيفة إطلاعات بمناسبة وفاة الإمام.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

لم تُنجز على الرغم من كثرةِ مهامه وتعدد التقارير الواصلة إليه؛ بل لا يضيع عنده أي شيء، لأنّه كان يضع كل شيءٍ في محله المناسب، مثل الكتاب واللباس والقلم وجهاز المذياع وباقي وسائله الشخصية، وإذا وُجدت عنده أمانة أو شيءٌ ينبغي تحويله للطرف المسؤولِ عنه، فإنه كان يبادر إلىٰ تسليمه بسرعة وفي أولِ فرصةٍ. وكثيراً ما كان يحدثُ أن يحتاج إلىٰ كتاب فقهي فنستعيره له ونقدمه له، وعندها يكونُ أول عملٍ يقوم به في اليوم التالي هو إعادة الكتاب لمن جلبه منه[١]!

إهتمام خاص بآية اللّه الخامنئي

عندما عرف الإمام أن آية اللّه الخامنئي قد حضر إلىٰ مكتبه في أول وقت العمل، أي في الساعة الثامنة للالتقاء بالامام، أمرنا بترك أعمالنا إلىٰ ما بعد إنتهاء اللقاء والخروج من الغرفة، وخلافاً للمعتاد أجرىٰ اللقاء أولاً ثم تابعنا أعمالنا، في حين أنّ الإمام لم يكن يُغيّر برنامجه المعتاد أبداً، وحتىٰ في الأيام التي يمنعه المرض أو تمنعه الثلوج أو شدة البرد من الحضور إلىٰ المكتب كنا نذهب إلىٰ غرفته الخاصة لانجاز أعمالنا ولكي لا تتأخر أعمال المكتب والمراجعين، لذلك فما فعله يومذاك يشير إلىٰ إهتمام خاص بآية اللّه الخامنئي[٢].

لماذا لم يأت العقيد صياد للقاء

بعد عمليات محرم أصابتني مشكلة روحية خاصة شعرتُ أن حلها محال الا بأن أزور الامام، فاتصلت هاتفياً بمكتبه، وعرضت الأمر على السيد أحمد فقال لي: تعلمون بأن الامام لا يستقبل أحداً أيام الجمعة. فطلبت منه أن يعرض الأمر على الإمام لحاجتي الملحة لهذا اللقاء. وفي

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

(٢) المصدر السابق.

الإتصال اللاحق أخبروني أن الإمام وافق على اللقاء، وعندما وصلت إلى مكتبه في حدود الساعة (١٠,٣٠) قال لي خادمه الحاج عيسىٰ، أن الإمام دق الجرس في الساعة (٨,٣٠) ـ وهو الموعد اليومي للقاءاته ـ وسألني: لماذا لم يأتِ فلانٌ للقاء[١]؟!

جمع محاسن الصالحين

كان الإمام جامعاً لكمالات وفضائل أخلاقية ظاهرية ومعنوية يندرُ اجتماعها في شخص واحد، ويمكن القول ـ دونما مبالغة ـ أنه قد جمع من المحاسن ما تفرق في سائر الصالحين. جمع بين وسامة الظاهر، وفصاحة البيان وبلاغته، وجاذبيته، وسلامة البدن وتناسب شكل أعضائِهِ، وجمال الخط وحسنه، والشجاعة والاستقامة النادرة، والذكاء والفطنة والفراسة، وحسن الخلق، والتبحر في العلوم الاسلامية والعرفان والزهد في أعلى مراتبه، وتهذيب النفس وتزكيتها على وفق الوصايا الدينية، وأهم من ذلك كله التحلي بالمراتب السامية للإيمان باللّه والتوكل عليه، فكان ثمرة هذه الشجرة الطيبة الإنجازات التي شاهدناها وشاهدها العالم الإسلامي بل العالم كافة[٢].

إستثمار الفرص في أيام إزدحام المشاغل

كان الإمام يستفيدُ من الأوقات الخاصة به لأداء المستحبات، وكأنه بذلك يقولُ لنا: إذا توليتم مسؤولية عامة أو منصباً فلا يحق لكم أن تكتسبوا شيئاً لأنفسكم في الأوقات الخاصة بمتابعة شؤون الناس. ولكن يمكنكم القيام بذلك في الأوقات الخاصة بكم.

---

(١) اللواء علي صياد الشيرازي.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الرسولي المحلاتي، مجلة حوزة، العدد المزدوج: ٣٧ ـ ٣٨.

عندما كنا في باريس كنا نرىٰ أنّ الإمام قد خصص في تقسيمه لأوقات برنامجه اليومي ربع ساعة لممارسة المشي الضروري لسلامته البدنية، فكان يقوم بذلك في ساحة المنزل أو على شرفته، وكان يستثمر هذا الوقت طوال أحد عشر يوماً من بداية شهر محرم الحرام، لذكر اللعن مائة مرة والسلام مائة مرة الواردين في زيارة عاشوراء؛ لأنه خصص أوقاته الأخرىٰ لخدمة الناس والمجتمع[1].

آثار النظام الخميني على عمل الشرطة الفرنسية

ترك البرنامج المنظم والدقيق الذي كان يلتزم به الإمام آثاره حتىٰ على عمل أفراد الشرطة الفرنسية، وقد كنت أراهم ـ من نافذةِ غرفتي في بيت الإمام ـ ينزلون من سيارتهم إستعداداً لمرافقة الإمام قبيل فتحه لباب المنزل للخروج، وقد قالوا مراراً لإخواننا أنهم يضبطون ساعتهم ـ إذا حدث فيها تأخيرٌ أو تقديم ـ إستناداً إلىٰ وقتِ خروج الإمام لإقامة الصلاة، وكان هذا النظام الدقيق مثيراً لإعجابهم[2].

ساعة تناوله الشاي

كانت عادة الإمام أن يتناول الشاي في الساعة الحادية عشرة وهي من الساعات الخاصة به، ولكنه كان يقول: «لتأتِ السيدة أيضاً [يعني زوجته] لكي أشرب الشاي»[3].

إذا استمر التأخير خمس دقائق أخرىٰ فلن آتي

عندما كنتُ أتقلدُ مسؤولية قيادة لجان الثورة الإسلامية، حالفنا التوفيق

---

(١) السيدة مرضية الحديدجي، مجلة (زن روز = امرأة اليوم)، العدد: ٩٥٤.
(٢) السيدة مرضية الحديدجي.
(٣) السيدة مرضيه الحديدجى، مجلة (زن روز)، العدد: ٩٥٤.

لاصطحاب حرس هذه اللجان ـ وللمرة الأولىٰ ـ إلىٰ حسينة جمران بهدف زيارة الإمام. ولكن كثرة الحاضرين من أفراد هذه اللجان أدت إلىٰ أن يستغرق دخولهم وتوزعهم داخل الحسينية مدةً طويلةً تجاوزت الموعد المقرر لهذه الزيارة في حين أنّ الإمام كان معروفاً بدقته في التنظيم والقيام بكل عملٍ في وقته المحدد، لذلك دق الجرس وقال: «لماذا لا يُجرىٰ اللقاء في موعده المحدد؟ إذا استمر التأخير خمس دقائق أخرىٰ ولم يستعدوا للقاء فإنني لن آتي إلىٰ الحسينية!».

أجل، إن هذا التحذير قد فعل فعله وجعلنا نبذل المزيد من الجهد لإعداد مستلزمات الزيارة في الوقت المناسب، فدخل الإمام بطلعته النورانية البشوشة على الإخوة المشتاقين لزيارته في حسينية جمران[١].

في وقتِ الصلاة تجب الصلاة

كان إهتمام الإمام بوقتِ الصلاة وحقها مشهوداً بوضوح، حتىٰ أنّ أفراد الشرطة الفرنسية كانوا يضبطون ساعاتهم على أساس ذهاب الإمام للصلاة وعودته منها. وعندما كان بعض الأخوة يقفون بالقرب من الإمام في وقت الصلاة بهدف المحافظة عليه كان يقول لهم: «لا حاجة لذلك، في وقتِ الصلاة تجب الصلاة»[٢].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ أحمد سالك الكاشاني.

(٢) السيدة مرضية الحديدجي كتاب (سرگذشتهاى وثيره أز زندگي إمام خميني = حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج: ٤.

الفصل الثاني:

بساطة العيش العلوي والمواساة للأمة

أول مَن قدم كشفاً رسمياً بممتلكاته

عندما تقرر أن يقدم مسؤولو النظام ـ وطبقاً للدستور ـ كشفاً [للسلطة القضائية] بممتلكاتهم؛ كان الإمام الخميني أول مَن أعد هذا الكشف الرسمي بممتلكاته وممتلكات أرحامه وأرسله [للسلطة القضائية]، ولم يكن فيه أرقامٌ تستحق الذكر!، أجل لقد بادر الإمام لتقديم هذا الكشف رغم أننا لم نطلب منه ذلك. وتأريخ هذا الكشف الرسمي ـ وهو موجودٌ الآن في خزانة ديوان القضاء الأعلى ـ يدل على أن الإمام أول من بادر لذلك. وعلى العكس من ذلك كان موقف بني صدر الذي لم يقدم كشفاً بممتلكاته إلىٰ النهاية على الرغم من أننا طالبناه بذلك مراراً لكنه ظل يجادل للتهرب من العمل بهذا القانون الدستوري، لذلك لا يوجد كشفاً بممتلكاته في خزانة ديوان القضاء الأعلى، وامتنع عن ذلك أحد الوزراء أيضاً لا حاجة لذكر إسمه، في حين قدم هذا الكشف بقية المسؤولين ولكن بعد أن طلبنا منهم ذلك[1].

(١) آية الله السيد الموسوي الأردبيلي، صحيفة جمهوري اسلامي، ١٧/ ٣/ ١٣٧٣ [هـ. ش].

عدم الاستفادة من أموال الحقوق الشرعية

تحلىٰ الإمام بالقناعة بما عنده والتورع عن الطمع بما عند الآخرين، كان قانعاً بالعائد القليل الذي كان يصله من أملاكه التي ورثها من أبيه، وكان يعيش في منزلٍ متواضع مستأجر يقع في أحد المحلات القديمة والنائية في مدينة قم. ورغم ذلك لم يغفل عن مساعدة الضعفاء، وقد إتضح من وصيته فيما بعد أنه لم يتصرف لنفسه في الحقوق الشرعية طوال الأعوام العشرة التي تلت إنتصار الثورة(١).

إذا لم تجدوا المنزل المناسب لي أرجعُ إلىٰ قم

بعد مدةٍ من عودة الإمام إلىٰ قم [إثر إنتصار الثورة الإسلامية] أصابته نوبةٌ قلبية أوجبت نقله ليلاً إلىٰ طهران للعلاج إذْ لم تكن توجد في قم الإمكانات اللازمة لذلك. فأمر الأطباء بنقله إلىٰ مستشفىٰ القلب حيث أُخضع للعلاج لمدة شهرين كان الأطباء يشرفون على معالجته بصورةٍ مستمرة وكانوا يرفضون بشدة رجوعه إلىٰ قم لخطورة ذلك على سلامته، ويوصون بإصرار بأن يسكن في منزل قريب من هذه المستشفىٰ، لكننا لم نجد المنزل المناسب هناك رغم طول البحث.

كان الأطباء يؤكدون ـ وبإصرار بالغ ـ على ضرورة أن يسكن الإمام في شمال طهران لأن وضع قلبه يحتاج إلىٰ الهواء المناسب الذي تتميز به هذه المنطقة. وبسبب عدم العثور على منزل قريب من مستشفىٰ القلب إضطر الأطباء إلىٰ نقل الأجهزة الطبية اللازمة لمعالجة الإمام إلى مكان أبعد، حيث وجدنا منزلاً للإمام في شارع «دربند» أقام فيه مدة أربعة أشهر، لكن الإمام لم يكن مرتاحاً فيه مُنذ اليوم الأول، لأنه واقع في عمارة عالية تبدو من الخارج

(١) آية الله محمد صادق اللواساني، كتاب (يابه ياى آفتاب = خطوات في اثر الشمس)، ج: ٤، ص: ١٣٠.

لزائريه وكأنها قصراً وإن كان داخلها متواضعاً، لذلك كان الإمام يصرُّ ـ مُنذ البداية ـ أن نختار له منزلاً يناسبه، ولكن العثور على منزلٍ متواضع في شمال طهران كان أمراً في غاية الصعوبة. وبعد أربعة أشهرٍ قال الإمام مهدداً: «إذا لم تجدوا المنزل المناسب فسأرجع إلىٰ قم»، وفي المقابل كان الأطباء يصرون على لزوم إقامة الإمام في شمال طهران.

وفي أحد الأيام جاء السيد الحاج أحمد إلىٰ منزلنا لكي نذهب معاً للبحث عن المنزل المناسب للإمام، فذهبنا ولم نعثر على شيء، وعندما كنا نتناول معاً طعام الظهيرة في منزلنا قلت له: لو كان منزلنا يناسبه فنحن مستعدون لتقديمه، يمكننا أن ندمج هذين البيتين الصغيرين ـ بيت أخي وبيت أختي ـ بالحسينية [حسينة جمران]، لكي يناسب وضع الإمام وزيارات الناس له فكر السيد أحمد بالأمر ثم قال: إنه جيدٌ ومناسب ولكن ينبغي أن ترضىٰ السيدة [زوجة الإمام] به. فحضرت السيدة عصر ذلك اليوم وشاهدت المنزل وأعربت عن موافقتها من أجل الإمام رغم أن المنزل لم يكن مناسباً لها بالكامل.

وكان للحسينية بابٌ إضافيةٌ مستقلةٌ فُتحت من أجل أن يدخل الإمام منها لإستقبال الزائرين، ولم يكن بناء الحسينية قد إكتمل يومذاك وقد إستغرق إكماله وإجراء بعض التعديلات البسيطة ثلاثة أو أربعة أيام، ولكن الإمام لم يوافق على إجراء هذه التعديلات إلا بعد أن تيقن من أنها ضرورية لا مناص منها، فأمهلنا أربعة أيام لإكمالها، حضر بعدها إلىٰ المنزل وقال: «هذا هو المنزل الذي يناسبنا». وأقام في هذا المنزل سبع أو ثمان سنين. وأتذكر أن الحسينية كانت مليئة ببقايا مواد البناء بحيث لم يكن بالإمكان إستقبال أحد فيها، فتعاون جميع أهل الحارة ـ بدافع الشوق لحضور الإمام ـ ونظفوها خلال أربعة أيام وأعدوها كمحل لزيارة الإمام. كما أنّهم وضعوا مصابيح الزينة والإبتهاج على منازلهم وأوقدوها ـ في ليلة ٢٨ أردبيهشت ـ، فقد كانوا يعلمون أنّ الإمام سيصل قريباً إلىٰ حارتهم وإن لم يكونوا يعرفون الموعد

الدقيق لوصوله، وكان الفرح والسرور يطفح على وجوههم، وقد أكملوا كل تلك الإستعدادات ـ من إكمال بناء الحسينية وتبليط الزقاق وإعداد مصابيح الزينة وغيرها ـ في أربعة أيام رغم أنّ إكمالها يستغرق عادة ما يقارب الشهر! أما الموعد الدقيق لوصول الإمام فلم يكن يعرفه سواي وبعض المقربين إذْ قال لنا: «سنذهب أول الليل».

وفي الساعة السابعة مساءً رأينا الإمام يدخل محلة جمران وهو يستقل سيارة «بليزر». ورغم عدم إطلاع أهالي المنطقة على موعد وصول الإمام؛ إلا أننا عندما دخلنا الزقاق الضيق المؤدي إلىٰ الحسينية، وجدنا الأهالي محتشدين فيه بكثافة بالغة وهم يحتفون بحماس عجيب بشعار «صلوا على محمد، مرحباً بالقائد». فدخل الإمام الحارة وسط هذه الهتافات الودية، وعندما دخل المنزل أجال نظره في زواياه والغرفة التي كان يجلس فيها فيما بعد، ثم قال: «لقد إرتحتُ الآن فقد كنتُ في عذاب طوال هذه الشهور الأربعة»[١].

لا يملك جميع الطلبة ثلاجات

لم يكن الإمام الخميني يستفيد هو وعائلته من وسائل العيش إلا بمقدار الضرورة، ولم يكن في منزله ثلاجة عندما كان في النجف الأشرف كما هو حال طلبة الحوزة، ولم يرض أن يشتري له الشيخ نصراللّه الخلخالي ثلاجة حتىٰ من أمواله الخاصة وكان يعلل رفضه بالقول: «لا يملك جميع الطلبة ثلاجات»، وظل يستخدم الحافظات البلاستيكية الصغيرة لشرب الماء، إلىٰ أن تحسن الوضع المالي للطلبة قبل عامين وأصبحوا جميعاً قادرين على إقتناء ثلاجات عندها قال الإمام: «مادام أصبح لدىٰ الجميع ثلاجات فيمكنكم الآن إقتناء واحدة منها»[٢].

(١) حجة الإسلام والمسلمين إمام الجمراني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

أرجعوا هذه أيضاً

في الأيام الأولىٰ لتشرفي بخدمة الإمام سنة ١٣٦٠ [هـ.ش، ١٩٨١م]، لم يكن في منزله ثلاجةً، فقال السيد أحمد: هيأوا للسيد ثلاجة. فذهب السيد كفاش زاده واشترىٰ واحدة من حجم (١٤ قدم) وجلبها إلىٰ المنزل فوضعناها ـ أنا وأحد الأخوة ـ في المطبخ، وكان الإمام حينها يمارس المشي في ساحة المنزل، فسألنا عنها، فأجبنا بأن السيد أحمد على علم بالأمر، فلم يقل شيئاً وذَهَبَ، فقمنا بإيصال الكهرباء إليها، وخرجنا، وبعد فترة وجيزة عدنا للإطمئنان على سلامة إيصالها بالكهرباء، فوجدنا أن الإمام قد أخرج سلك وصلها بالكهرباء ووضعه فوقها. بعد ذلك قال لنا السيد أحمد: لقد قال الإمام إن هذه الثلاجة كبيرة، والأنسبُ أن تُستبدل بأخرى صغيرة.

فذهبنا فوراً وهيأنا ثلاجة صغيرة واستأذنّا الإمام في جلب الثلاجة الصغيرة وإرجاع الكبيرة، فقال: «كلا، لا تجلبوا الثلاجة الصغيرة، بل أرجعوا هذه أيضاً» فلم نجد بداً من إطاعةِ أمره، وعندما عرف السيد أحمد بالأمر أعرب عن عدم إرتياحه وأنكر علينا إرجاع الثلاجة، كما أن الشخص الذي اشترىٰ الثلاجة للإمام آذاه إرجاعها وقال: لقد نذرت هذه الثلاجة للإمام والإمام لا يُرجع النذر. فعدت للسيد أحمد وطلبتُ منه أن يخبر الإمام بذلك وبأن هذه الثلاجة لم تُشتر بالأموال العامة بل هي نذرٌ شخصي له. فعندما أخبره بذلك قال: «لا إشكال مادام في الأمر نذرٌ ولكن ضعوا الثلاجة الصغيرة هنا وأرجعوا الثلاجة الكبيرة»[1].

إذا كانت لديكم أموال خاصة فاشتروا منها

قالت أختي ـ التي كانت تخدم في بيت الإمام في النجف الأشرف ـ: لم تكن في منزل الإمام ثلاجة، لذلك كنا نضع ما يزيد عن إستهلاك اليوم

---

(١) السيد رحيم ميريان.

من الأطعمة مثل اللحم، في «السرداب»[١] لكي لا يفسد بسبب الحر الشديد الذي تتميز به مدينة النجف؛ ولذلك كان السيد مصطفىٰ يوصينا بأن لا نشتري من اللحم، أكثر من الإستهلاك اليومي. ولعدة أيام ذكّرت السيدة [زوجة الإمام] الإمام بعدم وجود ثلاجة في البيت وشدة الحاجة إليها فقال لها: «إنني لا أستطيع أن أعطيكم من هذه الأموال [الحقوق الشرعية] لشراء ثلاجة، فهي ليست من ملكي، فإن كانت لديكم أموال خاصة فاشتروا منها». وأخبرت السيدة ولدها السيد مصطفى بقول الإمام، فذهب واشترىٰ ثلاجة بالإقساط لوالدته ودفعت هي بنفسها جميع أقساط ثمنها[٢].

إضمن لي الحياة إلىٰ الغد لكي أشتري منزلاً

طوال إقامته في النجف، كان الإمام يسكن في منزلٍ صغير إستأجره هناك. وقد وجد الشيخ نصرالله الخلخالي قطعة أرض قريبة من حرم أمير المؤمنين عليه السلام، فطلب من الإمام أن يأذن له ببناء مسجد عليها ومنزل للإمام إلىٰ جوار المسجد ليكون منزله مجاوراً للمسجد الذي يلقي فيه دروسه، فرفض الإمام، وألح الشيخ نصرالله في طلبه فقال الإمام: «لا فائدة من إلحاحكم، يكفي أنني أدفع بدل إستئجار هذا المنزل كل شهر»، فقال الشيخ: يا سيدي إن ما ستدفعه كبدل إستئجار لهذا المنزل لبضعِ سنين يكفي لبناء منزلٍ جديد، فأذنوا لي بأن أبنيه لكم. فأجابه الإمام:

---

(١) نقل هذا الطرز في البناء الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري الدسفولي من مسقط رأسه دسفول إلىٰ النجف، إذْ كان أهالي دسفول قد إعتادوا بناء «السرداب» وهو غرفة تُبنىٰ تحت أرض مباني المنزل كطابقٍ إضافي تحت الأرض يصل عمقه ما بين (١٠ ـ ١٥) متراً توفر له تبريداً طبيعياً، وقد عمدوا إلىٰ هذا الأسلوب لمواجهة الحر الشديد لمدينة دسفول، وقد نقله الشيخ الأنصاري إلىٰ النجف الأشرف للهدف نفسه فأخذ أهالي النجف يبنون السرداب الذي يسميه أهالي دسفول باسم «شوادون» كطابق تحت الأرض في منازلهم.

(٢) الحاج عيسىٰ الجعفري (خادم في بيت الإمام)، والمبلغ المشار إليه في هذه القضية كانت زوجة الإمام قد حصلت عليه هدية من والدها.

«أعطني أنت أولاً ضماناً مكتوباً بأنني سأبقىٰ حيّاً إلىٰ الغد، وعندها سأذهب وأشتري منزلاً». فقال الشيخ الخلخالي: هذا مالا يستطيع أن يضمنه أبي وجدي فضلاً عني! فضحك الإمام، وبقي يسكنُ في منزلٍ مستأجر إلىٰ نهاية إقامته في النجف الأشرف[1].

بقي مستأجِراً إلىٰ النهاية

مُنذ أوائل حياته كان الإمام يعيش في منازل مستأجرة، في قم وفي النجف الأشرف ـ في مرحلة النفي ـ وحتىٰ بعد إنتصار الثورة وإقامته في طهران إلىٰ حين وفاته. فلم يملك منزلاً شخصياً طوال حياته المباركة[2].

كلا، لا حاجة لذلك

عندما كان الإمام مقيماً في النجف الأشرف، لم تكن توجد في منزله مبردة للهواء، بل كانت توجد فيه مروحة منضدية متواضعة، فقام أحد محبيه من الكويت بشراء جهازي تكييف للهواء من الحجم الكبير يكفيان لتبريد جميع غرف منزل الإمام الداخلية منها وغرفة الإستقبال، ثم جاء بعاملٍ فني لينصبهما في المنزل، فقلنا له: مهلاً، لنخبر الإمام بالأمر. وعندما أخبرناه قال: «كلا، لا حاجة لذلك». ومعروف إنّ الإمام إذا قال: كلا، فلن يتراجع عنها حتىٰ لو إجتمع العالم كافة ضده. فاضطر الرجل الكويتي إلىٰ إرجاع الجهازين.

ولم يكن السبب إحتياط الإمام الشرعي في كثرة إستهلاكهما للكهرباء فقط بل ـ إضافة لذلك ـ كان لا يحب مظاهر الترف[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ رحيميان.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني، ولعل الإمام لم يكن يرغب في أن يكون وضعه المعيشي أعلىٰ من وضع سائر طلبة الحوزة يومذاك.

أرجعوها لأصحابها

أرسلت مرةً من الكويت أجهزة تكييف للهواء هديةً للإمام لكي تُنصب في منزله بسبب شدة الحر في النجف، ولأن منزله كان خالياً من مبردات الهواء. ولكن الإمام لم يسمح بنصبها رغم شدة الإلحاح وأمر بإرجاعها إلىٰ أصحابها، كما أنه رفض طوال إقامته في النجف الأشرف أن تكون له سيارة خصوصية فكان يتنقل بواسطة سيارات الأجرة العامة[1].

ضعوا في الشق شيئاً يسده

س: كيف كان وضع بيت الإمام في النجف الأشرف؟

ج: كان يشتمل على ثلاثِ غرف في الطابق الأرضي، وغرفةً في الطابق العلوي هي غرفته الخاصة التي يطالع فيها ومكتب إستقبال المراجعين أيضاً، وكان في سقفها شق ينزل منه التراب، فاستأذنتهُ يوماً بسد هذا الشق بالجصِ فقال: «لا حاجةَ للجصِ، ضعوا في الشقِ شيئاً يسده»[2]!

رضي من أجل الزوار

لم يكن الإمام يرضىٰ بشراء مبردة هواء لمنزلِهِ في النجف الأشرف، إلىٰ أن قال له الشيخ نصراللّه الخلخالي يوماً: يا سيدي إن شدة الحرّ تؤذي الزوار الذين يجلسون في غرفة الإستقبال. وعندها رضي الإمام بشراء مبردة لهم، ورضي بعد طول إصرار بشراء بعض الملاحف للمنزل[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد السجادي الأصفهاني، كتاب (سرگذشتبهاى وثيره أز زندگي إمام خميني = حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج: ٦.

(٢) الشيخ غلام رضا، (خادم الإمام في النجف)، صحيفة جمهوري إسلامي، ١٣٥٨/٩/١٤ [هـ.ش].

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الناصري، كتاب (سرگه شتيهاى وثيره. . .)، ج: ٤.

لم أكن أتوقع منك مثل هذا

زرت الإمام مرةً عندما كان في النجف الأشرف وكان الجو حاراً جداً، وقد رأيته جالساً في وسط ساحة المنزل فسلمتُ عليه وقبلتُ يديه، فرأيت في يديه منديلاً يمسح به العرق المتصبب من وجهه، فقلتُ له: يا سيدي! إن منزلك صغيرٌ يكفيه جهازُ تبريد واحد وأنت تجلس هنا للمطالعة والتحقيق والتأليف، فأمرْ بشراء جهاز تبريد واحد، لكي تطالع وأنت في راحة. وعندها علا أثر الأذىٰ وجه الإمام وقال: «يا فلان، لم أكنْ أتوقع منك أنت أن تقولَ مثل هذا القول»[1].

لا أستطيع أن أصرف من بيت المال من أجل هذا

صارت الغرفة الخارجية من بيت الإمام المخصصة للإستقبال أشبه بالخربة، فطلب المرحوم أية اللّه الإشراقي من الإمام تعميرها وطليها بالدهان فأجابه الإمام: «لا أستطيع أن أصرف شيئاً من بيت المال من أجل هذا الأمر»، فقال الشيخ الإشراقي أنه مستعدٌ لتحمل مصاريف ذلك من ماله الخاص وقبل الشيخ الرضواني بذلك. فاغتنما فرصة ذهاب الإمام إلىٰ كربلاء للزيارة وأصلحنا وضع غرفة الإستقبال ووضعنا فيها بضعة «منادر» متواضعة لجلوس الضيوف وكانت شراشفها من القماش الرخيص، ولم نقمْ بأكثر من ذلك، ولكن الإمام عندما رجع من زيارة كربلاء المقدسة ورأىٰ وضع الغرفة أقطب حاجبيه وقال: «لقد رضيت بطلاء الغرفة لا بهذه الإضافات»[2]!

بساطة المسكن في النجف وطهران

طوال مدة إقامته في النجف الأشرف، كان الإمام يسكنُ في بيتٍ مستأجر بسيط وعتيق في أحد أزقة شارع الرسول ﷺ، حاله كحال

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد عباس المهري، المصدر السابق، ج: ٦.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الناصري، المصدر السابق.

المئات من طلبة الحوزة العاديين، وبقي على هذا الحال بعد أنتصار الثورة، سواء أيام إقامته القصيرة في قم، أو في ما يقارب عشرة أعوام قضاها في منطقة جمران في طهران، فكان حاله في مسكنه حال الكثير من المستضعفين الفقراء، يعيش في منزل مستأجرٍ، وكان منزله في جمران صغيراً لا تتجاوز مساحته (١٢٠) متراً مربعاً، مساحة البناء (٧٠) متراً والبقية ساحة البيت[١].

لا ينبغي الخروج عما يناسب رجال الدين

كان منزل الإمام في النجف الأشرف صغيراً وبسيطاً للغاية لا تتجاوز مساحة ساحته (١٤) متراً مربعاً، يشتملُ على بضع غرف في طابقه الأرضي وغرفة كبيرة في الطابق العلوي، لم تُصبغ مُنذ سنين طويلة فصارت بحالةٍ مزرية والمنزلُ كان مستأجراً، فقلتُ للمرحوم الشيخ الإشراقي: يُمكنكم إخراج البيت من هذه الحالة بتعمير جانب منه وطلي جانبٍ آخر، فقال: لقد إقترحتُ ذلك على الإمام، بل وأعلنتُ له عن إستعدادي للقيام بذلك من أموالي الخاصة وليس من بيت المال، لكنه لم يوافق وقال: «ليبقَ البيتُ على حاله، فهو ملك صاحبه والتصرف فيه من شأنه، فلا معنىً لأن نقوم بإعماره وصبغه وإظهاره بحالة لا تتناسب وزي رجال الدين الروحانيين»[٢].

هل هذا بيت الصدر الأعظم

لم يكن قسم الاستقبال في بيت الإمام في النجف الأشرف مفروشاً بالكامل، بمعنىً أن قسماً من هذه الغرفة التي كان يجلس فيها مساءً، كان خالياً، فطلبتُ منه أن يسمح بشراء ما نسد به هذا النقص، فقال: «يوجد في

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ رحيميان.

(٢) آية الله الشيخ محمد الفاضل اللنكراني، كتاب (سرگذ شتيها وثيره. . .)، ج: ٦.

داخل المنزل بساطٌ إضافي»، فقلتُ: إنه بساطٌ متواضع كما أنه لا يناسب المفروش في هذه الغرفة، فأجابني: «وهل هذا بيت الصدر الأعظم؟!»[1] فقلتُ: بل هو بيت مَن هو أعظم، إنه بيت إمام الزمان. فقال: «وما يدريك أن المفروش في بيت إمام الزمان نفسه خيرٌ من هذا؟!»[2].

إنهيار جدار في بيت الإمام

كان الامام وأولاده يعيشون عيش أبسط طالب في الحوزة، رغم أن الإمكانات المادية [بيت المال] كانت بأيديهم وكان بالإمكان تبرير إستفادتهم منها. كان بيت الامام قديماً جداً ويخلو من أي مظهر من مظاهر الزينة والإمكانات المتعارفة. وقد سقط في شتاء أحد الأعوام جدار الغرفة العلوية منه، ورغم ذلك لم يرضَ بالانتقال منه، بل أعاد بناء الجدار وبقي في المنزل نفسه[3].

قطعة الأثاث الوحيدة منضدة صغيرة

بعد إنتهاء عمل [الامام] الخميني في مدرسة الفيضية، وفي إستقبال زائريه، كان يرجع إلىٰ بيته العائلي الذي يقع في زقاق «يخجال قاضي» برقم (٦١)، وهو بيتٌ طينيٌ أبيض بني في طبقةٍ واحدة وقد يبلغُ عمر هذا البيت مائة عام، والزقاق المذكور ضيقٌ يقع في مركز مدينة قم، وفي البيت ساحة فيها حوض ماء وجدرانه مغطاة بفروع شجرة عنب، وقطعة الاثاث الوحيدة التي تجذب الانتباه فيه هي منضدة خشبية إستفادَ منها سنين طويلة[4].

---

(١) لقب كان يطلق علىٰ الوزير الأول للملك في العهود السابقة.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد العلي القرهي، من حاشية الإمام في النجف، المصدر السابق، ج١.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد السجادى الأصفهاني، المصدر السابق، ج٦.

(٤) مراسل مجلة التايم الأميركية، صحيفة إطلاعات، ١/ ٥/ ١٣٥٨ [هـ. ش].

بساطة عيش الإمام جذبتني إليه

أكثر ما شدني إلىٰ الإمام بساطة عيشه، ففي باريس كان يقيمُ في منزلٍ صغير ذي غرفتين لا أكثر، واحدةٌ لنومه والثانية لعمله ولقاءاتِهِ، ولا تُشاهد في وسائل معيشته السجادات والأثاث الثمين، كما أن طعامه كان بسيطاً جداً هو مقدارٌ قليل من اللبن والأرز، وكذلك حال الخيمة التي كان يصلي فيها فهي متواضعة وبسيطة للغاية[١].

لم يضع حجراً على حجر

البيت الذي كان يقطنه الإمام متوسط السعة مبني من الطين ولا زال موجوداً. وكان لأكثر من عشرين عاماً ـ ما بين عامي ١٣٠١ إلىٰ ١٣٢٤ هـ.ش [١٩٢١ ـ ١٩٤٥م] ـ يعيش في منازل مستأجرة، حيث إستأجر منزلاً لمدة عامين وانتقل منه بعد أن احتاجه صاحبه، فاستأجر منزلاً آخراً. أجل لم أرَ الإمام طوال (٦٣) عاماً كنت في خدمته بصورةٍ متواصلة ـ باستثناء أعوام نفيه حيث انقطع إرتباطي الظاهري به ـ يضع حجراً على حجر[٢].

منزل زعيم بلد الخمسين مليوناً

خلال إقامته في باريس، كان الإمامُ يعيش في منزل صغير مساحته (٦٠) متراً مربعاً، ثم سكن في «مدرسة علوي» في بداية عودته إلىٰ طهران، ثم في بيت ذي طابق واحد يشتمل على بضع غرفٍ صغيرةٍ في قم، ثم سكن في بيتٍ بسيط إستأجره في منطقة جمران؛ وقد زاره مراسل وكالة رويتر ووصفه بقوله: إن المنزل الذي زرتُهُ هو محل إقامة زعيم بلدٍ يتجاوز عدد نفوسه الخمسين مليوناً، والمنزل بسيطٌ وبسيطٌ للغاية، فيه

---

(١) البروفسور الفرنسي مونتى.

(٢) آية الله الشيخ جعفر السبحاني، كتاب (پاى آفتاب = خطوات في أثر الشمس)، ج٣، ص: ٢١٣.

غرفة واحدة عُزلَ قسمٌ منها بستارة لتكون غرفة نوم [الإمام] الخميني، ووضع في القسم الآخر منها كرسي مغطىً بقطعةِ قماش بيضاء، وهذا هو أهم أثاث المنزل، على رفوف المنزل تجد نُسخةً من القرآن الكريم ومرآة، ومجموعة من الكتب، وجهازي مذياع وتلفاز[1].

مساحة المطبخ بمقدار فراش النوم

الوسائل المعيشية التي اشتريت لمنزل الإمام في النجف الأشرف، كانت عبارة عن: سجادة قديمة، بساط قديم، ثلاثة أو أربعة «منادر» للنوم، «سماور» كبير، كيس من السكر، صندوق شاي، وأربعين من فناجين الشاي وصحونها ليست من نوع واحد، وأربعة صحون كبيرة لتوزيع الشاي على الزائرين، وأربعة من صحون الطعام، ودعي السادة للجلوس في ساحة المنزل التي لا تتجاوز أبعادها (٥× ٦) أمتار. وجاء السيد [الإمام] من كربلاء إلىٰ منزله المتواضع والمستأجر هذا وعاش فيه (١٤) عاماً، رغم أنه منزلٌ صغير جداً لا تتجاوز مساحة مطبخه مساحة فراش نوم واحد بحيث كنا نضطر إلىٰ وضع القدر في ساحة البيت لصب الطعام؛ وكان طابقه الأرضي يشتمل على ثلاث غرف أبعاد الواحدة (٣× ٤) أمتار، وفوقها غرفتان الأولىٰ لم يكن بالإمكان الإستفادة منها بحال من الأحوال، ففرشنا الثانية للسيد، وقد استأجر منزلاً مجاوراً ـ وكان صغيراً وقديماً أيضاً ـ ليكون بمثابة بيت الضيوف «البراني»[2].

وساحة الدار لا تتسع لرياضة المشي

سكن الإمام في النجف الأشرف في منزل صغير مساحته (٤٥) متراً

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد السجادى الأصفهاني، كتاب (سرگذشتيها وثيره أززندگى إمام خميني = حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٦.

(٢) السيدة خديجة الثقفي، زوجة الإمام، مجلة (ندا)، العدد: ١٢.

مربعاً، وكان يمارس رياضة المشي على سطحه في نصف الساعة الأخيرة التي تسبق غروب شمس، لأن ساحة المنزل كانت صغيرة جداً ولا تتسع للقيام بذلك[١].

في معيشته درسٌ للحوزيين

طوال مدة إقامته في النجف الأشرف، سكن الإمام منزلاً صغيراً مساحتُهُ ستون متراً، وكان يعيش حياةً بسيطةً للغاية، فكانت سيرته المعيشية بحدٍّ ذاتها درساً لجميع طلبة الحوزة الدينية المقيمين في النجف[٢].

وبيته يشبه مساكن أشد النجفيين فقراً

في أحد الأزقة الضيقة لمدينة النجف التي بُنيت بيوتها بصورة متشابكة تقي أهلها من أشعة الشمس اللاهبة، كان يقع المنزل البسيط لآية اللّه الخميني، وهو منزل يشبه مساكنَ أفقر أهل هذه المدينة. وكان يعيش في الغرف الثلاث لهذا المنزل مالا يقل عن إثنى عشر شخصاً هم أفراد عائلته، ولا تبدو على هذا المنزل المتواضع أيةُ علامة لشوكة من ألفناهم من قادة التمردات أو رؤوساء جبهات المعارضة الذين يعيشون في المنفىٰ. فنحن الآن نجلس في محضر آية اللّه في غرفة صغيرة أبعادها (٢× ٣) متراً وفي دار تقع في أبعد مناطق النجف؛ وهي مدينةٌ تقع ـ في التقسيم الجغرافي ـ في واحدة من أسوء المناطق الصحراوية[٣].

(١) حجة الإسلام والمسلمين الناصري، مجلة (پيام إنقلاب = رسالة الثورة)، العدد: ٥٤.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد البجنوردى الموسوي، (پابه پاى آفتاب = خطوات في أثر الشمس)، ج٤، ص: ٢٠٦.

(٣) أول مقابلة يجريها مراسل صحيفة اللومند الفرنسية مع الإمام في النجف، كتاب (طليعه إنقلاب اسلامي = فجر الثورة الإسلامية)، ص: ٣٠٢.

وتشبه في بساطتها مساكن العامة والطلاب

سكن الإمام ـ طوال إقامته في النجف ـ في دار قديمة مستأجرة تشبه في بساطتها مساكن عامة الناس وطلبة الحوزة[١].

رضي بشراء مبردة هواء للزائرين

رغم أن الإمام لم يعتد سابقاً على شدة الحر المألوفة في النجف والتي تشتد أحياناً إلىٰ درجة يصعب معها علينا ـ نحن الذين إعتدنا عليها ـ أن ننام على السطوح بسبب هبوب الرياح الحارة السموم؛ ورغم أنه كان قادراً على شراء مبردة للهواء لمنزله ولم تكن يومها غالية الثمن؛ بل ورغم شدة إصرار محبيه على شراء مبردة له بسبب كبر سنه وضعف بدنه، إلا أنه ظل يرفض شراءها، أجل بعد أن أخبره بعض مقربيه بأن شدة الحرّ تؤذي الناس الذين يترددون على بيت الإستقبال «البراني»، رضي بنصب مبردة في غرفة الإستقبال رعاية لحال الزائرين[٢].

يجتنب الحياة المرفهة

سكن الإمام في النجف الأشرف (١٣) عاماً، وكانت حياته في غاية البساطة، فلم يكن يستفيد حتىٰ من وسائل الرفاهية التي يستفيد منها الحوزويون العاديون، فأبسطهم كان يخرج من النجف إلى الكوفة في أيام إشتداد الحر في النجف، ولكن الإمام لم يرضَ لنفسه حتىٰ بمثل هذا. وكان يقيمُ في داره في النجف في جميع فصول السنة[٣].

لم يذهب للنزهة مواساة لشعبه

ينقل الحاج السيد أحمد أن الإمام وطوال إقامته في النجف لم يخرج

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد مرتضىٰ الأردبيلي الابركوهي.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مهدي الكروبى، كتاب (پابه پاى آفتاب)، ج٤، ص: ١٠٤.

للنزهة والإستفادة من البساتين وأمثالها رغم أنه معروف بلطافة الروح وشفافية الطبع والذوق، كان شديد الحرص على أن يعيش في معاناة مواساةً لشعبه في ايران الذي كان يقاسي الكثير من الضغوط [في ظل الحكم الملكي]. وقد تابع هذه السيرة مُنذ اليوم الأول لإقامته في ضاحية «نوفل لو شاتو»، فرغم ما عُرف عنه من رغبة في التجوال في الهواء اللطيف، إلا أنه أقدم على ذلك التكليف الشرعي وجلس في زاوية الغرفة متحملاً الصعاب المضنية خاصةً في الأيام الأولىٰ لإقامتِهِ، أي قبل إعداد المكان المناسب لإقامة الصلاة. لقد كان يسكن في الغرفة الخلفية للمنزل المؤلف من ثلاث غرف لها مدخل واحد فقط، فكان عليه أن يمرّ كلما أراد تجديد الوضوء على الغرفتين الوسطىٰ والأمامية ـ اللتين لم تكونا تفرغان عادة ـ، ورغم ذلك تحمل هذا الوضع بمتانة كاملة وبروحية طالب العلم الصبور والمتواضع[1].

الدقة في صرف الحقوق الشرعية

في ضاحية «نوفل لو شاتو» ـ وهي ضاحية قروية تبعد ٢٥ كيلومتراً عن باريس ـ، وُضع منزلان تحت تصرف الإمام ومرافقيه، المنزل الأول صغيرٌ جداً كان يقيم فيه الإمام مع أفراد عائلته، والثاني ـ ويقع مقابل المنزل الأول ـ كان مخصصاً للإجتماعات والجامعيين الايرانيين وأعضاء مكتب الإمام، كما كان يُقيمُ فيه صلاة الجماعة ويؤدي فيه صلاة الليل أيضاً، كما استؤُجر محلٌ كفندق يستريح فيه الطلبة الجامعيون والمسافرون وكان يديره الشهيد مهدي العراقي، وبسبب محدودية المكان كان يبيتُ في الغرفة الواحدة في بعض الأحيان عشرون إلىٰ ثلاثين شخصاً من الذين يأتون لزيارة الإمام، وكان يُسمح لهم بالإقامة في هذا المكان ليومين ـ والجدير بالذكر هنا أن الإمام ـ وبحكم شدة إحتياطه في صرف الحقوق

---

(١) الدكتور حسن حبيبي، صحيفة اطلاعات، ١٨/ ١١/ ١٣٦٠ [هـ.ش].

الشرعية ـ لم يكن يسمح بدفع قيمة إستئجار هذا المكان من الحقوق الشرعية ـ لذلك كان يتكفل بدفعها المتمكنون من الايرانيين(١).

هذا البيت مترف لا يناسبني

في الأيام الأولىٰ لعودة الإمام إلىٰ قم، جاءني الحاج السيد أحمد يوماً وقال لي: إنّ السيد [الإمام] غير مرتاح في هذا البيت، لأن فيه بعض مظاهر الترف، وأمرني بالبحث عن غيره وإلا سيذهب إلى بيته. وكان بيته في آخر مجموعة من الأزقة الضيقة ولا يمكن لجموع زواره من عبورها(٢).

لا أدخل الدار ذات الجدران المخملية

كان محل إقامة الإمام في قرية «نوفل لو شاتو» يزداد ضيقاً كل يوم بسبب كثرة تردد الجامعيين والشخصيات من أنحاء العالم عليه، ثم تقرر مجيء عائلة الإمام من النجف إلىٰ باريس، لذلك أذن لنا باستئجار منزل أوسع وأقرب، فتولىٰ أحد الأخوة هذه المهمة، وعثر على منزل شاهده أحد أقرباء الإمام وأعجبه، وأخبروا الإمام بذلك فأرسل مبلغاً كقيمة إستئجار المنزل لمدة شهر، وأجاز كتابة عقد الإستئجار، لكنني ـ وقبل ذلك ـ ذهبت مع بعض الأخوة الجامعيين للإطمئنان من كون هذا المنزل مناسباً للإمام، فوجدته صغيراً لكنه ذو ظاهرٍ جميل ومزيّن بعناية وجدرانه مغطاة بأوراقٍ مخملية. فأدركت أنه لا يناسب الإمام، وتقرر أن يتم إخبار الإمام بأن ظاهر المنزل لا يناسبه خاصة وأنّ جدرانه مخملية، فلما أخبروا الإمام بذلك قال: «لا أدخل هذه الدار»(٣).

---

(١) موسوعة كوثر، ج٢.

(٢) آية الله الشيخ محمد اليزدي، كتاب (پابه پاى آفتاب = خطوات في أثر الشمس)، ج٤ ص: ٣٢٢.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ فردوسى بور، مجلة (پاسدار إسلام = حارس الإسلام)، العدد: ٢٨.

ولا أدخل داراً من المستوىٰ الراقي!

لم يعد محل إقامة الإمام في ضاحية «نوفل لو شاتو» يتسع لكثرة الزوار الذين كان عددهم يزداد كل يوم، فأخذنا بالبحث عن مكان آخر، حتى عثرنا في إحدىٰ المحلات الخالية نسبياً في إحدىٰ ضواحي باريس على دار جيدة للغاية ومناسبة لإستقبال زائري الإمام حيث كانت فيها قاعة كبيرة، كما كان فيها مكان مناسب جداً لسكن الإمام؛ وقد تكفل أخونا السيد المهري بدفع ثمن إستئجارها، ولكن في أثناء ذلك سألنا الإمام عن هذه الدار وهل هي من المستوى العادي أم الراقي، فأجبناه إنها من المستوىٰ الراقي وجيدة جداً وجميلة، وعندئذٍ قال الإمام: «كلا، لن أدخل مثل هذه الدار فهي من المستوىٰ الراقي»[1]!

هذه الغرفة ضيقة وصغيرة

من المقابلات التاريخية التي أجريت مع الإمام في «نوفل لوشاتو»، المقابلة التي أجراها مراسلو التلفزيون الأميركي وقالوا قبلها أنها ستُبث بصورةٍ مباشرة؛ وكانت في جعبتهم أسئلةٌ كثيرة وقد إنهمكوا مُنذ الساعة التاسعة صباحاً إلىٰ الثانية بعد الظهر، في نصب وتنظيم كاميراتهم التلفزيونية، وشكوا لنا قائلين: إن هذه الغرفة التي خصصتموها للإمام ضيقة وصغيرة جداً ولا نستطيع التصوير فيها بالصورة المطلوبة[2].

لا يسكن في الأماكن الفخمة

زار المرحوم آية اللّه البهشتي الإمام في باريس وتحادث معه، ثم عاد إلى ايران ودعا مجموعة من الأخوة إلىٰ منزله بهدف تشكيل لجنة

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد المحتشمي، كتاب (سرگذشتيهاي وثيره)، ج١.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ فردوس بور.

لإستقبال الإمام، فقال ـ فيما قال لهم ـ: إستعدوا أيها الأخوة بجدٍّ فالإمام سيأتي قريباً. إن الإمامَ الذي زرتُهُ يعرف حتىٰ ساعةَ رحيل الملك، ويعرف المستقبل. فتم يومئذٍ تشكيل لجنة الإستقبال التي وصلتها رسالة من باريس تقول: إن الإمامَ أمر بأن لا يكون محلُ إقامته في شمال طهران ولا في الأماكن الخاصة ولا في الأماكن الفخمة المليئة بالزخارف الدنيوية ومظاهر الزينة[1].

الامام يرغب في السكنىٰ في جوار المستضعفين

عندما قرر الإمام المجيء الىٰ طهران، أمر بأن يُنتخبَ لسكناه محلٌ في جنوبها حيث يقطن المستضعفون، وأن يكون متسعاً لتردد الناس، فلم نعثر على محلٍ بهذه الخصوصيات سوىٰ مدرسة «رفاه» التي أقام فيها الإمام بضعة أيام ثم انتقل إلىٰ مدرسة «علوي»[2].

تأثر زائري منزل الامام ببساطته

عندما عزم الإمام على مغادرة باريس باتجاه طهران، أوصىٰ بأن يكون محل إقامته فيها جنوب ساحة «تونجانة» [ساحة الإمام الخميني التي تقع في بداية القسم الجنوبي من المدينة]، لا في قسمها الشمالي، في حين أنَّ أنصار الإمام كانوا قد قرروا تهيأة منزل له في شمال المدينة بسبب هوائِها المناسب، ولكن بعد إبلاغ أمره لهم إختاروا لإقامته مدرسة «علوي» الواقعة في ساحة «بهارستان» في شارع ايران. وفي سنة (١٣٥٨) [هـ.ش، ١٩٨٠م]، أُصيبَ الإمام بعارضٍ قلبي نُقل على أثرهِ من قم إلىٰ مستشفى القلب في طهران، ثم سكن لمدة قليلة في شارع «دربند» [شمال طهران] لضرورة إقتضتها معالجته، لكنه رغم ذلك رفض البقاء في هذه المنطقة

(١) محسن رفيق دوست، مجلة حضور، العدد: ٣.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد إمام الجمراني.

وانتقل إلىٰ منزل أحد العلماء في قرية «جمران». وكثيراً ما يتحدث الذين يزورون هذا المنزل من المراسلين الأجانب وغيرهم ـ بعد وفاته ـ عن شدة إعجابهم وتأثرهم ببساطة الحياة التي كان يعيشها هذا القائد العظيم وببساطة مسكنه[1].

هذا المنزل لا يناسبني يجب أن أرحلَ عنه

قال الإمام يوماً ـ عندما كان في مستشفى القلب ـ: «يجب أن أخرج من جو المستشفى فهو يزيدني مرضاً، وليس بي ما يستدعي بقائي، فإن لم تهيأوا وسائل خروجي، خرجتُ بنفسي».

ولكن كانت ثمة عدة مشاكل ترتبط بهذا القرار. فذهابُ الإمام إلىٰ قم كان مستبعداً، إذْ لم يكن له فيها منزلٌ، كما أن موافقة اللجنة الطبية المعالجة له على خروجه كانت مشروطةً بأنْ يكون منزله قريباً من المستشفىٰ. في حين كان يرغب هو في الإقامة في جنوب طهران والمسافة بعيدة بينه وبين المستشفىٰ إضافة إلىٰ أن الهواء هناك ملوث جداً يَضُر بصحته. وبعد طول بحث تم إستئجار مبنىً في شارع «دربند» يشتمل على ثلاثة طوابق، أقام في طابقه الأول ـ في الأيام الأولىٰ ـ الأخوة الحرس، وفي الثاني عائلة الإمام فيما خُصص الطابق الثالث للقاءات الإمام. وبعد مدة قال الإمام: «هذا المنزل لا يناسبني يجب أن أرحلَ عنه»! ولعلكم رأيتم هذا المنزل، إنه يُصنف ضمن منازل ذوي الدخل المتوسط من أهالي طهران، والمشكلة الوحيدة فيه هي أن واجهته مزينة بالصخر.

ثم قال الإمام للسيد «رسولي»: «إذهب واعثر لي على بيتٍ مثل بيت والدكم»! وهنا بدأت مشكلة جديدة، إذْ أن من الصعب العثور في شمال طهران وقريباً من مستشفى القلب على بيت مثل بيت والد السيد رسولي

---

(١) موسوعة كوثر، ج٢.

الذي كان بيتاً قديماً مبنياً بالطين!، وفي المقابل فإنّ الإمام كان قد هدد بالذهاب إلىٰ قم إذا لم يتم العثور على مثل هذا البيت!، لذلك فقد تم تعبئة جميع أعضاء مكتبه للعثور على منزل يقبل به الإمام ويتسع لزواره، وكانت ثمرة ذلك العثور على هذا المنزل المتواضع المجاور لحسينية جمران لكي يكون بالإمكان الإستفادة من الحسينية للقاءات العامة. فتم إستئجار بيتين مجموع مساحتيهما (١٦٠) متراً مربعاً، ويشتمل البيت الأول الخاص بسكن الإمام على غرفتين الأولىٰ شخصية لإستراحته ونومه والثانية للقاءاتِهِ الخاصة ولكنها لم تكن تتسع ـ في كثير من الأحيان ـ حتىٰ لهذه اللقاءات، لذا كنا نستخدم غرفته الخاصة أيضاً وكان مكتب عمله بهذا الوضع البسيط والعدد القليل من الكراسي(١).

محل عمل الإمام

أبعاد مكتب عمل الإمام لا تتجاوز الثلاثة أو الأربعة أمتار، وفيه كان يعقد الإجتماعات الخاصة مع رؤساء الجمهورية والمسؤولين المحليين والأجانب؛ فيرون جميعاً بصورة عملية بساطة عيشه. وكان البيت مستأجراً كان يدفع الإمام بدل إستئجاره إلىٰ حين وفاته(٢).

إستخدام النايلون بدلاً من الزجاج

تم تغطية الغرفة الخاصة بالإمام بالنايلون العادي الأبيض لحفظها من البرد، فلم يسمح حتى بنصب الزجاج لها، وكانت تشرف على الساحة التي يمر عبرها للدخول إلىٰ حسينية جمران(٣).

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأنصاري الكرماني، كتاب (سرگذشتيهاى وثيره أززندگى إمام خميني = حوادث خاصة من حياة الإمام)، ج٢.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (آشنا)، العدد الأول.

(٣) آية الله الشيخ الحائري الشيرازي، مجلة (شاهد بانوان)، العدد: ١٤١.

زيارة الدبلوماسيين الأجانب للإمام

أتذكرُ أن جميع المستشارين ورؤساء الممثليات الدبلوماسية الأجنبية في ايران، حضروا يوماً بأزيائهم الرسمية لزيارة الإمام، وكانوا يتصورون أنهم سيجدون قصراً ضخماً، لكنهم لم يصدقوا أن عليهم الجلوس على أرض حسينية جمران حيث «هديناهم» لدخولها إنتظاراً لحضور الإمام فيها[١].

وسائل مكتب القائد الذي يلبي دعوته الملايين

عندما تتشرف بزيارة آية اللّه الخميني ـ الذي يخرج ملايين الإيرانيين إلىٰ الشوارع في دقائق إذا دعاهم لذلك ـ تراه في مكتب عمله أو محل إقامته جالساً على الأرض وأمامه منضدة صغيرة تشكل جميع وسائل مكتب عملِهِ[٢]!

يقتدي ببساطة عيش الائمة

عندما دخلت بيت الإمام للمرة الأولىٰ ورأيت غرفته قلت: إنه حقاً كالإمام موسىٰ بن جعفر في بساطة عيشه...؛ فكل ما في غرفته من أثاث هو عبارة عن منضدة صغيرة مغطاة بنايلون عادي؛ فأين ما يقوله البعض في غيبته عن أثاث منزله... لقد أصابني الأذىٰ لشدة التباين بين ما أسمع وبين ما أرىٰ بعيني[٣].

ويواسي فقراء شعبه

تشرفتُ مرةً ـ بتوفيق اللّه الرحمن ـ بزيارة الإمام وتقبيل يديّه، وهو جالسٌ على كرسي قديم في شرفة صغيرة في منزله، وقد لاحظتُ أن برد

---

(١) أحد حرس بيت الإمام، كتاب (في رثاء النور).

(٢) الدكتور حامد الكار، كتاب (الثورة الإسلامية في ايران).

(٣) السيدة ربابة البافقي، خادمة بيت الإمام، مجلة (شاهد بانوان = شاهد للسيدات)، العدد: ١٦٨.

«جمران» القارص قد أثرَّ عليه بحيث أن حمرة وجهه قد مالت إلى الزرقة، وعندما سألتُ عن سبب عدم وضع مدفأة له تقيه هذا البرد؛ أجابوا: هو يرفض ذلك مواساةً لفقراء شعبه، وذكروا نموذجاً آخراً لهذه المواساة هو أن ملابس الإمام أُعطيت للعائلةِ لغسلها مُنذ أيام ولكنها لم تُغسل بعد لأن ما عندهم من مسحوق الغسيل قد نفذ ولم يَحن بعد موعد الحصول على الحصة العامة الجديدة منه[1].

إن عباءتي ممزقة أيضاً

كان الإمام يقول أحياناً وهو في طريقه إلىٰ الحرم العلوي أو أثناء عودته من الزيارة أو أي عمل آخر: «إشتروا عباءةً لفلان»؛ فإنه كان ينتبه إلىٰ وضع الحوزويين فإذا رأىٰ مثلاً عباءة أحدهم غير مناسبة أمر فوراً بشراء عباءةً مناسبة له. وفي أحد الأيام جاءَه شخص وعرضَ عليه عباءتَهُ وقال: إنها ممزقة، فأخذ الإمام طرف عبائتِهِ وعرضها عليه وقال: «أنظر إنّ عباءتي ممزقة أيضاً».

أجل، فقد كان أحياناً يجيب على بعضهم بمثل هذا الجواب، ويبادر لتقديم العون لبعضهم بمثل تلك الصورة[2].

لا تفعلوا هنا ما يُفعل عند الطواغيت

كان المنزل الذي يعيش فيه الإمام قديماً للغاية بُني مُنذ سنين طويلة، وقد نُصبت في جدران ساحته مصابيح قديمة كنا نحس بالخطر منها عند هطول الأمطار لاحتمال أن يقع إتصالٌ كهربائي فيها يسري على البيت بأكمله، فاشتريت أربعة مصابيح ذات غطاء، مضادة للماء، لدفع هذا الخطر

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد باقر الحجتي، ملحق صحيفة جمهوري اسلامي الخاص بالذكرىٰ السنوية الثانية لوفاة الإمام.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الناصري، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٤.

واستبدلت بها المصابيح القديمة، وبعد ساعة أو ساعتين جاءتني السيدة التي تخدم في بيت الإمام برسالة منه إشتملت على سطرين قال فيها: «لا تقوموا بعملٍ هنا دون استشارتي، ولا تفعلوا هنا ما يُفعل عند الطواغيت ارجعوا هذه المصابيح»؛ وهذه المصابيح التي يراها الإمام بأنها من شأن الطواغيت؛ اشتريتها بمائة تومان فقط. فذهبنا واشترينا مصابيح أخرى بثمانين توماناً - وكانت درجة الإطمئنان لعملها لا بأس بها - وجئنا بها فسألنا الإمام عن ثمنها فأخبرناه، فأمرنا بنصبها محل تلك، وإرجاع الأولىٰ، فأرجعناها واستلمنا فارق القيمة. ولم نعد بعدها للقيام بعملٍ دون إستشارة الإمام[1].

وهل مُتُّ أنا

كان الإمام يقيم صلاتي المغرب والعشاء جماعةً في مدرسة البروجردي في النجف الأشرف؛ وكانت مروحات الهواء السقفية في المدرسة فاقدة لمنظمات السرعة، وكانت إحداها تعمل بسرعةٍ شديدة وهي قريبة من مكان الإمام في الصلاة، وكان هو غالباً ما يصل للصلاة وقد تعرّق بشدةٍ لذلك كانت سرعتها مضرة له، فاشترىٰ أحد الأصدقاء منظمة لهذه المروحة ونصبها، فأخبرني السيد مصطفى بذلك وقال إنّ ثمن منظمة السرعة ديناران أو ثلاثة؛ وقد كنتُ قد عرفتُ من قبل[2] أنّ عليّ أن استأذن الإمام في أي تصرفٍ [في الأموال] حتىٰ لو كان بأمرِ ولده الجليل السيد الحاج مصطفىٰ، فإذا أذن الإمام دفعتُ المطلوب، وهذا ما كان يعرفه السيد مصطفىٰ أيضاً ويعرف أنني لا أتخلف بحالٍ عن ذلك. وقد أخبرت الإمام بأمرِ شراء منظمة السرعة لتلك المروحة ونحن نقترب من المنزل بعد العودة من صلاتي الظهرين، لكنني - على ما يبدو - لم أحسن البيان ففهم من كلامي أني

---

(١) السيد مصطفىٰ كفاش زادة.

(٢) لم يكن الإمام يسمح حتىٰ لولده المجتهد السيد مصطفىٰ بالتدخل في صرف الحقوق الشرعية حتىٰ في مثل هذه الموارد البسيطة وعلىٰ الرغم من ثقته الكامله به.

دفعت الثمن قبل الإستئذان منه فقال بحدةٍ كلمة أنقلها خلافاً لرغبتي لأن الإمام قالها وهي: «وهل مُتُّ أنا». فلم أتجرأ على الكلام بعدها وصبرتُ إلىٰ المساء، فأخبرتُه ونحن في طريقنا إلىٰ المدرسة بأنني لم أدفع ثمن منظمة السرعة بعد، وعندها تبسم الإمام[1].

إستبدال السجادة النفيسة بالسجادة القديمة

كان الإمام يصلي ـ في مدرسة السيد البروجردي في النجف الأشرف ـ على سجادة عادية خشنة. فأهدىٰ له أحد الأشخاص سجادة كاشانية جيدة ونفيسة صلىٰ عليها الإمام ليلتين فقط. ففي الليلة الثالثة قال لي ونحن في الطريق للصلاة في المدرسة: «يا أيها السيد الفرقاني، أفرش السجادة القديمة بدلاً من السجادة الجديدة». فاضطررنا إلىٰ إستبدال السجادة النفيسة بالسجادة الخشنة القديمة[2].

اتريدون أن تصنعوا مني «رضا شاه» آخر

المنزل الذي كان يقيمُ فيه الإمام ملكٌ للسيد إمام الجمراني، وهو منزلٌ صغيرٌ لا يتسع للزيارات الكثيرة للإمام وكذلك للسيدة زوجته، الأمر الذي كان يعرقل أعمال الإمام اليومية، فتقرر بعد مدة إستئجار منزل مجاور ليكون محلاً لأعماله، وهذا ما رفضه في البداية، ثم إستأجرنا بيتاً قديماً غير مفروش ولم يكن في بيت الإمام ما نفرشه به، فذهبت واشتريتُ بنفسي ستَ قطع أبعادها (٣× ١/ ٢٢، أو ٤× ١/ ٣٢) من البساط العادي الذي يُفرش عادةً في المساجد وهو أرخص المفروشات في إيران. وعندما فرشتها قال الحاج السيد أحمد: إن الإمام يقول: «أتريدون أن تصنعوا مني رضا شاه آخر؟!». ثم إن السيد أحمد أخبره أنها أرخص

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد العلمي القرهي.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني

أنواع المفروشات وقد جاء بها كفاش زاده، ولعل الإمام تصور أنني جئتُ بها من المنزل لذلك رضي بالأمر ولا زال يُستفاد منها. وقد اشتريت هذه القطع الست جيمعا بمبلغ (١٧٠٠) توماناً لا أكثر[١]!

وانتخب القماش الأرخص لجبته

أُمرت مرة بتهيأةِ جبة للإمام عندما كان في النجف الأشرف، فذهبت للخياط وطلبت منه جبةً مناسبةً للسيد، فعرضَ عليّ عدة أنواع من الأقمشة فذهبنا بها معاً إلىٰ الإمام ليختار أحدها، وعندما تفحصها إختار منها ما كان يبدو لي من النوع الرديء الرخيص ولم أكن أرغب فيه. لقد كان لباس الإمام مرتباً ونظيفاً دوماً وان كان يشتري قماشه من النوع الرخيص دوماً إحتياطاً في صرف الحقوق الشرعية[٢].

الزهد الحقيقي في سيرة الإمام

كان الإمام زاهداً حقيقياً بكل معنىٰ الكلمة، وكان يجتهد في عدم التظاهر بزهده ويرتب وضعه بصورة لا تظهر عليه مظاهر الزهد، فكان الزاهد الذي لا يظهر الزهد. فلم يكن يرتدي اللباس غير المناسب. وإذا كنت تزور قسم الإستقبال في منزله «البراني» كنت تجده مفروشاً بأفضل ما عنده على العكس من القسم الداخلي من منزله[٣].

ما الذي تريدون فعله بآخرتنا

كان الإمام دقيقاً للغاية في المسائل الشرعية، فمثلاً إستدعاني مرةً وقال لي: «من الذي اشترىٰ هذه الستائر ـ وأشار إلىٰ ستائر وضعت لعزل

(١) السيد مصطفى كفاش زاده.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد العلي القرهي.

(٣) آية الله الشيخ الفاضل اللنكراني، مجلة (حضور)، العدد الأول.

منزله عن الزقاق ـ؟ ما الذي تريدون فعله بآخرتنا؟» فأجبته: ـ لم نشترها نحن، بل أعدها حرس الثورة عملاً بمسؤوليتهم في حراستكم لأنك أنت قائد الثورة. أجل لقد اعترض على ذلك رغم أن ثمن هذه الستائر الصغيرة الحجم قليل للغاية كما تعرفون[١].

لم يأخذْ لنفسه ولا لعائلته شيئاً من هدايا السجاد النفيس

عندما عاد المرحوم السيد مصطفى من مكة المكرمة، إستأجر المرحوم الحاج الشيخ نصراللّه الخلخالي بضعةَ سجادات من الحاج «خان» بائع السجاد، وفرشها في غرف المنزل لإستقبال الذين يأتون لتقديم التهاني بهذه المناسبة، ثم أرجع هذه السجادات وبعث إثنتين لمنزل السيد مصطفى الذي لم يكن فيه شيءُ من السجاد أصلاً حيث أبقيتا فيه مدة. وتصور الحاج خان بائع السجاد أنهما أُبقيتا للحاجة إليهما لذا لم يطالب بهما. وعندما أراد أن يحسب مقدار ما عليه من الخمس مع الشيخ الخلخالي حسبَ قيمة هاتين السجادتين، فوصل الخبر للإمام فأمر بإرجاعهما ودفع قيمة إستئجارها وشراء مقدار من البساط المعروف باسم «الموكيت» لمنزل السيد مصطفىٰ، ولم يتراجع عن قراره هذا رغم شدة إصرار المرحوم الشيخ الخلخالي بإبقائهما إذْ قد مرت على إستئجارهما سنتان وبدل الإستئجار تضاعف؛ فأرجعناهما وإشترينا بدلاً منهما مقداراً من «الموكيت»؛ في حين كانت تُهدىٰ باستمرار، الكثير من قطع السجاد النفيس للإمام الا أنه لم يأخذ شيئاً منها لا لمنزله وزوجته ولا لمنزل نجله السيد مصطفى[٢].

إنني لا أملك شيئاً

كنتُ أول مراسل صحفي يتمكن من إلتقاط صورةٍ لآية اللّه الخميني

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (بيام إنقلاب = رسالة الثورة)، العدد: ٦٠.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الفرقاني.

وهو مبتسم، وقد إلتقطتها عندما سأله مراسل فرنسي قائلاً: هل صحيح ما يُشاع بأن آية اللّه الخميني يمتلك ثروة ضخمة تزيد على ثروة الشاه؟ فتبسم الإمام وقال: «إنني لا أملك شيئاً وكل ما أملكه هو للشعب الإيراني»[١].

لم أقل لا تشتروا مرآةً

كانت إبنتي أول حفيدة للإمام تتزوج بعد إنتصار الثورة، وقد شدد الوصية لنا بأن تكون مراسم الزواج بسيطة خالية من الكماليات، وقد قالت لي والدتي قبل يومين أو ثلاثة من موعد العقد: ـ ما لكم؟ الا تنون شراء شيء للعروس؟! اشتروا لها مرآةً و «شمعدان»، فلم أجد جواباً وسكتُ كما سكتت والدتي. ثم دخلت علينا زوجة أخي وهي أُخت صهرنا المرتقب، فقالت لها والدتي ما قالته لي، فأجابتها بأنّ الإمام نهىٰ عن ذلك. فلم تقل الوالدة شيئاً. ثم إجتمعنا جميعاً على مائدة الطعام، فسألتْ والدتي الإمام قائلة: هل أوصيتهم أن لا يشتروا مرآةً وشمعداناً؟ إن العروس ترغب بها! فقال: «أنا لم أقل: لا تشتروا مرآةً بل قلت: لتكن المراسم بسيطة». أجل، لقد شدد السيد في وصيته حتىٰ ظنت أخت العريس أنه لا ينبغي شراء حتىٰ المرآة[٢].

كان يوصي بالبساطة دائماً

فيما يرتبط بمهور بناته كان الإمام يميلُ إلىٰ الأخذ بالمستوىٰ المتعارف ويوصي دائماً بالبساطة في أمور الزواج ومراسمه[٣].

---

(١) مراسل صحيفة إطلاعات الموفد إلىٰ باريس، صحيفة إطلاعات ١٥/ ١١/ ١٣٥٧ [هـ. ش].

(٢) السيدة زهراء المصطفوي. إبنة الإمام.

(٣) السيدة فرشته الإعرابي، حفيدة الإمام.

أثاث منزل الامام

ورث الإمام شيئاً من الأملاك من أبيه، لذلك لم يكن يعتمد في ميزانية معيشته على الحقوق التي تُعطىٰ لطلبةِ الحوزة، فاستأجر منزلاً صغيراً في بداية زواجه، وكان سكنه بصورة مستقلة مع زوجته فلم يشترك مع عوائل أخرىٰ في منزل، واحد، وقد جاءت السيدة زوجته بأثاث المنزل، ولم يكن للإمام أثاث غير الأشياء البسيطة التي نقلها من حجرته في مدرسة الفيضية إلىٰ منزله هذا بعد شهر أو شهرين من زواجه، وتنقل السيدة زوجته أنّ مراسم زواجهما كانت في غاية البساطة، وكان أثاث منزله عبارة عن: بساط متواضع، وفراش للنوم، وطباخ صغير نفطي ذو فتلتين، وقوري، وفنجان مع صحنه، وبضعة قدور صغيرة، وبعد سنة أو سنتين وصلت بعض الوسائل المنزلية الأخرىٰ هي حصته من إرث أبيه كان أخوه السيد «بسنديدة» قد حفظها أمانةً له، وهي وسائل قديمة إشتملت على عددٍ من الصحون القديمة جداً وبضع قطع من السجاد القديم. لقد كانت حياة الإمام بسيطة ـ بمستوىٰ معيشة الحوزوي العادي ـ ولكن بالمقدار الذي يحفظ الكرامة[١].

سكت ولم يعطِ الإجازة

طلبَ أحد العلماء ـ ضمن رسالة بعثها للإمام أن يعطيه إجازة صرف مبلغ (٧٠) الف تومان من الحقوق الشرعية التي يستلمها لشراء سيارة «بيكان». ولكن الإمام سكت ولم يقل شيئاً وهذا يعني عدم قبوله بإعطاء مثل هذه الإجازة[٢].

---

(١) السيدة فريد المصطفوي، إبنة الإمام.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

ما وجه الحاجة لأن يكون لكل عالم سيارة

كتب أحد العلماء الأجلاء ـ وهو من قدماء تلامذة الإمام ـ رسالة له ذكر فيها أن إحدىٰ المؤسسات الحوزوية قد خصصت له من سهمها سيارة يمكن له أن يشتريها بسعر مخفض ولكنه لم يكن لديه المال اللازم لشرائها. . . . فأظهر الإمام تعجبَهُ مقروناً بعدم الإرتياح من تخصيص سهم لمؤسسة حوزوية في السيارات وما طلبه ذلك العالم وقال: «ما هو وجه الحاجة لأن يكون لكل عالمٍ ديني سيارة؟»[1].

لا توقعوا الناس في إساءة الظن بسلفنا الصالح

تم في عهد «مصدق» تشكيل لجان في المدن التي كانت تشهدُ حوادث ثورية أطلق عليها «لجان الأمن المدني» تَضُم رئيس السافاك ورئيس الشرطة والقائمقام في كل مدينة، وكان هؤلاء يصدرون قرارات بنفي مَن يرونهم نشطين في إيجاد تلك الحوادث الثوريَة لمدة تتراوح بين شهر واحد إلىٰ ثلاثِ سنين وكنت أحد العشرين عالماً من حوزة قم الذين حكمت اللجنة الأمنية في قم بنفيهم لمدة ثلاث سنين، عاد بعدها ثلاثة من هؤلاء العلماء إلىٰ قم، فتهيأت لهم إمكانات مادية وإستبدلوا منازلهم القديمة بأحسن منها، وعندما سمع الإمام بذلك بعث لهم رسالة جاء فيها: «لا ينبغي للسادة العلماء الإهتمام بالمظاهر الكمالية وإيقاع الناس في إساءة الظن بسلفنا الصالح، بمثل هذه الأعمال. نحن نقول أن الشيخ الأنصاري لم يخلف بعد وفاته أكثر من سبعة تومانات. لا تتوجهوا للدنيا؛ لا توقعوا الناس في إساءة الظن بسلفنا الصالح»[2].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الطهراني الكرباسجي.

ليكن السادة العلماء حوزويين في عيشهم

كتب إمام جمعة مركز إحدىٰ المحافظات رسالةً للإمام الخميني ذكر فيها أن الراتب الشهري القليل الذي يُعطىٰ لأئمة الجمعة لا يكفي لأكثر من دفع ميزانية إستئجار مكتب العمل أو راتب خادم المكتب، وطلب زيادة رواتبهم. فقال الإمام في الجواب: «ليكن السادة العلماء حوزويين في عيشهم»[1].

فقط السيد الخميني يعطي نصف تومان إجرةً للنقل

قبل إنتفاضة ١٥ خرداد [٥ حزيران]، كانت سيرة الإمام أن يرجع إلىٰ منزلِهِ مشياً بعد إنتهاء درسه في «مسجد أعظم»، فالتمسنا منه وأقسمنا عليه أن يستقل سيارة الأجرة في عودته، وكانت قيمة الأجرة العادية يومها نصف تومان، فكان يستجيب أحياناً لإصرارنا لكنه كان ينزل من السيارة عند باب المستشفىٰ ولا يدخل بها إلىٰ زقاق منزله بل يطوي المسافة المتبقية مشياً، وكنتُ يوماً جالساً في سيارة أجرة لا يعرفني سائقها فسمعته يقول للركاب بأن بعض السادة العلماء يدفعون له إذا ركبوا سيارته تومانين باستثناء آية اللّه الخميني الذي يدفع نصف تومان فقط. وكان مبلغ التومانين كبيراً نسبياً يومذاك[2].

ما الفرقُ بيني وبين الآخرين

جاؤوا إلىٰ النجف الأشرف من ايران يوماً بجثمان شخصٍ محترم من أصدقاء الامام؛ لدفنه فيها، وقرر الامام المشاركة في مراسم التشييع الّذي كان يستمرُ إلى المسجد حيث يوضع الجثمان فيه، ثم يرجع مراجع التقليد

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد العلي القرهي: كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج٢، ص ١١١.

بعد الوصول إلىٰ المسجد ـ حسب العرف الرائج في الحوزة النجفية ـ. وقد حدث تأخيرٌ في مراسم التشييع وكان الحر شديداً للغاية، لذلك استأجرنا سيارة صغيرة وحجزناها إحتياطاً لكي لا يتأخر الإمام في هذا الحر الشديد بانتظار سيارة بسبب الازدحام، وقد دفعنا ديناراً واحداً كمقابل لحجزها إلىٰ حين إنتهاء التشييع. وبعد أيام وعندما قدمنا قائمة حساب المصاريف للإمام فاعترض على استئجار السيارة لهذه المدة الطويلة فقلنا له: لقد فعلنا ذلك لأنَّ الحر يضر بصحتكم. فقال: «أنا أيضاً مثل البقية، فما الفرق بيني وبينهم؟!».

وكان الامام يستقل العربة التي تجرها الخيول لأن أجرتها أقل وكل ذلك احتياطاً منه في الصرف من بيت المال[1].

إستاجر لي عربةً لا أريد سيارة

قال لي الإمام يوماً وهو يريد العودة إلىٰ المنزل: «إستأجر لي عربةً؛ لا أريد سيارةً» وكان السبب هو أن أجرة العربة أقل من أجرة السيارة، ولكن عربات النقل في النجف لم تكن نظيفة ولا مرتبة؛ وصدقوني أنني أخجل من ركوبها ولكن الامام كان يرغب أن يقلل ـ قدر المستطاع ـ الصرف من سهم الامام من الحقوق الشرعية. وكان هذا دأبه طوال مدة إقامتي في النجف التي استمرت إلىٰ ما قبل حدود ثلاث سنين من خروجه منها، كان يستأجر السيارة إضطراراً في بعض الأحيان، إلا أنه ظل يجتنب ذلك ما استطاع. وعموماً كان شديد الاحتياط في الصرف من سهم الإمام[2].

لا حاجة لي بسيارة خاصة

في ظهيرة يوم الأحد (١٩/ ١/ ١٣٥٨ هـ.ش الموافق ٧/ ٤/ ١٩٧٩م)

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

كنتُ عائداً من محل عملي إلى المنزل، فالتقيت في شارع «إرَمْ» السيد العبادي، وهو أحد قدماء معارفي من تجار سوق «نوروزخان» في طهران، ومعه عدد من أصدقائِهِ الآذربيجانيين، وكانوا قد تشرفوا بزيارة قم، وقصدوا زيارة السيد الإمام ومراجع الشيعة في قم عرفني السيد العبادي بمرافقيه وقال عن أحدهم: أنه السيد الرضوي من تجار تبريز وصاحب مصنع معروف فيها، إنه يريد تقديم سيارة من نوع «بويك» جديدة للإمام كان قد نذرها له؛ ثم قال لي: إذا استطعتم أن ترتبوا لنا موعداً للقاء الإمام، فإننا سنكون شاكرين لكم، وسيدخل هذا الفضل منكم السرور علينا جميعاً.

سعيتُ للاستجابة لهذا الطلب بعد الإطمئنان من صحة الأمر بالكامل، لذلك سألتُ السيد الرضوي مباشرة عما جرىٰ وتحدثت معه، فوجدته شاباً نقي السريرة متديناً ومفعماً بالحماس الديني، وقد حكىٰ لي قصته فقال: في تلك الأيام الحساسة التي كانت القلوب تطير إلىٰ باريس حيث كان الإمام مقيماً فيها وقد قرر العودة إلىٰ ايران في وقت كانت حكومة شاهبور بختيار تثير العراقيل في طريق عودته؛ - في تلك الأيام - إشتريتُ سيارة «بويك» جديدة من الشركة، واستلمتها في أشد تلك الأيام حساسيةً، أي يوم أغلقت حكومة بختيار المطارات لمنع عودة الإمام، الأمرُ الذي جعلني أعيشُ حالة روحيةً مميزة، فعاهدتُ اللّه على أنه لو عاد آية اللّه العظمىٰ الإمام الخميني سالماً إلىٰ ايران، فإنني سأقدم له هذه السيارة قبل أن أستعملها، ولكي أحصل على كرامةٍ هي أن أصبح سائقاً للإمام وأكون في خدمته دائماً، ولذلك لم أضع رقماً لها إلىٰ الآن لكي أجعل رقمها من أرقام مدينة قم، وكل أملي أن يقبل الإمام هذه الهدية المتواضعة التي جئتُ بها من تبريز لكي أُؤدي أنا نذري وأفي بما عاهدت اللّه عليه بعد أن أحاط شعب ايران بلطفه وكرمه وأعاد هذا الإمام المبارك بعد (١٥) عاماً من النفي سالماً إلىٰ أرض الوطن. لكنني لم أستطع زيارته بعد وصوله إلى طهران وقد تهيأت الآن الفرصة نسبياً فرغبت في تقديم هذه الهدية لسماحته وقد إشتريتُها من

مالي الخاص لأنني أعلم أنه لا يقبل شيئاً يُشرىٰ بالحقوق الشرعية.

كان هذا الشاب المؤمن يحكي قصته بقلبٍ مطمئن. وبعد الإستماع إليها زرت أحد أصدقائي وهو من تلامذة الإمام وأنصاره الأوفياء وكان ـ من حسن التوفيق ـ من المسؤولين عن تنظيم برنامج لقاءات الإمام وبناءً على طلبي حدد ـ بكل لطف ومودة ـ لنا موعداً للقاء الإمام في الساعة الثامنة والنصف مساءً، وقد وصلنا مع هؤلاء الأصدقاء ـ الذين كانوا يعدون اللحظات إنتظاراً للقاء ـ قبل نصف ساعة من الموعد، ونحن نرىٰ زائري الإمام يدخلون عليه بكل بساطة وبعيداً عن المظاهر التشريفاتية ويخرجون من عنده والبشر يطفح على وجوههم.

وبعد نصف ساعة من التأخير الإضطراري تشرفنا بالدخول على الإمام فرأيناه جالساً ـ بكل تواضع وبساطة ـ في زواية من الغرفة تحيطُ بطلعته النورانية هالةٌ روحانيةٌ من العظمة والصلابة وروح الفتوة، مذكرة كل ما يراه بعظمةِ الإسلام ورواده المجاهدين. وكان يجلسُ عنده حشدٌ من الزائرين بينهم عالم جليل من إحدىٰ المدن الشمالية كان يعرض عليه تقريراً عن مشاكل محل خدمته والإمام يصغي بدقةٍ وإهتمام ويجيب على اسئلتِهِ.

وعندما وصل الدورُ إلينا، كانت أطراف الإمام قد خليت من الجالسين فجلستُ إلىٰ جانبه وشرحتُ له قصةَ صاحبنا وسلمته مفتاح السيارة فتقبّله ببشاشة خاصة، ثم تفقد أحوال الأصدقاء ـ وكانوا خمسة ـ ثم أعاد مفتاح السيارة إلىٰ صاحبها الشاب وقال: «أشكر لكم عواطفكم النبيلة وتحملكم كل هذه المشاق وقدومكم من تبريز، وأنا أهبُ هذه السيارة لكم فأنت وكيل عني في التصرف بها».

ولكن هذا الشاب المؤمن المفعم بالمودة الخالصة والذي إشتد حبه للإمام وهو يلتقي به أصرَّ على الإمام أن يقبل هديته المتواضعة ويركب هذه السيارة ولو لمرة واحدة ثم يتصرف بها بما شاء فيهبها لمحتاج مثلاً

لكي يكون هذا الشاب قد أوفىٰ بعهده، فقال الإمام وهو يرىٰ إصرار الشاب: «إنني الآن غير محتاج لسيارة شخصية، وأنا أيضاً عاهدت ربي أن لا أتخذ لنفسي سيارة خاصة مادمت غير محتاج لها؛ لذلك فإني أعينك وكيلاً عني أن تبيعها ثم تشتري بثمنها بيتاً لأحد المستضعفين في هذا البلد، وأنت أعرف منا وأقدر على القيام بهذا العمل، لأننا قد نبيعها بثمنٍ يقل عن سعرها الحقيقي، وإذا لم تستطيعوا شراء بيت لأحد المستضعفين ورغبتم في أن نتولىٰ نحن القيام بذلك، فيمكنكم بيع السيارة وإيداع ثمنها في الحساب المصرفي الذي سيُفتح قريباً بهدف توفير المساكن ـ بعون اللّه ولطفه ـ لجميع المستضعفين في هذا البلد». وقد أفتتح هذا الحساب المصرفي برقم (١٠٠) في المصرف الوطني بعد يومين أو ثلاثة من هذا اللقاء. وعلى أي حال فإن الشاب قد قبل باقتراح الإمام وتقرر أن يبني بيتاً لأحد المستضعفين بنفسه أو بتوسط الإمام[١].

كيف يُمكنني أن أذهبَ إلىٰ الكوفة

عاش الإمام طوال مدة إقامته في النجف الأشرف في منزل قديم مستأجر لا يتمايز في بساطته عن منازل عامة الناس وطلبة الحوزة، وكان المتعارف أن يكون لأعيان النجف منزل آخر في الكوفة بالقرب من نهر الفرات، يذهبون إليه في المساء خاصة في الصيف. وتبعد الكوفة عشرة كيلو مترات عن النجف وتتميز بهواءٍ لطيف، وتقل درجة الحرارة فيها عن النجف بخمسٍ درجات عادةً. والإمام لم يعتد جو النجف الحار والجاف الذي كان يؤذيه أكثر من الآخرين الذين عاشوا في النجف سنين طويلة خاصةً وأن كهولته تزيدُ الأمر صعوبةً عليه، وهذا ما كان يقلق جميع المقربين منه. لذلك سعىٰ المرحوم الحاج الشيخ نصرُاللّه الخلخالي إلىٰ

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ العقيقي البخشايشي، مجلة (جوانان امروز = شباب اليوم)، العدد: ٦٣٨.

الحصول على إجازة من الإمام بأن يستأجر له منزلاً في الكوفة، فقال له في إحدى الأمسيات بعد مقدمة طويلة وأمثلة عديدة: إن الأطباء قالوا للعديد من المرضىٰ بأنّ هواء النجف هو بمثابة السم القاتل لسلامتهم وأن الذي يُبطل أثر هذا السم هو هواءُ الكوفة. وقد عمل هؤلاء المرضىٰ بهذه النصيحة فتحسنت صحتهم.

وقد توقع جميع الحاضرين يومها أن يؤدي حديث الشيخ الخلخالي إلىٰ إقناع الإمام، وانتظروا جوابه الإيجابي، لكنه رفع رأسه بمجرد إنتهاء الشيخ نصرالله من كلامه ونظر إليه بنظرة خاصة دون أن يقول شيئاً، فقد اكتفىٰ بابتسامةٍ جملية فيها مرارة ظاهرة أيضاً، فهي تشتمل من جهة على إعراب صامت عن شكره للشيخ الخلخالي على شفقته عليه، ومن جهة أخرىٰ تحمل تعبيراً عن كراهة كل مظاهر الدنيا وحب الدعة. وقد سمعتُ - فيما يرتبط بهذا الأمر ايضاً - أن الإمام أجاب على مثل هذا العرض بقوله: «وكيف يمكنني أن أذهب إلىٰ الكوفة سعيا للرفاهية، في حين أنّ الكثيرين من شعب ايران يعيشون في زنزانات السجون المظلمة؟!»[١].

نتابع الطريق بسيارة «جيان»

خلال مدة إقامته في قم [بعد إنتصار الثورة]، كان الإمام يذهب في كثير من الأمسيات لتفقد عوائل الشهداء وزيارة فضلاء الحوزة، وفي ليلة عزم على الذهاب إلىٰ منزل أحد العلماء يقع في زقاق ضيق لا تدخله السيارات العادية، وقد ذهبنا مسبقاً إليه فرأينا أن من غير الممكن أن تدخله أي سيارة غير السيارة الصغيرة المعروفة باسم «جيان»، فأعددنا واحدة منها للإمام وذهبنا معه لزيارة ذلك العالم، ورجعنا بها أيضاً حتىٰ وصلنا إلىٰ نهاية الزقاق الضيق فوجدنا أحد الأخوة ينتظرنا وقد أحضر

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

سيارة من نوع «بيكان»، ودعا الإمام للإنتقال إليها لأن السيارة الصغيرة تلك غير مريحة والجو كان حاراً أيضاً، ولكن الإمام رفض ذلك وقال: «إن هذه السيارة تسيرُ ولا بأس فيها، لذلك نتابع طريقنا بها»(١).

إذا أردتم أن أبقىٰ هنا...

كانت حياة الإمام في غاية البساطة من جميع الجهات، سواءٌ في شؤونه الشخصية، أو في الأمور المرتبطة به بنحو أو بآخر. فمثلاً لم يسمح بإحداث أية تغييرات في حسينية جمران أو تزيينها، رغم أن ذلك لا يُحسب عليه بالكامل لأنّه يتم باسم الامام الحسين عليه السلام. . وعندما أراد السيد إمام الجمراني تبييض جدران الحسينية بالجص قال الامام: «إذا أردتم أن أبقىٰ هنا فلا تقوموا بهذه الأمور التزينية»، وقال إنه سيرحل من هذا المحل عندما أرادوا فرشها بالكاشي، فامتنعوا عن ذلك وبقيت الحسينية على حالها إلى حين وفاته(٢).

لا تجعلوا إهتمامكم منصباً على الظواهر

أخذنا مرةً موعداً لهيئة الأمناء والهيئة التنفيذية لمهدية طهران، للاجتماع بالامام، فقدمنا خلال اللقاء تقريراً لسماحته عن نشاطات هذه المؤسسة الدينية، ثم قلنا بأن بناءها ليس مناسباً ونرغبُ في هدمه وإقامة بناء آخر مناسباً، فأجاب الإمام بلهجة المتعجب من حجم نشاطات هذه المؤسسة: «إن سبب نجاح هذه المؤسسة في القيامِ بكل هذه النشاطات هو وقوعها في منطقة مستضعفي طهران وبساطة بِنائها. فلا تجعلوا إهتمامكم منصباً على وضع المبنىٰ وظاهره، واعلموا أن نشاط الناس يكونُ أفضل في هذه المؤسسة مع وضعها الحالي، فلا

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأنصاري الكرماني.

(٢) آية الله الشيخ محمد رضا التوسلي.

حاجة الآن لتجديد بنائِها، اعملوا ما استطعتم في ظل الوضع الحالي»[١].

اختار المسجد الصغير والمسجد البعيد

إختار الإمام في البداية مسجداً صغيراً قرب مفترق «موزه» في قم يلقي فيه دروسه، وبسبب كثرة الطلبة وضيق المكان اقترحوا عليه إختيار مكاناً آخراً للتدريس، فاختار مسجد «السلماسي»، وكان هذا الاختيار علامة لتقواه، لأن مَن يدرس قرب الحرم يختار عادة المسجد الأعظم المجاور للحرم أو مسجد الامام [العسكري] لا أن يختار مسجداً بعيداً وداخل زقاق مثل مسجد السلماسي[٢].

يجب إحياء هذا المسجد

في إحدىٰ أسفاره، لمدينة محلات التي صادفت شهر رمضان المبارك إختار الامام لإقامة صلاة الجماعة مسجداً متروكاً وصغيراً لا تتجاوز مساحته مساحة غرفةٍ واحدة وكان مبنياً من الطين، ورفض طلبات من علماء المدينة بأن يتولىٰ إمامة الجماعة في مسجدها الجامع وعللّ رفضه بالقول: «يوجد في المسجد الجامع مَن يقيمُ صلاة الجماعة، ولكن لا يوجد مَن يُقيمها في هذا المسجد، لذا يجب إحياؤه»[٣].

ما يشتريه في طريق عودته

كنا نرافق الامام ـ أحياناً ـ في طريق عودته إلىٰ البيت بعد إلقائِهِ

---

(١) آية اللّه الشيخ اليزدي. (خطوات في اثر الشمس)، ج٤، ص: ٣٣٠. وقد أكد الإمام في حكم موافقته علىٰ تخصيص أرض مصلىٰ طهران، علىٰ لزوم أن يكون بناء المصلىٰ منسجماً مع البساطة الإسلامية.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد حسين المرتضوي، المصدر السابق، ص ١٣٨.

(٣) آية اللّه التوسلي، مجلة حوزة، العدد: ٤٥.

الدرس ونرىٰ ما يشتريه لعائلته فنعرف من ذلك بساطة عيشه[1].

وصل دون إعلام وجلس على الأرض

عندما كانت لجنة استقبال الامام مستقرة في مدرسة «رفاه» ـ وكانت في تلك الأيام تقوم بمهام القضاء والاعلام والشرطة والامداد العسكري ـ كنت على إتصال مستمر بالشهيد رجائي لقرب منزلنا من المدرسة، وكنت أقومُ بتنفيذ المهمات التي يُكلفني بها. وفي يوم (١٢/بهمن) إتصل بي وطلب مني الحضور إلىٰ المدرسة لمساعدة إمرأة عجوز أضلت طريقها، فحضرتُ وتحدثت معها لدقائق فعرفتُ أنها من أقرباء رجل يعرفه الشيهد رجائي، فذهبتُ لكي آخذ منه رقم هاتف هذا الرجل. فرأيتُ الأوضاع قد تغيرت هناك فجأةً فأخبرني أن الامام قد وصل، فوقفت في زاوية لكي احظىٰ برؤيته، وعندما دخل الإمام رواق المدرسة جلس على أرض سلَّم هناك وتحدث لدقائق مع الحاضرين ثم دخل غرفته، فأثار إعجابي بحضوره للمدرسة دون إعلام مسبق وبجلوسه المتواضع على الأرض[2].

---

(١) آية الله الشيخ الإمامي الكاشاني.

(٢) السيدة عاتقة الصديقي، زوجة الشهيد رجائي

الفصل الثالث

القناعة والزهد والاقتصاد

الزهد حسب رؤية الامام

نشهدُ أن الامام لم يضف شيئاً طوال حياته على ثروتِهِ التي لم تتعد المزرعة الصغيرة التي ورثها من أبيه الجليل وكان يعيش على عائداتها. لكنّ زهد الحوزوي لا يعني ـ حسب رؤية الإمام ـ أن تكون ملابسه في حالةٍ مزرية مذلة أو تكون فيها علامة الاستجداء، بل إن الإمام كان يعتقد بلزوم أن تكونَ ملابس الحوزوي مناسبة وقلبه مهذباً عامراً ويقول: «إنّ إعمار القلب يكون بالتوجه إلى الله وبالأمور المعنوية»[١].

القناعة بالمروحة السقفية القديمة

كنت مقيماً في العراق في السنة التي وصل الإمام فيها إلىٰ النجف الأشرف قادماً من تركيا، وقد إستأجروا للإمام منزلاً صغيراً، فكان يجلس في الصيف في ساحة القسم الخارجي منه «البراني»، ونحضر للإستفادة العلمية من وجوده صباحاً وكان في المساء يجيب على أسئلتنا في هذه

(١) آية الله الشيخ جعفر السبحاني، كتاب (يابه ياى آفات = خطوات في اثر الشمس)، ج١٣، ص ٢١٣.

الساحة الصغيرة، وقد طلبوا مراراً منه أن يسمح بوضع مبردة للهواء فيها لكنه كان يرفض ذلك، وكان يوجد فيها مروحة سقفية قديمة تتحرك مراوحها بصعوبة. وقد قضىٰ الإمام تلك السنة بدون مبردةٍ للهواء رغم أن حرّ النجف كان شديداً للغاية[1].

هذه الطريقة أقل كُلفة!

نقل الشيخ النوري (عبدالله النوري) في مستشفى الشهيد رجائي لأمراضِ القلب حادثةً طريفة بشأن قناعة الإمام، فقال: ـ احضروا يوماً بنّاءً لإصلاح وضع الدرجات المتصلة بشرفةِ منزل الإمام في قم ـ وكان ذلك قبل سنة ١٣٤٢ (هـ.ش، ١٣٦٣م) ـ، لأن القسم الظاهري لأحجار هذه الدرجات قد تهشم؛ فجدد البناء مقدار ما يحتاجه هذا العمل من مواد البناء وبالتالي ميزانية الإصلاح، فقال الإمام: «ألا يمكن إنجاز ذلك بطريقةٍ أقل كلفةً؟»، فأجاب البنّاء بالنفي وذكر أنّ الطريقة التي إقترحها أقل كلفة من غيرها، فقال الإمام: «إذن أعرض عليك طريقة أقل كلفة من طريقتك»، فقال البناء: تفضل، فقال: «إخلع الأحجار وصُبَّ تحتها الإسمنت ثم ضع الأحجار من الجهة التي لم يَتهشم سطحها بعد». ثم تبسم الإمام وقال: «هذه الطريقة أقل كلفة»! فأيد البناء قوله وقال: «صدقتَ يا سيدي، إنني لم أفكر بهذه الطريقة أصلاً»[2].

لا تدعو التوت يفسد

كانت توجد في بيت الإمام شجرة توت تعطي مقداراً كبيراً منه ويسقط الكثير منه على الأرض ويفسد، فكان الإمام يقول: «لا تدعوا

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد ابراهيم الأنصاري الأراكي، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٧٧.

(٢) السيد رحيم ميريان.

التوت يفسد، إجمعوه». وكانت في البيت شجرة خرمالو، فكان الامام يقول: «ما تجنونه من ثمرها أعطوا قسماً منه للفلاح»[1].

وينهىٰ عن الاسراف في المناديل الورقية

كان والد الدكتور «منافي» طبيبَ أسنان، فجاءَ يوماً لمعالجة أسنان الإمام في منزله وهو يصطحب حفيده الذي أخذ يُخرج حفنة حفنة من المناديل الورقية من صندوقه ويناولها للدكتور ليضعها على أسنان الإمام أثناء العلاج فأشار إليه الإمام أن يخرج منديلاً واحداً في كل مرة، فأطاع الصبي. وفي اليوم التالي واصل الطبيب معالجة أسنان الإمام فأخذ حفيده يفعل فعله بالأمس وقد نسي ما أمره الإمام به، فقال الإمام للطبيب: «قُلْ لولدك أن لا يفعل ذلك، ولا يسرف، وليقتصد في الإستهلاك»[2].

يجب عليكم مراعاة هذه الأمور

كنتُ يوماً عند الإمام فطلب مني أن أناوله الكيس الذي فيه دواءه وهو معجون يدلك به قدمَهُ، ولعل أحداً لا يصدق أنه بعد أن استخدم الدواء، أخذ منديلاً ورقياً واحداً وقطّعه إلىٰ أربعة أقسام مسح بواحدٍ منها قدمه، ووضع الأقسام الثلاثة الباقية في الكيس لكي يستخدمها في المرات اللاحقة!، فقلتُ له: إن كانت رعاية هذه الأمور واجبة في الشؤون المعيشية، فنحن من أهل جهنم لأننا لا نراعي ذلك خاصة في استخدام المناديل الورقية! فقال السيد: «لستم من أهل جهنم، ولكن يجب عليكم مراعاة هذه الأمور»[3].

---

(١) الحاج عيسى الجعفري، خادم في بيت الإمام.
(٢) السيد رحيم ميريان.
(٣) السيدة فريدة المصطفوي، إبنة الإمام.

أقبلت عليه الدنيا فزهد فيها

إن مما لا شك فيه أن الحقوق الشرعية والمبرات والنذور والهبات والهدايا الشخصية لم تكن تُرسل إلىٰ أي مرجع بمقدار ما كانت ترسل إلىٰ الإمام الخميني خاصةً بعد إنتصار الثورة، ولكن كثرتها لم تحدث أدنىٰ تغيير في معيشته وشؤون حياته الخاصة، يُبعده عن حياة الزهد والاقتداء بالسيرة العلوية التي كان يتمسك بها، ويمكنني القول أنّ ما مِن شخص أقبلت عليه الشهرة والرئاسة والدنيا ومتاعها مثلما أقبلت على الامام وما من شخص زهد فيها وإجتنبها مثله[1].

يقومُ لإطفاء المصباح

كان الإمام يقتصد كثيراً في استهلاك الكهرباء، فقد كان في غرفته الخاصة التي يستريح ويطالع فيها مصباح أنبوبي أبيض ذو مصرف قليل ومصباح بقدرة (١٠٠ واط) ومصباح صغير جداً بقدرة (١٥ واط). فكان يستفيد من المصباح الأنبوبي والمصباح الكبير عند تلاوة القرآن أو قراءة التقارير المختلفة، فإذا إنتهىٰ من التلاوة والمطالعة، قام ـ على الرغم من كبر سنه وعلى الرغم من أن القيام صعبٌ عليه ـ وأطفأَ المصباح القوي واكتفىٰ بنور المصباح الانبوبي، وإذا قام للصلاة أطفأ هذا المصباح أيضاً وأوقد المصباح الصغير واكتفى بنوره الضعيف[2].

الاقتصاد في الكهرباء

كان الإمام مقتصداً للغاية في استهلاك الكهرباء، فإذا صلىٰ مثلاً اكتفى بمصباح من فئة (٢٥ واط)، وكان يستفيد عند المطالعة من مصباح (٢٠٠ واط)[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ رحيميان.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.
(٣) السيد رحيم ميريان.

أيُرتكبُ في بيتي الاسراف؟!

دُقَّ جرس غرفة الإمام يوماً، فذهبت إليه فقال: «مصباح ساحة البيت مضاء، أطفأه». ففعلتُ، وبعد أيام كان هذا المصباح مُضاءً أيضاً [في غير وقت الحاجة إليه]، فدق الإمام الجرس مرةً أخرىٰ فذهبتُ إليه فقال: «إذا كان صعباً عليكم إطفاء مصباح ساحة البيت فاجعلوا مفتاحه في غرفتي لأُوقده مساءً وأُطفأُهُ نهاراً». فقُلتُ: كلا يا سيدي ليس صعباً، فأخذت أنتبه لكي لا يكون المصباح مضاءً في النهار. وفي صباح أحد الأيام كان الإمام جالساً على كرسيه لاستقبال المسلّمين عليه، وكان مصباحا غرفة السيد رسولي وساحة منزل الإمام من جهة منزل السيد أحمد مضائين، فأشار إليّ بالإقتراب فاقتربتُ فقال لي ـ بإنفعال ـ: «أيقع في بيتي فعل الحرام؟! أيُرتكبُ في بيتي الإسراف؟!»، فأخذتُ أرتعدُ مما أسمعُ فسألته عن علة قوله فأجاب: «كم مرة يجب أن أقول: إطفِئوا هذه المصابيح؟! ألا تعلمون بأنّ الإسراف حرام»[1].

إجتناب الاستهلاك غير الضروري

عندما كان الإمام يستيقظ في الأسحار لإقامة نافلة الليل؛ كان يطفأ المصباح الصغير الذي في غرفته فور خروجه من غرفته لتجديد الوضوء، فيوقد مصباح الساحة ويقوم بعكس ذلك عند عودته من الوضوء لكي لا يبقىٰ مصباحان مضائين في آنٍ واحد فيقع إستهلاك غير ضروري للكهرباء[2].

إستفيدوا بمقدار الحاجة

كان الإمام يكرر القول بأن: «الهاتف هو للأعمال الضرورية فاجتنبوا

(١) السيد رحيم ميريان.

(٢) السيد مصطفىٰ كفاش زاده.

الإستفادة منه لغيرها، واستفيدوا من المصابيح بمقدار الحاجة»، وكان بنفسه يقيم صلاة الليل في الظلمة، وكان مما يؤذيه كثيراً أن يرىٰ مصباحاً مضاءً دون حاجة، وكأنه كان يرىٰ ببصيرته عواقب الذنوب[١].

لماذا تبقون المصباح مضاءً في النهار

كانت لقاءات الإمام تجري يومياً في ساعة محددة، فيستقبل مَن يأتي لزيارته وتقبيل يديه أو لإجراء عقد الزواج، فكان الإمام يقرأُ صيغة طرف الإيجاب في العقد فيما كنتُ أقرأ صيغة طرف القبول، فقال يوماً في هذه الساعة: «إن مصباح الإيوان في ساحة المكتب مضاءٌ وكذلك كان حاله في نهار الأمس، فلماذا يقع هذا؟». وكان الإمام يُطفىء مصباح غرفته كلما خرج منها حتىٰ لو لم يطل خروجه منها لأكثر من دقيقتين[٢].

الأمر الأول بعد الاستيقاظ

كان أولّ ما يأمرنا به الإمام عندما يستيقظ ـ وهو راقد في مستشفى القلب للعلاج ـ هو إطفاء مصباح النور الصغير الذي كان يُضاءُ ليلاً في غرفته[٣].

لماذا إشتريت جبنة بمائةِ فلس

إشترىٰ خادم بيت الإمام في النجف الأشرف يوماً مقداراً من الجبنة بمبلغ (١٠٠) فلس من إحدىٰ المحلات بعد أن كان يشتري عادة الجبنة بثمانين فلساً فلم يكن لدىٰ البائع النوع المعتاد من الجبنة في ذلك اليوم. وعندما حمل إلىٰ الإمام في آخر ذلك اليوم قائمة المصروفات لاحظ الإمام

---

(١) السيدة عاطفة الإشراقي (حفيدة الإمام).
(٢) آية الله الشيخ حسن الصانعي، صحيفة جمهوري اسلامي، ، بتأريخ ١٨/ ٣/ ١٣٧٣ [هـ.ش].
(٣) الذكتور حسن العارفي، من أطباء الإمام.

الفرق في قيمة الجبنة فسأل عنه فأجاب الخادم: يا سيدي إن الشيخ عباس (صاحب المحل) لم يكن لديه النوع المعتاد من الجبنة، فقال الإمام: «أولم يكن ثمة محلٌ آخر تشتري منهه هذه الجبنة؟!». أجل كان الإمام يشدد على نفسه كثيراً في أمور معيشته[1].

لماذا لا تحتاطون؟!

أرادت زوجة أية اللّه الشهيد الصدر يوماً زيارة عائلة الإمام، وكان لواجهة غرفة العائلة مصباحان أحدهما كان معطوباً، فأردتُ شراء مصباح آخر لكي لا تكون الواجهة ضعيفة الإنارة، فقالت زوجة الإمام: لا حيلة في ذلك، فالسيد لا يقبل بذلك، لذلك قررت أن أستبدل المصباح المعطوب بمصباحٍ جيد الإضاءة منصوب في ساحة البيت، فوضعت السلم وعندما أردت إخراج المصباح الجيد من محله إنكسر قسمه السفلي ـ وكانت المصابيح هناك من نوعٍ غير المتعارف هنا في ايران إذْ يكون في نهايته ما يشبه المسمار لتثبيتَ المصباح في محله ـ، فذهبت واشتريت الجزء السفلي (الذي يباع بصورةٍ مستقلة أيضاً) بعشرة فلوس، وعُدت لنصب المصباح على واجهة الغرفة، فوجدت الإمام يتمشىٰ في ساحة المنزل، فسألني عن الأمر فأخبرته فقال ـ بعدم ارتياح ـ: «وما شأنك بهذا؟ خذه وإرجعه فالإنارةُ هنا كافية. كأنكم ـ أنت مصطفىٰ، السيدة، وإقليم [خادم البيت] ـ قد إتحدتم لإرسالي إلىٰ جهنم! إنكم لا تلتزمون بعرىٰ الإحتياط!»[2].

لم يتغير حاله بعد الزعامة العامة

كنتُ مسؤولاً مُنذ أمدٍ عن الأمور المالية للإمام سواء الحقوق الشرعية

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

(٢) المصدر نفسه.

أو حتىٰ مصارفه الشخصية، وكان يعيش من ماله الخاص أي من الهدايا الشخصية والنذور التي تقدم له، ورغم أنه لم يكن يحاسبني على الأمور الأخرىٰ لكنني كنت مكلفاً بكتابة مصارفه الشخصية، فهي مسجلة جميعاً في دفتر، وكنت أقدم له قائمة بها كل شهر فأكتب مثلاً: كيلو عدس بالسعر الفلاني، نصف كيلو جبنة بالسعر الفلاني... وهكذا. وكان الإمام يدقق في هذه القوائم بشدة تتمايز عن دقته في باقي الأمور المالية. وبقي على هذه الحالة من التقشف والزهد حتىٰ بعد أن أناحت عنده الزعامة الدينية العامة، فحفظ طريقة عيشه الحوزوية المتواضعة(١).

لم يدفع الا بعد أن تيقن أن الأمر ضروري

كان الإمام يُراجع بدقةٍ جميع مصاريف معيشته التي كانت تُسجل تفصيلياً، وفي أحد الشهور لاحظ إرتفاع مصروف البنزين في القائمة التي قدمها له الشيخ الصانعي إذْ بلغت قيمته (٧٠٠) تومان بعد أن كان معدلها في الشهور السابقة ما بين (٢٥٠ ـ ٤٠٠) تومان، فرفض أولاً دفع الزيادة متسائلاً عن سببها وما هو الفرق بين هذا الشهر والشهور السابقة، حتىٰ عرف أنها بسبب سفر السيدة [زوجته] إلىٰ قم ولأمرٍ ضروري لابد منه، وعندها دفع الزيادة(٢).

لا حاجة لنا باكثر من نصف كيلوغرام!

إشترىٰ السيد مرتضىٰ ـ خادم بيت الإمام والمسؤول عن شراء إحتياجات العائلة ـ يوماً كيلوغرام واحد من الخضرة ودخل به المنزل فرآه الإمام ـ وكان يتمشىٰ في ساحة المنزل ـ فسأله عن مقدار هذه الخضرة، فأخبره بذلك فقال: «نحن لا نحتاج لأكثر من نصف كيلوغرام من

(١) آية الله الشيخ حسن الصانعي، صحيفة جمهوري اسلامي، بتأريخ ١٨/ ٣/ ١٣٧٣ [هـ.ش].
(٢) السيد مصطفىٰ كفاش زاده.

الخضرة، وهذا المقدار زائدٌ عن حاجتنا، لا تشترِ بعدها أكثر من نصف كيلو، وما جئت به الآن إعط نصفه للمكتب ونصفه الآخر للعائلة»[1].

الاقتصاد في الاستفادة من سهم الامام

كان الإمام ـ حسب علمي ـ يصرف على عائلته من عائدات المزرعة التي ورثها من أبيه في خمين، أما مصاريف بيت الإستقبال «البراني» وما يُقدم للضيوف فيه فكانت تُؤمن من بيت المال لذلك كان يقتصد فيها كثيراً. فمثلاً كان يحب الخضرة، فقلنا له يوماً: إسمحْ لنا بشراء كيلوغرام واحد من الخضرة لثلاثة أيام فلا نضطر لشراء كل يوم مقدار قليل منها، فرفض وقال: لا معنىٰ لأن نشتري من سهم الإمام مالا نحتاجه لندخره»[2].

أرجعْ ما اشتريت من الدجاج

المشهدي حسين الذي كان يخدم في بيت الإمام في النجف الأشرف نقل لي يوماً الحادثة التالية؛ قال: «إشتريتُ يوماً دجاجاً وجئت به لبيت الإمام فرآني وسألني عما اشتريت فأخبرته فأمرني بإرجاعه فوراً».

وكنا نتعجب من هذا الإحتياط الشديد لأننا كنا نراه غريباً عما شاهدناه في بيوت الآخرين. وكان من حقنا أن نتعجب[3]!

أنا لا أريد الذهاب إلىٰ جهنم

عندما كان الإمام في النجف أمر الشيخ عبد العلي القرهي أن يخصص (٣٠) دينارا في الشهر لمصاريف منزل السيد مصطفىٰ ولم يكن هذا المبلغ

---

(١) السيد رحيم ميريان.
(٢) آية الله السيد خاتم عباس خاتم اليزدي.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد العلي القرهي.

يكفيه بسبب إرتفاع تكاليف العيش في النجف. فكان السيد مصطفى يعاني كثيراً من ذلك فذهب إلىٰ آية اللّه كليم فخصص له راتباً شهرياً يبلغ (٦) دنانير، فلما عرف الإمام بذلك قال للشيخ القرهي: «بدءً من هذا الشهر إعطوا مصطفى (٢٤) ديناراً». فاستفسر السيد مصطفىٰ من والده عن سبب هذا القرار، فأخرج مفتاحاً من جيبه وقال: «هذا هو مفتاح الصندوق [بيت المال]، إذهب بنفسك وخُذْ منه ما شئت من الأموال، أنا لا أُريد الذهاب إلىٰ جهنم، فإنْ شئت أن تذهب إليها، فاذهبْ وخذ ما شئت!»[1].

قلتُ لك: إشترِ نصف كيلوغرام

أمر الطبيب بأن يتناول الإمام ـ عندما كان في النجف ـ مقداراً من الكومثرىٰ لحفظ سلامة بدنه، فأمر الإمام الخادم بشراء نصف كيلوغرام منه، فذهب الخادم واشترىٰ كيلو غراماً واحداً منها لأن هذه الفاكهة قد تفقد من سوق النجف بسبب كثرة الساكنين في هذه المدينة، وعندما عرف الإمام بذلك إعترض فقال الخادم: حسناً يا سيدي أنا أشتري منك نصف كيلوغرام من هذه الفاكهة! فقبل الإمام. فأخذ الخادم حصته من هذه الفاكهة وحفظها عنده ثم إحتاج الإمام بعد أيام لهذه الفاكهة فباعه الخادم بقية ما اشتراه في المرة الأولىٰ[2].

أرجع الكيلو الاضافي

أُصيبَ الإمام يوماً بالزكام عندما كان في النجف الأشرف، فجاء الطبيب وفحصه ثم أمرَ بشراء كيلوين من الليمون له لكن الإمام أمرَ بكيلوغرام واحد؛ فذهبت لأشتريه فوجدته رخيص السعر يومذاك، فاشتريتُ كيلوين بمائة فلس، وعندما عدت وأخبرته إعترض على فعلي

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الطهراني الكرباسجي.
(٢) المصدر السابق.

فقلتُ له: يا سيد، إنّ زكامكم يطولُ عادةً ولا قيمة لهذه الكيلو الإضافي، فأبىٰ وأمرني بإرجاعه فقلتُ له: ـ يا سيدي لقد قلبتُ ما في صندوق البائع من أجل إختيار أفضل ما عنده ولم يقل شيئاً ولو أرجعت له الآن لغضب. ولكن الإمام لم يتراجع فاضطررت لامتثال أمره[1].

ضعف الانارة في «البراني»

لم تكن الإضاءة كافية في قسم الاستقبال من بيت الإمام «البراني» في النجف الأشرف: ولكن لم يستطع السيد مصطفىٰ ولا غيره من أعضاء بيت الإمام إقناعه بزيادة عدد المصابيح، وقد إقترحنا عليه شراء عدد من المصابيح الإنبوبية ذات الإستهلاك القليل لكنه رفض، واستمر الحال على ذلك سنتين، رغم أنه كان يوجد مصباح (١٢٠ واط) كثير الإستهلاك للكهرباء وقليل الإنارة، في حين أن قيمة كل واحد من تلك المصابيح الأنبوبية لم تتجاوز ما يعادل (٤٠) توماناً. فصارحتُ الإمام في إحدىٰ الليالي وهو في طريق توجهه من البراني إلىٰ الحرم العلوي بأنّ الذين يأتون إلىٰ البراني يشكون من ضعف الإنارة فيه، وقلتُ له: إن البراني متعلقٌ بالناس وليس بكم فاسمحوا أن نشتري بضع «شمعات» لزيادة الإضاءة فيه. وكان النجفيون يسمون المصابيح الأنبوبية «شمعات»، فوافق على ذلك ظناً منه أنني أقصد الشمعات العادية، وفي اليوم التالي جئنا بعامل كهربائي نصب ثمانية من تلك المصابيح الأنبوبية في ساحة البراني والمطبعة والسلالم والغرف.

وفي الساعة الثامنة والنصف مساءً دخل الإمام البراني فرأىٰ تغيّر حاله، وكنا جالسين في ساحته فجلس المقدار المحدد ثم إستعد للخروج والتوجه للحرم، ولم يكن يسمح لأحد أن يسير خلفه مباشرةً في الطريق،

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

فكان علينا أن نصبر قليلاً حتىٰ يبتعد ثم نتوجه للحرم، ولكن في تلك الليلة إلتفت إليّ بعد أن سرت قليلاً وأشار إليّ بالإقتراب مني ففعلت فعاتبني على عدم الإستئذان منه قبل شراء تلك المصابيح فأخبرته بأنني إستأذنته الليلة الماضية فقال: «وهل هذه المصابيح تُسمىٰ «شمعات»؟». فأخبرته أن العرب في النجف يسمونها بهذا الإسم، فقال: «لقد وافقت على شرائِها لأنني تصورتُ أنك تعني الشمع العادي»[١].

لم يُبدِ أدنىٰ إهتمامٍ...

أُرسلت قصاصة من إحدىٰ الصحف الأميريكية إشتملت على خبرٍ يقول أن «توقيع» الإمام الخميني، بيع في أحد أسواق البورصة كأغلىٰ «توقيع»، وعندما عُرضت هذه القصاصة عليه لم يُبدِ أدنىٰ إهتمام بهذا الأمر[٢].

الوصلة غير المتناسقة في قميص الإمام

رأيتُ يوماً قميصاً للإمام فقلت له: إن من المناسب أن نلتقط له صورة ونعطيها للصحفِ لكي تنشرها!!

ويبدو أن أكمام هذا القميص كانت قصيرة، فأرادت والدتي إصلاحه، وتجنباً للإسراف إضطرت إلىٰ وضع قطعة قماش في وسطها بعرضِ أربعة أصابع لكي لا تتلف الأكمام الأصلية، وخاطتها، ولكن هذه القطعة كانت متميزة عن القماش الأصلي للقميص في اللون والنوع فهي من نوع قماش الجلوار في حين أن القميص من التترون وهما يتمايزان في اللون وفي الشكل أيضاً، وقد شاهدت التمايز واضحاً وعدم الإنسجام ملحوظ فقلتُ للإمام: أعطني صورة لهذا القميص لأُعطيه إلىٰ الصحف لكي يعرف الناس ما ترتدون!

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ رحيميان.

أجابني الإمام: «ليس في هذا القميص من عيب»، فقلتُ: أنا لا أقولُ إن فيه عيباً، ولكنه غير متناسق بعض الشيء، فقال: «كلا، إنه جيدٌ، فاتركيه على حاله. إنه جيدٌ جداً»[١].

يُهدي ما يُهدىٰ إليه إلىٰ الآخرين

كانت تُهدىٰ للإمام الكثير من الملابس والأقمشة لكنه كان يعطيها ـ كسائر الهدايا الأخرى ـ للآخرين ولا يبقي لنفسه شيئاً مكتفياً بعدد قليل من الملابس ـ لا يتجاوز إثنين من كل نوع ـ يتناوب في ارتدائِها؛ كما كان من أهل القناعة والإقتصاد والتقشف في مأكله أيضاً وجميع شؤونه المعيشية رغم أن جميع الإمكانات المادية كانت بين يديه[٢].

لم يدخر لنفسه شيئاً من الهدايا

كان محبّو الإمام يقدمون له الكثير الكثير من الأشياء النفيسة من الأموال والمصوغات الذهبية والتحف والكتب والنسخ الخطية للقرآن واللوحات الفنية الثمينة والأقمشة وغيرها، كهدايا أو نذور لشخصه بالذات فهي ملك شخصي له، ولكنه لم يدخر لنفسه شيئاً من هذه الممتلكات الشخصية بسبب شدة قناعته وتقشفه. بحيث أنّ ما تركه بعد وفاته لم يكف حتىٰ لتغطيةِ مصاريف مكتبه وبيته القليلة سوىٰ لبضعةِ أيام[٣].

لم يكن يمتلك حتىٰ الكفن

من القضايا التي تحمل عبرةً مهمة للجميع هي أنه عندما أرادوا غسل الإمام وتكفينه وجدوا أن هذا القائد العظيم والزعيم الإسلامي الجليل لا

---

(١) السيدة زهراء المصطفوي إبنة الإمام.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الرسولي المحلاتي، مجلة حوزة، العدد المزدوج: ٣٧ ـ ٣٨.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

يمتلك حتىٰ الكفن! وهذا الأمر يكشف عن سمو مراتبه في تهذيب النفس والتحلي بالخصال النبوية[١].

وماذا أفعل بكل هذه الأشياء

كان الإمام يأخذ أحياناً بعض ما يُهدىٰ إليه من الأقمشة فيأخذ مثلاً حسب حاجته الفورية عمامة أو جبة أو عباءة أو قميص، أو سجادة أو تربة الصلاة، أو الجوارب أو غطاء الرأس «الكلاه»، وإذا عُرض عليه أخذ أكثر من واحدٍ من هذه الأشياء قال: «وماذا أفعل بكل هذه؟ إعطوها للمحتاجين إليها». وكان أحياناً يأخذ بعض الأشياء فنتصور أنه أخذها لنفسه ثم يتضح أنه قد أعطاها لبعض الأشخاص ولم يأخذها لنفسه[٢].

إعطوه لمن ينتفع به

كان الإمام يأمر بتسليم التحف النفيسة التي تُهدىٰ إليه إلىٰ المؤسسات التي تحفظها، فمثلاً أهديت له مرة نسخة خطية من القرآن الكريم ثمينة للغاية فأمر بتسليمها إلىٰ مكتبة حرم الإمام الرضا عليه السلام. كما كانت دور النشر والمؤلفون يبعثون إليه بنسخ من كتبهم، فكان يلقي نظرة إجمالية عليها ويقول: «خذوها وأعطوها لمن ينتفع بها»، فلا يحتفظ لنفسه إلا بعددٍ قليل جداً من بعض الكتب العرفانية المطبوعة حديثاً[٣].

إقتناء ما يحتاجه ليومه فقط

كان الإمام يقتني ما يحتاجه ليومه في يومه فيرفضُ بحزم إقتناء مالا يحتاجه في يومه[٤].

---

(١) السيد التيموري، أحد حرس بيت الإمام.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

(٤) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ المسعودي الخميني، مجلة (نور علم)، الدورة الثالثة، العدد: ٧.

لم يتغير مستواه المعيشي بعد أن أصبح حاكماً

كان المستوىٰ المعيشي للإمام دون مستوىٰ معيشة الطبقة الثالثة للمجتمع [الطبقة الفقيرة]، سواءً في مأكله أو في مسكنه أو الشؤون المعيشية الأخرىٰ، ولم يقم بأدنىٰ تحسين لمستواه المعيشي بعد أن أصبح حاكماً لدولة وشخصية سياسية عالمية، وكنا دائماً على حذر من أن نشتري شيئاً من لوازمه المعيشية فيعاتبنا ويعترض على إرتفاع قيمته، وكثيراً ما كان يلومنا على أمورٍ من قبيل طلي منزله بالدهان أو ازدياد إستهلاك الماء والكهرباء أو عدم الاستفادة الاقتصادية السليمة من الوسائل المنزلية[١].

محتويات ثلاجة الامام

دخلنا مرةً القسم الداخلي لبيت الامام الذي كان قد سافر إلىٰ كربلاء للزيارة، ولم تكن الخادمة في البيت فدفعني الفضول إلى فتح ثلاجة السيد لأرىٰ ما فيها، فذهبت إلىٰ المطبخ وفتحتها فلم أرَ فيها سوىٰ قطعةً من الجنبة وقطعةً من البطيخ المعروف بالرقي[٢].

إنْ كنتَ ترغب في طعامٍ آخر

حللتُ مرةً ضيفاً على الإمام في منزلِهِ في النجف وتناولتُ عنده طعامي الظهيرة والمساء، ثم ذهبت في اليوم التالي إلىٰ بيت أحد الأصدقاء وتناولت عنده طعام الظهيرة فسأل عني الإمام وعندما رآني في اليوم التالي قال لي: «إنْ كنتَ ترغبُ في طعام آخر فقل لنعده لك».

وبهذه العبارة القصيرة أخبرني بعدة أمور أولها أنه كان ينبغي أن أخبره بعدم المجيء لطعام الظهيرة، وأنه كان ينتظرني، وثالثاً أن طعامه المعتاد

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأنصاري الكرماني، صحيفة رسالت، ٩/ ٣/ ١٣٧٢ هـ. ش.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الناصري، كتاب (دررثاى نور = في رثاء النور).

هو هذا الطعام البسيط. فقلت له أنني ذهبت إلىٰ منزل أحد الأصدقاء ولم يكن ذهابي فراراً من طعامه المتواضع[١].

يكتفي بالجنبة والخبز

كان الإمام ملتزماً بالصيام طوال سني إقامته في النجف الأشرف وكان طعام إفطاره بسيطاً للغاية، واللّه يشهد أن الطبيب كان قد أوصىٰ بإعداد اللحم المشوي له لكنه لم يكن يأكل منه إلا شيئاً يسيراً واستجابةً لإصراره فكان يكتفي في سائر أيامه بالجبنة والخبز[٢].

ويجتنب الاطعمة الدسمة

التزم الإمام بالبساطة في مأكله وملبسه، واجتناب الأطعمة الدسمة، وكان طعامه المفضل في النجف الجبنة والخبز والجوز[٣].

طعام عشائكم لا يُسمن!

كان الإمام شديد الزهد بالدنيا، يأخذ منها بمقدار الضرورة رغم أنه لم يكن يأخذ من سهم الإمام لمصارف المعيشة، وكان بعض محبيه من طهران قد عرفوا بشدة إحتياطه وتضييقه على نفسه فخصصوا له أموالاً من غير الحقوق الشرعية ليصرفها في إحتياجاته المعيشية، ولكنه رغم ذلك ظل يستفيد منها بمقدار الضرورة. وكان عدد أفراد عائلته ومَن هم في كفالته [من أعضاء مكتبه] في النجف الأشرف يبلغ حدود (١٠ ـ ١٢) شخصاً، لكننا لم نكن نشتري أكثر من نصف أو ثلاثة أرباع الكيلوغرام من اللحم. وقد قال لي يوماً ونحن في الطريق إلىٰ الحرم العلوي: «إن السيدة أخبرتني أنك لا تبقىٰ لطعام العشاء في «البراني» [قسم الإستقبال في بيت الإمام]،

---

(١) آية اللّه الشيخ حسن الصانعي، صحيفة جمهوري إسلامي، ١٨/ ٣/ ١٣٧٣ [هـ.ش].

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني.

وتذهب إلىٰ منزلك قبل العشاء. فابق لتناوله». فأجبته قائلاً: وماذا أجد في برانيّ بيتكَ يا سيدي، لقد كدت أموت، فأخذت مُنذ شهر بالعودة إلىٰ منزلي للعشاء فاستعدت قواي! فضحك الإمام ولم يقل شيئاً[1].

هذا هو حال بيتنا

طوال المدة التي أقمتُ فيها في النجف الأشرف، كان طعام بيت الإمام هو مرق ماء اللحم الخالي من الدسم، فكان يُشترىٰ كيلوغرام واحد من اللحم ويُطبخ كطعام لجميع مَن في البيت: الإمام وعائلته والعاملين في القسمين الداخلي (الجواني) والخارجي (البراني) من بيت الإمام، وكان تحمل مثل ذلك صعباً عليّ وأنا شاب فقلت للإمام يوماً: «إن تناول هذا المرق الخالي من الدسم صعب عليّ بعضَ الشيء»، فأجابني: «هذا هو حال بيتنا»[2].

القبول باللحم المشوي بسبب إصرار الطبيب

أصيب الإمام مرةً ـ وهو في النجف ـ بآلام حادة في الظهر، وعندما فحصه الطبيب قال له: يجب أن تتناولوا اللحم المشوي فهو ضروري لتقويتكم. فأجاب الإمام: «ليس ذلك ضرورياً»، فتأذىٰ الطبيب وأصرَّ على ضرورة ذلك طبق تشخيصه، فقبل الإمام لما رآى أذىٰ الطبيب[3].

الباذنجان بدون لحم

لم يكن الدجاج والسمك يجد طريقاً إلى بيت الامام في النجف الأشرف! وكان الامام يقول أنه يحب الدجاج حيّاً يتحرك!! وكان من

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ المسعودي الخميني، كتاب (پابه پاى آفتاب = خطوات في أثر الشمس)، ج٤، ص ١٥٧.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الطهراني.

الأعراف النجفية العريقة أكل السمك أيام الأربعاء، ولكن الامام لم يكن يلتزم بذلك ويفضل مرق الباذنجان بدون لحم!!! كان طعامُهُ بسيطاً للغاية[1].

تعلمتم كلّ شيء من أمير المؤمنين(ع)

سمعتُ يوماً أن الإمام يقتصر في إفطاره في شهر رمضان على تناول بيضة واحدة وفنجان واحد أو فنجاني شاي، فقلتُ له: يقولون ـ يا سيدي ـ انكم لا تأكلون هنا [في النجف] شيئاً في إفطار شهر رمضان سوى بيضةً واحدةً فلماذا؟!؛ وأجزت لنفسي ـ بحكم أنني كنت كأحد أولاده ـ أن أقول له ايضاً: عندما كنتم في ايران تعلمتم كل شيء من أمير المؤمنين عليه السلام باستثناء ما يرتبط بأمر الطعام، وعندما جئتم إلىٰ هنا [النجف] تعلمتم منه أن لا تأكلوا شيئاً!! فأجابني: «وما الحيلة، إن مزاجي لا يتحمل»، فقلتُ له: يا سيدي إن هؤلاء الأخوة قلقون عليك بسبب قلة طعامك. فقال: «هذا هو حال مزاجي... لا أستطيع...»[2]

أنا مثلكم، آكل أي شيء

كنا ضيوفاً على الإمام في مدة إقامته القصيرة في كربلاء سنة ١٣٤٥ (هـ.ش، ١٩٦٤م)، وفي الأيام الأولىٰ لإقامتنا في النجف الأشرف لم نكن نعرف شيئاً عن وضع الطعام والمسؤولين عن إعداده، وبعد بضعة أيام، كلفني الإمام بمجموعة من المسؤوليات منها مسؤولية شراء إحتياجات البيت لأنه لم يكن معه أحدٌ من عائلته وأقربائِهِ سوىٰ المرحوم الشهيد حجة الإسلام والمسلمين الحاج السيد مصطفى الخميني. فكنتُ

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ المسعودي الخميني، كتاب (خطوات في أثر الشمس) ج٤، ص ١٥٨.

أخرج كل يوم مع خادم البيت إلىٰ سوق «الحويش» القريب من بيت الإمام لشراء الإحتياجات اليومية ثم تسليمها للطباخ، وقد سألت الإمام مرتين عما يرغب في تناوله في طعامي الظهيرة والعشاء، فأجابني؛ وفي المرة الثالثة ـ على ما يبدو ـ قال لي بصراحته المعهودة والحاسمة: «لا تسألني بعد هذه عن الطعام، أعدوا ما شئتم، فأنا مثلكم، أتناول أي شيء»! وكان هذا هو حاله دائماً قبل أن التحق بخدمته وبعدها، لا يقول شيئاً بشأن نوع الطعام ومقداره لكنه كان حساساً فيما يرتبط بنظافة الطعام وسلامته[1].

يعيش حياة حوزوي متقشف

أستطيع أن أقول بثقةٍ أن مستوىٰ عيش الإمام كان بمستوىٰ أو دون المستوىٰ المعيشي لطالب حوزوي عادي ومتقشف، وأقول هذا عن علم وليس رجماً بالغيب، فأنا الذي كنتُ أعطي المشهدي حسين خادم بيت الإمام ما يشتري به إحتياجات البيت، وقد زار بعض الأطباء الايرانيين المحبين للإمام النجف الأشرف وأوصوا بإعداد أطعمة مقوية له خاصة مع كهولته، لكنه كان يرفض القبول بذلك[2].

أعطني البقية!

نقل المشهدي حسين ـ وكان رجلاً صالحاً يحبه الإمام ويثق به وكان مسؤول شراء الإحتياجات المنزلية في بيت الإمام في النجف ـ أن الإمام أعطاه ربع دينار يوماً لشراء بعض الإحتياجات، فاشتراها ورجع فناداه الإمام فور عودته وسأله عن قيمة ما صرفه، يقول المشهدي حسين:

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الرسولي المحلاتي، كتاب (سرگذ شتيهاى وثيره أز زندگى إمام خميني = حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج١.

(٢) المصدر نفسه.

فحسبت ما صرفته فوجدته يبلغ (٢٣٥) فلساً؛ وبقي (١٥) فلساً فقال لي: «أعطني البقية» لقد كان دقيقاً في المصروفات إلىٰ هذه الدرجة[١].

إشتريتم رغيفاً إضافياً

كان الإمام قد أمر العاملين في مكتبه أن لا يخلطوا بين أمورهم وأعمالهم الشخصية وبين الأعمال العامة المتعلقة ببيت المال، ولم يكن يأخذ شيئاً من سهم الإمام وبيت المال لمصاريف بيته الشخصية وكان قد أعدَّ قائمة خاصة لمصاريف المعيشة اليومية وكلّف أعضاء مكتبه بعدم تجاوز ما في هذه القائمة وتقديم تقرير بالمشتريات كل يوم، وكان يحاسبهم بدقة على الإلتزام بها، وحدث مراراً أنه كان يستدعينا ويسألنا عن سبب إزدياد هذه المصاريف بمقدار عشرة تومانات أو عشرين توماناً، فمثلاً إستدعاني يوماً وقال لي: «إنَّ مقدار الإستهلاك اليومي للخبز في بيتي هو ثلاثة أرغفة، فلماذا سُجّل في هذه القائمة شراء أربعة أرغفة من الخبز؟». وكلما أردنا أن نشتري له شيئاً ما، قال لنا: «إشرطوا على البائع أن يكون لكم حق إرجاع ما تشترون إذا شئتم ذلك»، وعلة هذا الشرط هي أنه قد حدث مراراً أننا كنا نشتري له شيئاً فيقول: «أرجعوه، إن ثمنه مرتفع»[٢]!

إشتروا بمقدار الحاجة

كان الإمام يحتاطُ كثيراً في الصرف عندما كان مقيماً في النجف الأشرف، فمثلاً إذا احتاجوا إلىٰ ماء الليمون أمر خادمه بشراء ما ثمنه خمسة فلوس منه ـ بمقدار فنجان تقريباً ـ، فلا يستجيب لإصرار الخادم بشراء قنينة كاملة منه، ويقول: «لا حاجة لنا الآن بأكثر من هذا المقدار». وهكذا كان الحال مع شراء الخضرة مثلاً[٣]!

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ رحيميان، المصدر السابق، ج٥.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، صحيفة رسالتا، ٩/٣/١٣٧٣ [هـ.ش].

(٣) آية الله السيد خاتم اليزدي، مجلة (باسدار إسلام = حارس الإسلام)، العدد: ١٧.

إطبخوا بمقدار الحاجة

إحدىٰ الصفات التي تميز بها الإمام شدة الإقتصاد في أمور المعيشة، وكان يوصينا دائماً بإعداد الطعام بالمقدار اللازم لكي لا يزيد منه شيئٌ. كما كان يوصينا بعدم الإسراف في أمور المعيشة ويذكرنا دائماً بأننا نعيش في أوضاع يصعب فيها على بعض العوائل توفير معاشهم[(١)].

لم يشرب عصير الفاكهة

عندما دخل الإمام إلىٰ مدرسة «رفاه» كان متعباً جداً بسبب ما تعرض له من متاعب في طريق العودة إلىٰ ايران وبعيد وصوله، فكان أحد الأطباء يأتيه بعصير الفواكه لكنه لم يشربه، فأصر عليه وأخبره بأنه ضروري لسلامته، وعندها كان يتناول منه شيئاً يسيراً[(٢)].

المشروبات الغازية

طوال ثمان سنين كنتُ في خدمة الإمام، لم أرَه ولا مرة واحدة يشرب شيئاً من المشروبات الغازية أثناء الطعام[(٣)].

طعام الإمام

عندما يسأل أحد المراسلين السيدة كبرىٰ (الخادمة في بيت الإمام) عن طعامه وما يعدونه، أجابت: إن طعامه في الظهيرة هو مرق ماء اللحم كل يوم، أما طعام العشاء فهو الخبز والجبنة والعنب أو الخبز والجبنة والبطيخ مع كأس من اللبن الرائب المخفف[(٤)].

---

(١) السيدة فريدة المصطفوي، مجلة (زن روز = إمرأة اليوم، العدد: ٩٦٦.

(٢) السيدة المقصودي، مجلة (زن روز)، العدد: ٩٠٤.

(٣) السيد رحيم ميريان.

(٤) مجلة (نور علم)، الدورة الثالثة، العدد: ٧.

بين طعام الامام وطعام «البابا»

كان طعام الامام في الظهيرة هو طعام إيراني يُسمىٰ «مرق ماء اللحم» وهو الطعام نفسه الذي يتناوله الآخرين في ذلك الوقت. وقد جلس آية اللّه الخميني [على الأرض] عند مائدة الطعام التي جلس عندها أيضاً زوجته وإبنه وزوجته، وأحفاده، وبعد أن ذكر إسم اللّه تناول مقداراً يسيراً من الطعام، وبلغت مدة تناوله لطعامه وبدقةٍ سبع دقائق وأربعين ثانية ذهب بعدها إلىٰ غرفة عمله.

وقبل عامين حالفني التوفيق لمشاهدة تناول «البابا» لطعام الظهيرة بعيني، فرأيت الأطعمة التي أعدت له ـ ولم يغب أي طعام إيطالي من مجموعتها ـ قد وضعت بنظام دقيق على منضدةٍ طولها (١٢) متراً وعرضها (٢,٥) متراً، فجلس وحده يتناول طعام الظهيرة واستغرق تناوله ساعة وخمسين دقيقة، ثم عرفت أن ما يتبقىٰ من طعامه يتم إتلافه بالكامل[١].

طعام الإمام في نوفل لوشاتو

أتذكر أنه ـ وخلال إعدادي لإحدىٰ مقابلاتي مع الامام في نوفل لوشاتو ـ جاءت زوجته له بمقدار من اللبن الرائب والجنبة، فسألتها: هل يتناول غير هذا الطعام؟ فأجابتني: كلا، إنه يتناول هذا الطعام البسيط مرتين في اليوم[٢].

رعاية المقربين منه لبساطة العيش

وصل مجموعةٌ من الايرانيين إلىٰ فرنسا في العشرة الأولىٰ من محرم لزيارة الإمام. ولأن الامام كان بسيطاً في عيشه، كان المقربون منه يراعون

---

(١) أحد المراسلين الصحفيين الفرنسيين، مجلة (إطلاعات هفتكي = إطلاعات الأسبوعية)، العدد: ١٩٢٤.

(٢) السيد مالارد، مراسل صحفي، ولعل السيدة المذكورة هنا هي السيدة مرضية الحديدجي التي كانت تتكفل أمور المنزل في محل إقامة الإمام في باريس وليست زوجته.

البساطة أيضاً فكان طعامهم في نوفل لوشاتو لا يتعدىٰ الخبز والجبنة والطماطة والبيض والثريد بدون اللحم أحياناً[1].

إلىٰ أي شيء يرمز البيض والبطاطس؟

كان الطعام الذي يُقدم في قسم الاستقبال في بيت الإمام في باريس بسيطاً للغاية وغالباً ما يكون البيض والبطاطس، وكان هذا الأمر ثابتاً إلىٰ درجة كان المراسلون الأجانب يسألوننا: إلىٰ أي شيء يرمز البيض عندكم أنتم الايرانيون، فتقبلون على جعله طعامكم الثابت[2]؟

عسى أن يتوب اللّه عليكِ ببركة هذا العمل

عندما كنا في «نوفل لوشاتو» إشتريتُ يوماً كيلوين من البرتقال لأنّ ثمنه كان رخيصاً في ذلك اليوم والجو بارد يساعد على حفظه إلىٰ عدةِ أيام، ولكن الإمام سألني عندما رآه عن كثرته فأجبتُه مبررة عملي بالقول: لقد كان ثمنه رخيصاً اليوم فاشتريت هذا المقدار للإستفادة منه عدة أيام، فقال: «لقد ارتكبتِ معصيتين، الأولىٰ: أنكِ إشتريتِ أكثر من حاجتنا لهذا اليوم، والثانية هي: أنه لعلّ بعض المقيمين في هذه الضاحية لم يستطيعوا شراء البرتقال إلىٰ اليوم بسبب ارتفاع ثمنه، ولعل إنخفاض ثمنه كان سيُمكّنهم اليوم من شرائِهِ لكنكِ إشتريتِ مقداراً إضافياً قد لا يبقي لهم منه شيئً، فاذهبي لإرجاع هذا المقدار»! فقلت: لا يمكن إرجاعه أصلاً، فقال: «يجب العثور على سبيل لتدارك الأمر»، فسألته: وما الذي أستطيع فعله؟، فقال: «قشري البرتقال وقدميه للذين لم يأكلوا منه شيئاً طوال هذه المدة عسىٰ أن يتوب اللّه عليكِ ببركةِ هذا العمل»[3].

---

(١) السيدة مرضية الحديدجي.

(٢) السيدة مرضية الحديدجي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام)، ج٤.

(٣) السيدة مرضية الحديديجي، المصدر السابق.

زوجة الامام تتحدث

نفهم من طيات حديث والدتي أنهم كانوا يتحملون الكثير من الضيق في المعيشة بسبب شدة إحتياط الامام الذي كان يمتنع حتىٰ عن أخذ الراتب المخصص للحوزويين. تقول والدتي: كنتُ أستفيد من جبة السيد [والدكم] إذا بلت ولم تعد صالحة له، وذلك بأن أصنع من القطع السالمة منها وخاصة الأجزاء السفلية ملابس للأطفال ومعظم معاطفكم كنت أُخيطها لكم بهذه الطريقة أو إذا لم أستطع الحصول على قطعٍ سالمة من جبات السيد، كنتُ أعطي مالاً لشراء قماش «الجث» [نوع من القماش الرخيص] فأخيط منه الملابس لكم.

وهذا القول يكشف صعوبة عيشهم لكن الإمام كان يعتقد ـ رغم ذلك ـ أن فيه الكفاف[1].

علينا أن نعيش بما نملك

تتحدث والدتي أحياناً بما يمكن للإنسان أن يعتبره نوعاً من الشكوىٰ من الصعاب المعيشية التي تحملتها والتي كانت تضرب مثالاً لها فتقول: لم أكن أخيطُ جيب جبة والدكم على الجانب الظاهر منها، لأنّ أثره سيظهر على أعلى المعطف الذي سأخيطه لكم بعد أن تصبح الجبة قديمة وغير صالحة للوالد، لذلك كنت أخيط الجيب بصورة لا تجعل المعطف الذي أخيطه لكم من قماش الجبة لاحقاً مشوهاً، وحتىٰ هذا المعطف لم أكن أرميه جانباً بعد أن يصبح غير صالحٍ لكم، بل كنت أقطعه وأستفيد منه كلفافات لأطفالي الصغار.

ولا ريب بأن هذا الأمر في غاية الصعوبة يصعب تصديقه، ولكن

(١) السيدة زهراء المصطفوي، إبنة الإمام، مجلة (شاهد بانوان = شاهد للنساء)، العدد: ١٤٩.

الوالدة تقول إنها كانت تقوم بذلك بسبب قلةِ دخلنا، وكان الامام يقول: «هذا ما أملكه فعلينا أن نعيش به»[1].

لم يكن يأخذ راتب الحوزة

كان الإمام في شبابه طالباً حوزوياً يعيش على ما يحصل عليه مما ورثه من والده، وكان يرفض أخذ الراتب المخصص للحوزويين، وأتذكر أن الامام كان يرفض أخذ الراتب الذي خصصه الشيخ عبدالكريم الحائري للحوزيين الذي تزعم الحوزة قبل السيد البروجردي، بل هو في الحقيقة مؤسسها في قم؛ وقد حدثنا الامام أنه ذهب إلىٰ مدينة أراك ودعا الشيخ الحائري إلىٰ قم فجاء إليها وأسس الحوزة فيها، ولكن رغم ذلك أبىٰ الامام أخذ الراتب الذي يُعطى لسائر الطلبة وعلل رفضه بالقول: «يكفيني ما عندي من مال»[2].

إعطه دينارين ونصف

قال لي المرحوم السيد مصطفىٰ إن فلاناً يريدُ السفر إلىٰ ايران، فخذ له شيئاً من المال من الامام، وعندما عرضتُ الأمر على الامام ـ وكان يعرف هذا الشخص ـ قال: «كلا إنه ليس حوزوياً فلا أعطيه من هذا المال»، ولكن السيد مصطفىٰ ألحَّ عليّ بمعاودة المحاولة بعد يوم أو يومين، ففعلتُ فرفض الإمام فطلب السيد معاودة المحاولة للمرة الثالثة ففعلتُ فرفض الإمام فقلتُ: شيئاً من المال لي [وأنا حوزوي] وأنا أهبه له. فقال ببعض الإنزعاج: «خُذْ دينارين ونصف وإعطها له»

وبعد أيام أحضرتُ نجاراً ليرتب مكاناً لمروحةٍ منضدية بهدف توزيع هواء سرداب بيت الإمام، وعندما كان النجار يقوم بعمله إستدعاني الإمام

(١) السيدة زهراء المصطفوي.
(٢) السيدة زهراء المصطفوي.

فسارعتُ إليه، فقال لي بصوتٍ بعث الرعب في كل وجودي، «أنت (قالها هذه المرة رغم أنه كان مؤدباً للغاية فلا يخاطب أيّاً منا الا بلفظ الجميع ـ أنتم ـ تعبيراً عن الإحترام) ومصطفىٰ وأحمد هذا إتحدتم من أجل أن تجعلوني من أهل جهنم»!

ثم قال: «أنت تتوسط لشخص غير حوزوي لكي أعطيه من هذا المال [سهم الإمام]». فقلت له: يا سيدي لم يكن بالإمكان أن لا نعطيه. (وكان السبب أن هذا الشخص كان وقحاً وجلفاً وهذا مالم أستطع أن أذكره للإمام). فسألني: «ولماذا لا يمكن أن لا نعطيه»؛ فوقع في خاطري أن أقول: ياسيدي حتىٰ النبي ﷺ كان يعطي من هم أسوء من هذا الشخص! فتبسم من قولي ونجوتُ أنا من هذا الخطر[١].

إتحَدوا لجعلي من أهل جهنم

جاء الشيخ الفرقاني يوماً من منزلِهِ بمروحةٍ منضدية لكي تنصب في بيت الإمام فيكون بالإمكان توزيع هواء السرداب عبر النوافذ فيتم بذلك تبريد المكان، وكان هذا الأمر يتطلب إعداد صندوق يُفتح طرف منه بمقدار حجم المروحة لكي توضع فيه، فأمرنا الامام بالاستفادة لذلك من صندوق كان يُستخدم لحمل الكتب، ولكننا إرتأينا أن نأتي بنجار لكي يصنع صندوقاً خاصاً يمكن أن تدور المروحة فيه، فجاء النجار بألواح «الفيبر» لهذا الغرض، فلما رآها الإمام سألنا عن الأمر فأخبرناه فقال بلهجةٍ عنيفة لم نعهدها من قبل: «أنت ومصطفى وأحمد، إتحدوا من أجل جعلي من أهل جهنم »[٢].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ القرهي.

(٢) الشيخ القرهي، كتاب (سرگذشتيهاى وثيره أز زندگي إمام خميني = حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج١.

أنت لا تتمسك بعرىٰ الاحتياط

في الأيام الأولىٰ لاقامة الامام في النجف الأشرف استخدم شخصٌ لتوزيع الشاي في بيت الإمام، ولكن ملابسه كانت ممزقة وغير نظيفة، فأمرني المرحوم الحاج السيد مصطفىٰ أن أشتري له قميصاً طويلاً وهو الذي يسمىٰ في العراق «الدشداشة»، فقلتُ: سمعاً وطاعة، وطلبت من أحد الأصدقاء أن يرتب الأمر فاشترىٰ القماش وسلمه للخياط فصارت التكلفة ديناراً وربع الدينار (ما يعادل ٢٥ توماناً يومذاك تقريباً)، وقد سجلت ذلك في دفتري وكنت مكلفاً بذلك وبتقديم قائمة بالمصروفات كل بضعة أيام للإمام، وبعد بضعةِ أيام من تقديمي القائمة الأخيرة للإمام؛ قال لي ـ ونحن في طريق العودة من المسجد ـ: «أنت لا تتمسك بعرىٰ الاحتياط». فلم أتذكر أني قمتُ بعملٍ خلاف الاحتياط فسألته عن مقصوده فقال: «كان ينبغي أن تخبرني بأمر القميص [الدشداشة] »، فأخبرته بأن السيد مصطفىٰ أمرني بذلك فقال: «ينبغي أن أكون انا القائل لك»! وهذه الكلمة ضاعفت حبي للإمام ـ الذي كنت على معرفة دقيقة بشخصيته ـ ألف ضعفٍ، لأنها تعبر عن شدة إحتياطه بحيث لا يسمح بالتدخل في هذا الأمر [الصرف من الأموال العامة] حتى للسيد مصطفىٰ ـ رغم أنه كان يحبه كثيراً ورغم سمو مقام السيد مصطفىٰ ـ، فكيف بغيره من حاشيته والمقربين منه[1]؟!.

ليعتزل سماحة الشيخ في طعامه إن رغب في ذلك

يقول المشهدي حسين الذي كان يخدمُ في بيت الإمام في النجف: أقام عددٌ من الأشخاص في قسم الإستقبال من بيت الإمام [أي البراني] في شهر رمضان، ولكن مقدار الطعام لم يزدذ شيئاً عن السابق. فقال لي

(١) الشيخ القرهي، مجلة (إطلاعات هفتگى = إطلاعات الاسبوعية)، ٣٠/ ٣/ ١٣٦٩[هـ. ش].

الشيخ الحاج عبد العلي القرهي: إن مقدار اللحم الذي تشتريه قليلٌ جداً، فهؤلاء المقيمون في البراني يحتاجون إلىٰ طعام، للسحور والإفطار. إشترِ مقداراً أكثر من اللحم. فاشتريتُ مقداراً أكثر من اللحم في ذلك اليوم. وكان عليّ أن أقدم كل مساء قائمة بالمصروفات للإمام، وعندما رأىٰ الإمام القائمة في تلك الليلة تعجب وسألني عن سبب شراء الزيادة في اللحم، فأخبرته أنّ الشيخ القرهي أمرني بذلك. وكان الإمام يحترم الشيخ لكنه رغم ذلك قال: «إشترِ المقدار الذي كنت تشتريه سابقاً، أما سماحة الشيخ فليعتزل في طعامِهِ إن رغب في ذلك»[1]!

إنني فقير فاحذروا الاسراف

كان الإمام يؤكد على لزوم تسجيل كل المصاريف مهما كانت بسيطة، فكنت أسجلها جميعاً وبدقةٍ إستجابةً لأمره وكان هو مرتاحاً لذلك، وعندما تقرر أن ننتقل إلىٰ المكان الجديد في ضاحية «نوفل لوشاتو» قال الحاج السيد أحمد: إن الإمام يقول: «دققوا بشأن المصروفات لكيلا تغفلوا عن شيءٍ منها»؛ فقلت له: إطمئنوا من ذلك، فحتىٰ ثمن البنزين اللازم للإنتقال من المطار إلىٰ المدينة سنسجله في حسابكم! ولن تحدث مشكلة في هذا المجال إن شاء الله. وقد حظي هذا الأمر بتأييد الإمام.

وكانت حياة الإمام في نوفل لوشاتو في غاية البساطة، وكان يؤكد مراراً على الإلتزام بذلك ويقول: «عليكم بالإحتياط قدر المستطاع وأن لا يُصرف ولا دينارٌ واحد دونما مبرر». وكان يقول: «إنني فقيرٌ فأحذروا الإسراف». وبقي ملتزماً بهذه المعيشة المتواضعة البسيطة. وفي الأيام الأولىٰ لإقامتنا في نوفل لو شاتو كان الهواء طيباً للغاية، فكان الإمام

(١) آية الله السيد خاتم اليزدي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٢.

يجلس قبل الصلاة تحت شجرة التفاح التي أصبحت معروفةً للجميع ثم يقيم الصلاة وبقي على ذلك الحال أياماً ثم أصبح الهواء بارداً فاضطررنا إلىٰ نصب تلك الخيمة في هذا المكان نفسه كمحل لإقامة الصلاة[١].

المماكسة بشأن أجرة السيارة

ينقل المرحوم الشهيد السيد مصطفىٰ الخميني الحادثة التالية: لم نكن نصدق باطلاق سراحنا [من سجن الشاه]. وعندما نزلنا من الطائرة في مطار بغداد كنا نتوقع أن يعتقلنا النظام العراقي فوراً وينقلنا إلى مكانٍ يخضعنا فيه للمراقبة، ولكننا كلما أدرنا النظر لم نرَ أحداً يتوجه إلينا، فأخذنا نتمشىٰ كالغرباء، ثم خرجنا من المطار، وأردنا إستئجار سيارة تنقلنا إلىٰ الكاظمية، فأخذ الإمام يماكس سائق السيارة على قيمة الأجرة إذ إعتبرها مرتفعة! فقلت له ممازحاً: لنركب يا سيدي دونما تأخير قبل أن يأتوا ويعتقلوننا! فركبنا السيارة إلىٰ الكاظمية ومنها توجهنا إلىٰ النجف الأشرف[٢].

أدفع أجرة سفري وسفرك فقط

عندما عزم الإمام على العودة إلىٰ ايران [من فرنسا]، أُعدت مقدمات سفر الصحفيين ومراسلي وكالات الأنباء والهيئة المرافقة للإمام إلىٰ إيران. وقام السيد الحاج أحمد بعرض الموضوع على الإمام فقال الامام له: «إنني أدفع أجرة سفري وسفرك فقط»[٣]!

---

(١) الدكتور حسن حبيبي، صحيفة إطلاعات، ١٨/ ١١/ ١٣٦٠ هـ.ش.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، صحيفة جمهوري إسلامي، ٢٦/ ٤/ ١٣٦٨ [هـ.ش].

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الناصري، صحيفة (كيهان = العالم) ١١/ ١١/ ١٣٧٣ [هـ.ش].

الاستفادة من ماء البئر بمقدار الضرورة

سمعتُ بنفسي الإمام يقول يوماً لشخصٍ كان يسقي اشجار الحديقة: «لماذا تستخدم ماء الاسالة المصفىٰ لسقي الأشجار؟» فأجابه: «إنه ليس من ماء الإسالة إنه ماء البئر» فقال: «حتىٰ ماء البئر هو للجميع، لذا ينبغي أن نقلل الاستفادة منه إلىٰ حد الضرورة»[1].

يا حاج إنك تُكْثِر الاستفادة من الماء

كنت يوماً أسقي الحديقة فقال لي الإمام: «حذار من أن يكون هذا من ماء الشرب». فقلت: ـ كلا يا سيدي إنه يسحب من البئر ـ فقال: «حذارِ من أن يكون من بئر يستفيد منها الآخرون»، فقلت: كلا يا سيدي، إنها بئرٌ خاصةٌ بهذا المكان حفرت لسقي اشجاره.

ثم جاء في يومٍ آخر وقال لي: «يا حاج إنك تكثر الاستفادة من هذا الماء»، فتعجبت من قوله والبئر لا يستفيد منها غيرنا، ثم عرفت فيما بعد أنه يشير إلىٰ الاقتصاد في إستهلاك الكهرباء لأن الماكنة التي تسحب الماء من البئر كهربائية، وكان الإمام شديد الاحتياط تجاه عدم الإسراف في أي أمرٍ فكان يتأذىٰ من إلقاء أي طعام في سلة الزبالة ويعترض بشدة وينهى عن ذلك[2].

شدة الاحتياط عن الاسراف

كنتُ يوماً أغسل الصحون في المطبخ وكانت حنفية الماء مفتوحة فدخل الامام واعترض على ذلك، رغم أن الحنفية كانت مفتوحة بدرجة قليلة لكن الامام كان يذكرنا بالاحتياط رغم أني كنت احتاطُ كثيراً في هذه الأمور. فمثلاً كنتُ أحملُ له أحياناً مقداراً من أوراق «الخس» التي قُصت أطرافها فيذكرنا بعدم رمي هذه الأطراف في الزبالة، فأقول له: إطمئن يا

(١) السيد مصطفىٰ كفاش زاده.

(٢) السيد رحيم ميريان.

سيدي إنني أبقيتها للسلاطة. وكان إذا خرج لأمر من غرفته أطفأ جهاز التلفاز ثم يشغله ثانية إذا عاد تجنباً للإسراف[1].

إجتناب الاسراف في الماء عند الوضوء

يقول أحد الأجلاء: كلما جلسنا عند الإمام إكتشفنا فيه بعداً جديداً من أبعاد العظمة لم نكن نعرفه أو لم ننتبه له من قبل، وهذا الأمر يدل على عظمة ونقاء وشفافية جوهره وإلى درجة تجعل الانسانَ كلما إقترب منه يدرك المزيد من أبعادها، وهذا الأمر ثمرة الرياضات والمجاهدات والعبادات التي إلتزم بها الإمام بدقة، وشدة مراقبته لأعماله حتىٰ الصغيرة منها، ولذلك إصطبغت حتىٰ المباحات عنده بصبغة العبادات، فمثلاً كان يحتاط بشدة من الإسراف في الماء عند الوضوء. وكل هذه المراقبات إلتزم بها مُنذ بدايات طلبه للعلم[2].

لم أستطع إغلاقها بإحكام

كان الإمام يستدعيني أحياناً بدق جرس غرفته في الساعة (١٠ أو ١١) ليلاً فأذهب إليه فيقول لي: «إن الماء يقطر من الحنفية ولم أستطع إغلاقها بإحكام، فانظر ما سبب ذلك؟». وكان يتأذىٰ من إستهلاك الماء دونما مبرر لذلك كنا نُحضر ما نمنع به قطرات الماء من النزول من الحنفية لكي ينام باطمئنان، وإذا لم نستطع القيام بذلك في الماء بادرنا لإصلاح الحنفية في أول فرصة صباحاً[3].

كان شديد الحساسية تجاه الإسراف

كان الإمام شديد الحساسية تجاه الإسراف، فمثلاً إذا كانت حنفية

(١) السيدة ربابة البافقي، مجلة (سروش)، العدد: ٤٧٦.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الموسوي خوئيني ما، مجلة حوزة، العدد: ٣٧ ـ ٣٨.

(٣) السيد مصطفىٰ كفاش زاده.

الماء تقطر، دق الجرس القريب منه واستدعانا لإصلاحها فوراً لكي لا يذهب الماء هدراً فلم يكن يتحمل مثل هذا[1].

فاضل ماء واجبات الوضوء

طلب مني أحد الأصدقاء أن أجمع له شيئاً من فاضل الماء الذي يتوضأُ به الامام للتبرك به، فنقلت طلبه للإمام ووضعتُ إناءً تحت يديه عند الوضوء، فكان كل ما جمعته لا يملأ سوىٰ قنينة صغيرة من النوع الذي يستخدم لحفظ أقراص الدواء الصغيرة! تبسم الامام لما شاهده من تعجبي لقلةِ هذا الماء وقال: «إن هذا هو فاضل ماء واجبات الوضوء»[2]!.

وضوء الامام وضوء النبي(ص)

شاهدتُ مرتين وضوء الامام فوجدته مطابقاً لوضوء النبي ﷺ المذكور في الروايات فقد ذكر أنه ﷺ كان يكتفي بغسل كلٍّ من وجهه المبارك ويديه مرة واحدة، وقد أفتىٰ الامام ـ خلافاً للكثير من الفقهاء ـ بعدم إستحباب غسل كلٍّ منها لأكثر من مرة واحدة، وأن أفضل وضوء هو وضوء النبي ﷺ الذي كان يغسل كلاً من الوجه واليدين مرةً واحدة وبكفٍ واحد من الماء[3].

إغلاق حنفية الماء بين أغسال الوضوء

رأيتُ ـ في باريس ـ الإمام مراراً عند الوضوء فكان يغلق حنفية الماء بعد كل مرة يأخذ كفاً من الماء لكي لا يذهب أي مقدار منه هدراً، كما كنت أراه وهو يضع ورقةً فوق إناء الماء بعد أن يشرب منه شيئاً فلا يهدر

(١) السيد رحيم ميريان.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردي (حفيد الإمام)، مجلة حضور، العدد الأول
(٣) آية الله الشيخ القديري، ملحق صحيفة جمهوري اسلامي بمناسبة الذكرىٰ الثانية لوفاة الإمام.

المتبقي منه بل يحفظه ليشربه لاحقاً دون أن يهتم لذهاب برودته[1].

لا يبقي الحنفية مفتوحةً

لم يكن الامام يترك حنفية الماء مفتوحة خلال الوضوء، بل كان يفتحها ويأخذ منها كفاً من الماء ثم يغلقها ليفتحها عند الاحتياج لكفٍ آخر[2].

كان بإمكانكم كتابة الرسالة على هذه الورقة

كان الامام مقتصداً جداً في استهلاك الورق، فقد كتب الشيخ الرضواني مسؤول أمور الامام المالية وغيرها شيئاً للإمام على ظهر ظرف ورقي وبعثه للإمام فكتب الجواب على ورقة صغيرة وذيلها بالعبارة التالية: «كان بإمكانكم كتابة الرسالة على هذه الورقة الصغيرة أيضاً». ومُنذ ذلك اليوم أخذ الشيخ الرضواني يجمع قصاصات الورق الإضافية ويحفظها في كيس خاص ويكتب عليها اسئلة إلى الإمام الذي كان يكتب الجواب على هذه الأوراق نفسها[3].

صبوا الماء في الاناء بمقدار ما تشربون

كان الإمام يشدد الوصايا بعدم الإسراف، فيقول مثلاً: «لا ترموا المنديل الورقي إذا كان بالإمكان الإستفادة منه مرتين، وصبوا الماء في الإناء بالمقدار الذي تشربونه لا أكثر[4].

كان ينبغي أن تكتب هذا الأمر في ورقة مستعملة

أقام الإمام عدة أيام في كربلاء عند وصوله إلىٰ العراق، وكان وضع بيته

---

(١) السيدة مرضية الحديدجي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الامام الخميني)، ج٤.
(٢) الدكتور حسن العارفي.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين الناصري، كتاب (حوادث خاصة. . .)، ج٤.
(٤) أحد أحفاد الإمام، (خطوات في أثر الشمس)، ج١، ص ٢٣٢.

لا يسمح لي بالتردد والدخول عليه من غرفة الإستقبال، وكان عليّ أن أراجعه في الأعمال، لذلك كنت أكتب ما أريد مراجعته بشأنه على ورقة وأبعثها إليه، فكتبت له شيئاً على ورقة مرةً، ثم رافقته وهو في طريق الذهاب إلىٰ الحرم فقال لي في الطريق: «أنت لا تحتاط في أعمالك». وكان ذهني خالياً من أمثال هذه التدقيقات فلم أتصور أني أخطأت، فاستفسرتُ منه عن مقصوده فقال: «كان ينبغي أن تكتب هذا الأمر في ورقةٍ مستعملة»[1].

ملاحظات المباحث العلمية على ظروف الرسائل

كان الإمام يستفيد بأقصىٰ ما يمكن من كل شيءٍ كالقلم، فكان يعمل بوصية الامام علي عليه السلام: «أدقوا أقلامكم وقاربوا بين سطوركم»، فمثلاً كان يستفيد من أوراق وظروف الرسائل التي تصله لأن قسماً كبيراً منها - يقارب الصفحتين - يبقى خالياً والظروف لا يكتب عليها عادة سوىٰ العنوان، فكان يجمعها ويكتب عليها ملاحظات مباحثه العلمية وهي لازالت محفوظة عند بعض السادة[2].

لم أكن منشغلاً بعملٍ يحتاج إلىٰ المصباح

كان الشيخ محمد الفرقاني يلازم الإمام ويرافقه في النجف الأشرف في أيام غياب الشيخ عبد العلي القرهي، وقد نقل لي الحادثة التالية، قال: عندما سافر الشيخ عبد العلي القرهي إلىٰ إيران حظيت بشرفِ مرافقة الإمام الذي قال لي: «إذا كان لأحدٍ عملٌ ضروري معي بعد صلاتي المغرب والعشاء، فيمكنكم أخذه إلىٰ قسم الإستقبال [البراني]». وفي إحدىٰ الليالي كنتُ جالساً في قسم الإستقبال من بيت الإمام الذي كان قد رجع من صلاة الجماعة ودخل في القسم الداخلي لبيته، فجاء شخصٌ كان له عمل عاجل مع الإمام، فذهبت إلىٰ القسم

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ القرهي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٦.
(٢) آية الله الشيخ حسن الصانعي، صحيفة جمهوري إسلامي ١٨/ ٣/ ١٣٧٣ [هـ.ش].

الداخلي من البيت لإخبار الإمام فوجدت غرفته مظلمة فأردت الرجوع إلىٰ البراني فناداني الإمام وسألني: «هل لك من حاجة؟!»، فأجبته: أجل ولكني رأيت مصباح الغرفة مطفئاً فظننتُ أنكم نائمون، فقال: «لا، لكنني أطفأتُ المصباح لأنني لم أكن منشغلاً بعملٍ يحتاج إليه»[١].

يشرب المتبقي من الماء مساءً

كان الإمام شديداً في اجتناب الإسراف، فلم يكن يسمح بإبقاء مصباح المطالعة مضاءً في غير وقت المطالعة، ولم يكن يوقد مصباح الممر ويعلل ذلك بالقول: «لا أستطيع أن أُطفأه من ذلك الجانب». وكان يقسم المنديل الورقي إلىٰ نصفين ويستخدم كل مرة نصفه، وكان يضع ورقة على كأس الماء بعد أن يشرب منه في الصباح ويرفض هدر المتبقي منه ويقول إن ذلك من الإسراف، فيشربه في المساء[٢].

ينبغي أن تكون الإنارة كافية

يعتقد الإمام بلزوم أن تكون الإنارة في الغرفة جيدة لكنه ـ إلىٰ جانب ذلك ـ يُطفىء مصابيحها كلما خرج منها[٣].

لا أرضىٰ باستخدام هاتف المكتب للأعمال الشخصية

يعيش الإمام حياةً في غاية البساطة مثل حياة الأفراد العاديين، ويدقق في صرف الحقوق الشرعية رغم كثرة ما يصله منها، وقد أخبر أعضاء مكتبه مراراً وبجديةٍ بعدم رضاه باستخدام هواتف المكتب للأعمال الشخصية، لذلك فنحن نستفيد من الهواتف العامة خارج المكتب لأعمالنا الخاصة. ولا يبقىٰ أي مصباحٍ في بيتِ الإمام مضاءً دون حاجة، وقد حدث أحياناً أن الإمام

---

(١) السيد مجتبىٰ البرودباري، مجلة (١٥) خرداد، العدد المزدوج: ٥ ـ ٦.

(٢) مجلة (بليس إنقلاب = شرطة الثورة)، السنة ٩، العدد: ١٠٠.

(٣) السيدة زهراء المصطفوي.

يلتفت خلال إجتماعاته بالمسؤولين وغيرهم أن مصباح الحمام مضاءٌ دون حاجة، فيقوم بنفسه ويطفئه دون أن يأمر أحداً بذلك. كما أنه يجتنب هدر حتىٰ قطرة من الماء عند الوضوء، فهو يغلق حنفية الماء بين أفعال الوضوء. كما أنه يسعىٰ لحث الآخرين على إجتناب الإسراف والإقتصاد في المصاريف، فكان يذكر أعضاء مكتبه باستمرار بذلك بواسطة الشيخ الصانعي، ويحاسبهم مباشرةً في بعض الأحيان على تجاوز الصرف حدّ الضرورة في هذا المورد أو ذاك ويحذرهم من التكرار[١].

أطفأوا المصباح

بسبب شدة الإزدحام وكثرة زائريه إضطر الإمام في سنة (١٣٥٨) [هـ.ش، ١٩٧٩م] إلىٰ الصعود إلىٰ سطح منزله [في قم] للقاء الجماهير وشكرهم على عواطفهم الجياشة، فشاهد مرةً عند نزوله مصباحاً في ساحة المكتب مضاءً في النهار فأمر بإطفائِهِ فوراً[٢].

إنهم يقولون باطلاً!

كان الإمام ملتزماً بصلاة الجماعة، فكان يصلي الظهرين والعشائين جماعة في مدرسة الفيضية، فوصل يوماً قبل وقت الصلاة وجلس في إحدىٰ غرف المدرسة، فخرج أحد الطلبة من غرفته للجلوس عنده وترك مصباح غرفته مضاءً فاعترض الإمام وقال: «لم تركتم المصباح مضاءً»، فأجابه أحد الحاضرين: يقولون أن لا إسراف في الضياء، فقال الإمام: «إنهم يقولون باطلاً!»[٣].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأنصاري الكرماني، مجلة (بيام انقلاب = رسالة الثورة)، العدد: ٥٢.

(٢) آية الله الشيخ التوسلي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٢.

(٣) المصدر نفسه.

يعاتب مَن أبقىٰ المصباح مضاءً

كان الإمام يخرج أحياناً ليلاً من غرفته في منزله في النجف ويُطفىء أي مصباح يراه مضاءً ثم يعاتب في الصباح من أبقاه مضاءً دون حاجة[(١)].

يُطفىء المصباح من أجل بضع دقائق

كان في غرفة الإمام مصباح إنبوبي أبيض وكان يستفيد من مصباح آخر عند القراءة، وقد رأيتُه مراراً يخرُجُ من غرفته باتجاه غرفة العائلة، ثم يرجع قبل الوصول إليها، فيدخل غرفته لإطفاء المصباح الأنبوبي، ثم يتوجه ثانية إلىٰ غرفة العائلة، رغم أنه لا يبقىٰ فيها إلا لبضع دقائق ثم يرجع إلىٰ غرفته[(٢)].

ليذهبوا للصلاةِ في مكان آخر

كان الإمام يصلي في مسجد الشيخ الأنصاري في النجف، فطلبوا منه شراء مروحة للمسجد بسبب شدة الحر، فأبىٰ، فقالوا له: إنّ الحر يؤذي الذين يأتون للصلاة في هذا المسجد، فقال: «ليذهبوا للصلاة في غيره»!، فقال المرحوم الشهيد آية اللّه السيد المدني ـ وكان من الأتقياء وأنصار الإمام المواظبين على الصلاة خلفه ـ: سأحضر للمسجد مروحةً من بيتي. فجاء بالمروحة للإستفادة منها عند إقامة الصلاة، وعندئذٍ سمح الإمام بشراء مروحة للمسجد[(٣)].

لا ينبغي الذهاب إلىٰ كل مكان جدير بان يُزار

في سنة (١٣٣٨) [هـ.ش، ١٩٥٩م] أصيب الإمام بمرضٍ راجع بسببه

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الناصري، المصدر السابق، ج٢.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان المصدر السابق، ج٥.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد السجادى الأصفهاني، المصدر السابق، ج٦.

أطباء قم، فلم يستطيعوا تشخيصه وأوصوه بالسفر إلىٰ منطقة ذات جو مناسب يستريح فيها مدة، لأن من الممكن أن تتدهور صحته بسبب كثافة نشاطاته العلمية، فاقترح عليه بعض تلامذته الذهاب إلى كرج لقضاء أيام الصيف فيها لطيب هوائها وقربها من طهران، فيسهل عليه هناك مراجعة أطبائِها. فذهب إلى كرج وأقام في منزل أعدوه له. وبعد أيام راجع طبيباً في طهران، فأتضح أنه مصاب بمرض «حمىٰ مالطا»، والطريف أنه كان يذهب إلىٰ طهران ويرجع منها بواسطة حافلات النقل العامة، رغم أن بعض محبيه كانت لديهم سيارات خاصة وألحوا عليه بأن يستفيد منها للذهاب إلىٰ طهران لكنه رفض ذلك. كما أن بعض الأصدقاء إقترحوا عليه مراراً الذهاب إلىٰ سد كرج للنزهة وإزالة التعب وكانوا يقولون إنه جديرٌ بأن يُزار فكان يجيبهم بالقول: «لا ينبغي الذهاب إلىٰ كل مكان جديرٌ بأن يُزار»[١]!!

يرفض قبول السيارة الخاصة

عندما كان في النجف كان يتنقل ماشياً ويرفض طلبات جميع الأصدقاء والمحبين الملحة، باتخاذ سيارة خاصة يتنقل بها، رغم أن الكثير من أنصاره في الكويت وغيرها كانوا يرغبون في إهداء سيارة خاصة له يدفعون ثمنها من أموالهم الخاصة وليس من الحقوق الشرعية، لكنه كان يرفض[٢].

كان دائم المراقبة

قال لي الإمام يوماً: «إعطني النظارة، أريدُ أن أقرأ»، فلما رفعتها من على المنضدة وجدتُ عليها شيئاً من الغبار فسحبت منديلاً ورقياً ومسحت به النظارة وأعطيتها للإمام فوضعها على عينيه، وهممتُ دون إنتباه إلىٰ

---

(١) محمد الفاضلي الإشتهاردي، المصدر السابق، ج٦.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، المصدر نفسه، ج١.

إلقاء المنديل الورقي في سلة المهملات فإنتبه الإمام لذلك وقال لي: «أيها السيد الأنصاري، إنْ لم تكن بحاجة لهذا المنديل فسلمه لي، فأنا أرىٰ أنه لازال من الممكن الإستفادة منه، فلا تلقه في سلة المهملات»!

وأعتقد أن الإمام كان دائم المراقبة من أجل أن لا يؤدي تسنمه لتلك المسؤولية إلىٰ تغيير في معيشته أو يقوم بعمل يُعتبر من الكماليات[1].

يُقطع المنديل الورقي إلىٰ أربعة أقسام

يلتزم الإمام بعدم هدر ما يتبقىٰ من ماء في الكأس الذي يشرب منه فيضع على الكأس منديلاً أو شيئاً آخراً لحفظ الماء المتبقي فيه. وإذا أراد إستخدام منديل ورقي فصل بين طبقتيه الرقيقتين ثم يقسمهما إلىٰ أربعة أقسام يطوي كل قسم منها أربع طيّات، ويستفيد من قسم واحدٍ منها إذا أراد مثلاً مسح دهان، وقد يقسم هذا القسم أيضاً إلىٰ قسمين أو أربعة حسب المقدار الذي يحتاجه من هذا المنديل[2]!

الاستفادة من المصابيح قليلة الاستهلاك للكهرباء

إذا أحضرنا للإمام كأساً من الماء شرب منه مقداراً ووضع الكأس إلىٰ جانبه ليشرب المتبقي منه عند الحاجة التي قد لا يشعر بها إلا بعد عدة ساعات. أما إقتصاده في الماء عند الوضوء فهو من المصاديق البارزة لدقته، فقد كان لا يأخذ أكثر من كفٍ واحدٍ من الماء يغسل به وجهه ويده الأخرىٰ يغلق بها حنفية الماء وهكذا يفعل في غسله ليديه. وكان دائماً يذكّر بلزوم إطفاء المصابيح الإضافية واجتناب الإسراف في إستهلاك الكهرباء. وقد أخذت على عاتقي مسؤولية إطفاء مصابيح الممر طوال المدة التي أصيب الإمام فيها بوعكة صحية، فقد كان يوصينا دائماً بذلك

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأنصاري الكرماني، صحيفة رسالت، ٩/ ٣/ ١٣٧٣ [هـ. ش].

(٢) السيدة زهراء المصطفوي.

ويؤكد على الإستفادة من المصابيح ذات الإستهلاك القليل للكهرباء وإن كان نورها ضعيفاً، بدلاً من المصابيح التي تستهلك كثيراً من الكهرباء وإن كان نورها قوياً[1].

وضعت شيئاً على الإناء

ذهبت يوماً لزيارة الإمام، وجلستُ في المكتب اتحدث مع السيد الحاج أحمد، فأخبرني بأن الإمام يشرب مقداراً من الماء الذي يُقدم له ثم يضع على الكأس شيئاً يحفظه ليشرب المتبقي منه فيما بعد، وقد قلنا له مراراً: إن من الممكن أن يتلوث هذا الماء بالميكروبات، فيقول لنا: «كلا، لقد وضعت شيئاً على الكأس لا يسمح بدخول الميكروبات ولا غيرها فيه»[2].

يُؤذيني ما أراه من إسراف

ينقل الحاج السيد أحمد قائلاً: أسحب أحياناً منديلين ورقيين من صندوق المناديل الورقية، فأرىٰ الإمام يتأذىٰ من ذلك وينهانا عن هذا التصرف. وكان هو نفسه إذا أراد الإستفادة من المناديل الورقية أخذ واحداً منها وقطّعهُ إلىٰ أربعة أقسام ويستخدم كل واحد منها بصورةٍ مستقلة. كما ينقل السيد أحمد عن الإمام قوله: «يؤذيني ما أراه من تقارير تصل من عدة جهات: من الشرطة، حرس الثورة، قوات الدرك، وزارة الداخلية وغيرها، وكلٌ منها يكتب الموضوع نفسه ويرسله لي... فلماذا تكون الإستفادة من الورق في البلد بهذه الصورة؟!»[3].

---

(١) السيد خادم، أحد حرس بيت الإمام، كتاب (درثاى نور = في رثاء النور).

(٢) آية الله الشيخ محمد الإمامي الكاشاني، صحيفة إطلاعات، ١/ ٥/ ١٣٦٢ [هـ.ش].

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الهاشمي الرفسجاني، صحيفة إطلاعات، ١٤/ ١٢/ ١٣٦١ هـ.ش.

لا مبرر لمثل هذا الاسراف

أعرب الإمام في لقاء لنا مع سماحته عن قلقه من عدم وجود الإنسجام بين المنشورات الخبرية، وقال: «تصدرُ عن المؤسسات المختلفة منشورات خبرية متعددة وبصورة مسرفة وبعضها مكررات، فأي مبرر لمثل هذا الإسراف؟!»، ثم أمر سماحتُهُ بعقدِ اجتماع يضم رؤوساء هذه المؤسسات بهدف الحيلولة دون وقوع مثل هذا الإسراف[1].

على مسؤولي الحج أن يجتنبوا الاسراف

قال الإمام في لقاءٍ مع مسؤولي إقامة فريضة الحج: «يُلاحظ عدم الإلتزام بالإقتصاد والتقشف ـ بالمقدار المطلوب ـ في مراسم الحج بل ويقع فيها إسراف واضح. لذا على مسؤولي قوافل الحج أن يجتهدوا في اجتناب الإسراف فهذا مما لا ينبغي السماح بوقوعه»[2].

هذا الزيت من بيت المال

نقل لي أحد الأصدقاء التقاة أن الإمامَ خرج يوماً لتجديد الوضوء في ساحة منزله، فرأىٰ السيدة التي تخدم بيته تغسل القدر الذي طبخت فيه الأرز فلاحظ أن الزيت المتجمع في أسفل القدر أكثر من المقدار المتعارف، فقال لها: «لماذا أسرفت في الزيت؟». فأجابت: لا أستطيعُ يا سيدي طبخ الأرز بزيتٍ قليل! فقال: «هذا الزيت من بيت المال فيجب الإقتصاد فيه»[3].

---

(١) السيدة كمال الخرازي، صحيفة إطلاعات، ٢٣/ ٣/ ١٣٦٢ [هـ. ش].

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد إمام الجماراني، صحيفة كيهان، ٤/ ٥/ ١٣٦٠ هـ. ش.

(٣) آية الله الشيخ حسين النوراني الهمداني، مجلة (زن روز = إمرأة اليوم)، العدد: ٨٥١.

إحفظوا الطعام لوقت لاحق

إذا بقي شيءٌ من الطعام الذي كنتُ أحضره للإمام في الظهيرة، أمرني بحفظ المتبقي منه لوقت لاحق بعد تذكيري بأنه طعام سالم فلا ينبغي هدره، كان دقيقاً إلىٰ هذه الدرجة[١].

معي مقدارٌ من الزبيب

بعد عودتنا مع الإمام من الحدود الكويتية دخلنا فندقاً جيداً كان يتردد عليه الأجانب، لذلك كان العاملون فيه يتحدثون باللغة الإنجليزية. فجاء أحدهم مساءً وسأل عن الطعام الذي يرغب الإمام في إحضاره له، فأجاب: «خبزٌ ومقدارٌ من اللبن الرائب، وأنا معي مقدارٌ من الزبيب»! ثم أراد الإمام الإستحمام لإزالة غبار السفر وتعبه فقلتُ للسيد أحمد: إطلبوا أن يحضروا منشفةً للسيد، فقال الإمام: «لا حاجة لذلك، إن مناشف هذا الحمام جيدة». قال هذا رغم ما قلته بشأن طبيعة رواد هذا الفندق[٢].

إكتفىٰ بالخبز والجبنة

بعد عودة الإمام من الكويت إلىٰ العراق، إحتجزه الموظفون العراقيون في صفوان إلىٰ حين وصول الإذن من بغداد بدخوله العراق ثانيةً. فذهب إثنان من مرافقيه إلىٰ البصرة بحجة شراء طعام العشاء فاتصلوا هاتفياً من هناك بالنجف وأخبروا الأخوة بما جرىٰ، ثم عادوا بمقدار من الطعام إشتمل على مقدار من الطعام المطبوخ إشتروه من أحد المطاعم، وعلى مقدار من الجبنة والبطيخ.

في ذلك اليوم لم يتناول الإمام شيئاً منذ طعام الإفطار في الصباح

---

(١) السيدة ربابة البافقي، مجلة (سروش = الهتاف)، العدد: ٤٧٦.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمود الدعائي، مجلة حوزة، العدد: ٤٥.

ورغم ذلك فقد اكتفىٰ في طعام العشاء بتناول شيءٍ من الجبنة والخبز، فشق علينا أن يكتفي بهذا ونحن نتناول الطعام المطبوخ، فقال لي السيد أحمد: إن طعام الإمام المعتاد الخبز والجبنة والبطيخ[١].

ياقة جبة الإمام مرقوعة

كان الامام يرتدي دائماً ملابس نظيفة، لكن اللباس الحوزوي (الجبة) عادة ما تتمزق ياقته أسرع من باقي أجزائِهِ، وكنا نلاحظ ـ عندما نحضر إلقاء الإمام لدرسه ـ أن ياقة جبته مرقوعة، الأمر الذي يدل على قناعته[٢].

وكذلك جواربه

لازال الإمام إلىٰ الآن يرتدي جوارب مرقوعة، ويقول أحياناً: «أعطوا هذه الجوارب لمن يرقعها لي»[٣].

أجهزة مذياع متواضعة

كان للإمام جهازان أو ثلاثة من أجهزة المذياع من الحجم الصغير لكي يستطيع حملها وهذا هو حسنها، أما عيبها فهو أنها كانت سريعة العطب وتضعف قوة سحبها بمرور الزمان، فكان الإمام يسلم واحداً منها بين يوم وآخر تقريباً ويقول: «إنه بحاجة للإصلاح» فقد كان كثير الاستماع للمذياعَ أثناء ممارسة رياضة المشي وفي غرفةِ لقاءاته وعملِهِ وكذلك في غرفةِ إستراحته[٤].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد رضا المهري، مجلة (باسدار إسلام = حارس الإسلام)، العدد: ١٠.

(٢) آية الله بني فضل، ملحق صحيفة جمهوري اسلامي الخاص بالذكرىٰ السنوية الثانية لوفاة الإمام.

(٣) السيدة زهراء المصطفوي، إبنة الإمام.

(٤) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ رحيميان.

لا يمكنني القيام بهذا العمل

في خريف عام ١٣٦٤ [هـ.ش، ١٩٨٥م] أصابت جلد ساق الإمام حالةٌ من اليبوسة والحساسية، فزاره أحد الأطباء المتخصص بالأمراض الجلدية وفحصه ثم كتب له دواءً وقال له ضمن وصفه للعلاج: ضعوا قدميكم يومياً مرةً أو مرتين في مقدارٍ من الحليب.

وكان الإمام معروفاً بالالتزام الدقيق بالعلاج الذي يصفه الأطباء، لكنه لم يتحمل هذا العلاج الذي وصفه له الطبيب هذه المرة ـ وضع قدميه في الحليب ـ، فقال بلهجة حازمة: «لا يمكنني القيام بهذا العمل»[١].

هدية للسيد مصطفىٰ بمناسبة زواجه

أتذكر أن الامام أهدىٰ لنجله الحاج السيد مصطفىٰ بمناسبة زواجه سجادة مساحتها (٣×٤) أمتار، وكانت مستعملة[٢]!

السيد لا يعطيني مالاً

لاحظتُ يوماً أنّ جوارب الحاج السيد مصطفىٰ كانت مثقوبة، فسألته بلغةٍ ممازحة عن سبب ذلك، فأجابني: إن السيد [والده] لا يعطيني مالاً!

وكنتِ أعلم ـ بدرجة أو بأخرىٰ ـ أن والده الامام لا يعطي نجله السيد مصطفىٰ أكثر من الراتب الذي كان يعطيه لسائر طلبة الحوزة في النجف الأشرف، وكان هذا الراتب لا يفي بمصاريف المعيشة الضرورية الا بمشقة[٣].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان، كتاب (درسايه أفتاب = في ظلال الشمس)، ص ٨٨.
(٢) آية الله الشيخ الخلخالي، صحيفة جمهوري إسلامي، ١٣٧١/١/٢٧ [هـ.ش].
(٣) حجة الإسلام والمسلمين الرسولي المحلاتي، صحيفة إطلاعات، ١٣٥٩؛٨/١ [هـ.ش].

يرفض التمييز الطبقي

في السابق كان أصحاب الحمامات العامة يخصصون لروادها أماكن تناسب وضعهم الاجتماعي ووجاهتهم الاجتماعية، ولكن الامام لم يكن يستجيب لهذا التمييز عندما يدخل الحمامات العامة للإستحمام، بل يختار مكاناً لنفسه من الأماكن التي يستحم فيها عادةً الفقراء والضعاف من أفراد المجتمع[١].

(١) السيد حسين شهرزاد (جار الإمام في قم)، مجلة شاهد، العدد: ١٨٦.

الفصل الرابع:

اجتناب مظاهر الترأس والتعظيم لشخصه

إجتناب مظاهر التعظيم التشريفاتية

كان الإمام يتجنب الكثير من الأعمال المتكلفة والتعظيمات والتشريفات التي كانت مألوفةً في بيوت مراجع التقليد مثل التردد لتقبيل أيديهم وفتح باب بيوتهم ونظائر ذلك[١].

يتأذىٰ من مرافقة الطلبة له

بعد بضعة أيام من وصوله إلىٰ النجف الأشرف أعرب الإمام عن رغبته في البدء بزيارةِ العلماء، وكان عدد كبيرٌ من طلبة الحوزة يرافقونه فيها [تكريماً له] الأمر الذي كان يُؤذيه ويصرح بذلك أيضاً لكن عشقهم له لم يسمح لهم بالإمتناع عن ذلك حتىٰ أنهم كانوا يسيرون خلف العربة التي كانت تقله أحياناً لبعض هذه الزيارات[٢].

ويرفض السيارة الخاصة

عندما كان الإمام مقيماً في النجف الأشرف إشترىٰ له أحد الايرانيين

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ صادق إحسان بخش.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عباس علي عميد الزنجاني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج٤، ص ٣٥.

سيارةً خاصة من ألمانيا للاستفادة منها في التنقل والذهاب إلىٰ الحرم العلوي أو لزيارة كربلاء، لكن الإمام قال بحزم: «لا أريدُ سيارة خاصة»، فقال مشتريها: لقد إشتريتها باسمك وجئتُ بها من ألمانيا لأجلك، فأجابه الإمام: «إن اصبحت ملكاً لي فإني أبيعها وأوزع ثمنها على طلاب الحوزة»، فرفض الرجل واشترط على الإمام أن لا يبيعها فأبىٰ الإمام أن يقبل بهذا الشرط، وكنا قد أخبرنا الرجل مسبقاً بموقف الإمام[١].

يتنقل وحيداً

كان الإمام يسير وحده دائماً في تنقلاته وزياراته دون مرافقين بل ويكره أن يرافقه أحدٌ تعظيماً له كما كان يرفض التحرك ضمن «موكب» من المرافقين، يقول الشيخ حسن الصانعي: رغب الإمام يوماً عندما كان في قم بزيارة أحد العلماء لكنه لم يكن يعرف عنوانه فطلب مني عنوانه، فطلبت بإصرار مرافقته كدليل على الطريق لكنه رفض[٢].

يجتنب مظاهر التكريم المألوفة في الحوزة

كان الامام ينهانا عن السير خلفه ـ بعد إلقائه الدرس ـ إذا رغبنا في ذلك ولو بحدود خمسة أشخاص فقد كان لا يحب هذا التقليد المألوف في الحوزة كأسلوب إعتاده طلبة الحوزة لتكريم العلماء. فكان يأتي للدرس ويرجع إلىٰ المنزل وحيداً ويجتنب هذه المظاهر التشريفاتية التي يُنظر إليها كعلامة على جلالة مقام الإنسان[٣].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (حوادث خاصة في حياة الإمام الخميني)، ج١.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ إحسان بخش.

لا يسمح لنا بالمشي خلفه

عندما كان الإمام يلقي دروسه في مسجد «السلماسي» في قم في الأعوام (١٣٢٧ ـ ١٣٢٨) [هـ.ش، ٤٨ ـ ١٩٤٩م] كان منزلنا بالقرب من منزله لذلك كان طريقنا للمسجد واحداً، فكنا نلتقي في الطريق في أكثر الأيام، فإذا شعر بقربنا منه سلّم وسألنا عن أحوالنا ثم أمرنا بالسير أمامه، فلم يكن يسمح لنا بأن نسير خلفه، إذْ كان يذهب إلىٰ المسجد وحده دائماً[1].

ويتوقف فور شعوره بذلك

كثيراً ما كان بعض الطلبة يلحقون الإمام بعد خروجه من المسجد إثر إنتهاء الدرس إما لحاجة ما أو لسؤاله عن بعض مطالب الدرس دون أن يكون قصدهم المشي خلفه تعظيماً له، ورغم ذلك كان الإمام يتوقف فور شعوره بالأمر ويتوجه إليهم ويسألهم عن حاجتهم. لقد كان يرفضُ ما ألفه الآخرون من سير المرافقين خلفهم[2].

يكره بشدة إضفاء الوجاهة عليه

كان الإمام يكره بشدةٍ الممارسات التي يُراد منها إضفاء الجلالة والجاهة الظاهرية عليه، وكان حازماً في النهي عن القيامِ بذلك، فإذا سار أحدٌ خلفه توجه إليه ونهاه عن ذلك، ولذلك لم يكن حتىٰ بعض أصحاب المحلات القريبة من منزلِهِ يعرفون شخصيته بدقة[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد علي الغيوري، مجلة (إطلاعات هفتكي = إطلاعات الأسبوعية)، العدد: ٢٤٤٢.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ القرهي.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد الموسوي خوئيني ها، مجلة حوزة، العدد المزدوج: ٣٧ـ ٣٨.

ليذهب السادة إلىٰ مقصدهم

من الخصال التي إمتاز بها الإمام رفضه الثابت لأن يحيط به جمعٌ من الطلبة والحوزويين في الطريق حتى لو كان بهدف الإجابة على أسئلتهم فكان يجيب عليها في منزله قدر الإمكان، كما كان يختار طريقاً قليل المارة للعودة إلىٰ منزله بعد إلقائِهِ لدروسه في السطوح العالية (الخارج)، وقد حدث مراراً أن جمعاً من السادة الراغبين في مرافقته كانوا يحاولون السير خلفه لكنه كان يتوقف فور شعوره بذلك ويقول لهم: «ليذهب السادة إلىٰ مقصدهم»[١].

تفضلوا أنتم بالرجوع

بعد سنة من وفاة آية اللّه البروجردي، تقرر يوماً أن أوصل الإمام لمنزل أحد العلماء الذي رغب في زيارته، وعندما خرجنا من المنزل جاءنا إثنان من السادة لمرافقتنا فقال لهما: «تفضلوا انتم بالرجوع» ولم يرضَ بمرافقتي له إلا لكي أدلَهُ على منزل العالم المذكور[٢].

هل لديكم سؤال؟

حدث مراراً أننا كنا نخرج سائرين خلف الإمام وهو في طريق عودته إلىٰ المنزل بعد الدرس فيتوقف ويتوجه إلينا بالقول: «هل لديكم سؤال؟»، ومقصوده هو: إذا لم يكن لديكم سؤالٌ فلا تتبعوني في السير. فقد كان لا يرغب بأن يمشي خلفه جمعٌ من الحوزويين[٣].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ القرهي.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن الطاهري الخرم آبادي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج٣، ص ٣١٨.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد علي الفيض، المصدر السابق، ج٤، ص ٨٤.

بعد وفاة آية اللّه البروجردي

سألني الإمام يوماً عن عنوان منزل أحد علماء مدينة خرم آباد كان قد وصل حديثاً منها إلىٰ قم، ورغب الإمام في زيارته، فقلت له: هل تأذنون لي بمرافقتكم إلىٰ منزله؟ فرفض إذْ أنه كان ملتزماً بعد وفاة آية اللّه البروجردي خاصة بأن لا يرافقه أحدٌ في تنقلاته[١].

طوال ١٥ عاماً

طوال هذه المدة ـ ١٥ عاماً ـ لم يكن الإمام يسمح لغير الشيخ الفرقاني بأن يمشي خلفه إذا أراد الذهاب لزيارة الحرم العلوي أو إلقاء الدرس[٢].

لا يحب أن تخفق خلفه النعال

في أحد الأيام وعند دخول الإمام المسجد الأعظم [في قم] لإلقاء درسه جهر أحد الحاضرين بالصلاة على محمد وآل محمد عليهم السلام ودعا لسلامة الإمام، فتأذىٰ الإمام من ذلك! وكان يأتي إلىٰ الدرس لوحده ويرجع لوحده أيضاً، وإذا سأله أحد الطلبة عند خروجه عن بعض مطالب الدرس، أصغىٰ لسؤاله بدقة وأجابه، ولكنه لم يكن يسمح لأحدٍ بأن يرافقه، فهو كان لا يحب أن «تخفق خلفه النعال» حسب تعبيرنا نحن الطلبة[٣].

وهكذا كان حاله في النجف أيضاً

طوال إقامته في النجف الأشرف، كان الإمام متواضعاً في هيئةِ تنقله،

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن الطاهري الخرم آبادي، المصدر السابق، ج٣، ص ٣١٨.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين آية اللّه السيد خاتم اليزدي.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عباس المحفوظي، المصدر السابق، ج٤، ص ١٣٣.

فمثلاً سرنا أنا وأحد السادة خلفه يوماً فقال لنا: «ليبق أحدكما ـ أيٌ منكما ـ ويرجع الآخر». فلم يكن يحب أن يتمايز عن الآخرين، وكان متواضعاً في الإجابة على أسئلة السائلين فإذا أجاب، كان يقف مقدماً السائل في الذهاب[1].

لا نتجرأ على أن نفتح له الطريق

يروي السيد علي الشاهرودي نجل آية اللّه المرحوم الشاهرودي ـ أعلى اللّه مقامه ـ قائلاً: رأيت الإمام يوماً في حرم مرقد الإمام علي عليه السلام وسط الإزدحام وقد إشتد إزدحام الناس إلىٰ درجة تعريضه إلىٰ السقوط في أي لحظة بسبب ضغط الناس عليه، وكان خلفه مرافقان له فقلت لهما: لماذا لا تفعلان شيئاً هل تنتظران أن يفتح الإمام لكما الطريق؟! فقالا: إننا لا نجرأ على التدخل فهو لا يسمح لنا بأنْ نفتح له الطريق!

ثم أنّ السيد علي الشاهرودي غضب مما رأىٰ وسمع فألقىٰ عباءَتَهُ جانباً وأخذ يبعد الناس عن طريق الإمام بالسلام والصلوات ولكن الإمام كان يضع يده على كتفه وينهاه عن إبعاد الناس[2].

أتريدُ أن أرجع قبل أن أزور؟

تشرف الإمام ليلةً بزيارة حرم سيد الشهداء عليه السلام وكان الإزدحام شديداً بحيث أن تدافع أمواج الزائرين كان يضغط على الإمام من كل جانب حتىٰ كاد يسقط إثر تدفق حشد كبير من الزائرين دفعة واحدة من داخل الصحن فبسط الشيخ الفرقاني ـ وكان يسيرُ إلىٰ جانب الإمام يده أمامه ـ ليبعد عنه الناس، فوقف الإمام وقال معترضاً «أتريدُ أن أرجع قبل

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ المسعودي، المصدر نفسه، ج٤، ص ١٥٨.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني.

أن أزور؟»، فتوقف الشيخ الفرقاني عن ابعاد الناس وقال: ـ كلا يا سيدي لا ترجع! أجل لم يكن الإمام يرضىٰ أبداً أن يفتح له أحدٌ طريقه في الإزدحام[1].

لا يرضىٰ أن يمشي خلفه أحدٌ ولو لبضع خطوات

كان الإمام يتمشىٰ في ساحة المنزل فذهبت أليه يوماً لتسليمه الصحف فقال لي: «ضعها في الغرفة» ففعلت وأثناء مروري بساحة المنزل صرتُ في موقع يتقدمني الإمام بخطوات فكرهت أن أتقدمه فأخذت أسير خلفه ببطء ريثما يغير مسيره فأتابع أنا طريقي إلىٰ المكتب، ولكن الإمام شعر بتحركي خلفه فوقف وفسح لي الطريق وقال: «تفضلوا»، لأنه لم يكن يرضىٰ بأن يمشي أحد خلفه[2].

إختار مسير الأزقة

كان الطلبة يمشون بعد إنتهاء الدرس خلف أستاذهم الإمام فكان يغيّر طريقه لكي لا يُقال أن مريديه كثيرون، فيمر عبر الأزقة مجتنباً الطريق الرئيسي الذي كنا نتوجه عبره إلىٰ الحرم بعد الخروج من المسجد، وكنا نظن في البداية أن الإمام ذهب إلىٰ منزله عبر تلك الأزقة، لكننا نراه فيما بعد يدخل الحرم وحينئذٍ نعرف أنه إختار مسير الأزقة لكي لا يمشي الطلبة خلفه[3].

يقطب حاجبيه إحتجاجا

بعد إنتصار الثورة كانت إشارة أخبار التلفزيون المسائية تشتمل على لقطة يظهر فيها الإمام في وسط الجموع المزدحمة حوله، ومَن دقق في هذه

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين أحمد رحمت.

(٢) السيد رحيم ميريان.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الهاشمي الرفسنجاني، مجلة (آينده سازان = بناة المستقبل)، العدد: ١١.

اللقطة لاحظ ولاشك كيف أن الإمام قد قطّب حاجبيه إحتجاجاً على ما كان يبدو محاولة قام بها أحد حراس الثورة لإبعاد الناس عن طريق الإمام[١].

تفضلوا!

كان الإمام يكره أن يرافقه أحدٌ غير شخص واحد كان يرافقه عادة، فإذا شعر بأنّ أحد طلبة الحوزة يمشي خلفه وقريباً منه، توقف وقال له: «تفضلوا». ولهذه الكلمة معنيان: إذا كان لكم حاجة فتفضلوا بالإفصاح عنها؛ وإذا لم تكن لكم حاجة فتفضلوا بالذهاب[٢].

حفظ كرامة الناس

وصلنا خبر ونحن في النجف في أواخر عام ٤٦ وأوائل عام ١٣٤٧ [هـ.ش، ١٩٦٨م]، أن مجموعة جاءت من ايران وهي مكلفة من قبل الشاه باغتيال الإمام، فقررنا ـ بدافع الإحساس بالواجب الشرعي القاضي بحماية الإمام ـ أن نرافقه ـ وكنا في حدود سبعة أو ثمانية من الأخوة ـ عند ذهابه لزيارة الحرم العلوي مساءً وعند ذهابه للدرس، سرنا خلفه في الليلة الأولىٰ وهو في طريقه للحرم وبعد خطوات قليلة توقف وتوجه لنا قائلاً: «إرجعوا»، فتراجعنا بعض الشيء في تلك الليلة عن قرارنا السابق لكننا أبلغناه بعزمنا الراسخ على القيام بذلك ـ رغب هو في ذلك أم لم يرغب ـ إنطلاقاً من إحساسنا بأنه واجب شرعي علينا. وبالفعل إلتزمنا بذلك. وفي إحدىٰ الليالي كان الإزدحام شديداً في الحرم العلوي وكان الزوار الايرانيون يتدافعون لتقبيل يد الإمام الأمر الذي كان يؤدي أحياناً إلىٰ الضغط عليه فكنا نتدخل لفتح الطريق أمامه وإبعاد الناس عنه فكان يعترض ـ وهو في وسط هذه الضغوط ـ ويقول: «لا تدفعوا الناس»، بل

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٥.

كان يبعدنا بيده عن الزوار احتراماً وصوناً لهم من أدنى إهانة[1].

إرجعوا إنني ذاهبٌ لوحدي

ذهبنا إلى كربلاء المقدسة في زيارة الأربعين في سنة ١٣٤٦ [هـ.ش، ١٩٦٧م]، وبعد إنتهاء إقامة الإمام للصلاة مع مجموعةٍ من أنصاره في حسينية المرحوم البروجردي، أراد الذهاب إلى محلِ إقامته القريب من حرم أبي الفضل العباس عليه السلام، وكان الإزدحام شديداً، فقررنا ـ أنا وبعض الأصدقاء ـ مرافقته لحمايته من الأخطار المحتملة بسبب شدة الإزدحام ولكي لا يخرج وحده، خرجنا خلفه من الحسينية، لكننا لم نتحرك أكثر من عشر خطوات حتىٰ شعر الإمام بمشينا خلفه فتوقف وتوجه إلينا بالقول: «إرجعوا، إنني ذاهب لوحدي»[2].

الواجب أن أزوره لوحدي

قرر يوماً أن يذهب الإمام لزيارة أحد كبار علماء الحوزة، فتجمع عددٌ من الطلبة الذين عرفوا بالأمر قرب منزله لمرافقته في هذه الزيارة، فلما خرج ساروا معه، فالتفت إليهم ولم يقل شيئاً حتىٰ وصل إلىٰ منزل ذلك العالم وفُتحت بابه فدخل وأغلق البال بنفسه، وكان معنىٰ هذا الفعل هو: «ليذهب السادة فالواجب أن أزوره لوحدي»، فتفرق السادة جميعاً وقد تعلموا من الإمام درساً في الأخلاق[3].

إن مرافقتكم لي تؤذيني

تابعتُ ليلةً الإمام في زيارته للحرم العلوي وأنا أسير خلفه، وعندما

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد المحتشمي، المصدر السابق، ج١.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ حسن الروحاني، مجلة (زن روز = إمرأة اليوم)، العدد: ٨٥١.
(٣) آية الله الشيخ القديري، صحيفة جمهوري اسلامي الملحق الخاص بالذكرىٰ الثانية لوفاة الإمام.

خلع حذاءَهُ وسلمه لخدمةِ الحرم في مدخله ودخل الرواق الأمامي شعر بمتابعتي له فالتفت إليّ وقال: «إنّ مرافقتكم لي تؤذيني». فقلتُ: لكننا نحن أيضاً نرغب في زيارة الحرم، فقال: «زوروا في وقتٍ آخر»، فقلتُ: إن واجبنا أن نحميكم، فقال: «إذن فلا تسيروا خلفي، بل راقبوا الوضع من الجانب الآخر للطريق...»[١].

لا يحق لأحد أن يرافقني عند خروجي من المدرسة

في سنةِ ١٣٤٨ [هـ.ش، ١٩٦٩م]، أعطيت (٦٠) ألف تأشيرة للحجاج الإيرانيين لزيارة العتبات المقدسة في العراق، وقد اشترك عددٌ كبيرٌ منهم في صلاة الجماعة التي كان يقيمها الإمام في مدرسة البروجردي، وعزموا على مشايعة الإمام عند خروجه بترديد الصلوات بصورة جماعية، لكن الإمام كان يأمر كل ليلة وفور إنتهاء الصلاة بإعلام الحاضرين بعدم سماحه لأحد بمرافقته عند خروجه من المدرسة، ولذلك كان الزوار يبقون في المدرسة إلىٰ أن يبتعد عنها ثم يخرجون منها بصورة متفرقة. وقد اتخذ الإمام هذا الموقف رغم أنه كان غريباً في العراق ولا ناصر له[٢].

يمرُّ كفردٍ عادي

أراد الإمام يوماً الذهاب إلىٰ مجلس لقراءة الفاتحة، فخرج وحده مثل أي طالب حوزوي بسيط أو فرد عادي وعبر من صحن حرم أمير المؤمنين عليه السلام في وسط إزدحام الناس الشديد بدون مرافقين وبدون ترديد الصلوات وأمثالها[٣].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ فردوسي بور، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٤.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، المصدر السابق، ج١.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن الطاهري الخرم آبادي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج٣، ص ٣١٧.

إما أن تتقدموا أو تصبروا حتىٰ أبتعد

بعد أيام من وفاة المرحوم أية اللّه البروجردي، تقرر أن يذهب الإمام إلىٰ مجلس عقد لقراءة الفاتحة على روحه، فسرنا ـ أنا والمرحوم الشيخ الإشراقي وشخص ثالث ـ خلفه، فتوقف وقال لنا: «إما أن تتقدموا أو تصبروا حتىٰ أبتعد عنكم»! فكان دائماً يمشي وحده ويرفض أن يسير خلفه أحد[1].

لا أحب أن تُستصغر شخصياتكم بمشيكم خلفي

أتذكر أننا إلتقينا الإمام صدفة يوماً وهو في طريقه إلى الحرم وكنا نحن متوجهين إليه أيضاً، فأخذنا بالسير خلفه، فلما شعر بنا، توقف وقال: «هل للسادة من حاجة؟»، فقلنا: كلا، لكننا نحب مرافقتكم بحدِّ ذاتها فهي تسرنا! فقال: «شكر اللّه سعيكم، وأشكركم على ذلك، انتم سادة وطلبة ومحترمون، ولا أحب أن تُستصغر شخصياتكم بمشيكم خلفي»[2].

أحبط مخطط التجليل!

زار أحد علماء إيران النجف بعد عودته من الحج، ونزل في بيت أحد العلماء، فجاء أحد الأشخاص للإمام لكي يأخذه لزيارته وكان قد خطط لإحاطة هذه الزيارة بنوع من التكريم والتجليل للإمام، فجمع عدداً من الأشخاص عند منزل الإمام لكي يرافقوه في هذه الزيارة، فلما خرج الإمام وشاهدهم أمرهم بالإنصراف بل وأمر أحد أعضاء بيته ـ وهو الذي رتب مقدمات الزيارة ـ بالبقاء في البيت رغم شدة إلحاحه وأصراره على أن يرضىٰ الإمام بمرافقته له، فرفض الإمام ولم يسمح لأحدٍ بأن يرافقه سواي وسوىٰ الشخص الذي كان يعرف عنوان منزل العالم المذكور[3].

---

(١) السيد محمود البروجردي، كتاب (حوادث خاصة في حياة الإمام الخميني)، ج٣.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، المصدر السابق، ج٦.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ القرهي، المصدر السابق.

إقامة الامام الصلاة في مسجد الشيخ الأنصاري

كان الإمام يقيمُ صلاتي الظهرين في بيته، وكان بالقرب من بيته المسجد المعروف بمسجد الترك الذي يروىٰ أن الشيخ الأنصاري كان يصلي ويُدّرس فيه لذلك كان يُسمىٰ بمدرسة الشيخ، وكان يقيم الجماعة فيه أحد علماء النجف هو المرحوم السيد بحر العلوم، فلما مرض لم يستطع إقامة الصلاة في هذا المسجد المهم فطلبوا من الإمام إقامتها فيه حتىٰ أن السيد بحر العلوم نفسه أرسل مَن يطلب من الإمام ذلك لكن أخلاقه وجلالته لم تسمح له بذلك فرفض تلك الطلبات المتكررة حتىٰ جاء هذا العبد الصالح ـ السيد بحر العلوم بنفسه ورغم ضعفه وكبر سنه ـ وقال للإمام: إنني لن أذهب إلىٰ الصلاة لو لم تذهب أنت، فقبل حينئذٍ، ثم إنّ بعض العلماء جاؤوا لمرافقة الإمام بصورة جماعية خلال ذهابه للمسجد تكريماً له، لكنه رفض وأصرّ على رفضه حتىٰ بعد أنّ ألحّ عليه إثنان أو ثلاثة من العلماء أن يرافقوه وحدهم لا غير[١]!

إجتناب السمعة والوجاهة والزعامة

مُنذ البداية كان الإمام يجتنب كل عملٍ فيه شائبة طلب السمعة والوجاهة والزعامة، فلم يكن ـ مثلاً ـ يسمح لأحد بأن يمشي خلفه وإذا كان لأحد طلابه سؤال يعرضه عليه في الطريق كان يتوقف للإجابة عليه ثم يقول للسائل: «تفضلوا بالذهاب»[٢].

على الانسان أن يربي نفسه قبل الزعامة

إقترحَ عددٌ من المجتهدين والأساتذة والفضلاء الذين كانوا يحضرون درس الإمام وبعد وفاة السيد البروجردي، أن يقيم الإمام مجلساً للفاتحة

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ التوسلي، مجلة حوزة، العدد: ٤٥.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد الموسوي التبريزي، مجلة (جهاد)، العدد: ٣.

على روحه فكان يجيبهم: «ليقيم السادة ذلك ونحن نشارك فيه»، فقطع الآمال مُنذ البداية وكان متحرراً من طلب مثل هذه الزعامات. . . لم يكن يجلس في المقعد الخلفي لسيارات النقل بل يجلس جنب السائق فيبعد كل شبهة محتملة، بل ولم يكن يسمح لأحد من طلبته بأن يوجه إليه سؤالاً خارج المسجد، وهو يقول في كتابه «الجهاد الأكبر»: «على الإنسان أن يربي نفسه قبل أن يصبح معروفاً أو قبل أن تكبر عمامته وتطول لحيته، وإذا لم يفعل قبل ذلك فلن يفعله بعده أيضاً»[1].

شق صفوف المشيعين فوراً

كان الإمام ملتزماً بالتنقل دون مرافقين، وغاية الأمر أنه كان يسمح لولده المرحوم السيد مصطفىٰ بمرافقته أحياناً. وقد رأيته قبيل تفجر الثورة يشارك في تشييع أحد العلماء الكبار في قم، ثم أنه شق صفوف المشيعين فوراً وعاد لأن عدداً من العلماء والناس إلتفوا حوْلَهُ[2].

يتأذىٰ إذا أشرنا لأحدٍ بالقيام

لم يكن الإمام يسمح لنا بإبعاد ولا شخصٍ واحدٍ عن طريقه وهو يزور الحرم العلوي في النجف، بل إنه كان يفتح الطريق بنفسه لمن كان يرافقه عادة في الزيارة، وكان يرافقه عادة شخصٌ واحدٌ أو إثنان. وأتذكر أن الحرم كان مكتظاً جداً بالزوار عند دخول الإمام في ليلة العيد، فمددتُ يدي أمامه لكي لا يتعرض للضغط من حشود الزوار، فسحب يدي فوراً ومنعني من أن أبعد أحد الأشخاص عنه!، وكان يتأذىٰ أيضاً إذا أشرنا لأحدٍ بأن يتخلىٰ عن مكانه للإمام لكي يقف فيه للزيارة في حين أن معظم

---

(١) المصدر السابق.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدواني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٦.

الأوقات التي كان يذهب فيها الإمام للزيارة كانت تشهد إزدحام الحرم بالزوار فيصعب الحصول على مكان يزور فيه، ولذلك كان أحد الإخوة يذهب للحرم قبل موعد ذهاب الإمام بنصف ساعة ويتخذ له مكاناً فيه وينشغل بالدعاء والصلاة إلىٰ حين دخول الإمام للحرم وعندها يتخلىٰ عن مكانه للإمام الذي لم يكن يعترض لأنه من معارفه[١].

منعني من التعرض للزوار

كان الإمام يتأذىٰ بشدة من أن يحيط به مرافقون وأمثال ذلك، وقد شاهدتُ بنفسي مراراً أن ضغط إزدحام الزوار كان يشتد عليه ويعتصره مع كبر سنه وضعف بدنه، لكنه رغم ذلك لم يكن يسمح لأحد بإبعاد الناس عنه وفتح الطريق أمامه، يروي المرحوم السيد «إملائي» قائلاً: ـ رأيت الإمام يوماً في حرم الإمام الحسين عليه السلام في وسط الزوار ولم يكن قادراً على التحرك بسبب شدة الإزدحام، فسارعت لإبعاد الناس وفتح الطريق له، فتغيّر وجهه وتعرّضَ لي مانعاً عن قيامي بذلك، لكنني تابعت عملي هذا، فالتفت فجأةً فوجدته قد غيّر مسيره وأعرض عن الطريق الذي فتحته له وسار باتجاه آخر وسط الجموع[٢]!

تحمرُ يده دون أن يعترض

كان الإمامُ حسينياً للغاية، ملتزماً بزيارة كربلاء في أيام محرم وتلاوة زيارة عاشوراء ـ مع ما ورد فيها من السلام واللعن مائة مرة ـ كل يوم، وهذا العمل كان يستغرق ساعة ونصف وكان يقوم به ـ رغم كبر سنه ـ في الحرم الذي يشتد الإزدحام فيه في هذه الأيام خاصة عن جهة الرأس الشريف حيث كان يقف الإمام للزيارة، ولذلك كان الزوار يعبرون من أمامه وعن جانبيه

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الناصري، المصدر السابق، ج٤.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني.

دون أن يسمح لنا بالإشارة إلىٰ أحد بالإنتباه والإمتناع عن العبور، فإذا شعر بأنني قمتُ بذلك قال: «ألا تريدُ أن أتابع الزيارة؟!». كما كان لا يجلس أبداً جانب الجدار ـ كما يفعل البعض ـ فيأمن من ضغوط تردد الزوار، ولكي يمكنه الإتكاء على الجدار، خاصة مع كبر سنّه والتعب الذي يصيبه بسبب استمرارالزيارة لساعةٍ ونصف. وكنت أرىٰ أحياناً أنّ بعض الزوار من الأعراب يعبرون من فوقه وهو ساجد فيدوسون كفه فأراها وقد إحمرّت دون أن يعترض الإمام ولا بكلمةٍ بل ولا بإشارة[١].

دعه وشأنه

كان الإمام منشغلاً بالزيارة عندما حال شخصٌ بينه وبين الضريح المقدس، وكنا نعرف رفض الإمام لإيجاد مزاحمة لأحد بسببه أو التعامل بصورةٍ تُعد من مظاهر التشريف له في الحرم، لذلك سعينا إلىٰ تنبيه ذلك الشخص بطريقةٍ أو بأخرىٰ بأنه حال بين الإمام وبين الضريح المقدس، فلم ينتبه، لذلك تقدمت ومددت يدي لتنبيهه ـ وأنا أظن أن الإمام لا يراني ـ فأخرج الإمام يده من تحت العباءة وأمسك بيدي وقال: «دعه وشأنه»[٢].

أنتم لا تدعوني أزور

كان الإمام يوصينا دائماً بأن نسمح له بزيارة الحرم كفردٍ عادي، فلم يكن يرغب بالعمل بما يُشعر الناس بأن الزائر هو مرجع للتقليد مثلاً، وقد حدث مراراً أنه كان يعجز عن التحرك بسبب الإزدحام ورغم ذلك لا يسمح لنا بفتح الطريق له وإذا قمنا بأدنىٰ حركة من أجل ذلك قال: «أنتم لا تدعوني أزور»[٣].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الناصري.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

أوصل نفسه بنفسه إلىٰ الضريح المقدس

كنتُ أرافق الامام وحدي في زيارة حرم السيدة المعصومة [فاطمة بنت الامام موسىٰ الكاظم عليه السلام في قم]، وكان الازدحام شديداً، فهممتُ أن أطلب من الناس أن يفسحوا في الطريق للإمام لكي يزور فرمقني بنظرة حادة وقال: «دعهم وشأنهم»، وشرع بالزيارة وسط الناس. فالامام لم يكن يُميّز نفسه عن الناس بشيء أصلاً. وفي ذلك اليوم أيضاً إستطاع إيصال نفسه بنفسه وسط أمواج الزائرين وبصعوبة بالغة وبعد مدة إلىٰ الضريح المقدس حيث أخذ بتلاوة الزيارة[١].

تقدموا إلىٰ الامام لكي يتسع المكان

كان مسجد «السلماسي» يضيق بطلبةِ الإمام عند إلقائِهِ الدرس، فطلبنا منه مراراً أن يختار لدرسه مكاناً آخراً أوسع، ـ وكان هذا رأي جميع السادة الطلبة ولم يكن هدفهم من هذا الطلب الرعاية له ـ ولكنه كان يرفض هذا الطلب ويقول: «تقدموا إلى الامام قليلاً لكي يتسع المكان للبقية». وبقي يلقي درسه من على المنبر وبعض الطلبة يجلسون على الرفوف حتىٰ أقنعه الشيخ نصرالله الخلخالي ـ وكان من أنصاره ـ بالتدريس في المسجد الأعظم بعد طول إلحاح، لأنه كان يجتنب الحضور في أي مكان إذا كان ذلك يُفسر مثلاً بأنه استعراض لسعة النفوذ والوجاهة[٢].

إجتناب الحضور في المحافل الإجتماعية بهيئةٍ مميزة

كان الإمام يجتنب الحضور في المحافل الإجتماعية بالهيئةِ المألوفة

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي أكبر المسعودي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج٤، ص١٥٤.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين عبد العلي القرهي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٦.

لحضور سائر العلماء بها بل وكان بعضهم يهتم بالظهور بها فقد كان فيه ميل للعزلة ولاجتناب الظهور، فمثلاً كان متعارفاً في قم أن يزور الطلبة علماء الحوزة في الأعياد، لكنه كان لا يولي أهمية لذلك، وأتذكرُ أننا ـ أنا والشيخ حسن الصانعي والشيخ الرباني الأملشي وبعض الأخوة الآخرين الذين كنا نشكل مجموعة خاصة أيام الدراسة ـ قد سعينا كثيراً لإقناع الإمام بالقبول بإقامة تلك المراسم لكي يتمكن الطلبة ومحبوه من زيارته أيام الأعياد، وبالغنا في الإلحاح عليه للقبول إلى حدِّ التجرأ عليه، بمعنىٰ أننا عاودنا الذهاب إليه من أجل ذلك حتىٰ أجبرناه على القبول دون أن يقنع، لكنه على أي حالٍ لم يسمح بإحاطة ذلك بمظاهر خاصة[1].

لا يوجد من يتولىٰ القيام بالترتيبات اللازمة

كنا ـ الشيخ الرفسنجاني وأخي آية اللّه الشيخ يوسف الصانعي والمرحوم الشيخ الرباني الأملشي وأنا ـ نحضر درس الإمام، وكنتُ والشيخ الرفسنجاني والشيخ الأملشي نجلس في المقدمة على بعد متر واحدٍ من الإمام الذي كان يجلس متربعاً طوال مدة الدرس:

وكان من المتعارف أن يجلس المراجع وكبار العلماء في الأعياد ووفيات الأئمة لاستقبال الزائرين، لكن الإمام كان يجتنب ذلك، فكان يعود فور إنتهاء إلقائِهِ الدرس إلىٰ منزله، وإلىٰ اليوم التالي رغم أن مجلس درسه كان كدرس آية اللّه البروجردي في كيفيته وكمية الحاضرين فيه. فطلبنا ـ نحن الثلاثة ـ منه ـ وبعد إنتهاء الدرس ـ أن يجلس لاستقبال الزائرين في الأعياد، وكان المتحدث نيابةً عنا الشيخ الرفسنجاني الذي قال: ـ إننا نرغب ـ يا سيدي ـ في زيارتكم يوم العيد القادم وكذلك حال بقية طلبتك ومحبيك. فرفض الإمام بشدة رغم طول إلحاحنا؛ لكننا

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الهاشمي الرفسجاني، مجلة ندا، العدد الأول.

عاودنا المحاولة بعد أيام فأجابنا ـ في مواجهة هذا الإلحاح ـ: «لا يوجد من يتولىٰ القيام بالترتيبات اللازمة»، فأجبناه: نحن نتولىٰ ذلك! وبالفعل ذهبنا ـ الشيخ الرفسنجاني والشيخ الأملشي وأخي الشيخ يوسف وأنا ـ إلىٰ بيته في أول عيد في الصباح الباكر وأكملنا ترتيب الأمور إلىٰ الظهيرة[١].

هل لدينا ما نجيب به رسول الله(ص)

سعىٰ بعض الحوزويين في النجف إلىٰ وضع برنامج معين تحت غطاء رعاية مراتب مراجع التقليد، في حين كان الهدف الحقيقي الحط من مكانة الإمام وموقعه الإجتماعي، فشق ذلك على الأصدقاء وأمروني وإثنين من الأخوة بعرض هذا الأمر على الإمام نيابةً عنهم، فقلتُ له ـ وكنت أكثر صراحةً في التحدث معه ـ: لكل مجتمع أعراف وتقاليد لا إشكال في رعايتها كما يظهر، ومكانتكم الإجتماعية تجعلكم ملكاً لعامة المسلمين، فيجب حفظ هذه المكانة من أجل الإسلام في حين أن أولئك السادة يريدون الحط منها أو المس بشخصيتكم ـ لا سمح الله ـ حسب أوهامهم بهذا البرنامج، لذا فإننا نطلب منكم عدم القبول بهذا البرنامج إستناداً إلى الأعراف الحاكمة في هذا المحيط [الحوزة].

وبعد إنتهاء كلامنا نقل الإمام قصة جعلتنا نحس بالضعةِ والخجل في مقابل عظمة روحه. قال: «كانت الأزقة في السابق مظلمةً بسبب عدم وجود الكهرباء، وكان أحد السادة يتوجه إلىٰ أحد المجالس وأمامه يسير شخص يحمل فانوساً ينير له الطريق طبق ما هو متعارف في ذلك الزمان، فصادف في طريقه سيداً آخراً كان يذهب إلىٰ المجلس نفسه، فابتعد عنه بمقدارٍ ليعرف من يراهما أن له شخصاً مخصصاً لحمل الفانوس ضمن حاشيته ليظهر بذلك وجاهته!». وبعد نقل هذه القصة قال الإمام: «إذا

---

(١) آية الله الشيخ حسن الصانعي، صحيفة جمهوري إسلامي، ١٨/ ٣/ ١٣٧٣ [هـ.ش].

زجونا يوم القيامة في صف واحدٍ في حضور رسول الله ﷺ وسألونا عن مثل هذه الأعمال، فهل أعد السادة جواباً عن قيامهم بتقديم هذا وتأخير ذاك؟! هل لدينا ما نجيب به رسول الله ﷺ إذا سألنا يومذاك عن مثل هذه الأمور الإعتبارية التي يهتمُ بها السادة؟!»، ثم قال: «لينفذ السادة البرنامج الذي أعدوه»[1].

لا تلصقوا بي هذه العناوين

عُقد إجتماعٌ في الأيام الأولىٰ لوصول الإمام إلىٰ باريس بحضور حجة الإسلام الحاج السيد أحمد، وبني صدر، وقطب زادة، والدكتور اليزدي، والمرحوم الإملائي وغيرهم، للبحث بشأن إدارة وتنظيم أمور مكتب الإمام في باريس وتنسيق نشاطاته، وتم تشكيل لجنة باسم «لجنة إتخاذ القرار»، وكذلك لتعيين شخص مسؤول لكل جانب من نشاطات المكتب، مثل ترتيب محل الإقامة، الإطعام، ترتيب اللقاءات والمقابلات الصحفية، الترجمة، الإتصالات الهاتفية وغير ذلك. وقررت اللجنة أولاً إصدار بيان يتضمن توضيحات بشأن أسباب ومجريات هجرة الإمام من النجف الأشرف إلىٰ الكويت ثم إلىٰ باريس. وقد كلفوني بكتابة هذا البيان لأنني كنت قد رافقت الامام في هذه الرحلة، فكتبت البيان المطلوب ولكن وقع إختلاف بين أعضاء اللجنة بشأن مَن يصدر البيان باسمه، هل يصدر باسم شخصٍ معين أم باسم رئيس مكتب الإمام، أم باسم لجنة إتخاذ القرارات، أم باسم المكتب الخاص، أم بأسماء مرافقي الإمام وحاشيته. ثم عُرض نص البيان مع العناوين المقترحة لمن يصدر باسمه على الإمام، فأجرىٰ على نصه بعض الإصلاحات وأعرب عن رأيه بشأنه ثم قال: «أنا رجل دين وطالب علم أنجزُ أعمالي بنفسي فلا تلصقوا بي لا عنوان هذه اللجنة، أو المكتب الخاص ولا غير ذلك»[2].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد الكريمي، مجلة (باسدار إسلام = حارس الإسلام)، العدد: ٨.
(٢) صحيفة جمهوري اسلامي، ١٨/ ١١/ ١٣٦٣ [هـ. ش].

إبتعدوا كأنكم تزفون عروساً

كان إزدحام الناس شديداً للغاية في مدرسة الفيضية وما حولها في ذلك اليوم الذي ألقىٰ الإمام خطابه التاريخي، فقد تدفقوا على قم من الكثير من المدن القريبة والبعيدة ولعل انتقال الإمام وسط الجموع المحتشدة من باب المدرسة إلىٰ إيوانها الذي ألقىٰ منه ذلك الخطاب، قد إستغرق يومذاك قرابة الساعة. وقد خشيناأن يؤدي رجوعه من الطريق نفسه إلىٰ إلحاق صدمات شديدة به لذلك قررنا إخراجه ـ بعد إنتهاء الخطاب ـ من باب المدرسة المتصلة بصحن حرم السيدة المعصومة، ولكنه رفض ذلك وقال: «كلا أرجع من حيث أتيت»، فتوسلنا بالشيخ الإشراقي وكرر هذا الطلب منه فكرر الإمام رفضه. ولم نلتفت في البداية إلىٰ أن من المحتمل أن يكون هذا الرفض بهدف قطع الطريق على تصور بعضهم بأنه ألقىٰ هذا الخطاب العنيف ثم خرج من الباب الخلفية، فلما إنتبهنا لذلك قال له بعض الأصدقاء: إن الجميع يعرفونك يا سيدي، ويعرفون أنك لست الذي يقول شيئاً ثم يتوارىٰ، ولكن جميع الشوارع المحيطة مليئة بالناس فلا يمكن للسيارة أن تتحرك فيها. فقبل الإمام حينئذٍ بتغيير مسيره، وعندما خرج من تلك الباب لحقت به مجموعة كبيرة من الجماهير للسلام عليه فحمله عددٌ من الرجال الأشداء من متديني طهران لينقلوه بسرعة عبر صحن المسجد الأعظم إلىٰ الجسر الحديدي ليركب السيارة هناك، فضغط الإمام على أيديهم بعصبية ودفعها قائلاً: «إبتعدوا ما بالكم؟ كأنكم تزفون عروساً»[1]!

الأهالي هم الذين يحرسونني

ظهرت في الأيام الأولىٰ لإقامة الإمام في قم [بعد إنتصار الثورة] مشكلة فيما يرتبط بحمايته وتوفير الأمن له، وهي أنه كان لا يسمح بأن

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد عبد المجيد الإيرواني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٥.

يرافقه حرس مسلحين ويكرر القول: «لا أريد حارساً مسلحاً»، في حين كان يذهب في الليالي لزيارة فضلاء الحوزة وعوائل الشهداء، وكان أهالي قم يسارعون للخروج من منازلهم فور معرفتهم بمرور الإمام من أحد الأزقة والشوارع فيحيطون بسيارته ويصعدون سقفها بحيث يصعب على السائق قيادتها، ورغم ذلك كان الإمام يقول: «لا حاجة لأن يرافقني الحرس، الأهالي هم الذين يحرسونني»[1].

يجتنب صدر المجالس

كنت أرىٰ الإمام ـ قبل أن يفجّر ثورته ـ يجلس حيثما وجد مكاناً في أي مجلسٍ يدخله، وغالباً ما كان يجلس قرب الباب وفي وسط عامة الناس، علىٰ العكس تماماً من الآخرين الذين كانوا لا يجلسون إلا في صدر المجلس ولو كان ممتلئاً. لقد كان الإمام يجتنب دائماً صدر المجالس[2].

أزاح البساط الخاص قبل درس الأخلاق

في بعض السنين كان الإمام يقضي فصل الصيف وأيام تعطيل حوزة قم، في مدينة محلات، وكان يلقي درساً في الأخلاق في مسجدها الجامع قبل غروب الشمس، وكذلك في شهر رمضان المبارك، فجاء يوماً إلىٰ المسجد ووجد أنهم قد فرشوا له بساطاً، فأزاحه فوراً وجلس على سجاد المسجد كسائر الحاضرين وشرع في إلقاء الدرس[3].

هل يتنقل الإمام بهذه البساطة؟!

وصلت صحفيةٌ إلىٰ قم ـ بعد إنتصار الثورة ـ قادمة من لندن، وكانت تعرفني من أيام إقامتي في لندن، فجاءت إلىٰ بيتي وطلبت بإلحاح أن

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأنصاري الكرماني، المصدر السابق، ج٢.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد الروحاني، المصدر السابق، ج١.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين التوسلي، المصدر السابق، ج٢.

أرتبَّ لها لقاءً مع الإمام، فاتصلت بالمرحوم الإشراقي هاتفياً، وأخبرته بطلبها، وذكرت له أنّ لديها أسئلة كثيرة تريدُ توجيهها للإمام، فلم يوافق على هذا الطلب. فزارنا الإمام في منزلنا بعد أيام وقد صادف أن هذه الصحفية كانت في ضيافتنا أيضاً! ومع مجيء الإمام وجدت الجواب على جميع أسئلتها، ثم سألتني: عجيبٌ ما رأيتُ! هل أن الإمام يزور الناس بهذه البساطة؟!، فقلت لها: نعم إنه يزور منازل الطلبة العاديين أيضاً. فقالت: هذا الرجل الذي أوجد كل هذه الوقائع في العالم يأتي إلىٰ هنا دون أية ترتيبات خاصة، إن هذا لأمرٌ عجيب! لقد أوجدت مشاهدتها لهذه البساطة مودةً خاصة في قلبها للإمام؛ خاصةً وأنها كانت قد شاهدت عن قرب المواكب الملكية ومراسمها المعقدة.

وبعد ذهابه، تدفق الجيرانُ على منزلي ليتبركوا بشرب الماء بالكأس الذي شرب منه الإمام، واستمر الحال على ذلك لأكثر من أسبوع، فكنا نصب الماء في هذا الكأس والناس يشربون الماء به، بل وجاءنا أناس من طهران وقالوا: سمعنا أن الإمام قد زاركم! فكانوا يمسحون أيديهم على حلويات قدمناها له ويشربون الماء بالكأس الذي شرب به[1]!

لا حاجة لوضع المصباح هنا

كان يفصل بيت الإمام في النجف عن الشارع الرئيسي زقاقان مظلمان فأمرني المرحوم الشيخ نصرالله الخلخالي بشراء مصباح ونصبه على واجهة منزل الإمام لينير له الزقاق، ففعلتُ، ولكن ما أن وقعت عين الإمام عليه سألني: «هل أنت الذي نصبتَ هذا المصباح، فقلت: نعم. فقال: «لا حاجة إليه ولا ضرورة له»، فهو لم يكن يحب أن يتمايز عن باقي الناس بشيء[2].

(١) حجة الإسلام والمسلمين أحمد الصابري الهمداني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج٣، ص ٢٧٦.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد العلي القرهي.

لا فرقَ بيني وبين الآخرين

هطلت الأمطار مدةً في ضاحية «نوفل لوشاتو» أيام إقامة الإمام فيها وكان الإمام يقيم الصلاة في غرفة على سطح المنزل وكان الداخلون إليها يخلعون أحذيتهم عند بابها حيث تجمع مقدارٌ من ماء المطر وصارت أرضها رطبة، فقلتُ للإمام: الأرضُ رطبة يا سيدي، والمطر مستمر فاخلع نعليك داخل الغرفة! فتبسم وقال: «وماذا يفعل الآخرون؟ إنني مثلهم أفعلُ ما يفعلون»، فخلع نعليه خارج الغرفة ودخل للصلاة[١].

لم نجد أثراً لتلك المراسم

في العهد الملكي، ذهب الإمام مرةً لزيارة مشهد الإمام الرضا عليه السلام بواسطة حافلة نقل عامة كبيرةٍ وصادفَ أن كنتُ أحد ركابها، وكنتُ يومها طالباً شاباً لكنني كنت أعرف مكانة الإمام العلمية والإجتماعية، فرأيته في غاية البساطة، فمثلاً عندما وصلنا إلىٰ مدينة سمنان توقف الباص مدة، فتناول الإمام طعامه ثم جدد وضوءَهُ وفرش عباءته وجلس عليها ثم استراح قليلاً، فتصوروا كيف يكون تأثير هذا السلوك المتواضع لأحد اساتذة الحوزة ومجتهديها العظام؟! كان واضحاً لكل ذي عين أن عمله(خالصاً) للّه تعالىٰ. وعندما توقف الباص عند مرقد «الخواجة ربيع» نزل الإمام مثل بقية المسافرين وزار المرقد ورجع. وقد أثارت بساطته إعجابنا جميعاً، فقد كنا نتصور أن الإمام لو أراد السفر إلى مشهد فلا مناص من إحاطةِ سفرهِ بمراسم خاصة، لكننا لم نجد أثراً لهذه المراسم[٢].

---

(١) السيد مصطفى كفاش زاده.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ أحمد الصابري الهمداني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج٣، ص ٢٧٠.

لا ترفعوا أصواتكم بالصلوات من أجلي

كان الإمام يقضي صيف بعض السنين في مدينة محلات، وقد طلب منه علماؤها ـ الذين كانوا يكنون له الإحترام ـ عندما وصلها في صيف سنة (١٣٢٥) [هـ.ش، ١٩٤٦م] أن يتصدىٰ لإمامةِ صلاة الجماعة في مسجدٍ يخصصونه له لكي يستفيد الأهالي من بركةِ وجوده، فلم يقبل وقال: «دعوني وشأني، وواصلوا أنتم مهامكم. وبعد أيام من دخول شهر رمضان جاؤوه مرةً أخرىٰ وقالوا: لقد رفضتم إمامة صلاة الجماعة، فلا ترفضوا طلبنا بأن تلقوا درساً يستفيد منه الطلاب. وبعد إلحاح وافق الإمام على الطلب الثاني فكان يلقي في الساعة الخامسة بعد الظهر درساً في مسجدٍ في وسط المدينة، حيث كان يجلس على الأرض عند أحد أعمدته ويلتف المستمعون حوله.

وقد رأيتُ في هذا الدرس عبرتين لا أنساهما ما حييتُ. الأولىٰ أن جمعاً من علماء المدينة حضروا الدرس في اليوم الأول فقال لهم الإمام بعد إنتهائِهِ: «إذا أردتم حضور هذا المجلس العام فإني سأعطلُهُ! ينبغي حفظ مكانتكم عند الناس». أما الثانية فهي أنه كان من المتعارف أن ينادي أحدٌ بأن يرفع الناس أصواتهم بالصلوات على النبي وآله ـ إذا دخل عالم المسجد وذلك كتعبير عن الإحترام لعلماء الدين، وهذا ما فعله أحدهم عند دخول الإمام المسجد في اليوم الأول، فاستدعاه الإمام وقال له: «إذا كنتم ترفعون أصواتكم بهذه الصلوات من أجل النبي الأكرم، فأرفعوها في غير وقت دخولي المسجد، وإنْ كنتم ترفعونها من أجل دخولي المسجد فإنني لست راضٍ بذلك».

وأتذكر موعظةً للإمام في هذا الدرس حيث قال بلغةٍ واضحة للغاية: «أيها الاخوة المسلمون الأعزاء، إذا وجدتم نفوسكم تتغير ويصيبها التفاخر والتعالي عند ارتداء السروال والمعطف الجديد المعد من الصوف، ففكروا في مصدر تهيئةِ قماش هذه الملابس الصوفية الفاخرة، أليست معدة من

الصوف الذي كان يغطي بدن الخروف دون أن يوجد فيه تفاخراً أو غروراً، فكيف يصيبكم بذلك إذا حيك وصبغ وخيط وتحول إلىٰ سروال، ومعطف؟! فأي ذلة أو شقاء أشد من أن نفرح بمثل هذه الأشياء التافهة»[1].

أزاح العباءة الصوفية وجلس مثل طلبته

كان مسجد السلماسي محل تدريس الإمام في قم، وهو مسجد متواضع كان يُفرش بنوعٍ من السجاد الرقيق الذي يُعتبر الجلوس عليه في الشتاء البارد نوعاً من الرِّياضات النفسانية! فتباحث طلبة الإمام بهذا الشأن وقالوا: ليس صحيحاً أن يجلس الإمام على هذا السجاد البارد؛ فقام أحد الطلبة وفرش عباءته الصوفية ـ بعد أن طواها عدة طيّات ـ في المكان الذي يجلس فيه الإمام عادةً عند إلقاء الدرس الأمر الذي أدخل السرور على جميع الحاضرين باستثناء الإمام الذي تغيّر وجهه عندما دخل وشاهدها، فأزاحها عن مجلسه وجلس مثل بقية الطلبة على السجاد البارد، وكانت آثار عدم الإرتياح ظاهرة على وجهه طوال إلقائِهِ الدرس[2].

ويجلس حيثما وجد مكاناً خالياً

عندما كان الإمام في النجف كان يجلس في أي مكان يجده خالياً في أي مجلسٍ يدخله في حين أن المتعارف هو جلوس أساتذة الحوزة والمجتهدين في صفٍ واحدٍ متميز، ولم يكن يستجيبُ لدعوات البعض بالجلوس في الصدارة في حين كان البعض يضيّق على الآخرين من أجل الجلوس في ذلك الصف وفي صدر المجالس. وكان الإمام يطوي أحياناً طول القاعة التي يُقام

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ سروش المحلاتي، صحيفة جمهوري إسلامي، العدد الخاص بمناسبة مرور أربعين يوماً علىٰ وفاة الإمام.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الرسولي المحلاتي، صحيفة جمهوري إسلامي، بتاريخ ٧/ ٤/ ١٣٦٨ [هـ.ش].

فيها مجلس الفاتحة لكي يجلس في المكان الخالي، ثم يشرع بتلاوة القرآن فور جلوسه ثم يسأل الجالسين حوله عن أحوالهم ثم يقوم ويذهب إلىٰ منزله[1].

إختيار المسجد المتروك محلاً لدرسه

بعد وصول الإمام إلىٰ النجف الأشرف بدأت زيارة علماء الحوزة وطلابها له، ثم أخذ بزيارة زائريه فيما بعد، وبعد شهر أو شهرين كثرت الطلبات التي تدعوه للبدأ في التدريس وإقترحوا عليه التدريس في مدرسة آية اللّه البروجردي التي كان يقيم صلاة الجماعة فيها لكنه ـ وبعد دراسة الموضوع باستيعاب ـ إختار مسجد المرحوم الشيخ الأنصاري ـ وكان متروكاً ـ محلاً لإلقاء دروسه[2].

يرفض تمييزه عن الآخرين

في الأيام الأولىٰ لإقامة الإمام في النجف، كنت أفرش له أحياناً «بطانيةً» في محل جلوسه في بيت الإستقبال «البراني»، فكان يقول: «لا حاجة لي بها أزحها»، فيجلس على السجاد كالآخرين لأنه كان يرىٰ في الجلوس على هذه البطانية نوعاً من التمييز له وهذا مالم يكن يرضىٰ به. ثم أصبح من المتعارف في النجف فرش «منادر قطنية» في المجالس، ففرشنا بعضها في براني بيت الإمام[3].

ينظف غرفته بنفسه

تولىٰ الإمام ـ مُنذ اليوم الأول لإقامته في باريس ـ مهمة تنظيف غرفته

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد المحتشمي، مجلة (ندا)، العدد الأول.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ القرهي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٦.

بنفسه ورفض طلبات الآخرين الملحة بأن يقوم غيره بذلك. وكان يعيش طوال إقامته في نوفل لوشاتو الحياة البسيطة التي ألفها فلم يغيّرها وظل يتجنب المظاهر التجليلية رغم أن صوره أصبحت تتصدر الصفحات الأولىٰ للصحف العالمية وكان مراسلوها يتسابقون بشدة لإجراء المقابلات الصحفية معه[1].

هل أنهم يريدون إستقبال كوروش؟!

إتصل الشهيد المظلوم الدكتور السيد البهشتي ممثلاً للجنة إستقبال الإمام المستقرة في طهران عبر الهاتف بمكتب الإمام في باريس وكنت مسؤول المكتب والإتصالات الهاتفية، وطلب أن نطلع الإمام على أن اللجنة قررت القيام بجملة من الأمور لمراسم إستقباله، مثل فرش المطار بالسجاد ونصب مصابيح الزينة ونقل الإمام من المطار إلىٰ مقبرة «جنة الزهراء» بواسطة طائرةٍ عمومية، وغير ذلك من الإجراءات، فذهبتُ وأخبرت الإمام بذلك وكان يصغي بدقة لحديثي ـ وهذه هي سيرته في الإصغاء لمن يحدثه ـ دون مقاطعة ثم يعطي رأيهُ بعد إنتهاء كلام المتحدث ـ، فلما أتممت كلامي قال بلهجته الصريحة والحاسمة التي يتميز بها ـ: «إذهب وقل للسادة: هل أنهم يريدون إستقبال «كوروش»؟ لا حاجة لكل هذه الإجراءات، إنّ الذي خرج من إيران وهو طالب حوزوي هو نفسه الذي يريد العودة إليها الآن. إنني أريد أن أكون بين أبناء أمتي وأسير معهم ولو كان مصيري السحق»[2].

لم يسمح لنا بتجفيف عرقه

بعد أن أتمّ القاء خطابه التاريخي في جنة الزهراء، نقلنا الإمام بمشقةٍ بالغة إلىٰ سيارة الإسعاف وكان العرق يتصبب منه بكثافة بسبب شدة

---

(١) مراسل صحيفة إطلاعات الموفد إلىٰ باريس، صحيفة إطلاعات، ١٤/ ١١/ ١٣٧١[هـ.ش].

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ فردوسي بور، صحيفة كيهان بتاريخ ١٤/ ٤/ ١٣٦٨ [هـ.ش].

الإزدحام، فأردنا تجفيفه بالغاز الطبي المخصص لذلك، فلم يسمح لنا بذلك ومسح جبينه بمنديل أخرجه من جيبه[١].

لن أترك هذا المكان مهما حدث

بعث الجيش وفداً إلىٰ جمران لترتيب مكان لهبوط طائرة الهيلوكبتر قرب منزل الإمام لنقله بسرعة إذا وقع ما يستدعي ذلك، فلما سمع صوت المكائن التي كانت تقوم بتسوية قطعة أرض صغيرة قرب منزله سأل: «ماذا يفعلون»، فأخبروه بالأمر فقال: «ومَن أمرهم بذلك؟»، فاحتملوا أنني أنا الذي سعيت في ذلك، فقلت: لا علاقة لي بذلك، إن القرار إتخذه الأخوة قادة الجيش. فاستدعىٰ الإمام السيد الخامنئي وكان ممثله في الجيش وقال له: «إنني غير راضٍ بالقيام بهذا العمل، واعلموا أنني لن أترك هذا المكان مهما حدث». فتوقف العمل فوراً وتركت تلك القطعة من الأرض على حالها[٢].

إذا أردتم أن أبقىٰ هنا فلا تُزينوا الحسينية

كانت حياة الإمام بسيطة في جميع ابعادها، بل وقد كان حريصاً على بساطة كل ما يرتبط به أيضاً، فمثلاً لم يكن يسمح بتزيين حسينية جمران - رغم أنها مرتبطة بالدرجة الأولىٰ بالإمام الحسين عليه السلام، فمرةً أرادوا تبييض جدرانها بالجص فقال لهم: «إذا أردتم أن أبقىٰ هنا فلا تقوموا بذلك». وعندما عرف أنهم يريدون فرش أرضها بالكاشي، قال بانفعال: «سأذهب من هنا»[٣].

---

(١) الدكتور حسن العارفي.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد إمام الجمراني، صحيفة جمهوري إسلامي، المتحف الخاص بأربعين الإمام.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ التوسلي، مجلة حوزة، العدد: ٤٥.

إصبروا حتىٰ أموت...

دخل الإمام يوماً حسينية جمران لاستقبال جموعٍ من الزائرين وشكرهم على عواطفهم الجياشة، وعندما كانوا يرددون شعاراتهم توجهت عينا الإمام إلىٰ الطابق العلوي في الحسينية وأخذ يحدق في تغيير طرأ عليه، ثم شكر الناس، وانتهىٰ اللقاء ودخل فوراً إلىٰ غرفته وقال بعصبية: «ماذا تفعلون بالحسينية»، فقال السيدان الرسولي والصانعي: نبيضها بالجص، فقال باللهجة نفسها: «إصبروا حتىٰ أموت، ثم أتموا هذا العمل بدون إذني! فلا يحق لكم القيام بعمل بدون إذني في محلِ عيشي ما دمت حيّاً». فأوقفنا العمل فوراً وقلنا للبنّاء: لقد أصبحت مواصلة تبييض الحسينية عملاً حراماً. ولا زال تبييضها ناقصاً إلىٰ الآن يمكن للزائرين ملاحظته[١].

يرفض إنشاء الغرف الأمنية

أصرّ طبيب الإمام، الدكتور عارفي على إعداد غرفة صغيرة للمراقبة الطبية الخاصة (C.C.U) في جمران: لكي لا نضطر لإنتظار سيارة الإسعاف لنقل الإمام إلىٰ المستشفى في الحالات الطارئة بل يمكننا معالجته هنا ليوم أو يومين، وكان نتيجة هذه الفكرة إنشاء هذه المستشفى الصغيرة للقلب في جمران، ولم نأخذ شيئاً من بيت المال أو سهم الإمام لإنشائِها بل قمنا بذلك بأنفسنا لأن الإمام كان يرفض إنشاء مثل هذه الغرف العلاجية أو الأمنية[٢].

من هنا ينفذ الشيطان للإنسان

طلبتُ يوماً من الإخوة حرس الثورة المستقرين في بيت الإمام لحمايته أن ينصبوا سياجاً للشرفة المطلة للبيت، وأثناء قيامهم بذلك جاء

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأنصاري الكرماني، صحيفة رسالت، ٩/ ٣/ ١٣٧٢ [هـ.ش].
(٢) السيد مصطفى كفاش زاده.

الإمام وقال: «يا أحمد، ماذا يفعل هؤلاء؟»، فقلت: لقد طلبتُ منهم نصب هذا السياج حفظاً لحياةِ علي [حفيد الإمام] فهو يصونه من الوقوع من الشرفة، وهذا أمرٌ مألوف في مثل هذه المنازل؛ فأجابني: «من هنا ينفذ الشيطان للإنسان، يقول له أولاً: ان بيتك بحاجة لسياج ثم لصبغ، ثم يقول له: إنه بيت صغير لا يناسبك، فما يزال به حتىٰ يسيطر على قلبه تدريجيّاً دون أن يشعر»[1].

لقد قمتم بعمل عبثي

عندما أردنا تصوير صلاة الجماعة التي أقامها الإمام بحضور مسؤولي الدولة وعوائل الشهداء في شهر رمضان المبارك، دخلت عليه للإستئذان منه وكان يتلو القرآن في ساعته المحددة طبق برنامجه اليومي، وطلبت منه أن يأذن لنا بتصوير ذلك وأخبرته بأننا أعددنا الوسائل اللازمة لذلك، فقال وقد أطرق بوجهه الذي ظهر عليه الأذىٰ وعدم الإرتياح: «لقد قمتم بعمل عبثي إذْ أعددتم وسائل التصوير»! وعندما عرفت أنه لن يأذن لنا بذلك فقلت بالتماس: يا سيدي لقد تحملنا مشقة من أجل ذلك وضيوفك يرغبون في أن تأذن بذلك. وعندها أذن مضطراً وبدون رغبة[2].

وأنا في أيام عمري الأخيرة

كانت لقاءات الإمام بمسؤولي الدولة والشخصيات الأخرىٰ تتم في غرفة صغيرة لا تتجاوز أبعادها (٣×٤) أمتار، ولم يكن أحدٌ يعرف محتوىٰ المباحثات التي تجري خلالها، وقد وصلتنا طلبات متعددة من الناس بأن نسجل هذه اللقاءات التي كانت تعقد من سياسية محلية وعالمية أحياناً،

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين أحمد الخميني، صحيفة (رسالت)، ٩/ ٣/ ١٣٧٢ هـ. ش.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأنصاري الكرماني، نشرة خاصة بمناسبة مرور أربعين يوماً علىٰ وفاة الإمام الخميني.

من أجل حفظها للتاريخ، لكننا كنا نعلم بأن الإمام لن يسمح لنا بذلك ولن يرضىٰ بنصب كاميرات التصوير في غرفته لأنه كان يعتبر ذلك نوعاً من المظاهر التشريفاتية.

وكنت على مدىٰ سنة تقريباً أتحدث مع الإمام ـ بين الحين والآخر ـ حول ضرورة هذا الأمر حتىٰ وافق في النهاية، فاستثمرنا فرصة يومين أو ثلاثة لم يكن في برنامج الإمام خلالها لقاءات، وقمنا بمعاونة الأخوة في مؤسسة الإذاعة والتلفزيون بنصب أجهزة التصوير في الغرفة. ثم دخل الإمام في صباح اليوم التالي طبق البرنامج المحدد للقاءاته إلىٰ هذه الغرفة، فوقعت عينه على سقفها فشاهد أجهزة التصوير ومنها مصباح كبير ذا قدرة عالية (بروجكتر)، فلم يرتح لذلك وقال: «أخرجوا هذه الأجهزة من غرفتي اليوم، ولا تنصبوا لي ـ وأنا في أيام عمري الأخيرة ـ مثل هذه الأمور التشريفاتية فلستُ بحاجةٍ إليها»، فطلبنا ـ مضطرين ـ من موظفي التلفزيون أن يجمعوا أجهزتهم، وقد بقيت آثارها في سقف الغرفة فأردنا أن نطليه بالدهان، فخشينا أن يعترض علينا الإمام بالقول: لقد خربتم السقف دون مسوغ وتريدون الآن إصلاحه، لذا إستأذنا منه أن نقوم بذلك فقال: «لا حاجة لذلك». ولا تزال هذه الآثار باقية في الغرفة إلىٰ اليوم[1].

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأنصاري الكرماني، نشرة صحيفة رسالت، ٩/ ٣/ ١٣٧٢ هـ.ش.

الفصل الخامس:

الشفافية ورفعة الذوق

كان مميزاً عن باقي طلبة الحوزة

عندما بلغ عمر الإمام ثلاثين سنة، أصبح من مدرسي الحوزة المعروفين، ولقد كان مُنذ البداية مميزاً عن باقي طلبة الحوزة، كان وسيماً للغاية نظيف الملابس ومنظماً في أعماله[1].

مجتنباً للرياء والسمعة والتظاهر

لعل أبرز صفات الإمام ـ في تصوري ـ هي شدة إجتنابه للرياء والسمعة والتظاهر. كان يرتدي دائماً الملابس النظيفة، فلا أتذكر أنني رأيت ولو بقعة صغيرة من الوساخة عليها، وكان ملتزماً بأن يكون حذاءُهُ نظيفاً وكذلك حال جواربه، وكان يحفظ عمامته مرتبة وقميصه متناسقاً. فيخرج بهيئةٍ جميلة مرتبة[2].

الإمساك بطرف العباءة

كان الإمام ملتزماً بالإمساك بطرف عباءَتِهِ ورفعه إلىٰ صدره عند المشي

(١) حجة الإسلام والمسلمين الصادقي الطهراني.
(٢) آية الله الشيخ جعفر السبحاني.

لكي لا يتلاعب بها الريح أثناء المشي، ويمكنكم ملاحظة ذلك من خلال النظر بدقةٍ في الصور والأفلام الملتقطة له في مختلف مراحل حياته، مُنذ بداية نهضته إلىٰ أواخر عمره المبارك[1].

كان يضرب به المثل في النظافة

إلتزم السيد بالنظافة بدقة بالغة حتىٰ عُدَّ ذلك من خصوصياته البارزة، ونتذكر أنه كان يضرب به المثل بين أصدقائِهِ في شدة نظافته مُنذ أيام شبابه حيث كنا صغاراً وكانت أرض الأزقة مليئة بالطين الذي كان يعلق عادة بعباءات الحوزويين وبكثافة، ولكن الإمام كان يحتاط في المشي فلا تعلق بعبائته إلا نقاط قليلة لا تتجاوز العشرة من الطين، ورغم ذلك كان يجفِّفها بواسطة المدفئة فور دخوله الغرفة ثم نزيلها نحن بحافة الملعقة[2].

الالتزام بأن يكون وضعه الظاهري مرتباً

كانت توجد على جدار في بيت الإمام مرآة خاصة به إعتاد أن يستفيد منها لترتيب وضعه فور إستيقاظه، وقد عرفتُ دقة الإمام في الإلتزام بالنظام والترتيب مُنذ البداية، ففي السابق لم يكن يهتم العلماء الكبار في السن بمثل هذه الأمور، لكن الإمام كان ملتزماً بأن يكون وضعه الظاهري مرتباً ولا زال ملتزماً بذلك، ولذلك وضعوا له مرآة فوق مكان جلوسه. فهو دقيق للغاية في الإلتزام بالنظم والوضع المرتب[3].

نظام إستحمامه الاسبوعي

كان الإمام يستحم مرتين في الأسبوع، في ليلة الثلاثاء وصباح الجمعة،

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين علي الدواني كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج٣، ص ٩٧.

(٢) السيدة فريدة المصطفوي.

(٣) آية اللّه السيد الخامنئي، مجلة (١٥) خرداد، العدد: ١٤.

وهذا من مظاهر دقته في النظام إذ قسم الأسبوع إلىٰ قسمين متساويين يستحم في نهاية كل منهما ويرتدي ملابس نظيفة بعد كل إستحمام.

شدة الاهتمام بالسواك والطيب

لعل الكثيرين لا يولون السواك الاهمية اللازمة، لكن الامام شديد الاهتمام به وبالاستحمام وإستعمال الطيب في الأوقات المناسبة.

يمشط لحيته بدقة

بعد أن يجتمع الناس في الحسينية في الأوقات المخصصة لزيارة الإمام يأتي من يخبره بذلك فيقوم ويرتدي ملابسه كاملة ثم يقف أمام المرآة الموجودة في غرفة عمله ويرتب وضع عمامته ويمشط لحيته بدقة إذا لم تكن مرتبة ثم يخرج لدخول الحسينية وإستقبال الزائرين[١].

شدة الاهتمام بإحترام الآخرين

كان الإمام شديد الاهتمام باحترام الذين يأتون إلىٰ قسم الإستقبال «البراني» في بيته، فإذا لاحظ تعاملاً فيه شيءٌ من عدم الاحترام لأحد أياً كان، حاسب عليه، بل وكان يراقب الوضع لكي لا يغفل الخادم، عن تقديم الشاي لأحد الحاضرين أو يقدمه وقد أريق بعضه في الصحن أو بفنجان غير نظيف[٢].

كان يكره إظهار الفقر

يجمع طلبة الإمام على شدة إجتنابه وكرهه لأفعال النفاق والرياء، وكان يجتنب الذكر [الظاهري] أمامهم رغم أنه كان من الذاكرين، فلا يدير

---

(١) السيد عيسىٰ الجعفري.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين حسن الثقفي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج١، ص ١٤٥.

المسبحة أمامهم، كما كان يكره إظهار الفقر، فكان يحفظ وضعه الظاهري بالصورة المناسبة رغم أنه كان مديوناً في الكثير من الأحيان[1].

ترتيب وضعه ووضع الطيب قبل الخروج

تذكر السيدة [زوجة الامام]، بأنه كان ملتزماً بمسح حذائِهِ بمنديل كلما أراد الخروج لزيارة حرم أمير المؤمنين عليه السلام كما كان يقف أمام مرآة منصوبة في ساحة المنزل ويرتب وضعه ويمشط لحيته ويضع شيئاً من الطيب قبل أن يخرج للزيارة. وكان لا يترك حتىٰ المستحبات ويوصينا دائماً بذلك. وكنا أحياناً نمر على منزله مرتين في اليوم ولكننا نتجنب الدخول عليه في غرفته مباشرة لأننا كنا نتوقع أن يقول لنا ـ عندما يرىٰ وضعنا الظاهري غير المرتب ـ: لماذا تخرجون بهذه الهيئة، يجب أن يكون وضعكم الظاهري مرتباً جميلاً، لذلك كنا نسعىٰ أن ندخل عليه بوضعٍ مرتب[2].

الدقة في وضع كل شيء في مكانه المناسب

عندما كان الإمام يرجع من إستقبال الزائرين في حسينية جمران كان يخلع العمامة والجبة ويطويها بدقة ويضع العمامة فوقها ويغطيهما بقطعة قماش بيضاء فلا يجلس في غرفته وهو يرتديهما، حتىٰ لو كان مضطراً للخروج إلىٰ الحسينية ثلاث أو أربع مرات في أوقات متقاربة، فكان يرتديهما في كل مرة عند الخروج ويخلعهما عند عودته ثم يرتديهما بعد قليل للخروج ثانيةً. لقد كان دقيقاً للغاية في وضع كل شيءٍ في مكانه المناسب[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين التوسلي.

(٢) آية الله اليزدي.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين حميد الروحاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج١.

يطوي ملابسه بدقة

كان الإمام من الذين لا تبلىٰ ملابسهم بسرعة، لأنه كان يستعملها بصورة صحيحة تحافظ على سلامتها، فمثلاً كان يخلع ملابس خروجه فور عودته إلىٰ غرفته ويطويها بدقة ويضعها جانباً لذلك كانت تبدو دائماً جديدةً ومرتبة[1].

تناسق ملابسه ونظافتها

كان الإمام نظيفاً وذا وضع مرتب للغاية، وتنقل إبنته أنه كان يعطي ملابسه الداخلية وسراويله في فتراتٍ متقاربة لكي تُغسل وتكوىٰ كما كان يهتم بأن تكون متناسقة في ألوانها، كما كان يمتنع عن إرتداء السروال إذا كان عريضاً أكثر من اللازم بل يجب أن يكون على نسقٍ واحدٍ في عرضه وبمقدار شبرٍ واحد فلا يرتدي ما زاد عرضه أو قل عن ذلك. وقد نقلت زوجته مثل ذلك وقالت: أنه كان ملتزماً بهذا الوضع المرتب مُنذ البداية وبأن تكون ملابسه مكوية حتىٰ المنديل والسروال[2].

زيارة عشوراء بعد الاستحمام

كان الإمام يذهب صباح كل يوم جمعة في تمام الساعة الثامنة والنصف إلى الحمام ويخرج في التاسعة ليبدأ فوراً بتلاوة زيارة عاشوراء في غرفته في الشتاء، وفي شرفة البيت في فصل الربيع[3].

لم أرَ مثله في نظافته

كان الإمام يرغب في أن يكون ظاهره مرتباً دائماً ووجهه نظيفاً، ولم

---

(١) السيد زهراء الإشراقي، مجلة سروش، العدد: ٤٧٦.

(٢) السيد زهراء المصطفوي، مجلة (شاهد بانوان = شاهد للسيدات)، العدد: ١٤٩.

(٣) آية الله حسن الصانعي، صحيفة جمهوري إسلامي، ١٨/ ٣/ ١٣٧٣ [هـ. ش].

أرَ مثله في نظافته أبداً، ولم أرَ ولا مرةً واحدة بقعة واحدة ولو صغيرة على ملابسه البيضاء، وهذا درس حريٌ بأن نتعلمه من الإمام[١].

لا نظير لجبته في نظافتها

كان الإمام يكثر الاستحمام وإستبدال ملابسه وتنظيفها، وكان يبقىٰ سنين طويلة لا يمتلك سوىٰ جبة واحدة يرتديها حتىٰ يقول الجميع: إلىٰ متىٰ يبقىٰ السيد يرتدي هذه الجبة؟! ولكن هذه الجبة كانت دائماً نظيفة إلىٰ درجة لا تجد معها جبة مثلها في نظافتها في قم كلها[٢].

يستعين بزوجته لقص شعره

كان الإمام يستحم مرتين في الأسبوع صباح الجمعة والثلاثاء ويقص شعر لحيته ووجهه بنفسه بعد أن يضع على صدره قطعة قماش يشدها بخيطٍ في عنقه، ويستعين بزوجته لقص شعر رأسه في أكثر الأحيان؛ أو بنا إذا كنا حاضرين عنده، ثم يذهب للحمام بعد ذلك[٣].

يرتدي ملابس بيضاء دائماً

كان الإمام حساساً تجاه النظافة كان من الضروري أن يستحم مرتين في الأسبوع (الجمعة والثلاثاء)، ويستبدل ملابسه التي تكون بيضاء دائماً[٤].

ملابسه قديمة نظيفة

كانت سيرة الإمام في ملبسه تثير الإنتباه حقاً، فقد كانت له عباءة شتوية سوداء من النوع المعروف بالرشتي، وكنا نراه يرتديها نفسها كل شتاء على

---

(١) السيد مصطفى كفاش زاده.
(٢) السيد رحيم ميريان.
(٣) السيدة زهراء الإشراقي، مجلة سروش، العدد: ٤٧٦.
(٤) السيدة فريدة المصطفوي.

مدىٰ سنين طويلة، وكذلك الحال مع جبته الشتوية، وكان يحافظ على ملابسه التي كانت قديمة ونظيفة للغاية في آنٍ واحد. وكان حذاءه نظيفاً دائماً[1].

إفعلوا مثل ما أفعل

بسبب شدة إهتمامه بالنظافة كان للإمام نعال خاص للحمام وآخر لساحة المنزل وآخر للغرفة، فقلت له يوماً: أنت توصينا دائماً بالبساطة، في حين أنّ لكل منا زوجَ نعالٍ واحد فقط ولك وحدك سبعة أمثال ما عند كل منا! فقال: «إن نعالكم يبقىٰ سنة واحدة والأزواج السبعة التي عندي تبقىٰ سبعة أعوام، لذلك فلم أسرف في ذلك! فافعلوا مثل ما أفعل، إذْ لا ينبغي أن يكون نعال المطبخ هو نفسه نعال الغرفة[2]!».

في غاية البساطة وغاية النظافة

لم يمتنع الإمام عن برنامجه الثابت في الاستحمام الا عندما كان يمنعه الأطباء عن ذلك بسبب مرضه؛ وحدث مرةً أن عدم إستحمامه إستمر لأسبوعين، فكان يسأل الأطباء عن السماح له بذلك. ولكنه كان يستبدل ملابسه طبق برنامجه المعتاد. وكانت ملابسه في غاية النظافة مع بساطتها، فلم يكن يشاهدُ أحداً على جواربه ـ مثلاً ـ أثراً للوساخة وكان قد خصص نعالاً للمشي في الغرفة رغم أن بساطها كان نظيفاً إلىٰ جانب بساطته أيضاً، وكان هذا النعال في غاية النظافة رغم أنه كان قد إستخدمه سنين طويلة حتىٰ ظهرت عليه الشقوق[3].

تفوح منه رائحة طيبة دائماً

كان الإمام يضع منديلاً طويلاً يغطي صدره وحجره عند تناول الطعام

---

(١) السيدة زهراء المصطفوي.

(٢) أحد حرس بيت الإمام، كتاب (في رثاء النور).

(٣) آية الله الإمامي الكاشاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٦.

لكي لا يقع شيئ من الطعام على ملابسه، وكانت رائحة الطيب تفوح قبل الوصول إلىٰ غرفته بعدة أمتار، فقد كانت له قنينتا عطر إحداهما في سجادة صلاته والثانية على الرف المجاور لمحل جلوسه، وكان يتطيب منهما باستمرار؛ كما كان يضع إلىٰ جانبه دائماً مشطاً ومرآة صغيرة[1].

كأنك تدخل الجنة إذا دخلت غرفته

عندما تدخل غرفة الإمام تشعر وكأنك قد دخلت الجنة، فهي تفوح برائحةٍ طيبة، لأن الإمام يستعمل الطيب عدة مرات. كنا ندخل أحياناً غرفة الإمام بعد إنتهاء عملنا في المطبخ وعندما نجلس عنده، كان يرفع رأسه ويقول لنا أنكم أعددتم اليوم الطعام الفلاني، لكي ينبهنا ـ بصورة غير مباشرة ـ إلى أن رائحة المواد المستخدمة في إعداده ـ كالخضرة مثلاً ـ لا زالت عالقةً بنا! لكنه لم يكن يصرح بشيءٍ أبداً، حتىٰ أنني قلت له مرة: ما أشد تحملك لتصرفاتنا؟! فقال ـ ولم نكن نتوقع منه غير الصدق طبعاً ـ: «وما الحيلة؟ ينبغي لي أن أتحمل»[2].

إستعمال الطيب قبل كل صلاة

لاحظتُ الإمام مراراً وهو يستخدم الطيب قبل كل صلاة، وكان هذا السلوك يثير إستغرابي حتىٰ قرأت حديثاً عن الإمام الصادق عليه السلام يقول فيه: «كان رسول الله ينفق على طيبه أكثر مما ينفق لطعامه». وعندها زال إستغرابي[3].

---

(١) زهراء المصطفوي.

(٢) كتاب (في ظل الشمس)، ص ١٨٥. وقد نقل أحد الأطباء المعالجين للإمام، أن منديلاً أبيضاً مطوياً قد جذب إنتباهه، لكنه عندما اقترب منه عرف أنه جوارب الإمام التي بدت لشدة نظافتها وكأنها منديلاً!

(٣) السيدة زهراء الإشراقي.

يختار أفضل العطور

كانت حياة الإمام نموذجاً كاملاً لبساطة العيش والقناعة والإقتصاد في استخدام وسائل المعيشة لكن الرائحة الطيبة كانت تفوح دائماً من بيته: في غرفة عمله ومحل عبادته وإستراحته. وكان يهتم بالنظافة والإستفادة من أفضل أنواع العطور، وكانت العطور هي الشيء الوحيد الذي يختار أفضل أنواعه وبدقة من الهدايا التي كان محبوه يهدونها له[١].

يستعمل أنواع العطور

كانت رائحة الطيب تفوح في غرفة الإمام كلما دخلنا إليها، وكان يستفيد من أنواع العطور، فيستعمل أي عطر يهديه له أي شخص[٢].

يختار للصلاة أفضل عطر

كان الإمام يتطيب دائماً قبل الصلاة ويختار لها أفضل عطر، ولعله لم يصلِّ أبداً بدون طيب، فقد كان يحمل معه قنينة عطرٍ صغيرة، وهو يقيم صلاة الليل على سطح منزله في النجف[٣].

التعطر للصلاة في إجتماع وفد الوساطة

في وسط الإجتماع الذي كان الإمام يعقده مع زعماء عدد من البلدان الإسلامية الذين زاروه للتوسط بشأن إنهاء الحرب العراقية الايرانية، رُفع أذان الظهر، فقام وقال: «أريدُ أن أصلي»، ثم أشار إليّ أن أجلب له قنينة الطيب لأنه كان ملتزماً بالتعطر قبل الصلاة، فتعطر ثم صلىٰ[٤].

---

(١) اسيدة زهراء المصطفوي.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ التوسلي.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

(٤) السيدة زهراء المصطفوي (كلمة في جامعة الشهيد شمران في الأهواز).

يتطيّب سبع مرات في اليوم

كان الإمام يستعمل الطيب سبع مرات في اليوم، لأنه يُستحب التطيب قبل كل صلاة، كما كان يمشط لحيته قبل كل صلاة وكان يضع مشطاً في سجادته لذلك، ويضع المسبحة على السجادة على وفق الصورة المستحبة وليس كيفما إتفق؛ ثم يذهب إلىٰ الغرفة الثانية التي وضعت فيها قنينة الطيب فيتعطر منها ثم يرجع إلىٰ سجادته ليقيم الصلاة[١].

ويهدي الطيب

أهدىٰ الإمام إحدىٰ حفيداتِهِ قنينة عطر بمناسبة حلول أحد الأعياد[٢].

لكل شيءٍ ملعقةٌ خاصة

كان للإمام نظام خاص في تناول طعام الظهيرة مهما كان نوعه ـ مرق ماء اللحم أو غيره ـ، فكان يستخدم إثنتين أو ثلاثاً من الملاعق الكبيرة، وسكيناً وإثنتين أو ثلاث من الملاعق الصغيرة كل منها خاصة بجزءٍ معين من طعامه البسيط، وكان يفعل ذلك رغم إلتزامه المعروف بالإقتصاد[٣].

يتناول الخبز بالملعقة!

صدقوا! أن الإمام كان يتناول حتىٰ حبة الدواء وقطعة الخبز بواسطة الملعقة فلا يمس الخبز بيده وذلك بسبب شدة اهتمامه بالنظافة[٤].

يرغب في تناول كل لقمة بملعقةٍ خاصة

إنّ مما يصعب تصديقه أن الإمام ـ ورغم بساطة طعامه ـ كان يستخدم

---

(١) الدكتور محمود البروجردي، (حوادث خاصة في حياة الإمام الخميني)، ج٣.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين التوسلي.
(٣) السيدة زهراء المصطفوي (كلمة في جامعة الشهيد شمران في الأهواز).
(٤) السيدة عاطفة الإشراقي مجلة (زن روز = إمرأة اليوم)، العدد: ١٢٦٧.

ثلاث أو أربعَ ملاعق في تناوله، وكان يصرح مراراً أنه يرغب في تناول كل لقمة بملعقةٍ خاصة ولا يحب أن يعيد إلىٰ فمه الملعقة التي دخلت مع اللقمة الأولىٰ. وكان يتناول مرق ماء اللحم بملعقةٍ كبيرة، وكان يضع منديلاً كبيراً وفوقه نايلوناً لكي لا يلوث الطعام شيئاً من ملابسه، فقد كان شديد الدقة في أمر النظافة. وكنا نقول له أحياناً: طعامكم في غاية القلة ووسائله في غاية الكثرة[١]!

يحفظ ماء الشرب من الميكروبات

الإمام نظيف جداً، فحتىٰ الكأس الذي يشرب به الماء يغطيه بمنديل لكي لا يتلوث بالميكروبات، ثم يشرب المتبقي منه لاحقاً، فهو لا يهدر الماء أبداً، هكذا كان حاله في باريس وهذا هو حاله في طهران طوال هذه الأعوام العشرة[٢].

طلب من الممرض بالاشارة...

عندما زرت الإمام في أيامه الأخيرة وهو راقدٌ في المستشفىٰ، لاحظت على قميصه بقعتين بلون أصفر ظهرتا بسبب سقوط قطرات من محلول التعقيم على قميصه، فلما إنتبه لهما طلب من الممرض ـ بالإشارة ـ أن يخلع القميص فوراً ويستبدله بآخر[٣].

كيف تخرجين بهذه الهيئة

كنت أرتدي الملابس السوداء ـ عندما كنت أدرس في الجامعة ـ لأنني كنتُ أشعر بالراحةِ فيها أكثر من غيرِها، وقد ذهبتُ يوماً إلىٰ بيت الإمام

(١) السيدة زهراء المصطفوي.
(٢) السيد مصطفى كفاش زاده.
(٣) السيدة فريدة المصطفوي.

من الجامعة مباشرة فرأيته يتمشىٰ في ساحة المنزل، فلما رآني قطّب حاجبيهِ وقال: «كيف تخرجين بهذه الهيئة غير المرتبة؟ ولماذا ترتدين ملابس بهذا اللون؟»، فقلتُ: كنت في الجامعة يا سيدي، فقال: «إن عملك هذا نوعٌ من الترأس!»، فسألته قائلة: ولماذا؟ فقال: «لقد إحتذيتِ حذاءً قديماً ثم ذهبتِ إلىٰ الجامعة، هذا من الترأس»[١].

يرتدي أنظف ملابسه للصلاة

حتىٰ في أيام مرضه الأخيرة، ورغم وجود جرح كبير في بطنه يترشح منه الدم، كان الإمام يرتدي للصلاة ـ عند حلول وقتها ـ أنظف ملابسه وأطهرها[٢].

ينبغي أن نعرف أن للبن ملعقة

كان عمري خمسة أو ستة أعوام عندما حدث يوماً أن إصبعي انغمس في إناء اللبن الرائب وقد كنتُ أريد أن أغمس فيه قطعة الخبز قبل تناولها كما كانت عادتي وأنا صغيرة، فضرب الإمام على يدي، فسحبتُ يدي وقد آذاني ذلك؛ ولاشك أن الإمام قد انتبه لذلك؛ فأخذ بيدي ووضعها في فمه ثم قال: «إنني لا أكره أن تمس يدك اللبن ولكن يجب علينا أن نعرف عندما نجلس على مائدةٍ يحضرها آخرون أن لهذا اللبن ملعقة»! أجل إن الإمام مع شدة بساطته في المعيشة شديد الاهتمام بالنظافة[٣].

كان يذهب إلىٰ مسابقات المصارعة

كان الإمام يذهب وهو حَدَثٌ للتفرج على مسابقات المصارعة التي

---

(١) السيدة زهراء الإشراقي، مجلة سروش، العدد: ٤٧٦.

(٢) الدكتور كلانتر المعتمدي من الأطباء المعالجين للإمام، كتاب (أزهار من بساتين الذكريات).

(٣) السيدة زهراء المصطفوي.

كانت تقام في بعض محلات قم، وهو ينقل حادثة طريفة ترتبط بمسابقة جرت بين المصارع القمي الحاج الشيخ كمال الكمالي ومصارع روسي جاء إلىٰ قم لمصارعته، ويذكر الإمام أن المصارع الروسي كان أقوىٰ لكن الحاج كمال دفعه إلىٰ حجارة، لم يرها المصارع الروسي فاصطدمت رجله بها وسقط على ظهره، فحمل القميون الحاج كمال فوراً باعتباره الطرف المنتصر في المسابقة وذهبوا به إلىٰ حرم السيدة المعصومة عليها السلام[١].

ويحب الرياضة

كان الإمام يحب الرياضة دون أن يرجح نوعاً خاصاً منها، ولكن يمكن القول أنه كان أميل إلىٰ المصارعة والرياضة القديمة، ومع ذلك كانت الرياضات السويدية «الجمناستيك» تجذب إنتباهه أكثر من غيرها، وكان في صغره يمارس رياضة القفز الأفقي والعامودي وقد أصيب بكسور في يديه وإحدىٰ رجليه نتيجةً لذلك إضافة إلىٰ كسور في الرأس والجبهة[٢]!

آنس برؤية سواعدكم

في أيام إقامة الإمام في قم بعد انتصار الثورة الإسلامية كانت تزوره باستمرار وفود من مختلف فئات المجتمع، وقد شاهدت مرةً في التلفزيون فيلماً عن زيارة مجموعة من المصارعين للإمام فتحدث إليهم ـ بمودةٍ خاصة ـ عن أهمية الرياضة وأن العقل السليم في الجسم السليم، كما أصغىٰ لأحاديثهم، وقد ضحك الإمام في هذا اللقاء وقال مبتسماً: «إنني آنسُ برؤية سواعدكم المفتولة العضلات هذه»[٣].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدواني، كتاب (الإمام الخميني في مرآة الذكريات)، ص ٥٤ ـ ٥٥.

الاهتمام بالسلامة البدنية

كان الإمام يهتم في شبابه بسلامته البدنية، ويقرأ الكتب الخاصة بالأطعمة وخواصها ويعرف طرق الطبخ ويهتم بالسليمة منها[1].

الامام وكرة القدم الثلاثية!

ينقل المرحوم السيد رضا التفرشي (وهو من علماء طهران وقد توفي قبل أعوام): كان الإمام ـ في أيام شبابه ـ يذهب مع السيد عبداللّه الطهراني (وهو من مقربي أصدقاء الإمام القدماء)، وسيد ثالث نسيتُ إسمهْ يذهبون أيام الجمعة إلىٰ منطقة «خاكفرج» في قم لممارسة رياضة المشي وكرة القدم، وقد كنتُ يوماً عند المرحوم آية اللّه الشيخ عبد الكريم الحائري [رئيس حوزة قم يومذاك] فجاء إليه فلّاح وشكىٰ إليه من أن عدداً من شباب الحوزة يأتون إلىٰ مزرعته أيام الجمعة ويضرون بالزرع، فقال الشيخ الحائري للمرحوم الشيخ مهدي البروجردي مسؤول مدرسة الفيضية: حققوا في الأمر واعرفوا مَن الذين يضرون بزرع هذا المسكين، فأخبره بأنهم: السيد روح اللّه الخميني، والسيد عبداللّه الطهراني والسيد الثالث، فاستدعاهم الشيخ الحائري، وعندما دخلوا عليه وسلموا وجلسوا، توجه الشيخ إلى الإمام وقال: يا عزيزي يا روح اللّه! ما تقول فيما يقوله هذا الرجل؟ وما هي حقيقة الأمر؟، فأجابه: «لا شأن لنا بزرعه، فنحن نعرف وجوب إحترام أموال الناس، نحن نذهب أيام الجمعة للعب كرة القدم في أراضي «خاكفرج»، فتقع الكرة أحياناً في مزرعته، فنذهب لإلتقاطها باحتياط تجنباً للإضرار بالزرع، وسنحتاط أكثر مستقبلاً».

ولم يكن صاحب المزرعة قد رآهم من قبل فكان يتصور أنهم يتعمدون الإضرار بالزرع، فلما شاهدهم ولاحظ اللهجة الودية التي تحدث

---

(١) المصدر السابق.

بها الشيخ الحائري معهم خاصةً مع السيد روح اللّه الخميني، تراجع عن شكواه وقال: لا إعتراض لي على ذلك، فجدد الشيخ الحائري الوصية لهم بزيادة الإحتياط في ذلك وقال: يا عزيزي يا روح الله إجتهد في مزيد الإحتياط لاجتناب الإضرار بممتلكات الناس، فأجاب الإمام: «سمعاً وطاعة».

فذهب صاحب المزرعة، ولكن السيد الثالث الذي نسيتُ إسمه قال للشيخ الحائري: يا مولاي،! إنَّ لدي شكوىٰ من السيد روح اللّه... إنه عندما يضرب الكرة يستهدف بها وجهي، وقد أصابت أنفي ثلاث مرات وأسالت منه الدم! فتبسم الشيخ وقال: يا سيد روح اللّه، يا عزيزي إنتبه أكثر لكي لا تصيب أصدقاءك بأذى! فأجابه السيد روح اللّه: «إنني لا أتعمد يا سيدي ذلك، وما ذنبي أنا إذا كان أنف هذا السيد كبيراً فحيثما صوبتُ الكرة أصابته!». فضحك الشيخ الحائري والحاضرون وانقضى الإجتماع[١].

يعرف فن السباحة

كان الإمام يعرف فن السباحة بالمقدار المتعارف وليس بمقدار الإحاطة التفصيلية بقواعد هذه الرياضة[٢].

وكان يمارس الرماية والفروسية

كان الإمام مُنذ أيام صباه ـ أي قبل حدود ثمانين عاماً ـ يهتم بأمرِ سلامته البدنية، ولعل هذه أيضاً من الصفات الذي تميز بها عن سائر مراجعنا وعلمائنا الكبار، فالعلماء عادة لا يهتمون بالرياضة والترويح السليم عن النفس، ولكن الإمام الخميني أو السيد روح اللّه الخميني ـ

---

(١) المصدر السابق، ص ٥٣.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني.

كما كان يُسمىٰ قبل ثمانين عاماً ـ لم يكن يغفل عن الرياضة والترويح السليم عن النفس بهدف تقوية بدنه وروحه، ولم يكن يتستر بذلك، وهكذا كان حالُه في خمين قبل أن يبلغ سنه عشرين عاماً وبقي على ذلك في قم إلىٰ أن بلغ عمره خمسة وعشرين عاماً، وقد قال مرة: «كنت في شبابي أحمل البندقية وأمارس الرماية بها»، وصرح بأنه كان يركب الخيل أيضاً[١].

ويتسلق الجبال عصراً

كان الإمام يقيم شهراً مع عائلته في منزل إمرأةٍ عجوز في منطقة دركة في طهران حيث كان يقضي قسماً من فصل الصيف في بعض السنين، وكان يذهب في تلك الأيام عصراً إلى تسلق الجبال وهو يرتدي زيه الحوزوي، واستمر على ذلك إلىٰ أن بلغ الخمسين عاماً[٢].

حفظ بدنه كأمانةٍ إلهية

لم نرَ نظيراً للإمام في سلامة بدنه بين مَن تقارب أعمارهم عمره، والسبب يرجع إلىٰ أنه حافظ طوال سني عمره الشريف على سلامة بدنه كأمانة إلهية، لقد كانت حالة عروقه الدموية جيدة للغاية وكذلك حال وضع جهازه الهضمي وجلده رغم أن آثار الأذىٰ تظهر بسرعة لدىٰ المتقدمين في السن عادة، لكننا لم نكن نلاحظ أبسط هذه الآثار عندما ندلك ظهره وننثر عليه المسحوق الطبي رغم أنه كان ينام أكثر الأوقات على ظهره. كما كان عمل رئتيه جيداً للغاية مقارنة بمَن في عمرِه[٣].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدواني، كتاب (الإمام الخميني في مرآة الذكريات)، ص ٥١.

(٢) السيد علي الثقفي.

(٣) الدكتور إيرج فاضل.

قلب ابن الأربعين وهو في الثمانين

في أيام إقامته في باريس، لم يكن الإمام يستقبل أحداً بعد صلاة الظهر، إذْ كَان يتناول طعام الظهيرة ويستريح قليلاً ثم يستعد للقاءات والتحدث. فجاءني يوماً بعد صلاة الظهر السيد البروفسور صادق ـ ولم أكن أعرفه قبل ذلك ـ وعرّفني نفسه وقال: إنني جراح للقلب، ومَن يرغب في أن يراجعني فعليه أن يحجز وقتاً لذلك قبل شهرين ولكنني أدرك وضع الإمام، وقد جئتُ من مكان بعيد واشتركت في صلاة الجماعة خلفه وأرغب في زيارته عن قرب لكي أُقَبِّلَ يده، فخذوا لي وقتاً لذلك ولو لدقيقتين. فذهبتُ للإمام وعرضت عليه الأمر وأخبرته أن الرجل على عجلة ويريد أن يرجع، فوافق وجلس لاستقباله في غرفةٍ قرب محل الصلاة، فدخل عليه وقبّل يده ثم قال: إنني أحمل وسائل الفحص، فلو سمحتم لي بفحص وضع قلبكم وبدنكم. فأجابه الإمام: «إن في ذلك رحمة لك لا أرضىٰ بها». فقال الجراح: وأي رحمة في ذلك وأنا أفتخر بأن أخدمكم. فأذن الإمام له، ففحصه وبعد الإنتهاء ودعه وخرج، فسألته عن إنطباعه فقال والسرور يطفح على وجهه: لقد كنتُ قلقاً على قلب الإمام بسبب تقدم سنه ولكنني بعد أن فحصته وجدته بحالةِ قلب ابن الأربعين عاماً[١]!

كان فناناً خبيراً

إذا نظرنا إلىٰ الإمام بالمعايير الفنية لوجدناه خبيراً، وأشير هنا إلىٰ فن الخط فقط لأنني أنست طويلاً بخطه وقد إستنسختُ عدداً من مصنفاته الفقهية الخطية، وشاهدت مراراً شدة تأثير خطه في القارىء لمكتوباته المنشورة المصورةَ عن النسخة الأصلية في المجلات أو المصورة والخالية بالكامل من الشطب وهذا أصدق شاهد على المدعىٰ[٢].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ فردوسي بور.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الدكتور الأحمدي، مجلة حضور، العدد: ٤.

لم يستطع أحدٌ أن يميز بين الخطين

كان الإمام يتمرن عندي ـ وهو حدثٌ ـ على الخط لأنني كنتُ أجيدُ بعض الشيء خط «النسقليق» [من أنواع الخط الفارسي]، فأصبح خطه يشبه خطي إلىٰ درجة أنني كتبتُ مرة بخطي نصف الصفحة وأكمل هو بخطه نصفها الثاني، ولم يستطع أحدٌ أن يميزُ بين الخطين[1].

متىٰ تتفتح هذه الزهرة؟

بعد عودته من حسينية جمران يوماً حيث ألقىٰ خطاباً بشأن الحرب والبراءة من أميركا، دخل المنزل وأخذ يتمشىٰ في ساحته، ثم قال لي ـ وكنتُ واقفةً إلى جانبه ـ: «متىٰ تتفتح هذه الزهرة؟ ما هو عدد الأيام التي ستمضي قبل أن تتفتح هذه الزهرة؟»[2].

أي هذه الاشجار أجمل؟

قال لي الإمام يوماً ـ وهو يتمشىٰ في ساحة المنزل ـ: «هلا أخبرتيني أي هذه الأشجار أجمل؟»، ولم أكن إلىٰ ذلك اليوم قد فكرتُ أبداً في مقاييس تحديد جمال الأشجار وتأثير شكل اتصال الأغصان بالساق مثلاً على جمال الشجرة، ولذلك أشرت إلىٰ إحدى الأشجار وقلتُ: هذه أجمل، فقال: «وما دليلك؟ لا تقولي شيئاً دون دليل! فكري في الأمر يومين أو ثلاثة!»، فقلتُ ممازحة: إنّ دليلي أن هذه الشجرة خضراء! فقال: «لا، تأملي لتعرفي الأمور التي تجعل الشجرة جميلة، لاحظي شكل تفرع الغصون من الساق، وطبيعة وضع الساق وكيفية توزع الأوراق على الغصون، وشكل الظل الذي توجده الشجرة. . .»، واستمر في تعداد هذه العوامل المؤثرة على جمال الأشجار وهو يريني مصاديقها في الأشجار ثم قال: «لاحظي الصورة العامة للشجرة

---

(١) آية الله السيد مرتضىٰ بسنديدة (أخ الإمام)، مجلة (باسدار إسلام = حارس الإسلام)، العدد: ٨٦.
(٢) السيدة زهراء الإشراقي، صحيفة كيهان، ١٢/ ٤/ ١٣٦٨ [هـ. ش].

ككل، ثم كيفيّة توزع كل جزء منها...»، كنتُ أتمشىٰ إلىٰ جانبه في الدقائق الثلاثين الأخيرة قبل الغروب، فأشار إلىٰ شجرة في زاوية ساحة المنزل وقال: «يا فاطمة، لم لا ترافقيني في التمشي هنا قبل طلوع الشمس في الصباح لكي تشاهدي كم أصبحت جميلة هذه الشجرة عندما أشرقت الشمس على الجزء العلوي لها فأضفت عليه جمالاً لا يوصف»[١].

لماذا آذىٰ الشجرة؟

كنت يوماً أرافق الإمام وهو يمارس رياضة المشي في ساحة المنزل، فوقف في مقابل شجرة ورد من النوع المعروف بالمحمدي ثم قال: «إنّ علياً [حفيد الإمام] يأتي ويمسك بهذه الشجرة فتجرحه أشواكها، عليك أن تزيلي الأشواك التي في أسفل الساق لكي لا تؤذي علياً»، ثم أن البستاني أزال كل الأشواك من ساق هذه الشجرة، فلما رآها الإمام فيما بعد قال بتأثر: «لماذا أزال هذا السيد جميع الأشواك وآذىٰ الشجرة؟ لقد طلبت إزالة الأشواك التي في أسفل الساق فقط»[٢].

أنظر إلىٰ هذه النيران ما أجمل تشكيلتها؟

كان الإمام يصلي صلاة المغرب في شرفة المنزل عندما علت صفارات الإنذار من الجهات الجوية العراقية، فدققتُ النظر إلىٰ وجهه فلم أرَ أدنىٰ تغيير فيه، وكان يؤدي ـ حينئذ السلام في نهاية الصلاة، ثم وبعد فراغه منها رفع بصره إلىٰ السماء وأجال النظر في نيران المضادات الجوية التي غطت سماء المنطقة، ثم قال بلهجة مفعمة بالسكينة: «أنظر إلىٰ تشكيلة هذه النيران، ما أجملها؟»[٣].

---

(١) السيدة فاطمة الطباطبائي، زوجة السيد أحمد.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن الخميني، كتاب (حماسه مقاومات = ملحمة الصمود)، ج٢.

ذوق الامام غاية في اللطافة

كان علينا أن نهتم بجمال ظاهر الطعام الذي نقدمه للإمام وإلا لم يكن يتناول منه حتىٰ لو كان طيباً، أما إذا كان ظاهره جميلاً فيقول: «أذوقه أولاً، فإذا كان طيباً تناولت منه»، لقد كان ذوق الإمام غاية في اللطافة، ولقد فكرت مراراً في لزوم الكتابة عن ذوقه الرفيع ولو فعلتُ لخرج كتابٌ كامل بخصوص هذا الموضوع[١].

وكان يعشقُ الجمال والنظافة والطيب

كان للإمام حضورٌ قويٌ في المنزل، فمثلاً كان يعرف بدقةٍ زمن تفتح الوردة وزمن ذبولها وتناثر أورقها، وأتذكرُ أنه قال لابنةِ أختي في اليوم نفسه الذي وقع فيه انفجار مقر حزب الجمهورية الإسلامية والذي أدىٰ إلى إستشهاد المرحوم السيد البهشتي وعدد كبير من الأصدقاء ـ، قال لها: «أتعرفين متىٰ تفتحت هذه الزهرة؟»، وقد قال لي مراراً: «هذه الوردة التي تفتحت للتو هي علي (حفيده)، وتلك الوردة الذابلة التي أخذت أوراقها تتساقط هي أنا»! أجل كان الإمام يعشق الجمال والنظافة والرائحة الطيبة[٢].

كلما نظرت إلىٰ هذه الوردة أقول...

توقف الإمام مرةً أثناء مشيه المعتاد في ساحة المنزل، أمام شجرة ورد جدارية وقال: «كلما نظرت إلىٰ هذه الوردة أقول: هذا علي [حفيد الإمام الصغير] الذي بدأت وردته تتفتح»، ثم أشار إلىٰ وردة كبيرة في أعلى الشجرة كانت قد ذبلت وسقطت بعض أوراقها وقال: «وهذه هي وردتي، فقد ذبلتُ وأخذت بالرحيل، إنني أرىٰ هذا التناسب دائماً، فعليَّ

---

(١) السيدة فاطمة الطباطبائي.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، صحيفة ابرار: ١٢/ ٣/ ١٣٧٢ هـ. ش.

هو تلك الوردة التي بدأت تتفتح، وأنا الراحل عنكم تلك الوردة التي أخذها الذبول»[1].

تجلي لطافة روح الإمام في شعره

تقول والدتي: ذهبت إلى الإمام يوماً وهو يتمشىٰ في ساحة المنزل قرب حديقته الصغيرة التي كانت فيها أزهارٌ كثيرة، فقال لي: «كم عمر هذه الوردة؟»، قلت: لا عِلمَ لي بذلك، فقال: «إنّ عمرها ثلاثة أيام»، ثم أشار إلىٰ ورود أخرىٰ وأخبرني بعمر كل واحدة منها ومتىٰ تفتحت ثم أطلق أسماءً عليها تناسباً مع عمر كل منها فقال: «هذه علي، وتلك حسن، وتلك ياسر، وتلك الوردة أنتِ، وتلك أحمد»، ثم أشار إلىٰ وردة ذابلة وقال: «وهذه أنا»، ومثل هذه التأملات تكشف عن لطافة روح الإمام التي تجلت في أشعاره العرفانية أيضاً[2].

أنظر إلىٰ هذه الوردة كل يوم

كنت أرافق الإمام أحياناً وهو يتمشىٰ في ساحة المنزل، وكان يقوم بذلك على ثلاثة فترات في اليوم كانت في الواقع أفضل فرصة للقاء به، وكنتُ ألاحظ دقته في النظر إلى ما حوله، وأتذكر أنه وقف يوماً في مقابل وردة وسألني عن عمرها، فقلت: لا أعلم، فقال: «لكنني أعرف عمرها الدقيق»، وأظن أنه قال ـ على ما أتذكر ـ أنّ عمرها يومان ونصف اليوم، فسألته: وهل تنظر لها كل يوم؟ فقال: « أجل، أنظر لها كل يوم عندما أمرُّ عليها وألاحظ التغيير الذي طرأ عليها، وقد إنقضىٰ من عمرها إلىٰ الآن يومان ونصف اليوم»[3]!

---

(١) السيدة فاطمة الطباطبائي.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين حسن الخميني، كتاب (ملحمة الصمود)، ج٢.

(٣) السيدة فاطمة الطباطبائي.

ديوان الإمام ضاع ثلاث مرات!

كنتُ أطلب من الإمام باستمرار أن ينظم الشعر، وكان يجيب على طلبي كل مرة بتعبير معين ولعله كان يعبر بذلك عن تعبه من كثرة إلحاحي عليه. وقد سمعتُ أنه رتبَ ديوان اشعاره ثلاث مرات في شبابه، ولكنه كان يفقده في كل مرة وهذا الأمر غير عادي في اعتقادي، لأن الإمام كان منظماً جداً في أعماله: ولكل شيءٍ من وسائله محلٌ ثابت، فلا يمكن أن يضع شيئاً في مكانٍ ثم ينسىٰ أين وضعه.

وعلى أي حال، فبعد المرة الأولىٰ التي ضاع فيها ديوانه أعاد كتابة ما كان يحفظه من أشعاره وأضاف إليه لاحقاً أشعاراً جديدة، فضاع هذا الدفتر أيضاً. ثم نفي الإمام إلى تركيا، فدونت السيدة زوجته ما كانت تحفظه من أشعاره في دفترٍ خاصٍ، وكانت تحفظُ الكثيرَ منها إلىٰ عهدٍ قريب، فأضاف إلىٰ ما دونته الأشعار التي كان يحفظها هو ورتب ديوانه للمرةِ الثالثة، فضاع الديوان الثالث أيضاً، وقد كان هذا الأمر عجيباً للغاية في نظره أيضاً. وبعد هجرته إلىٰ النجف إنصرف عن متابعة أمر ديوانه الذي ضاعَ ثلاث مرات[1].

ينظم الشعر بالسلاسة التي يتكلم بها نثراً

طلبتُ من الإمام أن يكتب لي رسالة في العرفان، فوافق، فطلبت أن تشتمل على نثر ونظم شعري، فأبىٰ وقال: «ليس لدي إقبالٌ نفسي على ذلك الآن»، فقلت: لا عجلة في الأمر، أكتبها متىٰ وجدت في نفسك هذا الإقبال. ثم كنت أسأله عنها كلما دخلتُ عليه وهو يخبرني أنه لم يكتبها بعد، حتىٰ قال لي مرة: «ولماذا تستعجلين الأمر»، فعرفتُ أنه وافق على طلبي ولكنّ الوقت المناسب لم يحن بعد. وعندما كتبها واستلمتها

---

(١) السيدة فاطمة الطباطباني.

منه رأيت فيها شعراً، فأخذت ألحُ عليه طالبة المزيد مشيرة دوماً إلىٰ أنني انتظر المزيد من شعره، وكان يقول لي كلما سلمني شيئاً من شعره: «خذي ودعيني وشأني»، لكنني كنتُ أزداد شوقاً إلىٰ المزيد منه كلما رأيتُ شيئاً منه فأُعاود الطلب بإصرار، وعندما أفكرُ الآن في هذا الأمر أشعر أنني كنتُ أؤذيه بهذا الإلحاح الشديد، لكنني عندما كنتُ أرىٰ ما يكتبه من الشعر أقول لنفسي: إن من الحيف أن يترك الشعر مَن ينظمه بهذه السهولة! وكان الإمام ينظم هذا الشعر أثناء مشيه المعتاد في ساحة المنزل ثم يكتبه على حواف الصحف!

وفي الواقع كان الإمام ينظم الشعر بالسلاسة والسهولة التي يتحدث بها نثراً، ولم نكن نجد فيما يكتبه من الشعر شطباً وتغييراً إلا في موارد نادرة، ويمكنكم ملاحظة ذلك في صور ما كتبه بخطه في ديوانه المطبوع. وكنت أُوصي السيد أحمد بأن ينتبه لكي لا يضيعَ ما يكتبه الإمام من الشعر، فقد كنت قلقةً من أن يندم على كتابته فيريق عليه الماء ليمحوه، أو يمزقه الطفل!، وكنا نتأخر أحياناً فيأخذوا الجرائد ويضيع ما كتبه عليها من الشعر معها. وعندما كنتُ أستلم ما يكتبه أُعطيه للسيد أحمد ليصوره بسرعة لكي تبقىٰ عندنا صورة منه لو ضاع الأصل لاحقاً لأنني كنت في الواقع مصابة بلدغةِ ضياع شعره. وعلى أي حال فقد إستطعت بذلك أن أجمع مقداراً من شعره[١].

وكان ينقد الشعر أيضاً

كنتُ أحياناً أقرأ للإمام ما أراه جميلاً من الأشعار المنشورة في الصحف وغيرها، فكان يصغي ويأنس بها وأحياناً كان ينقدها أيضاً[٢].

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

كان يتميز بذوقٍ رفيع

كنا ـ أنا وغيري ـ أحياناً نحمل باقات من ورود إلياس ونقدمها للإمام، فيتقبلها مبتسماً وبارتياح. لقد كان يتميز بذوق رفيع للغاية؛ وكان ينظم أشعاراً جميلة، وكان له دفترٌ يضم شعراً جيداً من نظمه وقد نهب خلال هجوم السافاك على منزله في قم[١].

إصغِ لحديث القلب

كان المرحوم السيد واعظ زاده الخونساري من العلماء ومن أجلاء أهل العرفان كما كان خطيباً، وكان يأنس كثيراً بالإمام. وقد قال لي يوماً: أيها السيد البرهاني، تعال معي لنذهب إلىٰ زيارة السيد الحاج روح اللّه. فذهبنا إليه، فقال أثناء اللقاء: «لقد إستفدنا من رفقتكم يا سيد واعظ زاده، فوائد علمية وفوائد أدبية وشعرية»، فأجاب السيد واعظ زاده بتلاوة هذه الرباعية:

گيود همه كس كمند ومن گيسويت	جويد همه كس هلال ومن آبرويت
در دايـــره دوازده بـــرج تـــمـــام	يك ماه مبارك است آن هم رويت[٢]

فأجابه الإمام بداهة بهذه الرباعية:

كشود جشم نگارم زخواب ناز أزهم	نـظر كـنـيـد درفتنه كـشـت بـاز أزهـم
تودر نماز جماعت نروكه مى ترسم	كُشي إمام وبباشي صف نماز أزهم[٣]

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الثقفي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج١، ص ١٤٥.

(٢) ترجمتها النثرية هي: ليتعلق الجميع بالحبال، أما أنا فلن أمسك إلا بذؤابتك
وليبحث الجميع عن الهلال، أما أنا فلن أطلب إلا حاجبك
فلا يوجد في الأبراج الإثني عشر. هلالٌ لشهر مبارك سوىٰ هلال طلعتك

(٣) : ترجمتها النثرية هي: فتح حسنُ الحبيب عينيّ وأبعدها عن النوم الهانىء، فانظروا كيف فتح عليّ أبواب الفتنة؟!
لا تذهب أنت لصلاة الجماعة فإني أخشىٰ أن تقتل الإمام وتشتت صفوف المصلين!!

ثم قرأ المرحوم واعظ زاده شعر جلال الدين الرومي المعروف:

بشنو أز ني چون حكايت مى كند　　وز جداييها شكايت مى كنر[١]

فأجابه الإمام:

نشو أزني كآن نواي بينوا　　بشنو أز دل كآن حريم كبرياست
ني سوزد تل خاكستر شود　　دل بسوزد خانه دلبر شود[٢]، [٣]

وهل أنا شاعر؟!

كنت أقرأ أحد الكتب الفلسفية المقررة في الفرع الدراسي الذي كنت أدرس فيه، وكنتُ أسأل الإمام عن بعض العبارات الصعبة والغامضة في هذا الكتاب، وشيئاً فشيئاً تحول طرح هذه الأسئلة والحصول على أجوبتها إلىٰ درسٍ يستغرق (٢٠) دقيقة، وفي صباح أحد الأيام دخلت على الإمام في هذا الدرس، فوجدته يحذرني برباعية ساخرة يقول فيها: ـ

فاطى كه كنون فلسفه را مى خواند　　أز فلسفة فاء ولام وسين مى داند
أميد من آن است كه بانورخدا　　خودرا حجاب فلسفة برهاند[٤]

ولما رأيت هذه الرباعية طلبت منه أبياتاً أخرىٰ، فكتب بعد أيام هذه الأبيات: ـ

فاطى! به سوى دوست سفر بايدكرد　　أزخويشتن خويش كذر بايدكرد

---

(١) ترجمتها النثرية هي: إصغ لصوت الناي وهو يحكي ويشكو من أشكال الفراق

(٢) ترجمتها النثرية هي: لا تصغِ لصوت الناي فهو صوت البائس، وإصغِ لحديث القلب فهو حرم صاحب الكبرياء.
إذا احترق الناي تحول إلىٰ كومة من الرماد، أما إذا احترق القلب أصبح منزلاً للحبيب.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين البرهاني.

(٤) ترجمتها النثرية هي: فاطمة تدرس الآن الفلسفة، وهي تعرف من الفلسفة الفاء واللام والسين!
أرجو أن تحرر نفسها بنور الله من حجاب الفلسفة!

هو معرفتي كه بوى هستي تو داد ديوى است به ره، أزآن حذر بايدكرد[١]

ثم أثرت فيه طلباتي الملحة فقال بعد مدة: ـ

فاطى! تو وحق معرفت بغي چد؟! دريافت ذات بي صفت يعني چه؟!
ناخوانده ألف، به يا نخواهي ره يافت ناكرده سلوك موهبت يعني چه؟![٢]

وجرأني على المزيد من الإصرار لطفه اللامحدود، لذلك كانت طلباتي تزداد بأستمرار، حتىٰ تجرأت بأن أطلب منه إنشاد بعض الغزل العرفاني، فعاتبني قائلاً: «وهل أنا شاعر؟!»، لكنني لم أكف عن الطلب والإصرار حتى سمعته بعد أيام يقول:

تا دوست بود توراگزندي نرسد تا أوست غبار چون وچندي نبود
بگذار هرآنچد هست وأورا بگزين نيكوتر أز أين دو حرف يبندي نبود
عاشق نشوي أگر نامى داري ديوانه نه اي اگر پيامي داري
مستي نچشيدي أگد هوش تو راست مارا بنواز تاكه جامي داري[٣]، [٤]

---

(١) ترجمتها النثرية هي: يا فاطمة يجب السير إلىٰ الحبيب وهجران بيت النفس.
كل علم تُشم منه رائحة «الأنا»، هو عفريت يصد عن الصراط فيجب الحذر منه!

(٢) ترجمتها النثرية هي: يا فاطمة، ما أنتِ وحق المعرفة؟! وما معنىٰ إدراك الذات بدون الصفات؟!
لن تصلي إلىٰ الياء وأنتِ لم تعرفي الألف بعد، فما معنى «الهبة» لمن لم يبدأ السلوك بعد؟!

(٣) ترجمتها النثرية هي: لن يضيرك شيءٌ مادمت مع الحبيب، ومادام الحبيب حاضراً فلا محل للشك
أعرض عن كل شيء، واختره هو لا غير، لا موعظة فوق هاتين الكلمتين.
مادمت تحمل إسماً فلن تصير عاشقاً، ولن تصير مجنوناً مادام لك كلامٌ من عندك.
لن تذوق نشوة السكر وأنت واع، غن لنا مادام في الكأس بقية!

(٤) السيدة فاطمة الطباطبائي، زوجة السيد أحمد نجل الإمام.

الفصل السادس:

الرأفة والرحمة والعواطف الجياشة

إنني باق عندكم

تنقل والدتي أن أولَ أولادها كان ذكراً إسمه محمد وقد توفي وهو رضيع فيما بقي اللبن يدر من ثدييها، وكان الإمام يومئذٍ رضيعاً يشارك طفلاً آخراً الرضاعة من والدته، وفي أحد الأيام كان والدي في ساحة منزل السيد مصطفى والد الإمام ـ وكان يعمل حارساً عنده ـ، فقالت له أخت السيد مصطفىٰ (عمة الإمام): ـ لقد سمعنا أن رضيعكم قد توفي، فلو أن زوجتكم «خاور» ترضىٰ بأن تتولىٰ رضاعة روح اللّه، فإنها بذلك تنقذ حياة هذا الطفل الذي له شريك في الرضاعة فتحصل بذلك على ثوابٍ جزيل. أجاب والدي بأن عليه أن يستأذن زوجته في هذا الأمر، ثم جاء إلىٰ المنزل وعرض عليها الأمر قائلاً: يا خاور، إن أخت السيد تقولُ أنك إذا رضيت بإرضاع روح اللّه فستحصلين على ثواب جزيل. فضحكت والدتي وقالت مستبشرة: أجل، ببركة ذلك لن تمس نار جهنم صدري. فرجع والدي بسرعة إلىٰ عمة الإمام وأخبرها بموافقةِ والدتي، فجاؤا بسرعة بمهد السيد روح اللّه إلىٰ بيتنا، فقامت والدتي وغسلت صدرها وثدييها وقرأت سورتي الحمد والتوحيد، وقبلت وجه الطفل ووضعت ثديها في فمه. ثم قال والد السيد روح اللّه لوالدتي: أطلبُ منك أن لا تأكلي طعام أحد مادمت

ترضعين ولدي. وكان يرسل كل يوم لها وجبات طعامها، وبقي السيد روح اللّه يرضع منها حتىٰ أتم العامين، فَفطموه وأخذوه إلىٰ منزل والده، لكنه كان يأتي باستمرار إلىٰ والدتي ويبقىٰ عندها وهي تستبشر بذلك، فيما كان والدي يقول له: ـ يا حبيبي يا روح اللّه، أنت لم تعد ترضع اللبن، فلماذا لا تذهب إلىٰ بيتكم؟ فيقول الإمام: «إنني باق عندكم»[١].

لنشترك في إعداد الطعام للشيخ

أتذكرُ أنني كنتُ صغيرة عندما جاء رجلٌ مسن بالتراب اللازم لحديقةِ منزلنا، وكنا حينئذٍ نتناول طعام الظهيرة، فقال الإمام: «إنّ هذا الشيخ لم يتناول طعامه بعد»، ولكن طعامنا لم يكن يزد على حاجتنا، فرفع الإمام صحناً وصب فيه مقداراً من طعامه هو، وقال لنا: «ليصبَّ كل منكم مقداراً من طعامه لكي نعد بذلك طعاماً لشخص إضافي». ففعلنا رغم أن طعامنا كان قليلاً في ذلك اليوم، وقد سرني هذا العمل ـ وأنا في عالم الطفولة ـ بما لا يمكنني وصفه[٢].

حب الإمام لأولاده

تحدث ابن الإمام عن حب الإمام لأولاده فقال: كان للإمام ولدٌ مشلولٌ توفي بعد بضع سنين لكن التأثر كان يظهر على الإمام كلما ذكره. رغم أنه توفي بسرعة[٣].

انظر أين مصطفىٰ؟

كان الإمام يحب ولده السيد مصطفى كثيراً، وكان منزل السيد

---

(١) السيدة بهجت (إبنة حاضنة الإمام)، مجلة ندا، العدد الأول.

(٢) إحدىٰ بنات الإمام، مجلة (رسد دانش آموز = تنمية الطالب)، السنة: ٣، العدد: ٣.

(٣) آية اللّه السيد عباس خاتم اليزدي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٤.

مصطفى بالقرب من مسجد الترك في النجف، فإذا تأخر في المجيء يوماً قال لي: «يا شيخ غلام رضا، إذهب وتفقد ابني مصطفى»[1].

دموعه تجري لمدة (٢٠) دقيقة

بعد وقوع فاجعة (١٥) خرداد زرت الإمام وحدثته على مدىٰ (٣٥) دقيقة عن وقائعها، وكانت الدموع تجري من عينيه حدود (٢٠) دقيقة[2].

ظهور القلق على وجه الامام

كان الإمام شديد الحب لأولادِهِ خاصة الشهيد السيد مصطفىٰ، فمثلاً حلّ أحد العلماء يوماً ضيفاً على الإمام في منزلِهِ ولأن الجو كان حاراً جداً أخذوا الضيف لكي يستريح على سطح الدار، فظهر أثر القلق على وجه الإمام عندما شاهد ولده السيد مصطفىٰ يتحدث مع الطباخ وهو على حافة السطح[3].

أيقظني اللقاء بالإمام

كنا يوماً نحضر مجلساً للعزاء الحسيني في المسجد عندما وصل خبر وفاة آية اللّه البروجردي، ثم إرسال الشاه برقية تعزية بهذه المناسبة إلىٰ آية اللّه الحكيم في النجف، فعلت أصوات جميع الحاضرين في المسجد إحتجاجاً على إرسال البرقية إلىٰ آية اللّه الحكيم وإضطرب وضع المجلس، وقد حققت على مدىٰ يومين بشأن أعلم العلماء الموجودين فتوصلت في النهاية إلى أن آية اللّه العظمىٰ الإمام الخميني هو الأعلم من بين علماء الشيعة الكبار التسعة يومذاك، ولم أكن قد رأيته إلىٰ ذلك

---

(١) الشيخ غلام رضا، خادم بيت الإمام في النجف، صحيفة جمهوري إسلامي، ١٣٥٨/٩/١٤ [هـ.ش].

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ واعظ الطبسي، مجلة (بيام إنقلاب = رسالة الثورة)، العدد: ٨٢.

(٣) مجلة بيام إنقلاب، العدد ٨١.

اليوم، لكني كنت قد رأيتُ صورة له وهو ابن أربعين عاماً، ثم قررت الذهاب إلىٰ منزله في قم للحصول على رسالته العملية. وكان يوم ذهابي لزيارته من الأيام التي لا تنسى، لقد صادفتُ مسؤولاً في الشرطة كان هو الآخر يذهب لزيارة الإمام أيضاً ويبدو أنه كان مكلفاً بذلك من قبل الحكومة. وعندما دخلتُ على الإمام أعطاني كتاباً وعاملني بلطفٍ ومودة رغم أنه لم يكن يعرفني وعندما خرجت لقيت ذلك المسؤول الأمني واقفاً وقد تغيّر لونه بوضوح فسألته عن علة ذلك، فقال: لقد أسر الإمام قلبي بشيءٍ وجدته فيه؛ ثم عرفت أنه إستقال من منصبه فيما بعد. ولقد حصلت لي الحالة نفسها التي حصلت له. لقد أيقظني اللقاء بالإمام[١].

إنْ شئتم فصلوا

بعد وفاة آية اللّه البروجردي، ذهبت يوماً إلىٰ طهران برفقةِ الإمام فوصلنا قبل الظهر بساعة إلىٰ منزل السيد اللواساني الواقع في المحلة التي يقع فيها مرقد السيد يحيىٰ. وكان السيد اللواساني قد ذهب إلىٰ المسجد، فجلسنا في غرفة الإستقبال، وقدموا لنا فالوذج «الكرمك»[٢]، وكنت أجلس بحالةٍ من التأدب أمام الإمام لما أراه فيه من عظمة وهيبة، وقد لاحظ ذلك، فقال: «إذا كنت متعباً، فخذ قسطاً من الراحة» فذهبت إلىٰ غرفة مجاورة، ونمت فيها. فطرق الإمام الباب عند الزوال مع ارتفاع صوت الأذان وقال: «يا سيد صانعي، حان أول وقت الظهر إذا أردت الصلاة». فنهضت للوضوء وصليت خلف الإمام. ثم جاء السيد اللواساني وقدموا طعام الظهيرة وكنت أخجل من الأكل في محضر الإمام، فانتبه لذلك، وكانت سيرته ملاحظة ورعاية مشاعر الآخرين، وإكرامهم في

---

(١) صحيفة جمهوري إسلامي، ٦/٩/١٣٥٩ [هـ.ش].

(٢) نوع من البطيخ ذي الطبع البارد.

تعامله الإجتماعي. فأشار إلىٰ لبنٍ رائب ومنشف كانوا قد جاؤا به من قرية لواسانات التي ينتمي إليها السيد اللواساني، وقال: «هذا لبن لواسانات وقد نشفوه فكُلْ منه!»، فعقب السيد اللواساني على ذلك بالقول: لا تخشىٰ الأكل منه، فلن يضرنا ذلك! فخفَّتْ حالة الخجل فيّ إثر هذه الكلمات الودودة من السيدين[1].

الوفاء لقدماء الزملاء

تعرفتُ على الإمام عندما ذهبتُ إلىٰ أراك للدراسة حيث كنا نحضر معاً دروس المرحوم آية اللّه الحائري في الفقه والأصول وكنا نتباحث بنشأتها بمشاركة الشيخ فريد الكلبايكاني والسيد محمد الداماد، وكنا نحن الأربعة نحضر درساً خاصاً خصنا به آية اللّه الحائري، كما كنت أحضرُ مع الإمام درس المرحوم الشاه آبادي الخاص في العلوم العقلية. وقد حالفني توفيق زيارة الإمام بعد انتصار الثورة الإسلامية عدة مرات، وكان يحيطني كل مرةٍ بالكثير من اللطف والمودة، وكان قد قال لحراس بيته: «لا تعترضوا طريق السيد النخعي في أي وقت يأتي إلينا». وكان كل منا يأنس كثيراً بالثاني، وعندما كنت أزوره في الآونة الأخيرة كان يقول لي في كل مرة عندما أهمُّ بالقيام للخروج: «إبقَ عندنا لوقتٍ إضافي آخر»[2].

أدخل على قلوبنا سروراً عظيماً

كان يوم التاسع من ربيع الأول وكنا عائدين من المسجد مع الإمام حتى وصل إلىٰ منزله، فدخل المنزل وكنا قد إتفقنا مع بعض الأصدقاء على الذهاب إلىٰ منزل الشيخ نصراللّه الخلخالي لزيارتِهِ، لكننا عندما وصلنا بيت الإمام غيّرنا قرارنا ودخلنا مع الشيخ القرهي قسم «البراني» في

---

(١) آية اللّه الشيخ يوسف الصانعي، مجلة حوزة، العدد: ٣٢.

(٢) آية اللّه الشيخ ريحان اللّه النخعي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج٤، ص ٢٨٦.

بيت الإمام، فجاؤا لنا بالطعام، وقبل أن نبدأ بتناول الطعام جاء الشيخ القرهي بوعاء فيه لبنٌ رائبٌ كان قد قُدم للإمام كطعام له، فلما عرف بوجودنا في البراني خصنا بالقسم الأكبر منه وقال: «قدّموه للضيوف»، فعبّر بذلك عن لطفه ومودته وإكرامه لنا، وقد أدخل بذلك على قلوبنا سروراً عظيماً[1].

أجاب بلطفٍ على السؤال في الغد

على مدىٰ عدة سنين، كنتُ أرافق الإمام بعد خروجه من مسجد السلماسي إثر إنتهاء درسه، فأعرض عليه مالدي من أسئلة وهو يجيبني حتىٰ يصل إلىٰ منزله، ولم يبدِ ولا مرةً واحدة أدنىٰ ما يشير إلىٰ أنه غير راغب في الإجابة على أسئلتي أو مرافقتي له بسبب ذلك، رغم أن ذلك لم يقتصر على يوم أو يومين، بل كنت أقوم بذلك في أغلب الأيام تقريباً، مُنذ الأيام الأولىٰ لحضوري درسه وإلىٰ الأيام الأخيرة.

ولكن بعد خروج الإمام من السجن، إشتد الإقبال الجماهيري عليه كمرجعية بارزة، فكان عددٌ كبيرٌ من الناس يلتفون حوله لتقبيل يده عند خروجه من المسجد الأعظم بعد إنتهاء الدرس فاضطر إلىٰ إستخدام سيارة الأجرة في الذهاب إلى المسجد والعودة منه، لذلك ذهبت يوماً بعد الدرس إلىٰ منزله وعرضت عليه أسئلتي فلم يجبني بل قال: «أكتبها»، ففعلت وقدمتها له فأخذها ولكنه لم يجب عليها أيضاً، فخرجت، ولأنني كنتُ قد أنست بتعامله الترحيبي السابق، فقد شعرت ببعض الأذىٰ لما شاهدت منه هذه المرة، ولم يغب عنه ذلك بالطبع، ثم لقاني أخي وسألني عن سبب عدم إرتياحي فقلت: ذهبت إلىٰ السيد وعرضت عليه سؤالاً لكنه لم يجبني! فقال لي بلغةِ المعاتب: إن إبنة السيد مريضة وهو

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ أحمد رحمت.

متأثرٌ لذلك وقد أمرني بأن نقوم بورد (أمّن يجيب)، وندعو آية اللّٰه السيد القاضي للمشاركة بذلك، فلعلك تتوقع أن يجيبك على أسئلتك كالمعتاد!!

ولكن الإمام عرض سؤالي في اليوم التالي في درسه العام الذي كان يشارك فيه قرابة الألف طالب وأجاب عليه وأشار ضمنياً إلىٰ عدم إرتياحي من عدم إجابته على سؤالي في اليوم السابق[1].

لم يسمح للأصدقاء بإيقاظي

عاد الإمام إلىٰ بغداد بعد منعه من دخول الكويت، وصادف ذلك قبيل غروب شمس يوم الخميس، فقال: «أريدُ أن أذهب لزيارة حرم الكاظمين». وقال الأصدقاء أنهم يرغبون في الزيارة برفقتِهِ، لكنه لما رآنا نستعد جميعاً لذلك نظر إليّ ثم إلى الحقيبة التي تحتوي على الوثائق ووسائله الشخصية وقال بين هاتين النظرتين: «أنت إبق هنا»، فعرفتُ مقصوده فبقيتُ، وقد أخبرني الأصدقاء فيما بعد عن المشهد العظيم الذي إشتملت عليه هذه الزيارة إثر إجتماع الزائرين العرب وأهل المدينة حول الإمام في الحرم الكاظمي.

وعلى أي حال، فقد بقيتُ أنا في الفندق وأغلقت أبواب غرفتنا ووضعت المفتاح في جيبي وجلست على كرسي عند باب الغرفة فنمت بسبب شدة التعب وعندما رجع وعرف بأنني نائمٌ خلف باب الغرفة لم يسمح للأصدقاء بإيقاظي وبقي واقفاً عند الباب حتىٰ استيقظت إثر سماعي لصوت، فرأيته واقفاً إلىٰ جانبي، فقمتُ فوراً وفتحتُ الباب ودخلنا، وفرش الإمام عباءَتَهُ فوراً وشرع بالصلاةِ وبعدها سألناه عن الطعام الذي يرغب في أن نعده لعشائِهِ فقال: «قليلٌ من اللبن الرائب مع قليل من الخبز»، ثم تناول طعام العشاء وبعده أخذ بتلاوة القرآن[2].

---

(١) آية اللّٰه الشيخ يوسف الصانعي، مجلة حوزة، العدد: ٣٢.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الناصري، مجلة (باسدار إسلام = حارس الإسلام)، العدد: ٥٨.

لا أرضىٰ بتسبيب المزاحمة ولو لشخصٍ واحد

عندما جاء الإمام إلى النجف الأشرف طلب منه طلبة الحوزة أن يقيم صلاة الجماعة في مدرسة آية اللّه البروجردي. وقد بعث قدومه فيهم حالة عجيبة من الحماس والسرور حتىٰ أنهم أخرجوا من مكتبة المدرسة نسخةً نفيسة من القران كان بلاط الشاه قد أهداها للمدرسة، وأعادوها إلىٰ القنصلية الإيرانية في كربلاء، ولكن بعض أهل الحل والعقد قالوا له إن إقامة صلاة الجماعة في المدرسة تسبب بعض المزاحمات للطلبة الدارسين فيها، فامتنع الإمام فوراً عن إقامتها وكأنه كان ينتظر مثل هذا الكلام. فتصور الطلاب أن سبب إمتناعه هو حلول شهر رمضان وصعوبة إقامة الصلاة جماعة عليه في هذا الشهر، ولكن الشهر المبارك انقضىٰ ولم يحضر لصلاة الجماعة فحققوا في الأمر ولما عرفوا السبب الحقيقي جاؤوا للإمام وتعهدوا له بأن يختاروا للصلاة مكاناً لا يقابل غرفة أي من الطلبة لكي لا تزاحم تردد أي منهم على غرفته أثناء الصلاة، فقال لهم: «إنني لم اعتد على الذهاب إلىٰ مكانٍ لإقامةِ صلاة الجماعة فيه حتىٰ عندما كنت في قم كنتُ أقيمها في منزلي، لا أرضىٰ بأن يسبب حضوري مزاحمة ولو لشخصٍ واحد»[1].

كان رؤوفاً للغاية

كان الإمام رؤوفاً للغاية. فمثلاً ذهبنا يوماً مع علي [حفيد الإمام] إلىٰ الحديقة فرأى فيها طفلة صغيرة في عمره هي إبنة أحد الحرس فأصر أن نصطحبها معه إلىٰ الإمام، وعندما دخلنا عليه كان يتناول طعام الظهيرة فقال لعلي: اجلس أنت وصديقتك لكي نتناول الطعام معاً فجلسا وقد حاولنا إخراج الطفلة عدة مرات لكي لا تزاحمه لكنه كان ينهانا ويقول:

---

(١) آية اللّه الشيخ القديري، صحيفة جمهوري إسلامي، الملحق الخاص بالذكرىٰ السنوية الثانية لوفاة الإمام الخميني.

«دعوا الطفلة تأكل طعامها». وعندما أنهت تناول طعامها، ذهبنا إليه لإرجاعها وقد أهدىٰ لها (٥٠٠) توماناً. أجل كان يأنس بالأطفال ويرأف بهم، وهذه سيرته في التعامل مع جميع الأطفال وليس مع علي فقط[١].

يعطي حلواه للطفل ويستجيب لطلب الزائر

كنتُ في كربلاء عندما جاء الإمام للزيارة. وكان ملتزماً بزيارتها في ليالي الجمعة وكذلك في المواسم السبعة التي وردت فيها زيارات مخصوصة لسيد الشهداء عليه السلام مثلما وردت ثلاث زيارات مخصوصة للنجف الأشرف. وكان يتعبّد في الحرم أثناء الزيارة وينشغل بالصلاة والدعاء مثل سائر المتعبدين في حين أن باقي العلماء كانت لا تزيد مدة زيارتهم للحرم على (١٠ ـ ١٥) دقيقة، يصلون ركعتين ويتلون نصوص الزيارة والدعاء عن حفظ، أما الإمام فكان يجلس في الحرم مثل بقية الزائرين ويقرأ الزيارة والدعاء من كتاب مفاتيح الجنان. ومرةً رأيته يصلي عند الجهة المقابلة للرأس الشريف في مرقد الإمام الحسين عليه السلام، وكنت وأنا وطفلي الصغير نجلس بالقرب منه، فجاء رجل وأخذ يوزع الحلوىٰ على الزائرين ـ كما هي عادة أهل بغداد ـ، وقدمها أمامنا، فتناول الإمام قطعة من الحلوىٰ مثلما فعل الآخرون، لكنه قدّم قطعته إلىٰ ولدي الصغير الذي غفل الرجل عن تقديم الحلوىٰ له وإلتفت الإمام لذلك فأعطاه حلواه.

وأثناء هذه الزيارة، جلب إلتفاتي موقف آخر هو أن أحد الزائرين الإيرانيين جاء للإمام وقدم له «تربة» كان قد اشتراها وطلب منه أن يصلي عليها للتبرك بذلك ثم يرجعها له، فوافق بكل تواضع وقام بكل خضوع وصلىٰ بها ركعتين ثم قدمها للزائر. وقد أسرني كثيراً هذا الأمر الذي يُعبر من جهة؛ عن إعتقاد الناس بسمو مقام الإمام المعنوي، كما يُعبر من جهةٍ ثانية

---

(١) الحاج عيسىٰ الجعفري، خادم بيت الإمام في جمران.

عن إعتقاده هو نفسه بهذه القضايا المعنوية، الأمر الذي يدحض تصورات البعض، بأن كون الإمام رجل جهاد يعني أنه لا يرىٰ مثل هذه القضايا من الخرافات، ولكن إتضح أنه يعتقد بها بقوة ويعمل بها لأنها وردت في الأحاديث الشريفة[1].

نظراته مفعمة بالمودة

كان وجود الإمام يطفح بالعواطف الجياشة ونظراته مفعمة بالمودة تزيل الأذىٰ عن روح مَن تتوجه إليه، لذلك كنا نذهب إليه كلما أصابنا أذىٰ فيزول عنا بمجرد أن نسمع جوابه الودود على سلامنا، لقد كنا ننسىٰ ما أصابنا حقاً فور ذلك[2].

وعواطفه جياشة قوية

الإمام رجلٌ ذو عاطفة قوية، فمثلاً كان مشهد توديعه لأخواتي ـ بعدما كن يأتين لزيارته وهو في النجف الأشرف ـ مؤثراً للغاية بحيث أنني لم أكن أطيق الوقوف في ساحة المنزل ورؤية هذا المشهد وتوديع الإمام لهن قبل عودتهن إلى إيران ـ وكان أخي المرحوم [السيد مصطفىٰ] يقول أنه أيضاً لم يكن يتحمل رؤية هذا التوديع. الإمام يتعامل بعواطف جياشة مع أولاده لكنه لا يسمح ـ في الوقت نفسه ـ أن تؤثر هذه العواطف أبداً على قراراته وأعماله[3].

ويحرص على سلامة الآخرين

الإمامُ يحبُ زوجته وأولاده وأحفاده بل وأقرباءه كثيراً، بل وحتىٰ

(١) آية الله الشيخ محمد هادي معرفت، مجلة حوزة، العدد ٣٢.

(٢) السيدة فرشته الإعرابي.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة بيام إنقلاب، العدد: ٦٠.

أعضاء مكتبه فإذا مرِضَ أحدهم نجده يكرر السؤال عن حاله ويوصي بمعالجته ويتابع حاله باستمرار ويأمره بالذهاب إلىٰ المستشفىٰ. وقد ذهب يوماً السيد أحمد لقراءة بيان للإمام في إحدىٰ المراسم، وقبل أن يقرأه قال في مقابلة يسمعها الإمام عبر المذياع ـ إن حالته الصحية غير مناسبة، فاتصل الإمام عبر الهاتف فوراً للإستفسار عن صحته وسبب مرضه[١].

إنتبهوا لكي لا يؤذيكم القلم

كان الإمام شديدَ الإهتمام بسلامتنا، فمثلاً إذا كنا نكتب شيئاً يقول لنا: «إنتبهوا لكي لا يؤذي القلم أعينكم»، فنسأله: وما علاقة القلم بالعين؟ فيجيب: «من المحتمل أن يقع طفلٌ عليكم فيصيب القلم أعينكم»[٢]!

يهتم بتعزيةِ حفيدته

عندما توفي آية اللّه السيد الخاتمي ـ والد زوجي ـ: سافرتُ إلىٰ يزد للمشاركة في مراسم العزاء، فكانت أمي تقول: إنّ الإمام يسأل عنك باستمرار، وكان يعرب باستمرار عن رغبته في رؤيتي وتقديم العزاء لي لكي يخفف من حزني. وفور عودتي إلىٰ طهران إستدعاني للقائِهِ. وكان ذلك مثيراً لإعجابي حقاً فهو ـ ورغم كثرة مشاغله ـ لم يكن يغفل عن متابعة شؤون عائلته ويهتم بقضية مثل تعزية حفيدته على وفاة والد زوجها. إنه لم يكن يغفل عن أية قضية[٣].

في المستشفىٰ يسأل عن حال المرضىٰ

عندما كان في المستشفىٰ يخضع للعلاج، مرضت أختي، فكان يسأل

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، المصدر السابق، العدد: ٥٠.

(٢) السيدة زهراء الإشراقي، صحيفة إطلاعات، ١٤/ ٣/ ١٣٦٩ [هـ.ش].

(٣) السيدة زهراء الإشراقي (حفيدة الإمام).

عن حالها كلما أفاق من حالةِ الإغماء التي تصيبه بين الحين والآخر أثناء العلاج، وهذا نموذج واضح الدلالة على شدةِ إهتمامِهِ بالإرتباط العاطفي وقوة عاطفته[١].

يخفف عن عائديه في مرضه

كان سمو أخلاق الإمام يمنعه حتىٰ من التأوه من شدة الآلام التي كان يقاسيها وهو راقد على فراش المرض في المستشفىٰ، بل وكان يخفف عن زوارِهِ ويزيل قلقهم عليه فيجيب على أسئلتهم عن حالته بالقول: «حالتي جيدة، فكيف حال صحتكم، لقد أصابتكم وعكة، فهل زالت عنكم»[٢]!.

إجلسوا لكي لا تتعبوا

تدهورت صحة الإمام بشدة ورقد في المستشفىٰ، فكنا نذهب لعيادته وعندما نقف عند سريره كان يقول بمودة: «إجلسوا فالكرسي موجود»! فكنا نقول: نحن مرتاحون يا سيدي، فيقول «لا، إجلسوا لكي لا تتعبوا من الوقوف»[٣].

لا تأتي إلىٰ هنا بدون طفلتك!

كنا إذا انشغلنا عن زيارة الإمام يوماً أو يومين قال لنا: «أين كنتم؟ كأنكم لا تعرفوني!»، فكان يهتم بالتواصل إلىٰ هذه الدرجة، ذهبت لزيارته يوماً وحدي دون أن أصطحب معي إبنتي الصغيرة فاطمة، وعندما دخلت المنزل كان يتمشىٰ في ساحته فسألني عنها بعد أن رد سلامي،

---

(١) السيدة زهراء الإشراقي، ملحق صحيفة إطلاعات، ١٤/ ٣/ ١٣٦٩ [هـ. ش].
(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأنصاري الكرماني، النشرة الخاصة بمناسبة مرور أربعين يوماً علىٰ وفاة الإمام.
(٣) السيدة فرشته الإعرابي.

فقلت: إنها تؤذي يا سيدي، ولذلك جئت وحدي، فآذاه هذا القول إلىٰ درجة أنه قال: «إذا أردت المجيء إلىٰ هنا ثانية بدون فاطمة، فلا ينبغي لك أنت أيضاً المجيء»!، أجل كانت روحه شفافة جداً، سألته: لماذا تحب الأطفال إلىٰ هذه الدرجة؟ هل لأنهم أولادنا؟ فقال: «لا ليس هذا السبب عندما أدخل الحسينية فإنّ إنتباهي يتوجه إلىٰ مَن فيها من الأطفال، وحتىٰ إذا تكلمتُ مع الحاضرين، كان إنتباهي يتوجه إلىٰ الأطفال من بينهم إذا سمعت بكاء أحدهم أو شاهدت أحدهم يلوح بيده إليّ أو يشير إليّ»[١]!

أترك الطفل وشأنه

ذهبتُ يوماً لزيارة الإمام مع ولدي حامد وهو يومئذٍ ابن أربع سنين، وكان إلىٰ جانب الإمام كيسٌ كبيرٌ مملوءٌ لأكثر من نصفه بالأوراق والرسائل، وهو يخرج واحدة تلو الأخرىٰ ويقرأها ثم يضع الرسالة التي تحتاج إلىٰ كتابة جواب عليها تحت الملحفة ويضع الباقيات جانباً. وعندما جلسنا بدأ يتحدث مع حامد فسأله مثلاً عن إسم والده مع أنه يعرف إسمي، ثم أخذ حامد باللعب، فخشيتُ أن يضايق لعبه عمل الإمام فاستأذنت للإنصراف به فقال: «أترك الطفل وشأنه، إن كان لديك أنت عمل فتفضل». فخرجتُ من عنده، وبعد نصف ساعة قلت لنفسي: لعل الطفل يؤذي الإمام بلعبه، فعدت لإخراجه، وعندما دخلتُ وجدته واضعاً رأسه على رجل الإمام ومسنداً قدميه على الجدار وهو يقول له: ضعْ هذه الورقة في محلها وبصورة مرتبة... والإمام يضحك من قوله، فقلتُ للإمام: إسمحوا لي بإخراجه إنه يزاحم عملكم. فأجابني: «كلا، الطفل لا يزاحمني، فانصرفوا أنتم»[٢].

---

(١) السيدة زهراء الإشراقي، مجلة سروش، العدد: ٤٧٦.
(٢) السيد علي الثقفي (شقيق زوجة الإمام).

يأنس بالأطفال ويلعب معهم

كان الإمام مفعماً بالعاطفة، فمثلاً كان يأنس كثيراً بعلي ابن السيد أحمد، وقد يستغرق لعبه معه أحياناً عدة ساعات، وأتذكر أننا أخذنا علياً معنا مرةً لزيارة مرقد الإمام الرضا عليه السلام في مشهد؛ ورغم أن الإمام لم يكن يتحدث مباشرة مع أحدٍ عبر الهاتف إلا أنه وعندما إتصلنا هاتفياً بطهران طلب التحدث مع علي، وعندما حادثه عرف ـ بفراسته الإستثنائية ـ أنه مريضٌ فأوصانا برعايته[1].

ويضع صورة حفيده في غرفة نومه

تحمل الإمام مصيبةَ فقد إحدىٰ حفيداتِهِ أيضاً، إذا أنّ إحدىٰ بناتي لم تنجب إلا بعد إثني عشر عاماً من زواجها، وعندما أنجبت لم ترَ وليدها، وهذا الأمر يحزّ في نفسي كثيراً، على أي حال كان الإمام شديد الحبّ لطفلها حتى أنه وضع صورته فوق محل نومه. وقد زارنا يوماً ضيوفٌ أحبوا رؤية صورة هذا الطفل فأرسلتُ في طلبها من الإمام فأعطاها وقال: «خذي هذه الصورة على نحو الأمانة ثم أرجعيها لي بعد أن يشاهدوها». وكان قد وضع بنفسه هذه الصورة في إطارٍ من الورق المقوّىٰ[2].

هل استيقظتِ على صوت المنبه

كنتُ أنام في غرفة السيد [الإمام] في الأيام التي كانت تسافر فيها والدتي، لكنه كان يقول: «لا حاجة لأن تنامي أنت هنا، فنومك خفيف جداً، وهذا الأمر يؤذيني»! لقد لفَّ الساعة التي كان يستفيد منها للإستيقاظ بقطعةٍ من القماش ووضعها في مكان بعيد عني لكي لا أستيقظ على صوت جرسها. وفي سحر إحدىٰ الليالي كنت مستيقظة لكنني لم أظهر ذلك لأنه كان قد قام

(١) حجة الإسلام والمسلمين الآشتياني، مجلة (مرزداران = حماة الحدود)، العدد: ٦.

(٢) السيدة صديقة المصطفوي، بنت الإمام، مجلة سروش، العدد: ٤٧٦.

لصلاة الليل، وفي الصباح سألني: هل سمعتِ صوت جرس الساعة؟» فقد أراد أن يعرف إن كنت قد إستيقظت أم لا، فأجبته بسؤال أردت أن أتهرب به من الإجابة الصريحة، إذْ قلتُ: وهل توجد في غرفتك ساعة لكي أستيقظ على صوتها؟! لكنه عرف هدفي من هذه الإجابة فقال: «أجيبي على سؤالي بوضوح: هل إستيقظتِ على صوت جرس الساعة؟» فاضطررت إلىٰ القول: أتصور أنني كنتُ مستيقظةً. وكنت صادقةً في ذلك لأنّ صوت الساعة كان بعيداً وضعيفاً جداً، إلا أنه قال «لا ينبغي أن تنامي في غرفتي بعد الآن، فهذا يجعلني دائماً في قلقٍ بسبب إحتمال إستيقاظك لأقل صوت». فقلتُ: نحن نتعمد أن ينام عندك مَن يكون نومه خفيفاً لكي يستيقظ بسرعة إذا أصابتك وعكة، وكان ذلك بعد الأزمة القلبية التي أصابته وجاء إلىٰ طهران بسببها، لكنه رغم ذلك قال: «كلا لا حاجة لذلك، قولي لإبنتك ليلىٰ أن تنامَ في غرفتي بدلاً عنك»؛ فاستجبنا لأمره.

وبعد أيام قال: لا حاجة لأن تنام ليلىٰ أيضاً هنا، فهي تزيح عن نفسها الملحفة وهي نائمة فأضطر إلىٰ القيام مراراً في الليل لتغطيتها بها»[١]!

الشيخ مسيب صاحبنا

كان الإمام ينظر بعين المحبة والمودة الخاصة لأشخاص قد لا يعبأ بهم الآخرون مثل الشيخ المرحوم «مسيب» وهو من محبي الإمام في النجف الأشرف وقد توفي إثر إصابته بمرض السرطان قبل وفاة الإمام بأيام قليلة، فقد كان يحيطه برعاية ومودة خاصة لا تتوقع لمن مثله وبقي على ذلك إلىٰ حين وفاته، حتىٰ أنه ذُكر هذا الشيخ عند الإمام مرة فقال متسائلاً: «تعنون الشيخ مسيباً صاحبنا؟»[٢].

---

(١) السيدة زهراء المصطفوي.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

آذاه غيرنا فلماذا يعرض عنا

رجع أحد الأصدقاء من أعضاء مكتب الإمام قبل أن يصل إلىٰ محل عمله نتيجة لتصرف غير لائقٍ من أحد العاملين حديثاً هناك كان قد آذاه، وعندما دخلنا على الإمام سأل عن صاحبنا فوراً فأخبرناه بما جرىٰ فقال بلهجة ودية مع إبتسامة: «آذاه غيرنا فلماذا يعرض عنا؟. فلما سمع صاحبنا بقول الإمام، سارع للعودة إلىٰ عمله[1].

ما أقل زيارتك لنا

لم تسنح الفرصة وعلى مدىٰ عدة أيام للشهيد المطهري للذهاب إلىٰ قم لزيارة الإمام بعد إنتصار الثورة الإسلامية، فلما زاره في يوم الخميس ـ قبل خمسة أيام من إستشهاده ـ، قال له الإمام: «ما أقل زيارتك لنا». وقد قال بحقه بعد إستشهاده كلمات قلما تكلم بمثلها عن غيره من قبل ومن بعد[2].

شدة تأثره لاستشهاد أصحابه

تصيبُ الإمام حالة شديدة من التأثر عند سماع خبر إستشهاد أي من أصحابه، فهو مفعمٌ بالعاطفة في جانب كونه صبوراً كالجبل، ولذلك لم نتجرأ مثلاً على إخباره باستشهاد المرحوم الدكتور البهشتي، وكانت إحدىٰ مهامي في الأعوام الثلاثة التي تلت إنتصار الثورة هو نقل مثل هذه الأخبار. وقد تأثر كثيراً لاستشهاد المرحوم الرجائي والمرحوم البهشتي وقال من أعماق قلبه: «عاش البهشتي مظلوماً وتوفي مظلوماً»[3].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مجلة (آينده سازان = بناة المستقبل)، العدد: ٢٠.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (صالحين روستا = صالحى القرية)، العدد: ٣.

يمسح بيده على رؤوس الأطفال وأكتافهم

نحن نعلن مراراً للحرس والزوار أن يمتنعوا عن إيصال الأطفال إلىٰ الشرفة التي يقف عليها الإمام في حسينية جمران، لكن الإمام عندما يرىٰ تفجر مشاعر الناس ويلاحظ رغبة الأطفال الشديدة بأن يمسح بيده على رؤوسهم، كان يسمح بذلك ويوصي بالانتباه إليهم لكيلا يسقطوا ثم يمسح بيده على رؤوسهم وأكتافهم[1].

شدة حبه لأولاد الشهداء

كان الإمام عطوفاً ورؤوفاً للغاية بالآخرين وخاصةً بالأطفال الذين كان يحبهم كثيراً ويتعامل معهم كأحدهم ويقول عنهم: «عندما أدخل إلىٰ الحسينية فإن أكثر نظري يتوجه للأطفال»، وعندما كان يراهم يتأذون بسبب شدة الإزدحام أحياناً كان يقول: «إن إصطحاب الأطفال في ظل هذا الازدحام يؤذيني كثيراً لأنهم يتأذون من الإزدحام»! وكان يحب أولاد الشهداء كحبه لأولاده إنْ لم نقل أنه يحبهم أكثر[2].

يسكن برأفته لوعة طفلة الشهيد

كنتُ يوماً في جمران في أيام إقامة الإمام فيها في سني الحرب الأولىٰ، فرأيتُ بين القادمين لزيارة الإمام إمرأةً شابة استشهد زوجها قريباً ومعها طفلته الصغيرة التي كانت تبكي بلوعة وقد سالت دموعها بغزارة على وجهها التريب، في حين كانت والدتها تسعىٰ لإيصال هذه الطفلة اليتيمة إلىٰ الإمام عسىٰ أن تسكن روحها، كانت الأم تقول: إن ما يؤذيني ليس إستشهاد زوجي فانا قد مهدت بنفسي لذهابه إلىٰ الجبهة، ولكنّ أكثر

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأنصاري الكرماني، مجلة (جهاد روستا)، العدد: ٢٢٢.

(٢) السيدة نعيمة الإشراقي (حفيدة الإمام)، صحيفة كيهان، ١٢/ ٤/ ١٣٦٨ [هـ.ش].

ما يؤذيني هو لوعة طفلتي الصغيرة لفقد والدها، إنني لا أجد سبيلاً لتسكين لوعتها إلا في لقاء الإمام.

وإثرَ ذلك أخذ أخي بيد الطفلة وذهبنا بها إلىٰ الإمام الذي كان يتمشىٰ في ساحة المنزل، وكنا نتوقع أن يمسح بيده على رأسها ثم نرجعها إلىٰ والدتها، لكنه عندما رأىٰ حالها وبكائها أخذ بيدها واحتضنها وجلس عند حافة الحوض ومسح دموعها بمحبةٍ ومودة بالغة وأخذ يحادثها مدة حتىٰ هدأت الطفلة بالكامل وعلت وجهها ملامح السكينة، ثم أخذناها إلىٰ والدتها[١].

أعينوا الصبي على الصعود إليّ

طوال أيام إقامة الإمام في مدرسة علوي كانت الوفود الجماهيرية تتدفق لزيارته باستمرار (الرجال صباحاً والنساء عصراً)، وكانت شدة الإزدحام تؤدي إلىٰ إغماء بعض الزائرين وأحياناً إلىٰ نقلهم إلىٰ المستشفىٰ، في أحد الأيام كنت بالقرب من الإمام وكان إزدحام الزائرين شديداً للغاية، فرأىٰ صبياً عمره حدود العشرة أعوام قد اشتد الضغط عليه وأخذ بالبكاء لكنه رغم ذلك كان يسعىٰ إلىٰ شق الصفوف بهدف الوصول إلىٰ الإمام الذي أشار إلىٰ مَن حوله أن يعِينوا الصبي ويأتوا به إليه في الشرفة، ففعلوا، ووصل الصبي إلىٰ الإمام والعرق يتصبب منه وهو يبكي فأحاطه الإمام بمودته ولطفه، ثم طلب الصبي أن يأذن له بأن يقبل خده، فقدم له خده الأيمن فقبله وطلب تقبيل خده الآخر فأدار له وجهه وقبّلَ الصبي الخدَّ ثم طلب تقبيل جبهته فانحنىٰ الإمام بكل تواضع للصبي الذي قبّل جبهة الإمام والسرور يطفح من عينيه[٢].

---

(١) السيد علي الثقفي، مجلة (پيك إرشاد = رسالة الإرشاد)، الشهر الرابع سنة ١٣٦٨ [هـ. ش].

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مهدي الكروبي.

يجيب بنفسه على رسالة الطفلة

كتبت طفلة يبلغ عمرها ستة أعوام رسالةً للإمام قالت فيها: إنني أحب كثيراً أن أزورك وأراك عن قرب ولكن أعضاء المكتب لا يسمحون لي بذلك. فكتب الإمام بخطه الجواب التالي على رسالتها: «بسمه تعالىٰ: قرأتُ رسالتك يا ابنتي، يمكنك المجيء إليّ متىٰ شئتِ». ثم أمرنا بإيصال رسالته الجوابية إلىٰ منزل الطفلة لكي تستطيع المجيء لزيارته متىٰ شاءت(١)!

إقرأ يا عزيزي

كان المسؤولون عن مراسم إستقبال الإمام قد أعدوا مكاناً خاصاً قرب المنصة إستقر فيه الإمام والسيد أحمد وعدد من العلماء بعد أن هبطت الطائرة العمودية؛ في بداية المراسم تلا صبي بصوتٍ حسن آيات من القرآن مع ترجمتها وتكرر عدة مرات أنه كلما أراد أن يختم التلاوة كان الإمام يقول له: «إقرأ يا عزيزي»(٢)!

البنت وليد مبارك

في شتاء سنة ١٣٦٣ [هـ.ش ١٩٨٤م] رزقني اللّه بنتاً فحملتها إلىٰ الإمام تبركاً فاستقبلني بوجه مستبشر وقال: «هل الوليد لك؟»، فقلت: نعم، فمد يده لحملها وهو يسألني «ذكرٌ أم أنثى»، فقلت: أنثىٰ، فاحتضنها ووضع خده على خدها ثم قبل جبهتها وهو يقول: «البنتُ جيدةٌ جداً، البنتُ وليد مبارك»، وتلا الدعاء في أذنها، ثم سألني عن الاسم فقلت: أوكلت تسميتها لسماحتكم، فقال دون تأمل ثلاث مرات: «فاطمة إسم جيدٌ جداً»(٣).

---

(١) أحد أعضاء بيت الإمام، مجلة (آنيده سازان = بناة المستقبل)، العدد: ١٤٤.

(٢) صحيفة كيهان، ١٤/١١/١٣٥٧ [هـ.ش].

(٣) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

الاهتمام بسلامة الآخرين

عندما كان الإمام يرىٰ أبسط جرح في وجه أحد أو عندما كان يشعر بأنه يحس بألم ما كان يسأله حتماً عن سببه، ثم يوصيه بالمزيد من الاهتمام بسلامته[1].

قم هي مدينتي حقاً

عندما زار وفدٌ من أهل قم الإمام في حسينية جمران تعامل معهم وكأنه أحد أهل قم، وبعد أيام زرناه وسألناه: هل أنت يا سيدي من أهل خمين أم من أهل قم؟ فقال: «إن قم هي مدينتي حقاً، وتربطني بأهلها ألفةٌ قديمة»[2].

الحرص على راحة الآخرين

عندما كان الإمام يقوم لصلاة الليل في السحر، كان يستعمل مصباحاً يدوياً صغيراً لا ينير سوىٰ مساحة صغيرة بين قدميه ويجتنب إيقاد المصابيح الكبيرة ويمشي بهدوء لكي لا يسبب ما يؤدي إلىٰ إيقاظ الآخرين[3].

في إحدىٰ ليالي شهر رمضان...

في منتصف إحدىٰ ليالي شهر رمضان المبارك، شاهدت أحد الأخوة الحرس يتجه نحونا راكضاً وهو يقول: هلموا لقد جاء الإمام للحسينية، فسارعنا إليها ـ وكنا حدود (٢٠) شخصاً ـ فرأينا الإمام بلباسه المنزلي المتواضع فلما رآنا تبسم وأحاطنا برأفته ومودته[4].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، نشرة خاصة بأربعين الإمام الخميني.
(٢) آية الله الشهيد البهشتي، صحيفة جمهوري إسلامي، ١/ ٤/ ١٣٦٥ [هـ.ش].
(٣) الدكتور محمود البروجردي، (حوادث خاصة من حياة الإمام)، ج٣.
(٤) السيد تيموري، أحد حرس بيت الإمام، كتاب (في رثاء النور).

يتفقدهم في الأسحار

ينقل بعض الأخوة الحرس في قم أن الإمام كان يمر عليهم ويتفقد أحوالهم في الأسحار قبل أن يتوجه لنافلة الليل والتهجد[١].

يتفقدنا أثناء تنظيف الحسينية

كنا ليلةً ـ مع عدد من الأخوات ـ نقوم بتنظيف حسينية جمران، فدخل الإمام فجأةً لتفقد أحوالنا، فتقدمت الأخوات نحوه وقد غمرهن الفرح والسرور فأعطاهن مجموعةً من القطع النقدية الصغيرة من فئة الريالين[٢].

أشد رأفة بنا من الوالد

كان الإمام يعاملنا برأفةٍ لم نكن نتوقعها حتىٰ من الآباء، وعندما كنا نزوره كنا نخرج من عنده ونحن أشد شوقاً لزيارته مرةً أخرىٰ لقد كان يعاملنا بهذه الرأفة وهو الذي بث الرعب بصلابته في قلوب الجناة الدوليين الكبار[٣].

شدة تأثره من مشاهدة الجرحىٰ

كان الأذىٰ الشديد يظهر على الإمام عندما يشاهد تقارير التلفزيون المصورة عن جرحىٰ الحرب، فيضع يديه على وجهه ـ وكانت هذه عادته إذا أحزنه أمرٌ ـ، وقد فكرت في أن أطلب من مسؤولي الإذاعة والتلفزيون عدم بث مثل هذه التقارير لشدة تأثيرها على سلامة قلبه[٤].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، مجلة (پيام إنقلاب = رسالة الثورة)، العدد: ٤٨.

(٢) السيد التيموري، كتاب (في رثار النور).

(٣) أحد حرس بيت الإمام، المصدر السابق.

(٤) السيدة زهراء المصطفوي.

رعاية الجيران حتىٰ من غير المسلمين

في الأيام الأولىٰ لإقامته في باريس سكن الإمام في منزلٍ كان أحد الطلبة الجامعيين قد إستأجره ولم يسكن فيه فسكنه الإمام بعد أن اشترط أن يدفع هو قيمة الإيجار، وكان المنزل هو عبارة عن شقة تقع في الطابق الرابع لإحدىٰ البنايات، فلاحظ الإمام أن كثرة التردد عليه والزيارة له تُؤذي جيرانه، فقرر الإنتقال إلىٰ مكان لا يسبب ذلك مزاحمة لأحد، ولذلك إنتقل إلىٰ إحدىٰ ضواحي باريس (نوفل لوشاتو) للإقامة فيها[1].

كان يذكرني أثناء عدم حضوري بوصف أختي

تشرفتُ بخدمةِ الإمام عن قرب على مدىٰ أربعة أشهر و(١٦) يوماً، وفي نوفل لوشاتو كان يأمرني بمهامٍ من قبيل: إتصلي بالقس الفلاني وأعرضي عليه قضايا الثورة، أو: ناقشي الصحفي الفلاني بهذا الخصوص. وقد سمعتُ من أحد الأعزاء من أهل بيته أنه كان يذكرني في أثناء حضوري بوصف: «أختي»؛ وهذا الوصف نعمةٌ ومكرمةٌ تفضل اللّه تعالىٰ بها علي[2].

واين طعامك أنت؟

عندما كنا في باريس أخبرني الإمام يوماً، كانت عائلته قد ذهبت فيه إلىٰ منزل أحد الأصدقاء، بأنّ آية اللّه المطهري وآية اللّه الصدوقي سيتناولان طعام الظهيرة معه، فوزعت الطعام المعتاد ـ وهو مرق ماء اللحم ـ على ثلاثةِ صحون لكي أقدمه لهم، وقررتُ أن أذهب إلىٰ المبنىٰ الآخر وأتناول الطعام المألوف هناك وهو الخبز والجبنة والطماطم؛ ولكنني عندما قدمت الطعام سألني: «أين طعامك أنت؟»، فلم أستطع الكذب فقلت: تفضلوا أنتم سأذهبُ بعد قليل إلىٰ

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين المحتشمي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج١.

(٢) السيدة مرضية الحديدجي، مجلة (زن روز = إمرأة اليوم)، ١٢/٣/١٣٦٩ هـ.ش.

المبنىٰ الآخر وأتناول فيه شيئاً. فقال: «إذهبي وإتني بصحن»، ولما أحضرتُ الصحن الرابع قام بنفسه بتقسيم الطعام الموجود على الصحون الأربعة[1].

أتيت لأعينكم على غسل الصحون

إتفق أن عدد الضيوف كان أكثر من المعتاد في منزل الإمام يوماً، وبعد تناول الطعام وجمع الصحون كنتُ في المطبخ فدخل الإمام فاستغربت لأنه لم يكن موعد تجديده الوضوء فسألته عن ذلك فقال: «الصحون كثيرة اليوم فأتيتُ لأُعينكم على غسلها»، أجل كان شديد الإهتمام برعاية حقوق الآخرين[2].

لم أستطع النوم الليلة الماضية

زار عددٌ من الايرانيين منزل الإمام في فرنسا يوماً وباتوا فيه، ولم يكن المكان يتسع للجميع فأخليت لهم مكاناً صغيراً خلف غرفة الإمام كنتُ أنام فيه ونمتُ في المطبخ، وكان الإمام قد لاحظ ذلك فقال في اليوم التالي: «لم أستطع النوم الليلة الماضية بسبب تفكيري باحتمال إصابتك بالزكام لنومك في المطبخ»[3].

يجتنب الطين رعاية لحالي

كنتُ أقوم ـ برغبة ـ بتنظيف حذاء الإمام وإزالة الطين الذي كان يلصق به عند عودته من محل إقامة الصلاة في الأيام الممطرة، ولكن عندما إلتفت الإمام لذلك أخذ يحرص على أن لا يلصق بحذائِهِ شيءٌ من الطين، لكي لا يحتاج الأمر إلىٰ قيامي بتنظيفه[4].

---

(١) السيد مرضية الحديدجي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٤.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.

هداياه إلىٰ أهالي نوفل لوشاتو

أصدر الإمام بياناً موجهاً لمسيحي العالم بمناسبة ذكرىٰ مولد السيد المسيح عليه السلام ، وقد تناقلته وكالات الأنباء، وقد أمرنا الإمام أن نوزع على أهالي قرية نوفل لوشاتو الهدايا التي جاء بها الأخوة من ايران وهي الحلوىٰ والكرزات عادةً فأضفنا إليها باقات من الورد وأخذنا بتوزيعها، فلاحظنا إستغراب بعضهم من أن يقوم زعيم ايراني غير مسيحي في مثل هذه المناسبة المسيحية بهذه المبادرة الودية خاصةً في الغرب الذي لم يألف مثل هذه المبادرات الودية حتىٰ بين الأبناء والآباء؛ وقد تفجرت الدموع من عين إحدىٰ السيدات مثلاً عندما قدمنا لها هدية الإمام وقد غمرتها المشاعر الجياشة لهذه البادرة التي أثرت في معظمهم فطلبوا موعداً للقاء الإمام فوافق فوراً، فجاء حدود (١٥) منهم للقاء وهم يحملون باقات من الورد، وطلب الإمام من المترجم أن يسألهم عن أحوالهم ثم عما إذا كانت لديهم حاجات يقضيها لهم؛ فأجابوا أنهم إنما جاؤوا لرؤية الإمام عن قرب وتقديم هذه الباقات من الورد هديةً له، ولا حاجة لهم غير ذلك، فتبسم الإمام وأخذ يتسلم باقات الورد بنفسه من أيديهم فرداً فرداً، فزاد ذلك من سرورهم بلقاءِهِ[١] .

الحذر الشديد من إيذاء الجيران

كان الإمام يشدد الوصية علينا بالإنتباه الشديد لكي لا تصدر منا أي حركة تؤذي جيرانه في فرنسا، فقد كان حريصاً للغاية على رعاية أحوالهم ـ وكانوا جميعاً من المسيحين ـ حذراً من أن يصيبهم كثرة التردد على محل إقامته بأذىً، فكانت ثمرة هذه الأخلاق الإجتماعية السامية أن أهالي قرية نوفل لوشاتو أعربوا عن حزنهم لفراقه عندما عزم على العودة إلىٰ إيران وأهدوه مقداراً من تراب ضاحيتهم[٢] .

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد المحتشمي، المصدر السابق، ج١.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد السجادي الأصفهاني.

يسأل عن أحوال جيرانه في باريس

كان الإمام يتعامل بطريقةٍ طيبةٍ للغاية مع جيرانه في باريس ويسأل عن أحوالهم ويبعث لهم رسائل التبريك والورود في عيدهم، ويجسد الأخلاق الكريمة عموماً في معاشرتهم[١].

إعتذروا من الجيران

عندما تقرر ـ بصورة نهائية ـ أن يعود الإمام إلىٰ ايران، أمرني بأن أطوف على منازل أهالي ضاحية نوفل لو شاتو وأعتذرَ نيابةً عنه منهم لحرمانهم من الهدوء خلال مدة إقامته فيها، فذهبنا ـ أنا والشيخ الإشراقي وبعض الأخوة ـ إلىٰ جميع بيوت الضاحية وأبلغنا ساكنيها رسالة الإمامة وإعتذاره[٢].

هدية الامام للسيدتين المسيحيتين

عشية عودة الإمام إلىٰ ايران جاءت سيدتان فرنسيتان إلىٰ محل إقامته مع غروب الشمس، وطلبتا الإلتقاء به فاعتذرتُ منهما لعدم إمكان ذلك [بسبب موعد الصلاة]، فقالتا: إذا لم يكن بالإمكان الإلتقاء به فنرجوا منكم أن تقدموا له هذه ـ وكانت قنينة زجاجية فيها شيىءٌ من التراب ـ، إن عادتنا إذا أحببنا شخصاً أن نهدي له عند وداعه أعزَّ مالدينا، وهذا تراب وطننا نهديه له فهو أعز مالدينا. ثم طلبتا صورتين للإمام موقعة بخطه، فلما أخبرنا الإمام بالأمر تبسم، وأخذ القنينة الزجاجية ووقع على صورتين له، فلما حملنا هديته لهما قبلتا الصورتين شاكرتين لنا[٣].

أتعلم كم أُحبك؟

أحاطني الإمام في مناسبتين أو ثلاث تشرفت فيها بزيارته، بألطافه

---

(١) السيد مصطفى كفاش زادة.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، موسوعة موثر، ج٢.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين فردوسي بور (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج١.

الكريمة إلىٰ درجةِ شعرت معها بالخجل، وفي إحدىٰ الزيارات أخذ بيدي ووضعها على كفه المباركة وقال: «أتعلم كم أحبك؟»[1].

ضاق صدري شوقاً لشمران

اتصل الحاج السيد أحمد يوماً من مكتب الإمام بمقر العمليات الفدائية في الأهواز وقال: إن الإمام يقول: «لقد ضاق صدري شوقاً للدكتور شمران، قولوا له أن يأتي إلىٰ طهران»؛ وكان الدكتور يومئذٍ قد أصيب بجروح في قدمه في منطقة عمليات سوسنجرد، فلما سمع بأمر الإمام توجه فوراً إلَىٰ طهران وزار الإمام وقد حملنا معه خرائط منطقة العمليات لعرضها على الإمام وقد جلس في محضره متربعاً رغم أن إصابته في رجله كانت تجعل عليه مثل هذه الجلسة شاقة مؤذية لكنه كان يتحمل ألمها إحتراماً للإمام الذي يعشقه، وأخذ يشرح أوضاع منطقة العمليات على ضوء تلك الخرائط، فأحس الإمام بفراسته الخاصة بما يعانيه فقال له: «أيها السيد الدكتور، مُدّ رجليك واجلس براحة»، أجاب الدكتور: إنني مرتاح يا سيدي، فقال الإمام: «أقول: مُدّ رجليك»، ولكن الدكتور لم يقبل إحتراماً للإمام، فكرر الإمام قولَهُ للمرةِ الثالثة فاضطر الدكتور للإستجابة.

وبعد إنتهاء اللقاء، إستعد الإمام للذهاب إلىٰ الحسينية لاستقبال زائريه، لكنه قبل دخولها وقف ونادىٰ ولده السيد أحمد الذي لم يسمع صوته لأنه كان في ساحة المنزل فناديته ـ إذ كنت في الشرفة وأقرب إليه ـ فلما جاء قال له الإمام: «إن السيد شمران لا يستطيع العبور برجله المصابة عبر هذه الطاولات التي وضعتموها هنا أزيحوها وافتحوا له الطريق»[2].

---

(١) الفريق قاسم علي ظهير نجاد.

(٢) السيد مهدي شمران، شقيق الشهيد شمران.

صلة الامام للسيد حجازي

بعدما قرأ السيد فخر الدين حجازي قصيدة في محضر الإمام تحت عنوان «والفجر»، وطلب منه صلة عليها فسأله الإمام: «وأي صلة تريد أن أعطيك؟»، فقال: مثل الهدية التي وهبها الإمام الرضا عليه السلام لدعبل! فأرسل له الإمام فيما بعد قميصه[1].

كانت أخلاق الإمام محمدية

كانت أخلاق الإمام محمدية حقاً! فطوال المدة التي كنا نعالجه فيها ورغم تلك العملية الجراحية الصعبة التي أجريناها له، لم يقطب ولا مرةً واحدة حاجبيه إظهاراً للألم والتوجع؛ ولم يعترض ولا مرةً على أوامرنا بالقيام أو المشي ـ حسب مقتضيات العلاج ـ، كان يعاملنا باحترام فائق، وأستطيع القول أنه كان مريضاً نموذجياً! ولا أتصور أن أحداً يستطيع أن يتحلىٰ بالرضا بالقدر الإلهي إلى هذه الدرجة، فيتحمل كل هذه الآلام ويتحلىٰ معها بحسن الخلق إلىٰ درجة يمتنع عن إظهار أي شيءٍ يسبب لنا الأذىٰ[2].

يتورع عن قتل ذبابة

تؤدي أحياناً مشاهدة ابن أو أب لشهيد إلى جعل الإمام يبكي بحرقة تجعل الإنسان ينسىٰ أنّ هذا الباكي هو نفسه الذي يصدر الأوامر الحربية ويبشر المقاتلين بأن مصيرهم الجنة سواء قتلوا أعدائهم أم قُتلوا! لقد جمع الإمام صفات متضادة، فهو يتورع عن قتل ذبابة في حين لا يتهيب عن قتل آلاف مؤلفة من الكافرين[3].

---

(١) مجلة (باسدار إسلام = حارس الإسلام، العدد: ١٠٢.

(٢) الدكتور كلانتر المعتمدي، مجلة (إطلاعات هفتكي =إطلاعات الأسبوعية)، العدد: ٢٤٤٢.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (پيام إنقلاب = رسالة الثورة)، العدد: ٦٠.

عرفانه للجميل

إن من خصوصيات الإمام بلوغه مقام «جمع الجمع»، فهو لا يغفل عن أبسط القضايا في الوقت نفسه الذي يهتم بعظائمها، فمثلاً إذا قدم شخصٌ خدمة له في زمنٍ ما، فإنه يحرص على التعبير عن عرفانه لجميله بتفقد أحواله وأحوال عائلته وأبنائِهِ[١].

أخرج الذبابة ولا تقتلها

كنتُ واقفاً خارج غرفة الإمام يوماً فرأيته يشير إلي من خلف النافذة بالدخول عليه، فسارعتُ إليه، وعندما دخلت عليه وجدت بيده منديلاً ورقياً، قال لي: «يا حاج عيسىٰ، توجد خلف زجاجة النافذة ذبابة كبيرة، فأخرجها من الغرفة ولكن دون أن تقتلها»، ثم كرر القول: «حَذارِ من أن تقتلها»، وخرج من الغرفة. لقد كان رحيماً إلىٰ هذه الدرجة حتىٰ بالحشرات ولم يكن يستخدم السموم الكيماوية للتخلص من أذاها، فقد سعىٰ لإخراج الذبابة بالمنديل الورقي فلم يستطع ولذلك إستدعاني لإخراجها[٢].

عندما كان الذباب يؤذيه

أتذكرُ أنني كنت ألاحظ أيام شبابي أن الإمام عندما كان يتأذىٰ أحياناً من وجود الذباب في غرفته عندما يضطجع لنوم الظهيرة لم يكن يقوم بقتلها أبداً بل كان يفتح باب الغرفة قليلاً ويخرجها واحدة تلو الأخرىٰ، وكان هذا العمل يستغرق أحياناً دقائق طويلة[٣].

يتورع عن إستخدام السموم المضادة للحشرات

كان الإمام إذا أراد إخراج ذبابة من الغرفة، أخرجها بواسطة الكساء،

---

(١) آية الله العبائي الخراساني، صحيفة جمهوري إسلامي، ٨/ ٤/ ١٣٦٨ [هـ. ش].

(٢) الحاج عيسىٰ الجعفري.

(٣) السيدة زهراء المصطفوي.

فلم يكن يستخدم السموم المضادة للحشرات أبداً، بل كان يخرج الذباب مهما كثر عدده بواسطة الكساء ثم ينام، فقد كان يتورع عن استخدام السموم أو أي شيءٍ يؤدي إلىٰ قتلها[١].

ويطعم القطة من طعامه

كانت تتردد على منزل الإمام قطة سوداء كبيرة وكان يُطعمها من طعامه، وكلما دعوناه إلىٰ الإعراض عنها وتناول طعامه، كان يرد علينا بالقول: «لا شأن لكم بها»؛ وكانت تجتمع في منزله أحياناً عدة قطط، فيعاملها جميعاً بمودة بالغة جعلت بعض الأخوة يقولون ممازحين: ياليتني كنتُ قطة[٢]!!

بعد أن إطمئن من تناول القطة لطعامها تناول طعامه

في ظهيرة يوم شديد الحر جاؤوا للإمام بطعامه المعتاد في بساطته والبساطة سمةٌ مميزةَ لعيش هذا العظيم، وكان طعامه عبارة عن قليل من مرق ماء اللحم وقليل من الأرز، ولما هم بتناوله سمع صوت قطة في ساحة المنزل وصلت لمشامها رائحة الطعام، فنادىٰ إبنه السيد أحمد وأخرج قطعة اللحم من صحن طعامه وأعطاها له وقال: «إعطها للقطة يا أحمد»، فقال السيد أحمد: إنها ليست جائعة يا سيدي، قال: «لو لم تكن جائعة لما جاءت إلىٰ ساحة المنزل»، إضطر السيد أحمد إلىٰ أخذ قطعة اللحم وذهب بها إلىٰ القطة؛ وبعد أن اطمئن الإمام من تناول القطة لها بدأ بتناول طعامه[٣]!

ما الفرقُ بينكِ وبين القطط؟!

كان مما يثيرُ إعجابي حب الإمام ورأفته بالحيوانات، عندما كان يدخل إلى الغرفة لتناول طعام الظهيرة كانت القطط تجتمع أحياناً خلف بابه فيأخذ قطع

---

(١) السيدة صديقة المصطفوي، مجلة سروش، العدد: ٤٧٦.

(٢) مجلة (أرمغان = الهدية)، العدد: ١١.

(٣) المصدر السابق.

اللحم الذي في طعامه ويعطيها لها، ويكتفي هو ـ كعادته دائماً ـ بتناول مقدارٍ من ماء اللحم مع قليل من الأرز، ولا أتذكر أنه أكل يوماً اللحم الذي يُطبخ في المرق أو غيره من طعامه، قالت له يوماً أمي وكنا عنده أثناء تناول طعامه وبعد أن أعطىٰ ما فيه من اللحم للقطط: يا سيدي لماذا تعطي اللحم للقطط في ظل هذا الغلاء في الأسعار، فأجابها بلهجة فيها بعض الألم: «وما الفرق بينك وبينها، إنها تتنفس مثلما تتنفسين! فَمنْ يعطيها الطعام إن لم نعطها نحن؟»[1].

قدموا للأسير ما يحب من الطعام

إعتقلت عناصر لجنة إستقبال الإمام عدداً من عملاء النظام الملكي الظالم ونقلوهم إلىٰ مكانٍ يقع خلف مبنىٰ البرلمان القديم في ميدان بهارستان، وقدموا لهم في المساء طعاماً هو عبارة عن الأرز المطبوخ مع المرق وهو نفسه الذي كان يأكل منه الإمام وأصحابه، لكن أحد هؤلاء المعتقلين رفض تناوله وقال أنه لم يأكل مثل هذه الأطعمة من قبل وطلب دجاجاً مطبوخاً مع الأرز، فلما أخبرنا الإمام بذلك قال: «قدموا له ما يحبُ من الطعام»! فاضطر الأخوة إلىٰ الذهاب ـ في تلك الليلة ـ إلىٰ المطعم وشراء وجبة من طعام الدجاج المطبوخ مع الأرز[2]!

حريص على هداية أعدائِهِ

جرىٰ الحديث يوماً عن خصوصيات الإمام مع حجة الإسلام والمسلمين الشهيد سليمي أثناء زيارته للجبهات الجنوبية مبعوثاً من مكتب الإمام لتقوية معنويات المقاتلين وتفقد أحوالهم، فقال: أخبرنا الإمام قبل أيام عن الإهانات والكلام البذيء الذي كان يتفوه به الشيخ علي الطهراني عبر إذاعة بغداد ضد الإمام، ولما إنتهىٰ حديثنا قال الإمام: «قبل أيام

---

(١) السيدة زهراء الإشراقي، مجلة سروش، العدد: ٤٧٦.

(٢) السيد روح الله المهدوي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج٢، ص ١٨٠.

ذكرتُ الشيخ الطهراني ودعوتُ له»!، لقد كان الإمام شديد الحرص حتىٰ على هداية وإصلاح أعدائِهِ ومعارضيه[١].

يرجوهم أن لا يضلوا

لقد شاهدتُ بنفسي الدموع التي كان الإمام يذرفها حزناً على إنفصال بعض الحوزويين والساسة والشباب من اليساريين الفاقدين للأصالة الإسلامية عن جبهة الثورة وإنحرافهم عن مسيرتها وعن ثقافتها الأصيلة: وشاهدت عن قرب الجهود والمساعي المكثفة التي كان يبذلها في دعوتهم إلىٰ التقوىٰ والفضيلة، فقد كنت أحد الذين حملوا رسائله المكررة إليهم والتي كان يرجو منهم فيها أن لا ينحرفوا عن مسيرة الشعب وجماهيره المليونية[٢].

رعاية البعد الانساني قبل كل شيء

كان أحد الرهائن الأميركان مصاباً بمرضٍ مزمنٍ إشتد عليه في الآونة الأخيرة، ولما فحصه الأطباء الثقات ذكروا أن إمكانات معالجته غير متوفرة في ايران، فعرضنا الأمر على الإمام مباشرة لأنّ مجلس الشورىٰ لم يكن يومئذٍ في حالةٍ تؤهله لاتخاذ القرارات، فالتفت الإمام إلىٰ البعد الإنساني في القضية قبل كل شيءٍ ولذلك أمر باطلاقِ سراحه فوراً، فتم ذلك ونُقل إلىٰ أميركا[٣].

شديد على الكفار رحيمٌ بالمؤمنين

الإمام شديدٌ صلب في مواجهة القوىٰ الكبرىٰ وأعداء اللّه وخلقه، تجد قلبه كالجبل الشامخ بل وأصلب في مواجهتهم، لكنه رقيق القلب ـ في الوقت نفسه ـ يذرف دموع الرحمة والتأثر عندما يرىٰ وجوه المحرومين

---

(١) السيد غلام علي الرجائي، كتاب (شريك صلوات).
(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأنصاري الكرماني ـ نشرة خاصة بمناسبة أربعينية الإمام.
(٣) آية اللّه السيد الموسوي خوئيني ها، صحيفة جمهوري إسلامي، ٢٦/ ٤/ ١٣٥٩ هـ.ش.

والمظلومين من أبناء شعبه ومسلمي العالم ويلاحظ ما تحكيه من مشاهد المعاناة والمحن[1].

يقرأ الدعاء في آذاننا عندما نودعه

الإمام رجل وديٌّ عطوف رحيمٌ للغاية خاصةً مع والدتنا التي يكن لها إحتراماً خاصاً. هذه هي طريقة تعامله مع الآخرين ومعنا لم تتغير مُنذ كان طالباً وإلىٰ اليوم، كان ـ مُنذ البداية ـ يتعامل معنا بالطريقة نفسها. وكنا مُنذ البداية نكنُ له إحتراماً خاصاً ونسعىٰ إلىٰ اجتناب أي عمل لا يرضاه لنا، ولا زال حاله اليوم هو هذا فلم يغفل عن شؤون عائلته رغم كثرة مشاغله السياسية والإجتماعية، فلا زال يقرأ الدعاء في آذاننا ـ مثل أكثر الآباء ـ إذا أردنا أن نودعه بعد أن نزوره[2].

كان يتلطف في معاملتنا

أصابني القلق عندما ذهبت السيدة كبرىٰ في إجازة، فقد كانت المسؤولة عن إعداد الطعام وتقديمه للإمام وهذه مهمة كان ينبغي القيام بها بدقة ودون تغيير، ولذلك كنت قلقة بسبب عدم إطمئناني من قدرتي على القيام بهذه المهمة بالصورة المطلوبة. وكان مقرراً لكلٍ منا إجازةً تستغرق أربعة أيام، ولما ذهبت السيدة كبرىٰ في إجازتها، وتكفلتُ بهذه المهمة، قال لي الإمام وقد ذهبت إليه «لقد تضاعفت مزاحمتنا لك يا ربابة»، فقلتُ: فديتك يا سيدي المهم أن تكون أنت راضياً عنا.

ثم إنتهت إجازة السيدة كبرىٰ وعادت إلىٰ المنزل لكنني لم أُخبر الإمام بذلك، وحملت إليه بنفسي عصير الفاكهة، فقال لي: «إذهبي واستريحي يا ربابة لقد عادت السيدة كبرىٰ»! قلت: هل أنتَ راضٍ عني يا

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، مجلة پيام إنقلاب، العدد: ٥٠.

(٢) السيدة فريدة المصطفوي، مجلة (زن روز)، العدد: ١٩٦٦.

سيدي؟ أجاب ـ بعد أن رفع رأسه وابتسم ـ: «أنا راضٍ عنك فقد أحسنتِ أداء مهمتك». لاحظتُ أنه يحمل كتاباً بيدِهِ فأردت أن أعينه فأحمله بدلاً عنه وأضعه في مكانه لكنه رفض وحمله بنفسه حتىٰ وصل إلىٰ غرفته وأنا أمشي خلفه، فقال: «يا ربابة، هل تتناولين طعاماً جيداً في سحورك؟ أرجو أن لا يكون العيش صعباً عليك هنا»، أجبته: كلا يا سيدي مَن يعيش في منزلك لا يجد غير الراحة.

أجل، كان يتفقد باستمرار أحوال العاملين عنده ويسعىٰ إلىٰ أن يكونوا راضين، إذا حملت له تفاحةً مثلاً خصص لي جزءً منها، وهذا ما يفعله مع كل ما كنت أقدمه له، حملت له يوماً قليلاً من الفستق فقال: «تناوليه أنت هو لك»، قلت: لقد أتيتُ به إليك يا سيدي، فقال: «خذيه ولا تؤذيني»! كان يتلطف في معاملتنا إلىٰ هذا الحد[1].

لقد وعدتُ بها فيجب أن تاخذيها

فقد الإمام يوماً فُصَّ خاتمه فقال لنا ـ أنا وبقية العاملين في منزله والسيد أحمد ـ: «مَن وجده فله عندي هدية»، لكنني لم أرغب في العثور عليه خشيةً من أن يكون ذلك طمعاً في الهدية، لذلك إكتفيتُ بإلقاءِ نظرة سريعة على المكان، فقال لي: «لا يمكن العثور عليه بهذه الطريقة، ينبغي أن تجلسي وتمسحي على الأرض بيدكِ فهو فصٌ صغيرٌ»، ففعلتُ ورغبتي في العثور عليه كانت من أجل الإمام لا من أجل الهدية، لكنني لم أجده فقلتُ له: لم أجده يا سيدي، فقال: «لم تبحثي عنه جيداً»، قلت: لقد مسحت بيدي على كل شيءٍ ولم أكتفِ بالنظر يا سيدي، فقال: «يجب العثور عليه فأنا في حاجةٍ شديدةٍ إليه». وعندما سمعتُ منه هذا القول نذرت ـ من أجل العثور عليه ـ تلاوة الصلوات على محمد وآله (١٤) مرة تيمناً بعدد المعصومين الأربعة

(١) السيدة ربابة البافقي، مجلة سروش، العدد: ٤٧٦.

عشر وقلت: إلهي مادام السيد راغباً في العثور على هذا الفص إلى هذه الدرجة فأعنّا على العثور عليه، فإنني أستطيع التهرب من إستلام الهدية بحيلة ما، والمهم أن ندخل السرور على قلب الإمام.

ثم خرجتُ من الغرفة، ولكنني ما أن دخلتُ إلىٰ المطبخ ـ وأنا أتلو ذكر الصلوات ـ حتىٰ إنقلبَ نعلي ووقع بصري على أسفله فوجدت الفص لاصقاً به، فوضعته في طبقٍ وذهبتُ به مبتسمة إلىٰ الإمام فأخذه وقال: «هذا نصفه ويوجد نصف آخر له»، عدت إلىٰ المطبخ وعثرتُ على النصف الآخر وحملته إليه وخرجتُ بسرعة من غرفته وأغلقتُ بابها لكي أتجنب إستلام الهدية لكنني ما أن وصلت إلىٰ غرفتنا حتىٰ علا صوت الهاتف الداخلي فرفعت سماعته لأسمع صوت الإمام ـ الذي يبدو أنه لم يعرف صوتي ـ وهو يقول: «قولوا لربابة أن تأتي إليّ بسرعة»، فذهبت إليه مسرعة وأنا أتصور أن أمراً مهماً قد حدث فاستدعاني بهذه العجلة. لكنني عندما دخلت عليه قال: «لماذا ذهبتِ قبل إستلام هديتك المقررة؟». أجبته: إن هديتي هي سروركم للعثور على الفص، لا أريد هدية أخرىٰ ولذلك خرجت بسرعة، فأجابني بكلمة أثارت تعجبي، إذْ قال ـ وكأنه عرف ما في ضميري ـ: «إنني أعرفك جيداً يا ربابة»، في حين أنه لم يكن قد مرَّ يومذاك إلا أقل من شهرين على عملي في منزله!!

ثم أخرج (٥٠٠) توماناً وقدمها هدية لي، فامتنعت عن قبولها بكل ما أستطيع لكنه أصر وقال: «لقد وعدتُ بها ويجب أن تأخذيها». فأخذتها مضطرةً[١].

أرأف بالضعفاء

كلما كان العامل في بيت الإمام أضعف كلما كانت رأفة الإمام به وعطفه عليه ورعايته له أشد من غيره[٢].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) السيدة زهراء المصطفوي.

إحتراسه ورعايته لخدمةِ بيته

أصيبت السيدة كبرىٰ التي تتولىٰ مهمة الطبخ بمرض جعلها ترقد في الفراش (٣ ـ ٤) أيام، فجاء الإمام إلىٰ غرفتنا ولما سألته عما يريده منا قال: «أتيتُ لأسأل عن صحة كبرىٰ»، أجبته: إنها نائمة يا سيدي، فقال: «لا توقظيها، خذيها فيما بعد إلىٰ الطبيب، أرجو منك أن تهتمي بها وبرعايتها بنفسك». قلت: سمعاً وطاعةً، والعجب قد سيطر عليّ من شدةِ إحترامه ورعايته لخدمةِ بيته[1].

يخرج بنفسه للقاء الفقير والضعيف

تتجلىٰ في الإمام صورة سامية للرأفة والعاطفة، خاصة بالضعفاء الذين يكن لهم مودة عجيبة حقاً ويحيطهم برعاية خاصة، فمثلاً إذا قلتم له إن شيخاً كبيراً أو رجلاً فقيراً يقف على باب منزلكم، خرج إليه بنفسه حتماً لكنه لا يفعل مثل ذلك مع رئيس المؤسسة الفلانية وأمثاله[2]!!

كتب اللّه لك السلامة

في الساعة (١٢) ظهراً من اليوم الأخير من حياة الإمام إستدعىٰ النساء [من أهل بيته]، فلما دخلن عليه قال لهن: «إن هذا الطريق صعب»، ثم قال: «إجتنبنَّ المعاصي»، ثم استدعىٰ الشيخين التوسلي والأنصاري وتحدث معهما بشأن الاختلاف بين الفقهاء في موارد لم أعرفها.

وفي الساعة (١٠,٢٠) مساءً أظهرت صورة تخطيط القلب على الشاشة الطبية توقف دقات القلب فعلت أصوات الحرس بالبكاء، وكان وجه الإمام حاراً للغاية، فهذا الوجه الضعيف المريض تحول فجأةً إلىٰ وجه ممتلىء ونوراني جداً. . . لقد تحمل الآلام القاتلة على مدىٰ عشرة

---

(١) السيدة ربابه البافقي، مجلة سروش، العدد: ٤٧٦.

(٢) السيدة زهراء المصطفوي.

أيام ولكنه لم ينطق ولا بكلمة واحدة من الشكوىٰ، وكنا كلما سألناه عن صحته قال: «كتبَ اللّه لك أنتِ السلامة»[1].

ائتوني بعلي أقبله

تحسنت صحة الإمام بعض الشيء في صباح يوم السبت [آخر أيام حياته]، فاقتربتُ من سريره ففتح عينه بصعوبة وأشار إليّ أن آتيه بحفيده الصغير علي لكي يقبله، فأخذته إليه وكانت هذه المرة الأخيرة التي ودّع فيها حفيدَهُ العزيز[2].

اللقاء الأخير بالشهيد الأشرفي الأصفهاني

كان الإمام يكن مودة خاصة لآية اللّه الشهيد الأشرفي الأصفهاني، وفي آخر لقاءٍ له به عانقه بحرارة لم تعهد منه من قبل، وقد قال لي الشهيد الأصفهاني بعد اللقاء: لقد فهمت من الطريقة التي عاملني بها الإمام أن هذا هو اللقاء الأخير! وبالفعل فقد إستشهد بعد يوم واحد من هذا اللقاء[3].

لنلتقط صورة تذكارية

قال آية اللّه الشهيد الأشرفي الأصفهاني قبيل إستشهاده: عندما زرتُ الإمام هذه المرة نظر لي نظرةً خاصة وقال لي: «لنلتقط معاً صورة تذكارية[4]».

من أقسىٰ ليالي حياة الإمام

في الليلة التي سجنوا الإمام فيها في زنزانة إنفرادية سعوا لتعذيبه روحياً بتعذيب شخص في زنزانة مجاورة بحيث كانت إستغاثاته تطرق

---

(١) السيدة زهراء الإشراقي، مجلة (زن روز = إمرأة اليوم) العدد: ١٢٢٠.

(٢) الحاج عيسىٰ الجعفري، مجلة (باسدار إسلام = حارس الإسلام) العدد: ٩١.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد الأشرفي الأصفهاني (نجل الشهيد الأصفهاني)، صحيفة كيهان، ٢٣/ ٧/ ١٣٦٤ هـ.ش.

(٤) حجة الإسلام والمسلمين أديب، صحيفة كيهان، ٢٢/ ٧/ ١٣٦٨ هـ.ش.

أسماع الإمام، فنذر الإمام نذراً لنجاة هذا الشخص من التعذيب، وقد قال لي بنفسه فيما بعد: «كانت تلك الليلة من أقسىٰ ليالي عمري»[1].

الدراسة بهدف خدمة الاسلام

بتاريخ ١٣٦٥/٥/٢٠ [هـ.ش، ١٩٨٦/٨/١١] وصلت [مكتب الإمام] رسالةٌ من أحد الأئمة المحترمين؛ وكان من معارف الإمام وتلامذته؛ وقال في هذه الرسالة ما مضمونه أنه يتولى مُنذ سبع سنين مسؤولية إمامة الجمعة في مدينته وأن هذه المسؤولية تستنزف (١٤) ساعة من وقته كل يوم الأمر الذي لم يسمح له بمتابعة نشاطه العلمي بل وأدىٰ إلىٰ نسيانه لماً إكتسبه من العلوم سابقاً، لذلك طلب من الإمام قبول إستقالته من هذه المسؤولية لكي يرجع إلىٰ متابعة نشاطه العلمي في الحوزة، فأجاب الإمام على ذلك بالقول: «إن الهدف من النشاط العلمي الحوزوي هو خدمة الإسلام والمسلمين، وأنتم تقومون بهذه الخدمة بالفعل من خلال توليكم لهذه المسؤولية، فإذا كنتم ترغبون في الدراسبة فاستمروا في عملكم الفعلي إلىٰ جانب تخصيص وقت للنشاط العلمي أيضاً»[2].

يزيل الغم والحزن عن قلب اليتيمة

بعثت معلمةٌ إيطاليةٌ مسيحيةٌ بقلادة ومعها رسالةٌ إلى الإمام عبرت فيها عن عواطف جياشة تجاهه وتجاه منهجه وقالت فيها: إن هذه القلادة هي هدية زواجي ولذلك فإني أحبها كثيراً ولكني مع ذلك أقدمها لكم تعبيراً عن عمق إحترامي لكم ولنهجكم. إحتفظنا بهذه القلادة مدةً ثم قدمناها للإمام مع ترجمة للرسالة ونحن نشك في قبوله لها لكنه قبلها ووضعها على منضدةٍ في غرفةِ عمله. وبعد يومين أو ثلاثة جاؤا بطفلةٍ صغيرة فُقد والدها في الجبهة،

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، موسوعة كوثر، ج٢.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ رحيميان.

فأمر الإمام بإدخالها عليه وأجلسها في حجره ووضع خده على خدها وهو يمسحُ على رأسها وهذا لم نكن نراه يفعله حتىٰ مع أولاده. وظل يحادثها همساً وهو على تلك الحالة حتىٰ زال عنها الغم والحزن وضحكت، ثم أخذ القلادة التي بعثتها له السيدة الإيطالية، ووضعها بنفسه في عنق الطفلة فغمرها الفرح، وقد شاهدناه متجلياً على وجهها وهي تخرج من عنده[١].

قررنا أن ننصحك يا إمامنا

كان الإمام يجيب بمودة بالغة على بعض الرسائل الكثيرة التي كان يبعثها محبوه إلىٰ مكتبه، وننقل هنا نموذجاً منها هو رسالة بعثها إليه عددٌ من الأطفال وأجاب عليها بنفسه وبخط يده:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

سلامٌ على إمامنا العزيز، نحن طلبة الصف الخامس الإبتدائي (جهاد) في مدرسة الفاطمية. وقد قرأنا في كتاب التربية الدينية الرسالة التي بعثها الإمام محمد التقي عليه السلام لوالي سيستان ونصحه فيها، لذلك قررنا أن نكتب رسالةً لك ننصحك فيها: ولكننا لا نستطيع أن ننصحك يا إمامنا، فأنت عظيمٌ بعيد عن كل المعاصي.

يا إمامنا، نطلب منك ـ نحن الأطفال الصغار ـ ومن أعماق قلوبنا طلباً نرجو أن نكونَ جديرين بأن تلبيه لنا وهو أولاً أن تكتب يا أبانا الكبير ويا شيخ جمران ويا روح اللّه جواب رسالتنا بخطكَ الجميل وتنصح فيه معلمينا.... والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

جواب الإمام: يا ليتكم كنتم قد نصحتموني

«أبنائي الأعزاء، قرأتُ رسالتكم الودية؛ ويا ليتكم ـ أيها الأعزاء ـ كنتم قد نصحتموني فيها فأنا محتاج لنصيحتكم. أرجو أن تدرسوا بنشاطٍ

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ رحيميان.

وحيوية وتقوموا إلىٰ جانب ذلك بالواجبات الإسلامية فهي التي تربي الانسان؛ وأن تتحلوا بالأخلاق الفاضلة، وتحرصوا على طاعة آبائكم وأمهاتكم وتسعوا للفوز برضاهم عنكم، وتولوا معلميكم مزيداً من الإحترام، إجتهدوا في أن تكونوا أفراداً نافعين للإسلام وللجمهورية الإسلامية ولوطنكم. أسأل اللّه تعالىٰ لكم ـ يا قرةَ عيوننا ـ السلامة والسعادة والرقي في العلم والعمل. وسلامٌ عليكم جميعاً.

٢٩/ صفر/ ١٤٠٣ ـ روح اللّه الموسوي الخميني»[١].

إشتد شوقي للسيد رجائي

قال الإمام يوماً للسيد أحمد: «لقد اشتد شوقي للسيد رجائي»، وكان مقرراً أن يزوره السيد رجائي في اليوم التالي، فقد كان يحب السيد رجائي ويحب لقاءَهُ بنفس المقدار الذي كان يبغض بني صدر والليبراليين ويكره لقاءهم[٢].

تعال إلىٰ لقائي متىٰ شئت

كان الإمام يكتب بخطه المبارك جواب رسائل الأطفال الذين كانوا يعبرون عن حبهم له بنحو خاص، فمثلاً كتب أحدهم رسالة للإمام قال فيها: إنني أحبك كثيراً وأحب أن أراك عن قرب، فكتب له الإمام في الجواب: «قرأت رسالتك يا ولدي، تعالَ إلىٰ لقائي متىٰ شئت»[٣].

إهداء عمامته

كتب أحد طلبة الحوزة رسالة للإمام طلب فيها أن يحبيه[٤] ـ إن رأىٰ

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ رحيميان.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأنصاري الكرماني.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأنصاري الكرماني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني).

(٤) أي يهديه هدية محببة.

صلاحاً في الأمر ـ العمامة التي يصلي بها نافلة الليل، فأرسل له عمامتَهُ بواسطة أحد وكلائِهِ[1].

شديد الحب للأطفال

كان الإمام شديد الحب وبصورةٍ إستثنائية للأطفال، كما كان حساساً تجاه مختلف القضايا، فمثلاً إذا ارتدينا سروالاً ولاحظ أنه طويلٌ إعترض علينا وحذرنا من السقوط على الأرض نتيجة التعثر به، كما كان حريصاً على أن نلبس الجوارب، كان حساساً للغاية[2].

كفىٰ لا تحدثني بأكثر من هذا

زرتُ الإمام بعد فاجعة مكة الدامية، وبعد أن سلمت قال لي: «هل شهدت واقعة مكة؟»، قلت: نعم فطلب أن أحدثه بما جرىٰ، فأخذتُ أحدثه حتىٰ وصلت إلىٰ الحديث عن حادثة هي أنّ عدداً من النساء والرجال الطاعنين في السن كانوا في سيارة تحمل مكبرة صوت وهم يهتفون بالشعارات الإسلامية، فهاجمهم أفراد الشرطة السعودية وأخذوا يجرونهم الواحد تلو الآخر ويضربون رؤوسهم بهراوات قوية فيسقطون على الأرض جرحىٰ وقد أُستشهد بعضهم فوراً. ولما رويت له هذه الحادثة قال لي: «كفىٰ لا تحدثني بأكثر من هذا»[3].

لا تقتلوا الفأر

حدثتني أختي التي كانت تخدم في بيت الإمام في النجف الأشرف فقالت: أمسكنا يوماً بفأرٍ حيّ في مطبخ بيت الإمام، فلما عرف بالأمر أخذ يكرر الوصية لنا قائلاً أكثر من مرة: «لا تقتلوه، لا تقتلوا الفأر،

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأنصاري الكرماني، المصدر السابق.

(٢) السيدة صديقة المصطفوي، مجلة سروش، العدد: ٤٧٦.

(٣) السيد رحيم ميريان، من أعضاء بيت الإمام.

خذوه وألقوه خارج البيت ولكن لا تقتلوه»[١]!

قرأ في أُذني دعاء السفر

كان الإمام يتعامل مع جميع من في بيتِهِ برأفة ومودة شديدة لا تقل عن طريقة تعامله مع أولاده، فمثلاً عزمت على السفر إلىٰ الشام في سنة ١٣٦٤ [هـ.ش، ١٩٨٥م]، فذهبت لتوديعه فقرأ دعاء السفر في أذني مثلما كان يفعل مع أرحامه والمقربين منه، ولم أكن أتوقع أن يفعل مثل ذلك معي أيضاً[٢].

وأهدىٰ لي عباءة نظيفة

نادتني السيدة حواء الخادمة في بيت الإمام يوماً وقالت لي: هنيئاً لك يا حاج عيسىٰ، عندي لك خبرٌ سارٌ. قلتُ: وما هو؟ قالت: أعطاني الإمام هديةً لكي أسلمها لك. فأخذتها منها وكانت مغلفة بغلافٍ ورقي، وفرحتُ بها كثيراً قبل أن أفتح غلافها وأعرف ما هي، وذهبتُ بها إلىٰ منزلي، وكانت الهدية عبارة عن عباءة نظيفة[٣].

وماذا تأكل القطط؟!

في الأيام الأخيرة من حياة الإمام، أمرني الدكتور عارفي أن أهيأ للإمام مقداراً من اللحم المشوي يتناوله مع طعامه بهدف معالجة ضعف الشيخوخة؛ ولكن الإمام كان منظماً في برنامجه إلىٰ درجة أنه كان يتناول طعامه بدون هذا اللحم المشوي إذا تأخرت دقائق قليلة عن تقديمه له في وقت تناوله طعام الظهيرة وحتىٰ عندما كنت أقدمه كان يطعم القطط التي تتردد على منزله فإذا قلنا له: كُلْهُ أنت يا سيدي، قال: «وماذا تأكل القطط؟»[٤].

---

(١) الحاج عيسىٰ الجعفري، خادم في بيت الإمام.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الحاج عيسىٰ الجعفري.

(٤) المصدر السابق.

يقاسم ولده السيد مصطفى ثواب أعماله

قالت والدتي يوماً أن السيد قاسَمَ خالي السيد مصطفى أعماله المستحبة بعد إستشهاده، أي كان ينوي إهداء نصف ثواب كل عملٍ مستحب يقوم به للسيد مصطفىٰ[١].

رغبتُ في أن أقبل يد الشيخ

قال رجل طاعنٌ في السن للإمام في أحد اللقاءات الخاصة: لدي إبنان أحدهما أُستشهد والثاني فُقد أثره في الجبهة، فأذنوا لي أيضاً بالذهاب إلىٰ الجبهة! ثم أنّ الإمام قال لأحد الأشخاص: «لقد أثرَّ فيَّ كلام هذا الشيخ إلىٰ درجةٍ رغبتُ معها في تقبيل يده»[٢].

كان يتأثر عند رؤية المرضىٰ

رقد الإمام سنة ١٣٥٨ [هـ.ش، ١٩٧٩م] في مستشفىٰ الشهيد الرجائي لأمراض القلب لتلقي العلاج فيها، وكنا ننقله عبر ممر المستشفىٰ إلىٰ المغاسل بواسطة الكرسي المتحرك، فكان يرىٰ المرضىٰ الراقدين فيها وبعضهم من المصابين بالأمراض القلبية الوراثية وبعضهم باختلال عمل صمامات القلب أو ضيق العروق الدموية، وبسبب شدة إهتمامه بشعبه كانت رؤيته لآثار المرض عليهم تزيد من ضربات قلبه وإن لم يكن يظهر ذلك لكننا كنا نلاحظ ذلك عندما ندخله غرفة الإنعاش[٣].

دعاء الإمام وعدم إنقطاع حبل النخاع

كان الإمام يحب ثمرة «التوت»، لذا كنا نجمعها في فصلها من

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مسيح البروجردي (حفيد الإمام).

(٢) آية الله الشيخ التوسلي.

(٣) الدكتور العارفي، مجلة حضور، العدد: ٨.

شجرتها في ساحة المنزل ونقدمها له، وقد وضعت يوماً سلماً طويلاً بعض الشيء للصعود عليه وجمع مقدارٍ أكبر منها، وأثناء إنشغالي بجني التوت مال السلم وسقطتُ على الأرض وأغمي عليّ. فنادىٰ الشخص الذي كان يمسك بالسلم بعض الأشخاص ونقلوني إلىٰ المستشفىٰ القريب من الحسينية ثم إلىٰ مستشفى «بقية اللّه» حيث علقوا في رقبتي أثقالاً وشرعوا بمعالجتي وكانوا يائسين من شفائي لأنّ الإحتمال الراجح كان هو أن حبل النخاع الشوكي قد إنقطع بسبب سقوطي على أحجار ساحة البيت. وقد اجتنب أعضاء مكتب الإمام في ذلك اليوم إخباره بما جرىٰ خشية من آثار ذلك على قلبه، لكنه سأل عني في اليوم التالي وعرف بما جرىٰ فقال فوراً: «إذهبوا الآن إلىٰ المستشفىٰ لعيادة الحاج عيسىٰ نيابة عني وأتوني بخبرٍ عن صحته». وكنتُ يومها في قسم الإنعاش والرعاية الخاصة لا يُسمح لأحد بزيارتي، ولكن مسؤولي المستشفىٰ عندما عرفوا أن السيد بهاء الدين وشخصاً آخراً قد جاؤا لعيادتي مبعوثين من قبل الإمام ألبسوهما ملابس طبية خاصة وأدخلوهما عليّ.

وبعد أن تحسنت صحتي نسبياً ذهبتُ لزيارة الإمام وكان في لقاءٍ مع عدد من الأشخاص، فلما رآني أمرَ بأن يوضع لي كرسياً لكي أجلسَ عليه. ثم قال لي: «لقد دعوتُ لك، دعوت لك كثيراً»؛ وعندها عرفت سر عدم إنقطاع حبل النخاع الشوكي رغم أن الجميع كانوا على يقينٍ من إنقطاعه، إنه دعاء الإمام. ثم قال لي: «لا تصعد الشجرة بعد الآن يا حاج عيسىٰ»، فقلت: سمعاً وطاعة.

وبعد أن خرجت من المستشفىٰ وعدت إلىٰ المنزل قدموا لي يوماً صحناً فيه عدداً من ثمار «الخرمالو»[1] بعثها الإمام إليّ، فقلت: لابد أن

(١) لعله قد حدث هنا إشتباه، ويبدو أن الفاكهة المذكورة في أول كلامه هي «الخرمالو» وليست «التوت».

في هذا الأمر حكمةً ما! لقد عرفت أن الإمام أراد بذلك أن أنتبه إلىٰ ما جنيته على نفسي من أجل جني مقدارٍ قليلٍ من هذه الثمار، وهذا ما أفصح عنه الإمام بنفسه عندما سألوه عن علةِ إرساله هذه الثمار لي، لقد قال: «أرسلتُ هذه الثمار للحاج عيسىٰ لكي يراها ويعرف قيمتها ويعرف أنها لا تستحق أن يعرّض نفسه من أجلها لخطر الشلل». وقد كان في عمله هذا درساً مفعماً بالمودة والرأفة[1].

كان قلبه مفعماً بالرحمة

أُصبت مدةً بمرضٍ صعب اضّطرني للسفر إلىٰ الخارج للعلاج، وفي صباح اليوم الذي سبق موعد السفر زرت الإمام في غرفته وكان يستعد للذهاب إلىٰ الحسينية للإلتقاء بالناس، فأخذ بيدي وضغط عليها بمودة وكان في الغرفة السيد الحاج أحمد والسيد كفاش زادة، ثم قال للسيد كفاش زادة: «إن الشيخ صديقٌ عزيزٌ علي، فاسعوا من أجل أن لا يواجه أية مشكلة في أمر العلاج»، ثم تلا دعاء السفر في أُذني وتوجه عبر الشرفة إلىٰ الحسينية. ولقد كان الإمام يتميز بودية تعامله مع الآخرين وكان ذلك سر شدة إنجذابهم إليه. لقد كان قلبه مفعماً بالرأفة. فمثلاً كنت أذهب كل شهر إلىٰ قم ـ ليومين أو ثلاث ـ لتوزيع رواتب الإمام على طلبة حوزتها، فإذا تأخرت يوماً سأل الإمام الحاج السيد أحمد عني وعن سبب تأخري[2].

مشىٰ حافياً رأفةً بي!!

سافرت والدة السيد مصطفى بمعيةِ زوجته إلى ايران مرةً وبقي الإمام فترة لوحده في المنزل مع الخدم، لذلك كان السيد مصطفىٰ يبيتُ عند والده، وخلال هذه الأيام أصرَّ الأصدقاء على السيد مصطفى أن يرافقهم في

(١) الحاج عيسى الجعفري.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الآشتياني.

زيارة للمراقد المقدسة في الكاظمية وسامراء فطلب مني أن لا أترك الإمام وحده في تلك الليلة، فقبلتُ ولما رجعنا في المساء من حرم أمير المؤمنين عليه السلام تناول الإمام طعام العشاء ثم صعد إلىٰ سطح المنزل للنوم فصعدتُ معه وفرشتُ ملحفة لكي أنام بالقرب منه، فقال لي: «ماذا تفعل هنا؟» أجبت: لا شيء يا سيدي أريدُ أن أنامَ هنا قال: «تريد أن تحرسني أنت؟!»، أجبتُ: كلا يا سيدي ولكن السيد مصطفى أوصاني بذلك قبل أن يذهب لزيارة الكاظمية. فقال: «لا حاجة لذلك، يكفي أن الخدم موجودون في «البراني» فاذهب أنت إلىٰ شأنك»، أجبت: لن أذهب يا سيدي! قال: «أيها الشيخ الفرقاني، إذهب ونم في بيتك». قلت: لا يا سيدي، لقد أوصاني السيد مصطفى بالمبيت عندك، ولا شك بأن ذهابي إلىٰ بيتي سيؤذيه. فلم يعترض بعد ذلك. فبقيتُ عنده تلك الليلة وأنا بين الشعور بالإعتزاز لمبيتي عند هذا السيد الجليل وبين الشعور بالقلق من أن يصيبه أدنىٰ أذىٰ، لذلك قضيتُ تلك الليلة بين اليقظةِ والمنام، وفجأة أحسست بحركةٍ تشبه حركة النسيم بالقرب مني فلم أتحرك لكنني فتحتُ عيني فرأيتُ السيد قد قام وبدلاً من أن يحتذي نعاله الإسفنجي فقد حمله بيده رغم أنه لا يصدرُ منه صوت عالٍ أثناء المشي، لكنه إجتنب حتىٰ هذا الصوت الضعيف للنعال الإسفنجي لكي لا يسبب أدنىٰ صوت يحتمل أن يوقظني وسار حافياً حتىٰ نزل إلىٰ ساحة المنزل، فبكيت لِما رأيتُ من شدة إحتياط الإمام في رعاية الآخرين واجتناب أدنىٰ إيذاء محتمل لهم. لقد بكيتُ كثيراً في تلك الليلة وناجيتُ ربي بالقول: إلهي كأن هذا السيد قد استضاف غريباً في منزله وليس الذي يبيتُ عنده هو المرافق له في أكثر الأوقات[1].

شدة رحمته بالصبيان

كان الإمام عطوفاً للغاية في التعامل مع الأطفال سواء كانوا من ذريته أو

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

من ذرية غيره، فإذا رأىٰ أحدهم تلطف به ومسح بيده على رأسه وعامله بعاطفةٍ جياشة ومودة خاصة ورعاية خاصة لا يعامل غيرهم بمثلها[١].

جرىٰ الدمع من عينيه

قالت لي سيدة في تبريز يوماً: لقد وقع ولدي أسيراً بأيدي العراقيين وقد عرفت مؤخراً أنهم قتلوه، وقد أتيتُ لأقول لكم: قولوا للإمام أنني لست في أذىً مما أصاب ولدي فإن ما أطلبه هو سلامة الإمام، ولما نقلت قولها للإمام، جرىٰ الدمع من عينيه وتغيّر حاله وأصابه حزن شديد وإلىٰ درجة مؤثرة للغاية[٢].

لم يأكل شيئاً لشدةِ حزنه لما أصاب الناس

زار الإمام في بداية إقامته في النجف الأشرف أحد الأتقياء القادمين من ايران، وفي اليوم التالي دخلت إلىٰ بيت الإمام لحاجةٍ فرأيت السيدة زوجته في أذىً شديد، ولما سألتها قالت: إن هذا الزائر نقل للإمام شيئاً آذاه كثيراً حتىٰ أنه لم يتناول أي طعام أو شراب حتىٰ الشاي على مدىٰ يوم كامل، ثم عرفنا أن هذا الرجل حدّث الإمام عن وقائع مظاهرات قم وما أصاب الناس فيها وقال في حديثه: رأيتُ بنفسي إمرأة تحمل طفلاً رضيعاً لا يتجاوز عمره بضعة شهور وقد ألبسته قميصاً أبيضاً وهي تهتف بالشعارات في هذه المظاهرات فهاجمها أحد حرس الشاه وضرب كتفها بقبضة بندقيته بقوةٍ فسقط طفلها من يديها واصطدم رأسه بحافة الشارع، ولما سمع الإمام هذه الحادثة بكى بحرقةٍ ولم يستطع تناول الطعام لشدةِ حزنه يوماً كاملاً[٣].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

(٢) آية الله السيد الخامنئي، صحيفة جمهوري إسلامي، ٧/٨/١٣٦٢ هـ.ش.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

يبكي بحرقة لاستشهاد الحرس

الإمام رجلٌ صبور جداً ولا يظهر مشاعره بسرعة لكنه يتأثر بشدة إذا استشهد مثلاً أحد أفراد الحرس أو الجيش أو قوات التعبئة، ولا أنسىٰ أنني شاهدته يبكي بحرقةٍ عند استشهاد عددٍ من الأخوة الحرس الثوري في الهجوم الأول الذي شنه عليهم أفراد عصابة الحزب الديمقراطي[١].

بكىٰ كثيراً على شهيدين

قالت السيدة زوجة الإمام عند زيارتها لمنزلنا: لاحظتُ أن الإمام بكىٰ كثيراً عند إستشهاد إثنين: الشهيد المطهري الذي حزن الإمام كثيراً لاستشهاده والثاني هو الشهيد المحلاتي[٢].

يذهب لعيادة الخادمة المريضة يومياً

كانت أختي ـ واسمها «إقليما» ـ تعمل في الخدمة في بيت الإمام مُنذ كان في النجف، وقد أُصيبت قبل وفاة الإمام بسنة بمرض سرطان الدم، ورقدت في فراش المرض في إحدىٰ غرف منزل الإمام، وطوال هذه المدة كان الإمام يعودها أربع مرات في اليوم وكان يتأذىٰ كثيراً لما أصابها، فاضطر الدكتور عارفي إلىٰ أن يطلبَ منا نقلها إلىٰ مكان آخر تجنباً لآثار عيادة الإمام لها على سلامة قلبه المفعم بالعاطفة والشفقة[٣].

كان ودوداً رؤوفاً مع عائلته

كان الإمام يتعامل مع أفراد عائلته بالمودة والرأفة إلىٰ أقصىٰ الحدود، لكننا كنا مع ذلك نهابَهُ ونحرص على رضاه للهيبة الخاصة التي كانت

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (پيام إنقلاب = رسالة الثورة)، العدد: ٥٩.

(٢) إبنة الشهيد المحلاتي، المصدر السابق.

(٣) الحاج عيسىٰ الجعفري.

تتجلىٰ فيه، وكان ينظر إلىٰ جميع أولاده بنظرة واحدة ويعاملهم بمقدار متساوٍ من المحبة بحيث أننا لم نعرف إلىٰ الآن وبعد كل هذه السنين مَن هو أحب أولاده إليه[1]!

أطلبُ منك أن تصفح عني

في أحد الأيام الأولىٰ لعودة الإمام إلىٰ طهران كنت أرافقه في طريقِ عودته من الصلاة وقد وضع يده المباركة في يدي، لكنه سحبها فجأةً وبصورة شعرت بأنها متعمدة الأمر الذي دفعني ـ دونما إختيار مني ـ إلىٰ البكاء فقد تأذيت كثيراً من ذلك خاصة مع شدة حبي له، وأخذتُ أفكرُ فيما فعلته واسأل نفسي: أي ذنبٍ إرتكبتُ لكي يسحب الإمام يده من يدي بهذه الصورة؟! لم أُطِقْ تحمل هذه الحالة المؤذية، فذهبت إلىٰ حضرة حجة الإسلام والمسلمين الحاج الشيخ حسن الصانعي وكان واقفاً عند باب غرفة الإمام وأخبرته بما جرىٰ وقلت له: تكاد روحي تزهق مما جرىٰ فأرجوك أن تسأل الإمام عن سبب أذاه وغضبه عليّ؛ فدخل على الإمام وأخبره بما جرىٰ فأمر بأن أدخل عليه، فدخلتُ وقبلتُ يده، قال: «كأنك قد تأذيتَ منّي»! قلت: كلا يا سيدي إنما تصورتُ أنكم أنتم قد تأذيتم مني!، قال: «لا، كأنني ـ طبق ما أخبرني الشيخ ـ وقد سحبتُ يدي من يدكم؛ إنني لم ألتفت لذلك بسبب شدة الإزدحام ولم أدقق في ذلك، فإن كان هذا الفعل قد آذاك فإنني أطلبُ منك أن تصفح عني»!

قلت: كلا يا سيدي، إنما كان أذاي بسبب تصوري أنني آذيتك!، وعندما إستأذنت للخروج من عنده قال: «هل صفحتَ عني؟»[2]!

---

(١) السيدة فريدة المصطفوي.

(٢) اللواء محسن رفيق دوست، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج٣، ص ١٤١.

لا تبق هنا الليلة

في مساء اليوم الذي ألقىٰ فيه الإمام خطابه العنيف ضد الملك في المدرسة الفيضية، كنت في بيت الإمام فقال لي: لا تبق هنا الليلة، فليس بعيداً أن يأتوا لإعتقالي، إذهب إلىٰ منزل السيد الهندي (يعني أخانا). وفي الليلة اللاحقة جاؤا واعتقلوا الإمام وأخذوه إلىٰ طهران وحبسوه في سجن «قصر»[١].

قَبِلَ الهدية ثم أهداها لمهديها

زار أعضاء الإتحاد الإسلامي في القوة الجوية الإمام، وكان بينهم السيد عباس السليمي الذي فاز بالمرتبة الأولىٰ في المسابقات الدولية لتلاوة القرآن التي أقيمت في ماليزيا، وقد أهديت له نسخة خطية نفيسة للقرآن الكريم يرجع تأريخ كتابتها إلىٰ ما قبل (٥٠٠) سنة وكانت هذه هي الجائزة الأولى في هذه المسابقات. السيد السليمي أهدىٰ بدورِهِ هذه الجائزة القيمة للإمام الخميني فقبلها منه. ثم ألقىٰ الإمام كلمة حثَّ فيها على الوحدة بين أفراد الجيش. وبعد إنتهاء كلمتِهِ أخذ تلك النسخة النفيسة من القرآن وقبّلها ثم قدمها هديةً منه إلىٰ السيد عباس السليمي[٢].

(١) آية الله السيد مرتضىٰ بسنديده (شقيق الإمام).

(٢) صحيفة جمهوري إسلامي، ١٣٥٨/٦/١١ هـ.ش، صحيفة نور، ج ٩، ص ٩.

الفصل السابع:

طمأنينة النفس والسكينة والوقار

لم يتزعزع أمام هجوم المجنون الهائج

كنا نذهب إلىٰ بيت الإمام في قم صباحاً ونرجع ظهراً وذلك قبل نفيه إلىٰ النجف، فجاء يوماً رجلٌ وقال: لقد سلمتكم رسالة لم تجيبوا عليها إلىٰ الآن، بحثوا عن رسالته ووجدوها ولما قرأتها وجدته قد كتب فيها: إنني أنا المهدي الموعود وسأظهر بعد ثلاثة شهور، فاقرضوني خمسةَ آلاف تومان وسأعيدها لكم عندما أظهر!! كان الرجل مجنوناً، ثم أمرنا الإمام بإرجاعِ رسالته إليه فأرجعناها؛ لكنه ظل مرابطاً بالقرب من غرفة الإمام إلىٰ الظَهر دون أن يحصل على ما يريد. وعند الظهر ذهبت إلى منزلي ثم عدتُ عصراً فوجدتُ شخصين يقفان عند باب غرفة الإمام في الطابق العلوي، وكان على مَن يريدُ الدخول عليه أن يستأذن منهما أولاً. ولكن ذلك المجنون هجم عليهما ودفعهما وهو يصرخ: إنني أنا المهدي الموعود فدعوني أدخل على الإمام لكي أراه، فدخل وهو في هذه الحالة من الهيجان على الإمام وهو جالس وكان عنده السيد رسولي فهجم عليه بصورةٍ متوحشة بحيث أنني عندما دخلت الغرفة وجدت نظارة السيد رسولي قد رميت جانباً والوضع مضطرب للغاية، ورغم ذلك لاحظت أن

الإمام جالس في مكانه كالجبل لم يتزعزع أمام هجوم هذا المجنون الهائج[1]!

بقي جالساً بسكينةٍ على المنبر

لم يكن الإمام يسمح بتسجيل دروسه صوتياً عندما كان في النجف، ولكن مع بدء دروسه في الحكومة الإسلامية أمر بنفسه بتسجيلها، وبسبب ضعف الصوت وضعنا مكبِّرةً للصوت وميكروفوناً، وكان للسيد الحاج أحمد دورٌ في ذلك، ولكن الإمام إعترض على ذلك عندما جاء لإلقاء الدرس، فقلنا إن السادة الحاضرين يشكون من ضعف الصوت خاصة في بداية الدرس، وأيد الحاضرون قولنا وعندما وافق الإمام على عملنا، وقد استخدمنا في البداية جهازاً يقوم بمهمة تكبير الصوت وتسجيل الدرس في آنٍ واحد، ثم هيأنا فيما بعد جهازاً مستقلاً لتكبير الصوت غير جهاز التسجيل، وكنتُ أعدهما كل يوم لذلك قبل بدء الدرس بعشرين دقيقة واطمئن من سلامة عملهما، وكانت عادة الإمام أن يحضر قبل بدء الدرس بخمس دقائق ويصعد المنبر، وفي أحد الأيام وبعد صعود الإمام للمنبر وقبل أن يبدأ بإلقاء درسه حدث إتصال في الأسلاك الكهربائية لهذه الأجهزة التي وضعناها تحت المنبر؛ وأدىٰ ذلك إلىٰ حدوث إنفجار ثم حريق وارتفاع ألسنةِ اللهب، فقام جميع الحاضرين من أماكنهم باستثناء الإمام الذي بقي جالساً بسكينةٍ على المنبر، وكذلك المرحوم الحاج السيد مصطفىٰ الذي كان يجلس متكئاً على الجدار.

ثم إنتشرت ألسنة اللهب حتىٰ إقتربت من عباءة الإمام وعندها نزل بهدوء من المنبر وقد سقطت بعض قطع غلاف الأسلاك على بساطٍ بلاستيكي اسفل المنبر وأشعلت فيه النار فبادرت إلىٰ إطفائِها بيدي وكان

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الصادقي الطهراني.

الإمام واقفاً بهدوء يراقب الوضع، ثم قطعوا التيار الكهربائي وخمدت ألسنة اللهب، فسألني: «هل أصابك أذىً»، فأجبتُ: كلا يا سيدي، فصعد المنبر ثانيةً بهدوء وأخذ بإلقاء الدرس[1].

هو الذي وهب هذه الأمانة وهو الذي إسترجعها

عندما سألت أحد مقربي أصدقاء آية اللّه الخميني عن خصوصياته بدأ جوابه بالحديث عن حادثة غرق طفلة صغيرة لآية اللّه الخميني قبل (٢٥) عاماً، وذكر أنه عندما وصل كان هذا العالم الروحاني [الإمام] يقف عند جسد هذه الصبية وهي سادسة أولادِهِ ويتلو دعاءً على روحها، يقول هذا الصديق: عندما أمعنت النظر في وجهه لم ألاحظ أي أثر للاضطراب رغم أنني كنتُ أعلم بشدةِ حبِّه لهذه الطفلة. ولازال إلىٰ اليوم أيضاً لا يظهر حزناً أو اضطراباً لذلك. ويواصل هذا الصديق حديثه عن هذه الحادثة فيقول: عندما حضر [الإمام] الخميني عند جسد إبنته بعد قليل من وفاتها قال: «إن اللّه هو الذي وهبني هذه الطفلة أمانة وهو الذي إسترجعها»، ثم أخذ بتلاوة الدعاء على روحها[2].

لم يكن يحزن بما فات ولا يفرح بما هو آت

إضافة إلىٰ الكتب الفقهية والعلمية المطبوعة له، صنَّف الإمام عشرات المؤلفات القيمة الأخرىٰ في مختلف فروع المعرفة تميزت بصيغةٍ تحقيقية عالية لكنه لم يتخذ أي خطوةٍ لطبعها، بل وبلغ زهده درجة لم نجد معها فيه أدنىٰ تعلقٍ قلبي بهذه المصنفات القيمة، فلم يكن يحزن عند إخباره بمصادرة السافاك [جهاز الأمن الملكي] لها، كما لم يكن يفرح عند إخباره باسترجاعها جميعاً[3]!

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ أحمد رحمت.

(٢) مجلة التايم الأميريكية كما في صحيفة إطلاعات، ١/٥/١٣٥٨ هـ.ش.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

لم أخش أحداً إلىٰ اليوم

أتذكر أن الإمام قال في إحدى خطبه في المسجد الأعظم في سني الجهاد الأولىٰ وبحضور عدد كبيرٍ من الناس أنه لم يرهب إلىٰ الآن أي تهديد ولم يخش أي شيء؛ ولم يكن يُلاحظ عليه أي أثر للخوف أو الرهبة بسبب أي حادثة، ولقد قال في تلك الخطبة وكان عمره يومها (٦٣) عاماً ـ ولا أتذكر ان كان أقسم أم لا قال: «إنني إلىٰ اليوم لم أخش أي شيءٍ أو شخص ولم يجد الخوف إلىٰ نفسي سبيلاً»[١].

إجتناب البكاء أمام الملأ

رافقت الإمام في حضور معظم مجالس الفاتحة والتأبين التي أقيمت إثر إستشهاد ولده السيد مصطفىٰ، فلم أرَ عليه في أي منها أثراً للحزن العميق أو ذرف الدموع الأمر الذي أثار الإعجاب بقوة صبره وثباته، كان الإمام يبكي بكثرة إذا كان وحده لكنه كان يجتنب البكاء أمام الناس أو أمام النساء في منزله[٢].

بكىٰ الجميع على السيد مصطفىٰ باستثناء والده

يروي الحاج السيد أحمد، أنه وعند سماع الإمام لخبر إستشهاد السيد مصطفىٰ في النجف الأشرف ـ وهو نجله الحبيب والعالم العارف والفقيه المجتهد ـ جلس في زاوية من البيت وأخذ يتلو القرآن بكل صبر واستقامة في حين أن باقي أفراد العائلة قد ضجوا بالبكاء وكان الإمام يخفف عنهم ويعزيهم[٣].

---

(١) آية اللّه الفاضل اللنكراني.

(٢) آية اللّه خاتم اليزدي.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الآشتياني، مجلة (مرزداران = حماة الحدود)، العدد: ٨٤.

يرفض ترك منزله بحزم

في تلك الأيام التي تكثفت فيها تهديدات الحكومة الملكية للإمام ـ وبصور مختلفة ـ، وروجت الإذاعات الأجنبية إحتمال إعتقال المراجع في قم، كان الإمام يزورنا أحياناً في منزلنا الذي يقابل منزله، فكنا نطلب منه أن لا يبقىٰ في منزله لاحتمال إعتقاله في هذه الليلة أو تلك لكنه كان يرفض ذلك بحزم[1].

إنني لا أضطرب في أي حال

لم يكن للإضطراب محلاً في وجود الإمام. عندما إضطربت الأوضاع في كردستان سأله المرحوم رباني أملشي: ألم تضطربوا لذلك؟ فقال: «إنني لا أضطرب في أي حال»[2].

لم يخش إلا اللّه

حدثني عالم موثوق للغاية فقال: كنا جالسين مع مجموعة من الفضلاء يوماً عند الإمام فجرىٰ الحديثُ عن القوىٰ الدولية الكبرىٰ فقال الإمام: «لا أتذكر أنني خفتُ إلىٰ اليوم من شيءٍ أو من أحد سوىٰ اللّه تعالى»[3].

لا بأس عليك، لماذا لا تجلس

بعد أن أصدر الإمام بيانه الذي قال فيه أن حب الشاه يعني سلب الناس ونهبهم، كان النظام الملكي يسوقُ الكثيرين من طلبة الحوزة

---

(١) الدكتور محمود البروجردي (صهر الإمام)، مجلة (باسدار إسلام = حارس الإسلام)، العدد: ٢٤.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الطاهري الخرم آبادي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج٣، ص ٣٢٧.

(٣) العلامة الشيخ محمد تقي الجعفري، مجلة حوزة، العدد المزدوج: ٣٧ـ٣٨.

وفضلائها إلىٰ الخدمةِ العسكرية الإجبارية، فنقلهم من قم إلىٰ حديقة الشاه في طهران ونزع عنهم الزي الحوزوي وألبسهم الزي العسكري. وفي أحد تلك الأيام كنا جالسين عنده فدخل فجأةً سيدٌ معمَّمٌ وقد سيطر عليه الإضطراب إلىٰ درجةٍ فتح معها باب منزل الإمام بصورةٍ غريبة ودخل غرفة الإمام بتلك الهيئة التي أثارت الضحك والحزن فينا في آنٍ واحد. أما الإمام فقد كان منشغلاً بكتابة شيءٍ ولم يرفع رأسه أصلاً! ثم قال السيد بصوتٍ عالٍ: يا سيدي لقد هاجمنا شرطة الحكومة عند خروجنا من درس الشيخ المشكيني في مسجد الإمام [العسكري عليه السلام]، واعتقلوا الطلبة واركبوهم شاحنة عسكرية وساقوهم إلىٰ الجندية، وكان بينهم الشيخ الرفسنجاني أيضاً!

تأثر الجميع وتغير حالنا لما رأينا وسمعنا من هذا السيد وبكىٰ بعضنا، أما الإمام فقد بقي على سكينته المعهودة والقلم في يده، ثم نظر إلىٰ السيد من فوق نظارته وقال: «لا بأس عليك، لماذا لا تجلس؟ إجلس». جلس السيد وعندها نزع الإمام نظارته وقال بهدوئِهِ المعروف: «هل ساقوهم إلىٰ الجندية؟» قال السيد بانفعال واضح: نعم يا سيدي. فقال الإمام: «لا ضير في ذلك، يجب أن يتعلموا الفنون العسكرية، فإنّ لنا بها حاجة مستقبلاً»! وصدور هذا القول من الإمام في ذلك الوقت كان بمثابة معجزة حقيقية[1].

وأقام الصلاة مع نوافلها بكل سكينة

قبيل غروب شمس ذلك اليوم الذي شهد وقوع تلك الفاجعة في المدرسة الفيضية، كنا في بيت الإمام عندما وصل خبر مهاجمة جلاوزة الشاه للمدرسة وضربهم لطلبتها وعزمهم على المجيء إلىٰ بيت الإمام،

---

(١) كتاب (إمام خميني درآينه خاطهره ها = الإمام الخميني في مرآة الذكريات)، ص ١٢٧.

فقام المرحوم السيد محمد صادق اللواساني ـ وهو من قدماء أصدقاء الإمام المقربين ـ وأغلق باب المنزل، ولما عرف الإمام بذلك قام فوراً وفتحه بنفسه وقال: «كيف أغلق باب بيتي وقد ضربوا أولادي؟» ثم أقام صلاتي المغرب والعشاء مع نوافلهما بكل سكينة في حين كان من المحتمل أن يهاجم جلاوزة الشاه منزله في كل لحظة[١].

سكينته وهو مُعرض للإعتقال

في مساء اليوم الذي وقعت فيه فاجعة المدرسة الفيضية، كان من المحتمل أن يُعتقل الإمام في أي لحظة وقد أعطىٰ الإمام مقداراً من المال إلىٰ أهلي وقال: «إذا حدث لي حادث فأعطوا هذا المال إلى السيد الصالحي، فهذه هي رواتب طلبة الحوزة». وقد قضىٰ تلك الليلة في بيته ولم يغير مكانه رغم أن الكثير من السادة زاروه في تلك الليلة وطلبوا منه أن ينتقل ـ ولو في هذه الليلة فقط ـ إلىٰ منزل آخر لكنه رفض تلك الطلبات بحزم[٢].

الطمأنينة الروحية في الأوضاع الحرجة

خرجت في الصباح الباكر في أحد الأيام التي سبقت وقوع فاجعة المدرسة الفيضية قبل عيد النوروز فرأيت بيانات كثيرة ملصقة على الجدران كانت منظمة الأمن الملكي (السافاك) قد نشرتها موقعةً بعناوين عدة مثل: الجبهة الوطنية، جمعية المرأة الايرانية، وقد وجهت فيها أنواع السباب المبتذل للإمام، فآذاني ذلك كثيراً، وعندما ذهبت إلىٰ بيت الإمام وجدت نسخاً من هذه البيانات قد جاؤا بها إليه ثم طلبتُ ـ وقد ازداد تأثري ـ من الشيخ الصانعي أن يستأذن لي للدخول على الإمام فدخل عليه

---

(١) آية الله الشيخ التوسلي، مجلة حوزة، العدد: ٤٥.

(٢) الدكتور محمود البروجردي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٣.

وبعد دقائق أذن لي فدخلت عليه ورأيته منشغلاً بالتحضير للدرس! الأمر الذي أثار استغرابي من شدة سيطرته على أعصابه وتوجهه للمطالعة العلمية في ظل تلك الأوضاع المضطربة والمعقدة ورغم نشر تلك البيانات التي آذتنا جميعاً. والطريف أن الكتاب الذي كان الإمام يطالعه، لم يكن من الكتب الدراسية، بل هو كتاب لأحد العلماء حول موضوع معين كان الإمام يقرأه بهدف مناقشته والرد عليه في الدرس. لقد تعجبت كثيراً من هذه الطمأنينة الروحية التي يتحلىٰ بها الإمام والتي مكنته من المطالعة بكل طمأنينة وسكينة في ظل أوضاع حرجة جعلتنا عاجزين حتىٰ عن مجرد النظر إلىٰ مثل هذا الكتاب[١]!

إحتفظ بها حتىٰ أرجع من الفيضية

جاء رجل ومعه مقدارٌ من الحقوق الشرعية وقدمها للإمام طالباً إيصالاً بالإستلام لأنه كان موفداً من قِبل صاحب هذه الحقوق، وكان الإمام حينئذٍ قد إستعد للذهاب إلىٰ المدرسة الفيضية لإلقاء ذلك الخطاب التاريخي المعروف، لذلك قال للرجل: «إحتفظ بهذه الأموال حتىٰ أرجع وأكتب لك الإيصال»، قال ذلك في وقت كان إحتمال عودتنا من المدرسة ضعيفاً للغاية [بسبب خطر إعتقال جلاوزة النظام لنا]، الأمر الذي أثار إعجابي بعمق ثقة الإمام وسكينته واعتقاده بما يقوم به[٢].

إذهب إلىٰ بيتك ولا تقلق

أقام أحد المراجع (آية اللّه الكلبايكاني) في المدرسة الفيضية مجلساً للعزاء بمناسبة ذكرىٰ إستشهاد الإمام الصادق عليه السلام، وقد حضرت

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد الطاهري الخرم آبادي، كتاب (ككهاى باغ خاطره = أزهار من بساتين الذكريات).

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الطاهري الخرم آبادي.

المجلس ولاحظت أن الأوضاع غير عادية، فقد حاصرت القوات الخاصة المكان وكانت تراقب حركات جميع الحاضرين، ثم شاع في المجلس خبرٌ يقول: إن الإمام الخميني ينوي المجيء للمدرسة الفيضية، فسارعتُ في الذهاب إلىٰ بيته لإقناعه بعدم الذهاب للمدرسة.. وعندما دخلت بيته سألت السيد مصطفىٰ عن صحة الخبر فأيدَ صحتَهُ، وعندها وقفت عند باب البيت لكي أمنع الإمام من الخروج إذا قرر الذهاب، وقررت أن ألقي بنفسي أمام سيارة الأجرة التي سيذهب بها إذا لم يستجب لطلبي بعدم الذهاب! وعندما أفكر اليوم في هذا الأمر أجد أنني لم أكن قادراً على منعه بكل ذلك لو كان قد عزم على الذهاب. ولكن الذي حدث هو أن إرادة اللّه شاءت أن تمنعه عن ذلك بوسيلة أخرىٰ، إذْ جاء في تلك اللحظات موكب عزائي قادمٌ من طهران إلىٰ بيت الإمام وأقاموا مراسم العزاء فيه فاضطر الإمام للبقاء في المنزل وعدم الذهاب للمدرسة. ورغم ذلك بقيت واقفاً عند الباب لمنع الإمام من الخروج إلىٰ أن حلّ موعد صلاتي المغرب والعشاء وجاء طلبة الحوزة فرادىٰ وجماعات بهيئات مضطربة [إثر هجوم جلاوزة الشاه على المدرسة الفيضية وطلبتها]. فأخبرت المرحوم الحاج السيد مصطفىٰ بما جرىٰ وبسبب وقوفي عند الباب، فنظر لي نظرةً خاصة وقال: كنا نتصور أنك في غاية الشجاعة! قلت: إنني مستعدٌ للقيام بأي عملٍ من أجل المحافظة على حياة الإمام.

وعلى أي حال فقد قال لي الإمام بعد إقامة صلاتي المغرب والعشاء: «إذهب إلىٰ بيتك ولا تقلق». قلت: أحتملُ وقوع خطرٍ عليك. قال: «هل تعتبر هذا المنزل ملكاً لي أم لا؟ إن كنت تراه ملكاً لي، فإنني لا أرضىٰ أن تبقىٰ فيه، فاذهب إلىٰ منزلك وعيالك». فبقيتُ عنده إلىٰ منتصف الليل ثم ذهبت[1].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ لطف علي الفقيهي، مجلة (إطلاعات هفتكى = إطلاعات الأسبوعية)، العدد: ٢٤٤٢.

نومكم هنا لا يزيدني طمأنينة

بعد وقوع الهجوم على المدرسة الفيضية قرر بعض الأخوة أن يبقوا في منزل الإمام ليلاً للمحافظة عليه ولكي لا يبقىٰ وحده، ولكن الإمام كان يرفض ذلك ويقول: «إن نومكم هنا لا يزيدني طمأنينة»[١].

قسماً بجدي لم يدخلني أي خوف

قال لي الإمام يوماً: «عندما جاؤا كسروا الباب وأخذونا واقتادونا إلىٰ السيارة، وفي الطريق كانوا يرتجفون أما أنا فقسماً بجدي لم يدخلني أي خوف»[٢].

هؤلاء سيسقطون

بتاريخ (٢/١/١٣٤٢) [هـ.ش، ٢٢/٣/١٩٦٣م]، هاجم جلاوزة الشاه الخائن المدرسة الفيضية، وكنا يومها من شباب طلبة الحوزة، لم نرَ من قبل مثل هذا المشهد إذْ قام هؤلاء الجلاوزة بمهاجمة الناس بالأسلحة النارية والعصي وغيرها وقتل بعضهم وإلقاء البعض الآخر من فوق السطح إلىٰ الأرض. في ذلك اليوم دخلنا غرفة الإمام بعد إقامة صلاتي المغرب والعشاء وقد سيطر علينا الإضطراب والقلق بسبب قلة تجاربنا، فتحدث الإمام لنا على مدىٰ عشرين دقيقة وقال ضمن حديثه: «هؤلاء [النظام الملكي] سيسقطون وأنتم ستبقون»[٣]!

واللّه لم يداخلني الخوف

هاجم جلاوزة منظمة الأمن الملكي (السافاك) منزل الإمام ليلاً بعد

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مهدي الكروبي.

(٢) آية اللّه المشكيني، مجلة جهاد، العدد: ٤٤.

(٣) آية اللّه الخامنئي، صحيفة جمهوري إسلامي، ٥/١١/١٣٥٩ هـ.ش.

إلقائِهِ خطابه التاريخي في (١٥) خرداد [١٩٦٣,٦,٥]، واعتقلوه وقد تحدث عن هذه الحادثة فقال: «بعد أن قبضوا عليّ اركبوني السيارة، وساروا بها بسرعة في شوارع قم باتجاه طهران وكانوا ينظرون باستمرار إلىٰ خلفهم وما حولهم بقلق؛ فسألتهم: لماذا أنتم خائفون مضطربون؟ أجابوا: نخشىٰ أن يلاحقنا الأهالي فهم يحبونك!» ثم قال الإمام: «واللّه لم يداخلني خوفٌ أبداً، أما هم فقد استولىٰ عليهم الخوف إلىٰ درجةٍ لم يسمحوا لي بالنزول من السيارة لإقامة فريضة الفجر، وقالوا: نخشىٰ أن يصل الأهالي إلينا! ولذلك إضطررت إلىٰ أداء الصلاة جالساً في السيارة بين إثنين من هؤلاء»[١].

لم أجدْ في نفسي أي تغيّر

قال الإمام يوماً: «إنحرفت السيارة في وسط الطريق بين قم وطهران فجأة وسارت في طريق ترابي فأيقنت أنهم عزموا على قتلي، ولكن عادت السيارة بعد فترة إلىٰ الطريق الأصلي. وعندما رجعتُ إلىٰ نفسي لم أجد فيها أي تغيّر بسبب ذلك»[٢].

لماذا أنتم خائفون؟

ذكر الإمام ـ ضمن حديثه عن حادثةِ اعتقاله ـ أن جلاوزة النظام لم يشغلوا السيارة التي نقلوه بها في البداية، بل أخذوا يدفعونها بأيديهم من باب منزله إلىٰ أن وصلوا المستشفىٰ [القريبة من منزله] وذلك خشية من أن يوقظ صوتها الجيران، كما جلس عددٌ منهم وهم يرتدون ملابس سوداء لا تُرىٰ في الليل لكي يغطوا السيارة فلا يظهر منها أي شيء، ثم قال: «لاحظت أن الذين كانوا معي في السيارة قد استحوذَ عليهم الخوف فقلت

---

(١) حجة الإسلام الرسولي المحلاتي، صحيفة جمهوري إسلامي، ٧/ ٤/ ١٣٦٨ هـ.ش.

(٢) آية اللّه خاتم اليزدي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام) ج٢.

لهم: لماذا أنتم خائفون؟ فأجابوا: إن الناس يحبونك ويُخشىٰ أن يهجموا علينا! وكانوا ينظرون باستمرار إلىٰ الخلف بقلق وهم ينتظرون وصول سيارات أخرىٰ لحمايتهم»[1].

كنت أنا الذي يخفف عنهم خوفهم

نقل المرحوم الحاج السيد مصطفىٰ عن والده الإمام أنه قال بشأن الليلة التي اعتقلوه فيها ونقلوه من قم إلىٰ طهران: «إنحرفت السيارة التي تقلنا عن الطريق الأصلي بين قم وطهران، قلتُ في نفسي: إنهم يريدون حسم الأمر (بقتلي)، فرجعت إلىٰ قلبي فلم أجدْ فيه أدنىٰ إضطراب أو تغيّر بسبب ذلك». وقد أشار لذلك في خطابه الذي ألقاه في المسجد الأعظم بعد إطلاق سراحه سنة ١٣٤٣ [هـ.ش، ١٩٦٤] حيث قال: «واللّه، إنني لم أخف شيئاً طوال عمري، حتىٰ في تلك الليلة التي اعتقلوني فيها، كانوا هم الذين استولىٰ عليهم الخوف فيما كنت أنا الذي يخفف عنهم»[2].

عندما أرادوا التوجه به إلىٰ بحيرة الملح

عندما أطلق سراح الإمام من السجن بعد إنتفاضة الخامس عشر من خرداد ونُقل إلىٰ منطقة «قيطرية» في طهران زاره آية اللّه السيد المرعشي وسأله: هل داخلك الخوف عندما اعتقلوك؟ فأجاب: «كلا لم أخف بالمرة، حتىٰ عندما لاحظت أنهم أشاروا للسائق بالتوجه إلىٰ بحيرة حوض سلطان، وهذه البحيرة هي المعروفة ببحيرة الملح، وكان معروفاً يومذاك أن جلاوزة النظام الملكي كان يُلقون فيها معارضي الشاه أو الحكومة من العسكريين وغيرهم بعد قتلهم[3].

(١) الدكتور محمود البروجردي، المصدر السابق.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد العلي القرهي، المصدر السابق، ج١.

(٣) الدكتور محمود البروجردي، مجلة (ندا)، العدد الأول.

واللّه لم يختلف حالي يومها

ينقل الحاج السيد أحمد أنه سأل الإمام في النجف عن حاله عندما أركبوه الطائرة التي نقلته إلىٰ تركيا فأجاب: «واللّهِ لم يختلف حالي يومها عن حالي الآن وأنا جالس إلىٰ جانبكم»[1].

واصل إستقبال زائريه بكل سكينة ووقار

صادف لقائي الأول بالإمام في قم [بعد انتصار الثورة] اليوم الذي أثار فيه الحزب الجمهوري الشعبي تلك الفتنة المؤلمة في قم والتي تجرأ فيها هذا الحزب على السعي لمهاجمة بيت الإمام وإنْ كانت هذه المؤامرة الإستعمارية قد أحبطت بفضل مقاومة عشاق الإمام، وأتذكر أن بعض شوارع قم أصبحت يومها أشبه ما تكون بشوارع المدن الحربية فقد حُطمت الواجهات الزجاجية للصيدليات والمحلات التجارية، وكان من الطبيعي أن نتوقع من أي قائد أن يلغي لقاءاته العادية في ظل مثل هذه الأوضاع، ولكن الإمام لم يفعل ذلك بل واصل لقاءاته العادية واستقبال زائريه بكل سكينة ووقار[2]..

لم يصبني ذلك بأدنىٰ أذىً

بعد أكثر من سنتين من نفي الإمام عن ايران، ذهب آية اللّه المنتظري لزيارته [في النجف] فذهبنا معه وكان يعرف عنوان منزله، وبعد أن عانقه وقبل يده سأله الإمام عن حال ولده المرحوم الشهيد حجة الإسلام الشيخ محمد المنتظري وكان يومها سجيناً، ثم قال الإمام: «سمعتُ أن اعتقال ولدكم محمد قد آذاكم كثيراً، لا ينبغي لكم ذلك، فمثل هذه الحوادث

(١) كتاب (في رثاء النور).

(٢) السيد غلام علي الرجائي.

تقع عادة وهي مفيدة لتربية الإنسان وإعداده للمستقبل. عندما زارني للمرة الأولى بعض السادة القادمين من ايران وأنا يومها في تركيا سألتهم عن حال مصطفىٰ فأخبروني باعتقاله فلم يصبني بأي أذىً»[1]!

لم يتغير برنامجه المعتاد في يوم اعتقال ولده

بتاريخ ٢١/٣/١٣٤٨ [هـ.ش ١١/٧/١٩٦٩]، زار رئيس منظمة الأمن وقائمقام النجف الإمام وأخبراه أنهما مكلفان من قبل مجلس قيادة الثورة العراقي بإرسال السيد مصطفىٰ معتقلاً إلىٰ بغداد (وكان اتهامه هو قيامه بزيارة المرحوم السيد الحكيم ممثلاً للإمام [بهدف مواساته بعد التعرض لولده السيد مهدي لحكيم بعد عودة السيد الحكيم من بغداد]، ثم طلبا من الإمام أن يأذن لهما بتنفيذ هذه المهمة، فأجابهما قائلاً: «إذا كان إرسال مصطفىٰ إلىٰ بغداد مشروطاً بأن أسمح بذلك، فإنني لن أسمح بذلك أبداً، أما إذا كنتم مكلفون باعتقاله وإرساله فأنتم أعرف بواجبكم»!

وفي الساعة الثامنة صباحاً أُرسل السيد مصطفىٰ مخفوراً إلىٰ بغداد ومعه عدد من مسؤولي الأمن العراقي، ورغم ذلك، فإن الإمام حضر في اليوم نفسه إلىٰ المسجد وطبق برنامجه اليومي، المعتاد لإلقاء درسه وشرع في بيان المباحث العلمية والفقهية الدقيقة بكل سكينة وطمأنينة في حين كان القلق والحزن لاعتقال السيد مصطفىٰ قد سيطر على الحاضرين، كما تابع القيام بسائر فقرات برنامجه اليومي مثل إقامة صلاة الجماعة واللقاءات دون أدنىٰ تغيير[2].

يخفف عنا مصابنا باستشهاد ولده!

يقول السيد أحمد: ذهبنا للإمام بمعية عدد من السادة لإخباره بنبأ

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان، مجلة (باسدار إسلام = حارس الإسلام)، العدد: ٣٩.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (دراسة وتحليل لنهضة الإمام الخميني)، ج٢.

إستشهاد أخي، وقد قرأ في البداية أحد السادة مقاطع من مصائب الإمام الحسين عليه السلام [كمقدمة لإخبار الإمام بذلك النبأ المحزن]، وبعد إنتهاء التعزية قال الإمام: «كيف حال مصطفىٰ؟» وعندها بكىٰ بعض الحاضرين، وإلتفت الإمام إلىٰ شدة بكائي، فأخذ ينصحنا وينقل قصص الذين أُبتلوا بأنواع المصائب ويسلي قلوبنا بذلك[1].

إكتفىٰ بالاسترجاع عند وفاة ولده

. . . . في حدود الساعة الخامسة صباحاً إستيقظت على تحريك الإمام لي ولما فتحتُ عيني ورأيته قال لي: «إنهض وإذهب إلىٰ بيت مصطفىٰ، يبدو لي أن حالة السيدة معصومة [زوجة السيد مصطفىٰ] قد تدهورت»، وكانت السيدة مريضة وقد راجعت الطبيب في الليلة الماضية، فذهبت بسرعة فرأيت سيارة أجرة واقفة عند باب بيت السيد مصطفىٰ ولما دخلته وجدت ثلاثة من الأخوة فيه: السيد محمود دعائي، وأخٌ أفغاني كان يدرس هناك وشخصٌ ثالث، وعندما صعدت إلى غرفة الطابق العلوي من المنزل رأيت السيد مصطفىٰ وقد حملوه لإنزاله، فوضعتُ يدي على جبهته فأحسستُ أن بدنه لا زال حاراً، ثم أنزلناه ووضعناه في سيارة الأجرة ولكن شعرت في تلك اللحظة وكأنّ شخصاً يقول لي: لقد توفي! وعندما نقلناه إلىٰ المستشفىٰ فحصه الطبيب ثم قال: إنني آسف، لقد توفي.

ثم رجعت إلىٰ المنزل وأنا لا أدري كيف أخبر الإمام بالنبأ الذي لا مناص من إخباره به، ذهبت إلىٰ قسم «البراني» الذي يتردد عليه عامة الناس، وأرسلت شخصين ليقولا للإمام إن حالة السيد مصطفىٰ قد تدهورت ونقلوه إلىٰ المستشفىٰ ففعلا وعادا، فاستدعاني الإمام ولما ذهبت إليه قال: «أريدُ الذهاب إلىٰ المستشفىٰ لأرىٰ مصطفىٰ»، فاشتد ألمي،

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد الموسوي خوئيني ها.

وخرجت من عنده وأخبرت الشيخ الرضواني بما قاله، وقلت له: من الأفضل أن تقولوا للإمام أن زيارة السيد مصطفىٰ ممنوعة الآن لكي نؤخر معرفته بالأمر إلىٰ أقصىٰ حد ممكن، فوافق الشيخ، وتقرر أن يذهب إليه لذلك، وكان الجميع يخشون من إخباره بالأمر. وكنتُ جالساً في غرفة الطابق العلوي فرآني الإمام من النافذ فناداني ولما حضرتُ عنده سألني: «هل توفي مصطفى؟» فبكيتُ ولم أقلْ شيئاً وقد إشتد حزني، فحرك إصبعه عدة مرات دون أن يغير حالة جلوسه ـ وقال ثلاث مرات «إن للّه وإنا إليه راجعون»، ولم يظهر أي ردة فعل غير هذه، ثم بدأ الأخوة فوراً بالدخول عليه لتقديم التعازي.... ولم يغير بعد سماعه النبأ برنامجه اليومي المعتاد أصلاً، فأقام صلاتي الجماعة عند الظهر والمغرب حتىٰ في اليوم الذي أخذوا جسد ولده المجاهد إلىٰ كربلاء[1].

كنتُ أتوقع أن يخدم الإسلام والمسلمين

كان من الصعب علينا أن نصدق خبر إستشهاد المرحوم السيد مصطفىٰ، جلسنا نبكي في إحدىٰ غرف منزل الإمام وكان معنا المرحوم آية اللّه الميرزا حبيب الله الأراكي، ولم يكن الإمام قد عرف بالخبر بعد ولكنه كان يعلم بنقل السيد مصطفىٰ إلىٰ المستشفىٰ، فطلب السيد أحمد، منا وكان في الطابق العلوي من المنزل أن ندخل على الإمام ونخبره بالأمر، وأصرّ علينا لذلك إستجبنا لطلبه وإن كان شاقاً علينا، ولما دخلنا على الإمام سألني: «هل لديك خبر عن حال مصطفىٰ»، فقلت: لا عِلمَ لي بأكثر من أنهم نقلوه إلىٰ المستشفىٰ، وكنا جميعاً نعهد في الإمام أنه لا يتعامل مع

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني = مجلة (جوانان إمروز = شباب اليوم)، العدد ٧٦٦، ويُنقل أن الإمام ذهب ـ بعد إقامة صلاتي الظهرين ـ إلىٰ منزل ولده الشهيد وعزا عائلته وقال لإمه المثكولة: «كان أمانة إستودعها اللّه عندنا ثم إسترجعها، إنني صابر علىٰ هذه المصيبة، فاصبروا أنتم أيضاً وليكن صبركم للّه».

أحد بلغةِ الآمر، لكنني لاحظته هذه المرة يأمرني بإصرار أن أستأجر سيارة تنقله إلىٰ المستشفىٰ لكي يرىٰ ولده. ولما تأخرتُ في الإستجابة لأمره قال لي بلهجة خاصة: «قلت لكم، إذهبوا واستأجروا لي سيارة». فاضطررت للخروج، فلما رآني السيد أحمد سألني عن الأمر ـ وكان على ما يبدو قد عرف بالأمر ـ فأخبرته فقال: ليس صحيحاً بالمرة أن يذهب الإمام للمستشفىٰ، إذهب وقُلْ له: إن حالة السيد مصطفىٰ سيئة وقد منع الأطباء زيارته لأي سبب، فعدتُ إلىٰ الإمام وقلتُ له ما قاله لي السيد أحمد الذي كان واقفاً في الطابق العلوي بحيث يراه الإمام من نافذة غرفته، فناداه الإمام ثم قال له: «ما خبرك عن حالة مصطفى؟»، وعندها بكىٰ السيد أحمد، فعرف الإمام بالأمر وقال ثلاث مرات: «إنا للّه وإنا إليه راجعون»، ثم قال: «كنتُ أتوقع كثيراً أن يخدم مصطفىٰ الإسلام والمسلمين»[١].

لم تخرج من عينه ولا دمعة واحدة

عندما عرف الإمام بنبأ إستشهاد المرحوم السيد مصطفىٰ، كنتُ وعدد آخر من الأخوة حاضرين عنده فشرعنا بالبكاء والنحيب الشديد، لكننا لاحظنا أن الإمام أشد صبراً فلم تجرِ من عينه ولا دمعة. وكنت قد سمعتُ في وقتٍ سابقٍ من أحد الأشخاص أن على مَن يُصاب بمصيبةٍ أن يبكي وإلا أصابته سكتَةٌ قلبيةٌ، ولذلك قمتُ إلىٰ الشيخ الفرقاني ـ وكان ذا صوت حسن ويجيدُ قراءة مجالس العزاء ـ وطلبتُ منه أن يقرأ شيئاً من مصيبة سيد الشهداء عليه السلام عسىٰ أن يبكي الإمام، فأخذ بقراءةِ مصيبة علي الأكبر عليه السلام وأشعار بالعربية والفارسية رقيقة للغاية في هذا المجال وعلى مدىٰ عشرين دقيقة وبصورةٍ تبكي كل سامع ولكن الإمام لم يبكِ ولم تخرج من عينه ولا دمعة واحدة رغم أننا جميعاً شاهدنا الإمام كثير البكاء

(١) آية اللّه السيد عباس خاتم اليزدي.

على مصائب سيد الشهداء عليه السلام فبمجرد أن يبدأ الخطيب بقراءة هذه المصائب كان الإمام يخرج منديله من جيبه ويبكي بحرقة[١].

كلنا نموت، عودوا إلىٰ أعمالكم!

إثر وفاة السيد مصطفىٰ؛ تقرر أن يدخل جمعٌ من السادة بمعية السيد أحمد على الإمام ويخبروه ـ بصورةٍ تدريجيّة ـ بهذا النبأ، فقال أحدهم: ما خبركم عن حالة السيد مصطفىٰ؟ فأجاب المرحوم الميرزا حبيب اللّه الأراكي: لقد اتصلوا من المستشفىٰ الآن وقالوا: يجب نقله إلىٰ بغداد بسرعة. ولكن السيد أحمد فقد السيطرة على نفسه ولم يستطع منعها من البكاء فأدار وجهه لكي لا يراه الإمام، لكن الإمام أدار وجهه وقال: «ما بك يا أحمد؟ هل توفي السيد مصطفىٰ؟ إن أهل السماء يموتون وأهل الأرض لا يبقون، كلنا نموت، ليعود السادة إلىٰ أعمالهم» ثم قام وتوضأ وأخذ يتلو القرآن[٢].

قوموا بالمستحبات لأجله

لقد تعامل الإمام بدرجة عالية من السكنية والصبر مع قضية إستشهاد السيد مصطفىٰ، فعندما أخبرناه بذلك، إكتفى بأن حرك إصبعه وقال ثلاث مرات «إنا للّه وإنا إليه راجعون»، والجملة الوحيدة التي قالها بعد الإسترجاع هي: «اجتهدوا في القيام بالمستحبات من أجله»[٣].

الخميني لا يبكي أبداً

كان بيت الإمام في يوم إستشهاد ولده السيد مصطفى مليئاً بالقادمين لتقديم التعازي له بهذه المناسبة ولم يفرغ منهم الا قبيل الظهر، ومع

---

(١) آية اللّه خاتم اليزدي.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج١.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (بيام إنقلاب = رسالة الثورة)، العدد: ٧٠.

إرتفاع صوت الآذان قام الإمام وجدد الوضوء وقال: «أذهب إلىٰ المسجد»، فقلت عجباً من السيد لا يترك صلاة الجماعة حتىٰ في هذا اليوم! ثم قلتُ لأحد الخدم: إذهب إلىٰ خادم المسجد وأخبره بأن الإمام سيأتي للصلاة: وعندما عرف الناس بأن الإمام قادمٌ للمسجد تدفقوا عليه من كل جانب، وعندما وصلنا مع الإمام إلىٰ المسجد ضجوا بالبكاء والنحيب، ثم فتحوا الطريق للإمام فدخل المسجد وهو على وقاره المعهود الذي أثار تعجب الناس فكان يقول بعضهم لبعض [بالعربية]: عجيب أمره! إن الخميني لا يبكي أبداً[1]!!

السكينة في ذروة المصيبة

لم يَظهر على الطلعةِ النيرة للإمام أدنىٰ أثر للإنكسار المعنوي بسبب وفاة المرحوم آية اللّه السيد مصطفىٰ، بل على العكس كان يبدو أشد عزماً، وكان أغلب علماء النجف يبكون عند تقديم التعازي له وهم يزورنه بهذه المناسبة أما هو فقد كان يستقبلهم وهو في أعلى حالات السكينة[2].

إذا كان مصطفىٰ قد توفي فأخبروني

عندما توفي السيد مصطفىٰ، أرادوا إخبار الإمام بذلك بصورةٍ تدريجيّة، فقالوا له أولاً أن صحته قد تدهورت ونُقل إلىٰ المستشفىٰ، قال: «أريد الذهاب لزيارته»، فقالوا: إن زيارته ممنوعة، فقال: «إذا كان مصطفىٰ قد توفي فأخبروني»، وعندها انفجر الأخوة بالبكاء، فقال الإمام: «إنا للّه وإنا إليه راجعون كنت أرجو أن يبقىٰ مصطفىٰ لكي يخدم الأمة»، ولم نسمع منه غير هذه العبارة عند وفاة ولده[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد الفرقاني، كتاب حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج١.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين الطهراني، المصدر السابق، ج٥.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين الناصري، المصدر السابق، ج٤.

كان مصطفىٰ أمل مستقبل الاسلام

لم تظهر على الطلعة النيرة للإمام ولا ذرة من الإنكسار بسبب مصيبة إستشهاد الفقيد السعيد حضرة آية الله الحاج السيد مصطفى الخميني رغم أنه كان رفيقَ والده في المنفىٰ ومؤنسه في جلسات البحث وأمله لإدارة شؤون المسلمين في المستقبل. والجملة الوحيدة التي قالها يوم وفاته كانت: «كان مصطفىٰ أمل مستقبل الاسلام». وفي اليوم الحادي عشر لوفاته قال الإمام بعد أن حضر لإلقاء الدرس: «إن للّه الطافاً خفية ووفاة مصطفىٰ أحد هذه الألطاف»(١).

تلك هديةٌ مَنَّ بها اللّه علينا

عندما وصل خبر إستشهاد السيد مصطفى إجتمع الجميع للتشاور في طريقة إخبار الإمام بذلك، ولم يكن أحدٌ منهم يتجرأ على إخباره بذلك لسيطرة الحزن عليهم جميعاً، أما السيد أحمد فلم يكن يقر له قرار وكان في الطابق العلوي وقد وقع ظله على نافذة الغرفة التي كان الإمام جالساً فيها، فالتفت الإمام لحاله وناداه فلما أجابه سأله: «أخبرني ما الذي جرىٰ»، فانفجر السيد بالبكاء إذْ أن السيطرة على المشاعر في مثل هذه الحالات صعبة للغاية، ولكن الإمام بقي على صلابته وصبره، إكتفىٰ بأن قال ثلاث مرات «إنا للّه وإنا إليه راجعون» ثم قال: «مصطفىٰ هديةٌ وهبها اللّه لنا، وقد إسترجعها اليوم، فقوموا لترتيب الأمور وتحديد مكان نقله ومحل دفنه». ثم ذهب الجميع لترتيب هذه الأمور، وكنت أنا في ساحة المنزل عندما خرج من تلك الغرفة، كنت أبكي بحرقةٍ وقد سيطر عليّ الحزن فالسيد مصطفىٰ كان شخصاً محبوباً، ولما رآىٰ الإمام ما أنا فيه أعرب عن أسفه وقال: «ما أصعب ما مرَّ عليكِ مُنذ أن جئتِ للعراق»، ثم

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الكريمي، مجلة (باسدار إسلام = حارس الإسلام)، العدد: ٩.

كان يحدثني في الأيام اللاحقة بقصص تناسب الحال، وخاصة في الأيام التي أقامت فيها السيدة زوجته في منزل المرحوم السيد مصطفىٰ، فقد كنت أبقىٰ في خدمته مدةً أطول، وقال مرة: «نحن ضعفاء جداً، مقارنةً مثلاً بذاك الرجل الجليل الذي توفي ولده في يوم العيد، فقد كان عنده ضيوفٌ جلسوا على مائدة طعامه، فسمِعَ أثناء ذلك صرخةً جُفِلَ منها فخرج من الغرفة ثم عاد وقال لضيوفه: لا تقلقوا لم يحدث شيءٌ مهم إنما هي عيديةٌ وهديةٌ مَنّ اللّه بها علينا، تفضلوا وتناولوا طعامكم، وعندما ذهب ضيوفه عرفوا أن تلك الصرخة كانت بسبب سقوط ولده الصغير في حوض الماء وغرقه ووفاته، ولكن صاحب البيت سيطر على مشاعره ولم يخبر ضيوفَهُ بما جرىٰ لكي لا يعكر عليهم الضيافة وبقي على تلك الحالة حتىٰ خرجوا من عنده ثم أخذ بترتيب الأمور اللازمة».

نقل الإمام هذه القصة وقال: «نحن ضعفاء للغاية»، رغم أننا لم نر منه الا الجلادة المعنوية وقوة الروح، حتىٰ أنه لم يترك برنامج مشيه اليومي بين الساعة (١٠,٣٠ ـ ١١,٣٠) في ذلك اليوم، ثم وقف قبيل الظهر باتجاه القبلة كعادته وتوضأ ثم مشط لحيته ووضع شيئاً من الطيب وصلىٰ! وفي تلك الأيام قال السيد أحمد له: إن أصدقاء وطلبة السيد مصطفىٰ قد اشتد عليهم الحزن بسبب هذه المصيبة، فتحدث لهم بشيءٍ تسكن لهم أرواحهم ويهدأ روعهم. فكان أن قال الإمام في بداية إلقائِهِ لدرسه في اليوم الأول لاستئناف الدرس تلك الكلمة التي دوت في المحافل: «إن وفاة السيد مصطفىٰ من ألطاف اللّه الخفية»[1].

يخفف حزن المعزين له!

زار آية اللّه السيد محمد صادق اللواساني ـ وهو من قدماء أصدقاء

---

(١) السيدة فاطمة الطباطبائي (زوجة السيد أحمد)، مجلة ندا، العدد الأول.

الإمام وزملائِهِ أيام الدراسة ـ النجف الأشرف بعد إستشهاد المرحوم السيد مصطفىٰ لتقديم التعازي له بهذه المناسبة، وصادف أن التقاه عند قبر المرحوم السيد مصطفىٰ حيث جاء الإمام لقراءة الفاتحة على روحه بعد زيارتِهِ لأمير المؤمنين عليه السلام ، وكانت آثار الشيخوخة قد ظهرت على السيد اللواساني إلىٰ درجة لم يعرفه الإمام في البداية، فسألَ عنه بالإشارة فقيل له: إنه السيد اللواساني، فتبسم وقال له: لقد أسرعت إليك الشيخوخة! ثم وضع السيد اللواساني رأسه على كتف الإمام وبكىٰ وقدم له التعازي باستشهاد ولده، فمسح الإمام على كتف السيد وأخذ يخفف من حزنه[1]!!

عند قبر ولده الشهيد

في المرة الأولىٰ التي زار الإمام قبر ولده السيد مصطفىٰ احتشد حوله الكثيرون ليروا ما يفعله القائد الأب، والأبُ القائد عند قبر ولده المجاهد، فشاهدوه يجلس بكل تواضع على الأرض ويضع إصبعه على القبر ويقرأ سورة الفاتحة بطمأنينةٍ ثم يقول للحاضرين: «اقرأوا سورة الفاتحة أيضاً على روح المرحوم الشيخ محمد حسين الأصفهاني». ثم طلب منهم أن يطلبوا من اللّه المغفرة لولده الشهيد، فقالوا: إن هذا الشهيد مغفور له، ثم قام وذهب إلىٰ منزله بسكينةٍ ووقار وهدوء وسط إرتفاع أصوات الحاضرين بالبكاء على وفاة ولده[2]!

طمأنينة تبعث الأمل في كل مَن يزوره

حالفني التوفيق في سنة ١٣٤٨ [هـ.ش، ١٩٦٩م] لزيارة الإمام في النجف الأشرف؛ ولم يكن يخفىٰ على أعين جواسيس منظمة أمن النظام

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد علي أكبر المحتسمي.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، صحيفة إطلاعات، ١٣٥٩/٨/١ هـ.ش.

الطاغوتي هوية الذين يذهبون لزيارة الإمام في تلك السنين، لذلك لم يكن يتردد على بيته إلا عددٌ محدودٌ من الأشخاص، وكان يومها يعيش في منزل متواضع مع عائلته المحترمة وعدد قليل من الأصدقاء. وفي اليوم الذي ذهبتُ فيه لزيارته لم يزره سوىٰ أربعة أو خمسة أشخاص رغم أنها كانت أيام النوروز التي يزداد فيها عدد الزوار الإيرانيين في العراق.

وفي تلك السنة كان النظام الطاغوتي يقيم أو يعد لإقامة الإحتفالات الضخمة بمناسبة مرور (٢٥٠٠) سنة على حكم الملكية في ايران والتي كانت توصف بأنها علامة قوة وثبات هذا النظام، فتصوروا ما الذي كان يعكسه وجه الإمام في تلك الأيام؟ هل كان يكشف عن الضعف أو الإنكسار أو القلق؟ كلا، كان الإمام يتحدثُ بوجهٍ مطمئنٍ مستبشر ويتعامل بهذه الروح مع القضايا فيبعث بذلك الأمل الكبير في قلب كل مَن يزوره[١].

لا تظهر على صوته ووجهه آثار الانفعال

وافق آية اللّه الخميني على إستقبال المبعوث الخاص لصحيفة اللومند في منفاه في النجف، وتحدث معنا بوجه نحيفٍ طلق زادته اللحية البيضاء طولاً، وعلى مدىٰ ساعتين لم تتغير خلالهما لهجته الصريحة الهادئة والشجاعة؛ ولم يكن يظهر على صوته آثار الإنفعال ولا على وجهه آثار التغير والتأثر بشيء حتىٰ عندما كان يكرر القول بأن إيران يجب أن تتخلص من شر الشاه أو عندما أشار إلىٰ وفاة ولده، كان حكيماً للغاية في تعامله وسيطرته الفائقة على نفسه وعلى مشاعرها، إنه يُوصل ما يعتقد به إلىٰ قلب مَن يخاطبه ليس بالضغط على الكلمات بل بنظراته الخاصة النافذة دوماً؛ ولكنه ـ رغم ذلك ـ إذا تحدث عن أمرٍ حساسٍ وأساسي

(١) آية اللّه الدكتور الشهيد البهشتي، صحيفة جمهوري اسلامي، ١/ ٤/ ١٣٦٥ هـ. ش.

يصبح حاداً إلىٰ درجة لا يمكن مقاومتها. إن آية اللّه [الخميني] رجلٌ ذو عزم راسخ وكامل، ولا يقبل بأي مساومة، إنه عازمٌ بكل حزمٍ على مواصلة كفاحه ضد الشاه حتىٰ النهاية[١]...

إبتسم عندما عرف الرفض الكويتي

طال إنتظارنا لوصول مبعوث الحكومة الكويتية من المدينة إلىٰ الحدود أكثر من ساعتين، وعندما وصل نادىٰ أخي وقال له بصوتٍ منخفض: «إن مما يسر دولة الكويت كثيراً أن تستضيف السيد الخميني، ولكن ذلك لا يتيسر لها في هذه الأوضاع لأنه يسبب لنا مشاكل إذْ أن لدينا علاقات مع ايران كما تعلمون». فلما عرف الإمام بهذا الموقف ابتسم وقال: «إسمحوا لنا بالذهاب إلىٰ مطار الكويت لنذهب منه بواسطة الطائرة إلىٰ حيث نشاء»، ولكن الجواب كان سلبياً على هذا الطلب أيضاً. وعندها إستعد الإمام للعودة إلىٰ العراق[٢].

ثقوا بأن الإمام سينتصر أيضاً

أردنا العودة إلى العراق بعد منعنا من دخول الكويت، فمنعونا من العودة للعراق أيضاً، وقد كدتُ أبكي من ذلك بسبب شدة تعبي إذْ أنني كنتُ أتولىٰ قيادة السيارة وعلى مدىٰ عشر ساعات متواصلة، لكنني سيطرت على أعصابي بصعوبةٍ وقلتُ للموظف العراقي: لقد آذت قريش النبي ﷺ كثيراً وعندما ذهبَ إلىٰ الطائف آذاه أهلها أيضاً فاضطر إلىٰ العودة إلىٰ مكة لكنه هاجر فيما بعد إلىٰ المدينة وانتصر وعاد إلىٰ مكة فاتحاً؛ كونوا على ثقةٍ من أن الإمام سينتصر أيضاً.

---

(١) مراسل صحيفة اللومند الفرنسية، وكانت هذه المقابلة أول مقابلة يوافق الإمام علىٰ إجرائها مع صحيفة أجنبية وقد طبعت بالفارسية في كراس يحمل عنوان (طلية إنقلاب إسلامي).

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد رضا المهري، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ١٠.

وقد أصابت هذه الكلمات الموظف العراقي بالذهول والحيرة، ولازلتُ إلىٰ اليوم أجدد الشكر للّه الذي نصرنا كلما تذكرتُ حوادث تلك الأيام الصعبة[1].

مازحنا وأضحكنا عدة مرات

إحتجز المسؤولون العراقيون الإمام عدة ساعات في منطقة صفوان الحدودية بعد عودته من الكويت، وقد آذانا ذلك وأقلقنا حرصاً على الإمام فقط إذْ أننا لم نكن نفكر بغيره، ولكن الإمام نفسه مازحنا عدة مرات وأضحكنا مُنذ بداية دخولنا الغرفة وكان واضحاً أن هدفه هو تقوية معنوياتنا، فأظهر هذا التعامل العادي مع الأمر لكي يبعد عنا الأذىٰ ولكي لا نتصور أنه في حالةٍ أشبه ما تكون بحالةِ السجين، وإن كان حاله في الواقع هو حال السجين[2].

سيطر القلق على الجميع باستثناء الامام

عندما تقرر أن يذهب الإمام إلىٰ باريس بدلاً من الكويت، كان ينبغي كتمان وجهة مقصده لأسباب أمنية، ولذلك مرت علينا تلك الأيام بصعوبةٍ بالغة، وقد سيطر عليّ القلق في الليلة الأخيرة التي سبقت سفره بمعيةِ عددٍ من خواصِ أصحابه، ولم أستطع النوم فجلست ورأيت الإمام وقد قام للتهجد كما هي عادته وعندما رآني يقظة قال لي بهدوءٍ: «نامي». وقد سيطرت حالةٌ عجيبةٌ من الوجوم وحبس الأنفاس والصمت على جميع أفراد العائلة عندما إستعد الإمام للسفر في سحر تلك الليلة، والشخص الوحيد الذي كان في غايةِ الطمأنينة هو الإمام الذي ودَّعنا بسكينة وخرجَ بمعيةِ أخانا[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد الدعائي، مجلة جهاد، العدد: ٢٧.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد رضا المهري، مجلة باسدار إسلام، العدد: ١٠.

(٣) السيدة فريدة المصطفوي، صحيفة إطلاعات، ١١/ ١٢/ ١٣٦٠ هـ.ش.

وكأنه في سفر آمنٍ لا خطر فيه

بعد مضي ساعتين تقريباً من تحليق الطائرة التي أقلتنا من العراق إلىٰ فرنسا، عرفنا أننا محبوسون في الواقع في طابقها العلوي! إذْ أنه وعندما توجه أحدنا إلىٰ المغاسل لاحظنا ملاحقة أحد الأشخاص الثلاثة المكلفين بحراستنا له، وللتأكد من صحة فهمنا لكوننا محبوسين في الواقع، قام المرحوم إملائي للنزول إلىٰ الطابق الأول من الطائرة فمنعه الحراس، وإثر ذلك جرىٰ الحديث بيننا ـ نحن المرافقون للإمام ـ بشأن إحتمالات ما سيفعلونه بنا، هل أنهم سيقتلوننا أم سيخطفوننا أم سيسجنوننا في أحد البلدان؟ أما الإمام فقد كان ينظر بسكينةٍ من نافذةِ الطائرة إلىٰ الأرض وكأنه في سفر آمنٍ يخلو من أي خطر[١]!

وهل ثمة خبر آخر؟

دخلت على الإمام بعد صلاة الفجر من اليوم الذي خرج فيه الشاه من ايران وقلت له: إن الأخوة يقولون: إن الشاه قد غادر ايران وقد بثت الإذاعات هذا الخبر، وكان طبيعياً أن تظهر آثار الفرح على الجميع أما الإمام فقد اكتفىٰ بأن سألني: «هل ثمة خبر آخر؟»[٢]!

سكينته عند إنتصار الثورة

كان الإمام كالجبل الشامخ في ثباته وسكينته، فمثلاً عندما إنتصرت الثورة سيطرت حالةٌ من الهيجان والانفعال على الجميع ـ ومن بينهم أنا ـ حتىٰ أن بعضنا أخذ يبكي بشدة فرحاً أما الإمام فقد بقي على سكينته وهدوئِهِ دون أدنىٰ إنفعال في حين أن الانفعال الشديد قد أصاب الآخرين، كان الإمام يبعث المعنويات العالية في الجميع[٣].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة حضور، العدد: ٣.
(٢) السيدة مرضية الحديدجي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٤.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمود الدعائي.

لم يظهر أي أثر للانفعال حتىٰ في نبرات صوته

عندما وصل خبر خروج الشاه من ايران إتصلوا بنا من مقر للشرطةِ الفرنسية، فذهبنا بمعية السيد غرضي الذي يجيد الفرنسية حيث نقلوا لنا هذا الخبر وكان ذلك في السحر ومع موعد قيام الإمام لعبادة الليل، ثم حضر الصحفيون ودخلنا على الإمام وأخبرناه بالخبر وبمجيء الصحفيين لمقابلته، فقال: «أخرجُ لهم في النهار»! وكان هذا الأمر عجيباً للغاية بالنسبة لهؤلاء الصحفيين والأجانب وأخذوا يتسائلون: كيف يحفظ هذا القائد هدوءَه في وقتِ خروج الشخص الذي سعىٰ طويلاً إلىٰ إخراجه من ايران؛ ويبقىٰ ملتزماً ببرنامجه اليومي العادي! ثم أن الإمام قدَّم موعد خروجه للصحفيين ساعة بسبب إزدياد عددهم، ووقف في مكان منخفض فوضعنا له كرسيّاً لكي يقف عليه ولكي يستطيع الصحفيون سماع صوته وهو يدلي بتصريحاته بشأن هذا الحدث التاريخي المهم وكنت أتوقع ـ أنا أيضاً ـ أنه سينفعل أثناء إدلائِهِ بهذه التصريحات، لكنني ـ ورغم أنني كنتُ قريباً منه ـ لم ألاحظ أبسط أثر للإنفعال عليه! لقد تحدث بهدوء ـ عبر الميكرفون الصغير الذي وضعناه أمامه إذْ لم يكن لدينا جهاز جيد لتكبير الصوت ـ، وكانت أول كلمة يلقيها بعد خروج الشاه من ايران، وقد حدد فيها مسار تحرك النهضة بعد هذا الحدث وقال: «إن إخراج الشاه هو الخطوة الأولى»، قال ذلك بكل هدوء ودون أن يتغير أي شيء من طريقته في الحديث ولم يظهر أي أثر للإنفعال حتىٰ في نبرات صوته[1].

نظرات الامام تعكس طمانينته

عندما ذهبت إلىٰ باريس لزيارة الإمام قال لي أحد المصورين الايرانيين المقيمين في باريس وكان ماهراً في فن التصوير: أنقل لك يا

(١) السيد مصطفىٰ كفاش زاده.

فلان ما شاهدته بنفسي عندما وصل الإمام إلىٰ مطار باريس، كان مجيئُه إلىٰ فرنسا قد تَمَّ دون إستعدادات مسبقة ولذلك كان إحتمالُ تعرضه لمشاكل فيها قائماً خاصة بعدما منعوه من دخول الكويت، وبعد إنعدام الأوضاع المناسبة للذهاب إلىٰ سوريا، فكيف يمكن أن يكون حال قائد في مثل عمره في ظل هذه المرحلة الحساسة من حركته الثورية؟! لقد اخترتُ مكاناً جيداً للغاية في مطار باريس، إخترتَهُ طبق خبرتي في التصوير والعمل الصحفي لكي يوفر لي أفضلَ زاوية ممكنة لمشاهدة وجه الإمام ونظراته والتعرف من خلال ذلك على حالته الروحية عند وصوله إلىٰ العاصمة الفرنسية في تلك الأيام الحساسة. وقفت في هذا المكان الذي يمر من أمامه كل مسافر يدخل مبنىٰ المطار بعد نزولِهِ من الطائرة، والتقطت صورةً رائعة جداً للإمام لازلتُ احتفظُ بها، لقد نظمت عدسةَ الكاميرا بحيث تستوعب عينا الإمام كل مساحتها والتقطت هذه الصورة فلم أجد في نظراته شيئاً من الإضطراب، بل كانت نظراته تعكس كمال السكينة والطمأنينة والإقتدار والحزم والعزم الراسخ[1].

هل سيوجهون لنا نيران مضاداتهم الجوية

عندما صعد آية اللّه الخميني إلىٰ طائرة الخطوط الجوية الفرنسية، أخذ الصحفيون وسائر مرافقيه يتسائلون: هل سيعترضون [حكومة بختيار] طريق الطائرة ويوجهون لها نيران مضاداتهم الجوية؟ ولم يجدوا جواباً على هذا السؤال فبقوا في حيرةٍ وترقب، أما آية اللّه الخميني فإنه قد توجه للصلاة في الطائرة ثم نام إلىٰ الساعة الخامسة عصراً، وعندما إستيقظ تناول شيئاً من اللبن الرائب، وبعد ذلك لفت أحد المنفيين ـ لم يكن قد ذاق طعم النوم في الليلة الماضية ـ إنتباه الإمام إلىٰ مدينة طهران التي لم يرَها الإمام مُنذ (١٤) عاماً[2].

(١) آية اللّه الشهيد الدكتور البهشتي، مجلة حضور، العدد: ٣.

(٢) السيد حسنين هيكل، صحيفة جمهوري إسلامي، ١٨/ ٤/ ١٣٦٠ [هـ.ش].

كان يبدو مسروراً للغاية

عندما أراد الإمام الخميني مغادرة نوفل لوشاتو باتجاه طهران كنت موجوداً في محل إقامته وقد ودعته وكان يبدو مسروراً للغاية[١].

الكل قلقون باستثناء الامام

قال إثنان من زملائي في تقرير أعداه لمجلة «جان أفريك»: كان القلق مسيطراً على جميع ركاب الطائرة التي نقلت الإمام إلىٰ طهران، وكانوا يتساءلون هل ستهبط هذه الطائرة في طهران أم ستُسقطها المقاتلات الجوية التابعة للنظام الملكي؟ ولم يستطع أي من الركاب النوم بسبب هذا القلق باستثناء شخص واحد هو الإمام الخميني الذي صعد إلىٰ الطابق العلوي من الطائرة واضطجع على أرضيته ونام إلىٰ الفجر[٢]!

لا أشعر بإحساس خاص

أثار تعجبي كثيراً جوابُ الإمام على مَن سأله عن إحساسه وهو يرجع إلىٰ ايران، فقد قال: «لا أشعر بإحساسٍ خاص»[٣]!

لا أثر للإحساس بالخوف والاضطراب

في تلك الأوضاع الخطرة التي كان من المحتمل أن يتعرض الإمام فيها لحادثةٍ في كل لحظةٍ سأل صحفيٌ الإمام عن إحساسه فأجابه: «لا أشعر بإحساس خاص». وكان هدف الصحفي معرفة ما إذا كانت تلك الأوضاع الخطرة قد أوجدت حالة من الإضطراب أو الأذى في الإمام، ولكن الإمام نفىٰ بهذا الجواب حدوث أي إحساس بالإضطراب عنده،

---

(١) البروفسور مونتي.

(٢) السيد القائدي، صحفي فرنسي.

(٣) السيد مالارد ـ صحفي فرنسي.

وعاد إلىٰ ايران وهبط في مطارها بحالةٍ طبيعية للغاية وكأن شيئاً لم يكن أصلاً[1].

أقام صلاة الليل بكل سكينة

كانت السكينة تتجلىٰ في سلوك الإمام وهو في الطائرة التي عاد بها من فرنسا إلىٰ طهران، ولم يصبه أدنىٰ إضطراب، لقد أقام في الليلة التي سبقت عودته صلاة الليل وصلاة الفجر ثم نام قليلاً طبق برنامجه اليومي المعتاد ثم صعد إلىٰ الطائرة[2].

وأبطل كل التصورات

كنتُ جالساً جنب الإمام في الطائرة التي أقلته من باريس إلىٰ ايران، وعندما إقتربت الطائرة من طهران جاء صحفي إليه وسأله: ماهو إحساسك الآن فأجابه «لا شيء»، لقد تصور هذا الصحفي أن الإمام سيشعر ـ كما هو حال غيره ـ بحالة من التأثر ويسكب دموع الشوق والسرور، أو بحالةٍ شبيهة لحالة الخوف والحيرة التي استولت على البعض وجعلتهم يتساءلون بقلقٍ عن مصير هذه الطائرة وهل سيسقطونها أم ستهبط بسلام؟ أو هل سيعتقلون جميع ركابها عند هبوطها وغير ذلك من الإحتمالات. ولكن الإمام أبطل هذا التصور فقد كانت حالته عادية بالكامل لأنه قد أعد نفسه من قبل لكل الإحتمالات حتىٰ القتل والشهادة وأعلن مُنذ بداية نهضته: «إن صدري على أهبة الإستعداد لتلقي رصاصاتكم»[3].

تابع برنامجه اليومي المعتاد بطمأنينة

من الأمور التي لا تنسىٰ هي أن جميع مرافقي الإمام في تلك الطائرة

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ رضا الاستادي.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة سروش، العدد: ٤٧٦.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الموسوي خوئيني ها، مجلة حوزة، العدد: ٣٧ ـ ٣٨.

كانوا قلقين تجاه مصيرها والشخص الوحيد الذي تابع بكل طمأنينة وسكينة برنامجه اليومي المعتاد هو الامام[١].

قوة توكله على اللّه وثقته به

إن مما يثير الاعجاب في الإمام قوة توكله على اللّه وثقته به، كان ذا نفس مطمئنة وقد تجلت هذه السكينة الروحية بوضوح في حالته وهو في الطائرة التي رجع بها من فرنسا إلىٰ ايران؛ وفي تلك الأوضاع الحساسة التي دفعت الكثير من المقربين منه أن يصروا عليه بأن ينتظر ولا يعرض نفسه للخطر ولا يعود إلىٰ ايران الا بعد أن يسقط الشعب الحكومة ويمسك بزمام الأمور؛ لكن الإمام رفض ذلك وقرر بشجاعة أن يكون إلىٰ جانب شعبه رغم أنه كان يحتمل أن يعرض نفسه بذلك للقتل والشهادة. كانت اللحظات التي تلت وصوله إلىٰ أرض الوطن في ظل تلك الأوضاع المضطربة للغاية تمر علينا ـ نحن الحرس السري له ـ بصعوبة بالغة، فمثلاً، لم نكن نعلم هل أن الطائرة العمودية التي نقلت الإمام إلىٰ المستشفىٰ ثم إلىٰ مقبرة جنة الزهراء كانت تابعة لمؤيدي النظام الملكي أم لا، وهل أنهم كانوا يخططون لقتل الإمام؟! كان الإمام يتحلىٰ بالسكينة والطمأنينة في تلك الأوضاع وهو يعتقدُ بأنّ إستشهاده سيوصل ثورة الشعب لساحل النصر[٢].

سكينة تبعث الطمأنينة في القلوب

غادرنا في يوم عودة الإمام مبنىٰ الجامعة ـ حيث كنا معتصمين فيه ـ، وتوجهنا إلىٰ المطار لإستقباله وكان جميع مَن في السيارة فرحين يضحكون: أما أنا فكنتُ أبكي بدون إرادتي بسبب قلقي على الإمام من الأخطار التي تحدق به فلم أكن أعرف ماذا سيقع خاصة مع وجود كل

(١) حجة الإسلام والمسلمين الموسوي الخوئيني ها مجلة (مرزداران)، العدد: ٣٩.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأنصاري الكرماني.

تلك التهديدات التي كانوا يطلقونها ضده. وعندما دخلنا المطار ورأينا الإمام زال كل القلق والاضطراب عنا ببركة السكينة التي شاهدناها متجلية في طلعته، فبعث بها الطمأنينة في قلبي ولعل في قلوب الكثيرين غيري من الذين كانوا قلقين عليه، لقد زال عني فجأة تعب كل تلك السنين الطويلة بمجرد أن شاهدته بعد سنين الفراق، وكان الشعور السائد هو أن جميع الآمال تتجسد في وجود الإمام[1].

في الطريق إلىٰ جنة الزهراء(ع)

في طريقنا إلىٰ مقبرة جنة الزهراء عليها السلام تغيّر حال السيد أحمد فجأة وسقط ـ وهو في السيارة ـ مغشياً عليه إثر حمل الجماهير لهذه السيارة لكنني لم ألاحظ أبسط تغيّر في حال الإمام سوىٰ تلك الإبتسامة التي إستقبل بها الجماهير[2].

تتجلىٰ فيه سكينة التسليم للّه

لعلكم رأيتم تلك الصورة التي ظهر الإمام فيها وقد سقطَت عمامته بسبب الإزدحام الجماهيري الشديد في مراسم عودته إلىٰ ايران التي أقيمت في مقبرة جنة الزهراء عليها السلام، وكنت حينها في غاية القلق من أن تصيبه صدمات شديدة بسبب هذا الإزدحام خاصة وإنه لم يصغ أحدٌ لصرخاتي المعبّرة عن هذا القلق وقد أحسست لحظة أننا فقدنا الإمام الذي كانت تتقاذفه أمواج الجماهير، ولكن رغم ذلك كانت السكينة تتجلىٰ في وجهه معبّرة عن عمق تسليمه للّه تعالىٰ، وفجأة لاحظت وكأن قوة خفية قد أنقذته من وسط هذا الإزدحام الشديد، ومهما فكرت في ذلك لا أجد غير أنها كانت قوة إلهية[3].

---

(١) آية اللّه الخامنئي، صحيفة إطلاعات، ٢٩/ ٨/ ١٣٦٣ هـ.ش.

(٢) السيد محسن رفيق دوست، مجلة (أمير إنقلاب = أمل الثورة)، العدد: ٢٥.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ ناطق النوري، ملحق صحيفة جمهوري إسلامي الخاص بمناسبة مرور أربعين يوماً علىٰ وفاة الإمام الخميني.

كانت فيه طمأنينة مَن يعلم بما سيقع

رغم أنّ الإمام كان بعيداً عن ايران (١٣ ـ ١٤) سنة، إلا أنه لم يظهر عليه أبسط آثار الشعور بالقلق وهو يعود إليهاوكأنه كان يعلم أنه سيُسقط الحكومة ويشكل حكومة جديدة ويرجع الأمور إلىٰ نصابها، فكان يجلس بكل طمأنينة ـ دون إهتمام بالقواعد الأمنية ـ في غرفةٍ تحيطها نوافذ زجاجية ويلتقي الناس الذين يدخلون عليه دون قيود، فلم يكن يقف على الباب مَن ينظم دخولهم عليه، وكان بإمكان كل مَن يريد زيارته أن يدخل عليه وكانت هذه الشجاعة مما يثير الإعجاب بالإمام[١].

أنا باق هنا من كان خائفاً فليذهب

كنا إلىٰ جانب الإمام في تلك الأيام الحرجة التي سبقت إنتصار الثورة، وكانت تثير تعجبنا وإعجابنا صفاته ومتانة معنوياته خاصة في ذلك اليوم الذي لن أنساه أبداً، وهو اليوم الذي شهد إعلان الحكم العسكري وحالة الطوارىء كان ذلك في الساعة (٤,٣٠) من عصر يوم (٢١) بهمن [١٠/ ٢/ ١٩٧٨م]، وكنا يومئذٍ عند الإمام وقد سيطر علينا القلق والإضطراب الشديد، باستثناء الإمام الذي كان يتعامل بطريقةٍ عادية وكأنه لم يحدث أي شيء!! كان منهمكاً بكتاب بيانه الذي دعا فيه لنقض مقررات الحكم العسكري وحالة الطوارىء، وقال أثناء ذلك: «هل بقي أحدٌ من الناس في المدرسة؟»، فقلنا: لقد أغلقنا بابها تجنباً لوقوع المخاطر المحتملة، فقال فوراً: «إفتحوا بابها لكي يأتي الناس». وفي مساء اليوم التالي أي ليلة(٢٢) بهمن قوي إحتمال قصف المدرسة والقيام بانقلاب عسكري فطلبنا بإلحاحٍ من الإمام الإنتقال من المدرسة إلىٰ مكان آخر فأجابنا بكل طمأنينة: «إنني باق هنا، مَن كان خائفاً فليذهب»[٢].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الهاشمي الرفسنجاني، مجلة شاهد، العدد: ١٦٧.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ ناطق النوري، مجلة (شاهد بانوان) العدد: ١٦٧.

عندما قوي إحتمال قصف محل إقامته

أعلن الحاكم العسكري لطهران أن كل مَن يخرج للشارع بعد الساعة الرابعة عصراً سيعرض نفسه للقتل، فاستدعانا الإمام وكتب بياناً قصيراً أوجب فيه على الجميع الخروج للشوارع في تلك الساعة والصمود فيها، فبدأت إثر ذلك المعركة الأخيرة وكان إحتمال قصف مقر الإمام قوياً، فأعددنا له مكاناً آمناً خلف مدرسة علوي وطلبنا منه الإنتقال إليه لكنه رفض بحزم وقال: «لن أخرج من هذه الغرفة، إن كنتم خائفين فاتركوني واذهبوا»[(١)].

ما وقع فقد وقع وما يجب أن يقع سيقع

قال أحد الأخوة ـ ضمن حديثه عن قضية فرار بني صدر ـ: في ليلة إنتصار الثورة كان جميع المسؤولين وحاشية الإمام يفكرون فيما يجب القيام به في تلك الساعات الحساسة، أما الإمام نفسه فقد بسط فراش نومه واستعد للنوم في موعد نومه المعتاد، فقالوا له: إن مسير الحوادث يتجه بالإتجاه الفلاني، فأجابهم: «إنّ ما وقع قد وقع وما يجب أن يقع سيقع، عليكم أنتم القيام بواجباتكم وما سوىٰ ذلك فأمره إلىٰ اللّه، وسواء نمتُ أم لم أنم فلن أستطيع الآن القيام بشيء ولكن إذ لم أنم فلن أستطيع القيام بأعمالي اللاحقة بالصورة المطلوبة»[(٢)].

لم يداخله الخوف ولا للحظة

كنا يوماً في مدرسة «رفاه» عندما وصلت أخبارٌ موثقة تفيد أنهم [بقايا نظام الشاه] قد خططوا لمهاجمة المدرسة ومقر الإمام، فاخترنا منزلاً

---

(١) آية اللّه الشهيد المحلاتي، مجلة (بيان إنقلاب)، العدد: ١٠٤.

(٢) السيدة مرضية الحديدجي.

خلف مدرسة علوي لكي ننقله إليه من الباب الخلفي للمدرسة فيقضي تلك الليلة فيه، فطلب الشيخ الهاشمي وجميع الأخوة من الإمام الإنتقال إليه لكنه قال بحزم: «كل مَن أراد الذهاب فليذهب أما أنا فلن أترك هذه الغرفة»، وينقل الشيخ الهاشمي أنه ذهب إليه مرتين وقال له: إن حفظ وجودكم ضروري، فكرر الإمام الجواب نفسه قال: «مَن كان خائفاً فليذهب، أما أنا فباق لوحدي في غرفتي»، كان الجميع خائفين لكن الإمام لم يداخله الخوف ولا للحظة، نام في وقت نومه المعتاد وقام للتهجد في السحر طبق برنامجه اليومي(١).

وأقام نافلة الليل بكل طمأنينة

ذهب عددٌ من الأخوة إلىٰ الإمام وألحوا عليه في أن يغادر المدرسة والإنتقال إلىٰ مكان آمن لكن هذا العزيز رفض وصرّح ـ وهو في أعلى مراتب السكينة ـ أنه لن يغادر المدرسة لأي سبب، وأتذكرُ أن الشيخ الخلخالي قال في تلك الليلة: لقد قررت أن أقضي هذه الليلة عند باب غرفة الإمام لكي أكون أول من يفديه بروحه إذا وقعت أيُ حادثة. لقد قضىٰ الإمام تلك الليلة بكل طمأنينة وأقام نافلة الليل كما هو حاله في الليالي الأخرىٰ(٢).

ليغادر أعضاء المجلس الثوري

عقد المجلس الثوري إجتماعه يوم (٢١) بهمن في هذا المكان، فوصلنا خبرٌ بأن هذا المقر مستهدف وأنهم قرروا قصف المنطقة، ثم جاء مَن قال: إن المهاجمين يقتربون من المركز، ثم دخل شخصٌ وقال: ليغادر المركز الذين لا يستطيعون حمل السلاح، وكان الإمام يقيم في

---

(١) آية الله الشهيد المحلاتي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٤.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الآشتياني، مجلة (مرزداران = حماة الحدود)، العدد: ٨٣.

مكان قريب من هذا المركز، فقلنا: إذا كان يجب أن نخلي هذا المركز فعلينا الإنتقال إلىٰ مقر إقامة الإمام، فوصلنا أمرٌ منه يقول: «ليغادر أعضاء المجلس الثوري ولا يربطو أنفسهم بي»! هذا الأمر أصاب أعضاء المجلس ـ وكنت أحدهم ـ بحالة عجيبة لا يمكنني وصفها، فهم من جهة تلقوا أمراً من القائد عليهم أن يطيعوه ومن جهة أخرىٰ كانوا قلقين على حياته فكيف يمكنهم المغادرة وتركه وهو مصرّ على البقاء في منطقةٍ معرضة لهجوم العساكر والقصف؟ ورغم ذلك فقد غادر بعضهم المنطقة[1].

أشار لهم بنظرة مطمئنة وحازمة

لن أنسىٰ موقف الإمام في ليلة (٢٢) بهمن التي كانت طهران تعيش فيها أوضاعاً حرجة وكان مقر الإمام يستهدف بعيارات نارية من كل صوب، لقد سيطر الخوف على بعض الأخوة فقرروا أن يحملوا فراش الإمام وينقلوه إلىٰ مكان آمنٍ، أما الإمام فقد أشار لهم بنظرةٍ مطمئنةٍ وحازمة بأن لا حاجة لذلك[2]!

كلمة أقوىٰ تأثيراً من الاقراص المنومة

كنا ليلة (٢٢) بهمن في خدمة الإمام في مدرسة «رفاه» فأرادو أن يطلبوا منه بإلحاح أن ينتقل إلىٰ مكان آخر لكي يقضي فيه تلك الليلة لأن المدرسة كانت مستهدفة فقلت لهم: الإمام لن يوافق على ذلك فلا تتعبوا أنفسكم بعرض هذا الطلب عليه، فقالوا: لننقل العائلة على الأقل إلىٰ محلٍ آمنٍ، ثم عرضوا هذا الإقتراح على الإمام فقال: «هذا المكان آمِن»، ثم ذهب الجميع إلىٰ النوم، ولكنني لم أستطع النوم وكنتُ في الغرفة المجاورة لغرفة الإمام فذهبت إلىٰ غرفته وفتحت الباب فاستيقظ، قلت

(١) آية اللّٰه الموسوي الأردبيلي، مجلة (إطلاعات هفتگى) العدد: ٢١٧٧.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشجوني، المصدر السابق، العدد: ٢٠٢٧.

له: لعل الاشتباكات إقتربت وأنا قلقٌ، فألقىٰ الإمام نطرةً إلىٰ خارج المبنىٰ وقال: «إذهب ونم»، فكان لهذه الكلمة تأثيرٌ أقوىٰ من تأثير الأقراص المنومة عليّ فذهبت ونمتُ بكل راحة[1].

ينامُ بكل طمأنينة في ظل إحتمال القصف

لم نستطع النوم في ليلة (٢٢) بهمن، فقد وصلت أخبارٌ بأن محل إقامة الإمام سيُقصف، واتخذ الحرس والعسكريون إجراءات رقابة خاصة، ولكن الإمام نام في فراشه بكل طمأنينة في الساعة (١٢) ليلاً كعادته، وقد مررتُ عليه بعد منتصف الليل فوجدتُهُ نائماً بكل طمأنينة كما هو حاله في الليالي العادية[2].

لم يحدث شيءٌ مهم بعد

في الساعات الأولىٰ لإنتصار الثورة سيطرنا ـ مع عدد من الأخوة ـ على مبنىٰ منظمة الأمن (السافاك)، ولما رجعت إلىٰ منزلنا سمعتُ مِن الإذاعة خبر إنتصار الثورة الإسلامية، فذهبت بسرعة إلىٰ مدرسة علوي حيث مقر إقامة الإمام يومذاك وكان الإزدحام شديداً للغاية فيها، دخلتُ على الإمام فوجدته يتفرج على ما يبثه التلفزيون، وكانت عائلتنا في الغرفة أيضاً، بادرت بفرحٍ وحماس إلىٰ تقبيل يده وباركتُ له إنتصار الثورة، فقال ـ بحالةٍ غريبة منَ الهدوء ـ: «لم يحدث شيءٌ مهم بعد، لم يحدث شيءٌ بعد»، كانت هذه العبارة بالضبط ما قاله، فقلت: إنها يا سيدي واقعةٌ مهمة جداً، قال: «الحمدللّه رب العالمين، ولكن لم يحدث شيءٌ بعد»؛ تعجبت كثيراً من قوله هذا رغم أنّ ما حدث هو سقوط النظام الملكي المشؤوم الذي تمتدُ جذوره إلىٰ (٢٥٠٠) سنة والذي كانت له شوكة وهيبة على الصعيد الدولي[3].

---

(١) آية اللّه الإشراقي، مجلة حضور، العدد: ٣.

(٢) آية اللّه الإشراقي، صحيفة كيهان، ٢١/ ٤/ ١٣٥٩ [هـ.ش].

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الآشتياني، مجلة (باسدار إسلام = حارس الإسلام)، العدد: ٩٢.

إذهبوا مطمئني البال

بعد منتصف إحدىٰ الليالي وصل خبرٌ يقول إن من المقرر وقوع إنقلاب عسكري، فدخل الحاج السيد أحمد بسرعة على الإمام الذي كان يصلي نافلة الليل كما هي عادته في مثل هذا الوقت من كل ليلة، فبقي السيد أحمد ينتظر مدة طويلةً والإمام غارقٌ في مناجاة ربه والتضرع إليه، ثم أخبره السيد أحمد بالخبر فقال الإمام بسكينته ووقاره المعهودين: «القضية ليست مهمة، إذهبوا مطمئني البال...»[١].

إذهبوا أنتم إلىٰ الملجأ

ذهبت مرة مع إثنين من المسؤولين لإخباره عن الإنقلاب العسكري الذي كان القوميون يزمعون على القيام به، قلنا له: إنتقلوا يا سيدي إلىٰ مكان آخرٍ لكي تقضوا فيه هذه الليلة فمن المحتمل أن يقصفوا هذا المكان بالطائرات، فأجابنا: «أما أنا فلا أخاف، إن كنتم خائفين فاذهبوا إلىٰ الملجأ، أنا باقٍ في مكاني»[٢].

إطمئنوا لن يصيبني شيء

في ليلة وقوع إنقلاب «نوجه» العسكري، ذهب السيدان الخامنئي والهاشمي إلىٰ الإمام واقترحا عليه الإنتقال إلىٰ مكانٍ آمن، فأبىٰ، فقالوا: إن حياتك هنا في خطرٍ، أجاب: «كلا، لستُ في خطرٍ، إذهبوا أنتم واحرسوا أنفسكم ومبنىٰ الاذاعة والتلفزيون، وقولوا لهم أن يحضروا جهازاً إلى هنا، إذا أردت أن أوجه بياناً للناس». فقال السيد الخامنئي: لعلكم لن تكونوا موجودين في الغد لكي تصدروا البيان ـ فقد وصلت

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الفريق حرس الثورة محسن الرضائي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج٣، ص ١٢٦.

أخبار تفيد باحتمال الهجوم على منزل الإمام! تبسم الإمام وقال: «إطمئنوا، لن يصيبني شيءٌ، فكروا أنتم بسلامتكم، أنا باق هنا». وبقي في منزله وبعث موقفه المعنويات العالية في الجميع وخرج السادة من عنده وقد إطمأنت قلوبهم[١].

لقد اقترح عليّ الآخرون مثل هذا

في تلك الليلة التي كان من المقرر وقوع الإنقلاب العسكري فيها، ذهبت إلىٰ منزل الإمام وأنا تعبٌ للغاية فقد قضيت يومي في تفقد أوضاع بعض الوزارات، فقال لي الإمام: «خُذْ السيدة [زوجته] وغادروا المنزل في هذه الليلة»، سألته باستغراب عن السبب فقال: «وصلتنا أخبارٌ بأن بعض الخونة يزمعون قصف منزلنا هذه الليلة» وكان أول سؤالٍ أسأله هو: «أليس من الأفضل أن تغادروا أنتم المنزل إلىٰ مكان آمنٍ»، فأجابني: «لقد اقترح عليّ آخرون مثل هذا فرفضتُ، لن أغادر هذا المكان أبداً»[٢].

أطلعوه على المؤامرة فتبسم

في الليلة التي كان من المقرر فيها تنفيذ إنقلاب «نوجه» العسكري، ذهب المقربون من الإمام إليه وأطلعوه على هذه المؤامرة الأميركية، فتبسم وقال بهدوئِهِ وطمأنينته المعهودة: «لا يمكن القيام بانقلاب عسكري ضد هذا الشعب». وعندما طلبوا منه مغادرة محل إقامته كاحتياطٍ أمني، أجابهم: «لن أتحرك من هذا المكان، أنا باق هنا، فمن شاء فليذهب»[٣].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين إمام الجمراني، صحيفة جمهوري إسلامي، الملحق الخاص بمناسبة مرور أربعين يوماً علىٰ وفاة الإمام.

(٢) آية الله الإشراقي، صحيفة كيهان، ٢١/ ٢/ ١٣٥٩ هـ.ش.

(٣) السيد الركني (أحد عناصر إنقلاب نوجد العسكري)، صحيفة جمهوري اسلامي ٢٤/ ٤/ ١٣٦٠ هـ.ش.

إنهم لن يصلوا إلينا

كانت تلك القضايا المرتبطة بانقلاب «نوجه» العسكري تُناقش في المجلس الثوري وكانت المعلومات الواصلة مجملة وكنا نطلع الإمام عليها أحياناً كما هي، وفي اليوم الأخير ـ وكان يوم الأربعاء ـ إتضح بالكامل أنهم ينوون تنفيذ الخطة في الساعة الرابعة صباحاً وأن من المقرر أن تأتي طائرات إلىٰ طهران لتقصف عدة مناطق بينها منزل الإمام؛ ففكرنا أن نذهب إليه لإخباره بذلك والطلب منه أن يغادر منزله، وإن كنا نعلم أنه لا يقبل عادة مثل هذه الطلبات، فقد إنتشرت إشاعات كثيرة بشأن التخطيط لقصف مدرسة علوي التي كان يقيم فيها خلال الأيام الأولىٰ لعودته من باريس وعرضت عليه مثل هذه الطلبات لكنه رفضها جميعاً بحزم. وعلى أي حال فقد ذهبت إليه بمعية السيد الخامنئي وأخبرناه بالأمر، فتبسم وضحك بل وأخذ يمازحنا أيضاً خلافاً لجديته المعروفة في مثل هذه الإجتماعات، كان مطمئناً من أن القضية ليست جدية، قال في البداية: «هذا مما لا يمكن تصديقه! لا يمكن القيام بانقلاب عسكري ضد هذا الشعب، فالمنفذون لهذا الإنقلاب مضطرون للهبوط إلىٰ الأرض فكيف يمكنهم أن يعيشوا بين الناس؟ ذاك الرجل الذي يقولون عنه: ينبغي له أن يقيم الآن خارج ايران ويدخن غليون الترياك، كيف يرضىٰ بالرجوع إلىٰ ايران لكي يُقتل؟!»... وعلى أي حال فقد أخذنا ننقل له تفصيلات المؤامرة حتىٰ أذعن لها وعندها قال: «على ضوء هذا الإستعداد الذي أعطيتموه لنا لا حاجة لأن نغادر المنزل، إنهم لن يصلوا إلينا». ثم دعا الله بالتوفيق لهؤلاء الشباب والعاملين في مواجهة هذه المؤامرة[1].

لا تقلقوا أنا موجود

تم التخطيط لانقلاب «نوجه» العسكري الفاشل، من قبل بعض عملاء

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الهاشمي الرفسنجاني، صحيفة إطلاعات، ٢٣/ ٤/ ١٣٥٩ هـ.ش.

اميركا بهدف إسقاط نظام الجمهورية الإسلامية، فكانوا ينوون ـ من أجل تحقيق هدفهم المشؤوم هذا ـ إحتلال عددٍ من المراكز الحكومية الحساسة وقصف أماكن إقامة كبار مسؤولي الجمهورية الإسلامية ومنزل الإمام، مستعينين في ذلك بعدد من العسكريين من جلاوزة النظام الملكي البائد، ولكن الإرادة الإلهية شاءت كشف هذه المؤامرة واعتقال مدبريها، فقد أخبر أحد المشاركين فيها والدته بالأمر، فحذرته ووعظته قائلةً: إن هذا النظام على الحق، فهو حكومة الإسلام وحكومة اللّه، يرأسها مرجعٌ للتقليد هو نائب إمام الزمان ـ عجل اللّه فرجه ـ، وقد أوجب اللّه علينا طاعته، فكل عمل ضد هذا النظام مخالف للإسلام.

هذه الكلمات أثرت في الرجل فذهب إلىٰ أحد المسؤولين ـ هو آية اللّه الخامنئي على ما أذكر ـ، فذهب هذا المسؤول فوراً بمعية شخص آخر إلىٰ الإمام وأطلعاه على الأمر وطلبا منه بإلحاح أن يغادر منزله إلىٰ مكانٍ آخر، لكنه أعلن فوراً ـ دونما تأمل ـ رفضه قائلاً: «كلا، أنا باق هنا» ثم قال: «إذهبوا واحرسوا مبنىٰ الإذاعة والتلفزيون، لكي أوجه عبرهما بياناً للشعب ـ إذا وقعت واقعة ـ أخبره بحقيقة المؤامرة». أصر الشخص الثاني الذي كان مع السيد الخامنئي على الطلب السابق وقال بلهجة مشوبة بالخجل: «إن إحتمال الخطر قائم، ونحن خائفون على حياتك، الأفضل أن تنتقلوا إلى مكانٍ آخر». لكن الإمام قال ـ في بسمةٍ محببة ـ: «لا تقلقوا، أنا موجود، وإذا حدث أمرٌ أصدر بياني». فأدت طمأنينة الإمام إلىٰ أن يذعن هذا الأخ لموقف الإمام، كما أنها أزالت القلق عن الجميع، وقد لاحظنا كيف أن هذه المؤامرة قد فشلت بسرعة دون أن تحقق شيئاً»[1].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الآشتياني، مجلة (مرزداران) العدد: ٨٣، والشخص الثاني المذكور هنا هو الشيخ الرفسنجاني.

لم يصبني الاضطراب طوال عمري

ينقل أحد الأصدقاء أنه كان حاضراً عند الإمام عندما نقلوا له خبر الفتنة التي أثارها أعوان بني صدر وأنصاره في الجامعة بتاريخ (١٤/ ١٢/ ١٣٦٠ [هـ.ش، ٥/ ٣/ ١٩٨١م)]، فسأله: ألم تضطرب يا سيدي لهذا الخبر؟ فقال الإمام: «كلا، لم يصبني الإضطراب طوال عمري، والآن أيضاً لستُ مضطرباً»[(١)].

كان يتحلىٰ بطمأنينة مميزة

كنت في طهران عندما تعرض آية اللّه الخامنئي لمحاولة الإغتيال سنة ١٣٦٠ [هـ.ش، ١٩٨١م]، وكان جميع الأخوة حائرين في كيفية إخبار الإمام بذلك. فسألني الشيخ حسن الصانعي ـ كطبيب ـ: ما هو التدبير الذي تقترحون عليّ أن أتخذه لو أردتُ إخبار الإمام بهذه الحادثة؟ وبعد فترة من التفكير قلتُ: لو وضعتم في فنجان الشاي قرصاً مهدئاً ثم أخبرتموه بالأمر بعد نصف ساعة من تناوله فلا خوف عليه ـ في هذه الحالة ـ من أثر الصدمة. إستخار الشيخ الصانعي بشأن هذا الحل، فخرجت بالنهي، فدخل ـ وهو مضطربٌ ـ وأخبر الإمام بالأمر، وعندما خرج قال لي: قبل أن أخبر الإمام بخبر الإغتيال سألني: «هل حدثت حادثة للسيد الخامنئي؟». فأخبرته بالأمر فقال: «قولوا لطبيبه أن يرسل لي تقريراً عن حالته الصحية بصورةٍ مفصلة كل نصف ساعة»! كان الإمام يتحلىٰ حقاً بطمأنينة مميزة[(٢)].

اين الامام؟

في يوم وفاة آية اللّه الطالقاني جاء أحد أطباء قم في وقت مبكرٍ إلىٰ

---

(١) آية اللّه الشيخ الإمام الكاشاني، مجلة (پيام إنقلاب)، العدد: ١٢١.

(٢) الدكتور پور مقدس، من الأطباء المعالجين للإمام.

منزل الإمام وقال بلهفة: اين الإمام؟ أريدُ أن أراه لأعرف مقدار ارتفاع ضغط دمه. فقلنا له: لا تقلقوا، إن الحوادث قد تؤدي إلىٰ أن يحزن الإمام ولكن نبض قلبه لا يتجاوز المستوىٰ العادي[1].

النفس المهذبة ترىٰ الموت عين الحياة

عندما وقعت فاجعة السابع من تير، خشي جميع المسؤولين وكذلك السيد أحمد من أن لا يطيق الإمام تحمل خبر هذه الفاجعة العظيمة خاصة مع كونه مصاباً بمرضٍ في القلب، لذلك أخذ السيد أحمد جهاز المذياع الذي كان الإمام يضعه عادة عند رأسه أثناء نومه لكي لا يسمع الإمام بهذا النبأ قبل التمهيد لذلك، لكن الإمام عندما إستيقظ ولم يجد المذياع أدرك بفراسته القوية أنّ حادثة مهمة قد وقعت، ثم تم إخبار الإمام تدريجياً بهذا الخبر المؤلم. يقول السيد أحمد: كان الإمام يتمشىٰ في ساحة المنزل وهو يتلو الأذكار وعندما إقتربتُ منه قال لي: «تقاربت الآجال»! وكان يقول: «إن منطقنا هو منطق القرآن والإسلام ولا يمكن للأعداء أبداً أن يبطلوا هذا المنطق»، وكان يكرر مراراً القول: «مع وجود تهذيب النفس يكون الموتُ عين الحياة»[2].

إتركوا المذياع في محله

وصل خبر إستشهاد الدكتور بهشتي وأصحابه إلىٰ مكتب الإمام مساءً، فلم نعرف كيف نخبره بذلك ونحن نعلم شدة حبه للشهيد بهشتي، وكان الإمام يستمع عادةً للأخبار المسائية التي تبث عبر إذاعة وتلفزيون الجمهورية الإسلامية، لذلك أمروا هذه المؤسسة بعدم بث الخبر في تلك

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٢.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الآشتياني، مجلة (مرزداران) العدد: ٨٣.

الليلة، وتقرر أن يطلعه السيد أحمد والشيخ الهاشمي على نبأ الفاجعة في اليوم التالي وبطريقةٍ خاصة لكي لا تصيبه سكتةٌ قلبية، كما أُوصيت العائلة بنقل جهاز المذياع الذي كان الإمام يضعه بالقرب من رأسه إلى مكان آخر لأنه كان من المحتمل أن يُذاع الخبر في أخبار الساعة السابعة أو الثامنة، والطريف أنه عندما ذهبت إحدى السيدات للقيام بذلك قبل الساعة السابعة صباحاً قال لها الإمام: «إتركي المذياع في محله، لا حاجة لذلك، لقد سمعتُ الخبر من الإذاعات الأجنبية»! والأكثر طرافةً أنه عندما دخل عليه السيد أحمد والشيخ الرفسنجاني كان هو الذي يخفف عليهما من عظم المصاب، ثم أمر فوراً بعقد إجتماع مجلس الشورىٰ وإنتخاب وزراء جدد ورئيس لديوان القضاء الأعلى[١].

انزل الامام السكينة في قلوبنا جميعاً

بعد وقوع فاجعة (٧ تير) [٢٨/تموز] سيطر القلق على جميع المسؤولين تجاه مستقبل الثورة؛ فقد أُستشهد في هذه الفاجعة عددٌ من كبار المسؤولين بينهم رأس السلطة القضائية الشهيد المظلوم آية اللّه الدكتور بهشتي. وفي صباح اليوم التالي ذهب الشهيدان رجائي وباهنر بمعيةِ عدد من الوزراء ـ والقلق قد سيطر عليهم ـ إلىٰ الإمام لمعرفة ما يجب عليهم القيام به، فلما خرجوا من عنده قال السيد رجائي: ببضع كلمات أنزل الإمام السكينة في قلوبنا جميعاً، لقد قال: «إن حوادث العالم كثيرة فلا ينبغي الإعراض عن السعي للهدف المنشود بسبب إستشهاد عدد من الأجلاء». أجل، لقد بعثت هذه الكلمات السكينة فيهم إلىٰ درجة عادوا معها لمتابعة أعمالهم بثقةٍ ومعنويات عالية[٢].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٢.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين التوسلي.

أثرت فينا روحه المعنوية

قبل الإلتقاء بالإمام بمناسبة فاجعة إستشهاد السيد بهشتي و(٧٢) من أنصار الإمام، قررنا أن نخفي حزننا وأذانا أثناء اللقاء لكي لا نزيده أذىً، فوجدنا أنفسنا عاجزين عن هذه المهمة الصعبة لكننا عندما دخلنا عليه أثرت فينا روحه المعنوية العالية فشعرنا بالسكينة، ووجدنا أنفسنا نعرض قضايانا عليه بصورةٍ عادية، ثم أمرنا بحزم أن ننتخب فوراً ـ ولو بصورة مؤقتة ـ أشخاصاً للقيام بأعمال الوزراء الذين استشهدوا(١).

روىٰ قصة للصامتين

بعد يوم من فاجعة (٧ تير) ذهبنا بمعية الشهيد الرجائي والسيد الموسوي الأردبيلي والشيخ الهاشمي الرفسنجاني لزيارة الإمام وجرىٰ الحديث في الطريق بشأن كيفية الحديث عن هذه الفاجعة وعرضها للإمام بطريقةٍ لا تؤذيه خاصة مع ما كان يعانيه من أزمات في قلبه، وقد تقرر أن يتحدث الشيخ الهاشمي نيابة عن الجميع، لكنه لم يستطع أن يتحدث عندما دخلنا على الإمام فساد في بداية اللقاء صمت ذو معنىً واضح، إلتفت له الإمام فتحدث بدلاً من الشيخ الرفسنجاني، ثم نقل حادثة وهي: شهدت إحدى المناطق قديماً شيوع مرضٍ وبائي أدىٰ إلىٰ موت الكثيرين وإلىٰ درجة كانت أجساد الموتىٰ توضع بصورة جماعية [للصلاة عليها قبل دفنها] الأمر الذي أدىٰ إلىٰ إثارة خوف شديد كاد أن يهلكهم، وعندها تصدىٰ أحد العلماء لتدارك الأمر وخاطب الناس بقوله: ما بالكم، ولِمَ أنتم مضطربون، إنّ ما حدث هو أن الآجال تقاربت، والذين كتبَ عليهم الموت قد تقاربت آجالهم، فلا تدعوا الخوف يسيطر عليكم فيقتلكم! ثم

---

(١) رئيس الجمهورية الإسلامية الشهيد محمد علي الرجائي، صحيفة إطلاعات، ٨/ ٤/ ١٣٦٠ هـ.ش، كتاب (محضر نور)، ج١ ص ٥٠٣.

قال الإمام بعد نقل هذه الحادثة: «إن ما جرىٰ في الليلة الماضية هو من مصاديق تقارب الآجال، فوقعت في وقتٍ واحد وفاة هؤلاء الشهداء الذين كتب عليهم الموت، فلا يوجد مبرر للقلق والخوف».

لقد تعامل الإمام بصلابة وقوة معنوية عالية مع هذه الفاجعة الأمر الذي جعل جميع أصحابه يتعاملون معها بشجاعةٍ لا نظير لها. ثم قال: «ليقوم السيد الأردبيلي بمهام الشهيد البهشتي، وأنا أيضاً سأصدر الحكم اللازم له»، ثم قال للشيخ الرفسنجاني: «يجب أن تواصلوا إجتماعات مجلس الشورىٰ بأي صورة لكي لا يتعطل عمله». ولذا جاؤا في اليوم التالي بالنواب الجرحىٰ على أسرة المرض والمغذي الطبي (المصل) موصول بهم إلىٰ مبنىٰ المجلس لكي يكتمل النصاب الرسمي لانعقاد جلسات (مجلس الشورى)[١].

لم يكن لقلوبنا المضطربة من ملجيء غيره

في الساعة (٨,٣٠) من صباح يوم (٧ تير) إلتقينا الإمام في غرفة الإستقبال الصغيرة في منزله، وكان من الصعب علينا للغاية أن نخبره باستشهاد مجموعةٍ من الأشخاص كانت منزلتهم في قلبه الرؤوف لا تقل عن منزلة أولادِهِ الصلبيين خاصة وأنه كان مصاباً بأزمةٍ قلبية خضع بسببها لرقابةٍ طبية مشددة، ولكن لم يكن لدينا في المقابل محلاً نحل فيه مشاكلنا غير تلك الغرفة الصغيرة التي لم يكن لدينا ملجيءٌ غيرها كما لم يكن لدينا شخصٌ نبثُ إليه همومنا غير هذا القائد. لقد عرف هو من قبل بالكثير من تفصيلات ما جئنا لإخباره به، وعرف حاجتنا له لكي يخفف عنا المصاب ويقوي معنوياتنا ويهدينا، لذلك وافق بسرعة على إستقبالنا، وعندما دخلنا عليه وقدمنا له التعازي، تحدث لنا بما يخفف عنا هول

---

(١) السيد علي أكبر برورش، كلمة قبل صلاة الجمعة في طهران بتاريخ ١٠/ ٤/ ١٣٧٣ هـ. ش.

المصاب ونقل لنا حادثة لطيفة من التاريخ القديم لحوزة النجف الأشرف ترتبط بمصيبة عامة حلت بها، وأشار إلىٰ سيرة الأنبياء والأولياء وما حلّ بهم، وتحدث عن أشكال اللطف والهداية الإلهية، فبعث بذلك الطمأنينة والثقة بالنفس في قلوبنا(١).

أنزل السكينة بكلماته

وَلَّدَ الإنفجار الذي أوجد فاجعة السابع من شهر تير إنفجاراً آخراً في بيت الإمام! إذ أننا لم نكن نعرف كيف نخبر الإمام بوقوع هذه الفاجعة، لقد سيطرت علينا جميعاً حالة شديدة من الإضطراب والقلق، ولكنني رأيتُ أن الإمام جاء إلىٰ الحسينية في صباح ذلك اليوم وألقىٰ ذلك الخطاب الذي أنزل السكينة في كل القلوب(٢).

قرّب اللّه آجالهم

إثر وقوع فاجعة (٧تير) دخل الشيخ الهاشمي والسيد أحمد على الإمام، فخفف عنهم عِظَم المصاب ونقل لهم حادثة مفادها أن أحد علماء الإسلام كان يتحدث من على المنبر عندما جاؤوه بخبر وقوعِ حادثةٍ أدت إلىٰ وفاة عدد كبير من الناس، فقال هذا العالم دون أن يغير طَريقةَ جلوسه على المنبر: لقد حدث تقاربٌ في الآجال، إذ كان مقرراً أن يُتوفىٰ هؤلاء بصورة متفرقة فقرّب اللّه بين آجالهم(٣).

لا يضطرب عند الحوادث بل ينبري لمعالجتها

شاهدت بنفسي عدة حالات وسمعتُ بأخرىٰ من السيد أحمد تبينُ أن

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الهاشمي الرفسنجاني، مجلة (إطلاعات هفتكي)، العدد: ٢١٩٥.
(٢) الدكتور بور مقدس.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، مجلة (آزادكان = الأحرار)، العدد: ٥.

الذين كانوا ينقلون أخبار الحوادث المهمة للإمام، كانوا يعانون من التفكير بالطريقة التي يخبرونه بتلك الحوادث دون أن يسببوا له أزمات قلبية ناتجة من شدة التأثر والحزن، ولكنهم كانوا يجدونه ـ بعد نقل كل من تلك الأخبار له ـ أنه يتعامل معها بطريقة عادية هادئة متحلياً بأعلى مراتب الصبر ومكتفياً بتكرار كلمات تشتمل على معانٍ سامية من قبيل «إنا للّه وإنا إليه راجعون».

وهذه الطريقة في التعامل لا تعني عدم إهتمام الإمام وحزنه لمصرع سبعين من أنصاره في فاجعة (٧ تير) أو غيرهم من الأجلاء، فهو كان يتميز بحالةٍ عميقة من الرأفة ورقة القلب، لكنه كان قد أعد نفسه من قبل لطوارق الحدثان، ولذلك لم يكن يضطرب عند وقوعها، بل ينبري لمعالجتها بأعصاب قوية[١].

جاء لصّ وألقىٰ حجراً

في اليوم الذي هاجمت فيه الطائرات العراقية البلاد بغتةً على طول حدودها الغربية والجنوبية بادئةً العدوان العراقي على ايران، زار المسؤولون والقادة العسكريون الإمام وقد سيطرت عليهم حالة من الإضطراب والحيرة، فتحدث إليهم لفترة قصيرة وقدم لهم توجيهاته بهذا الشأن، فخرجوا من عنده بمعنويات عالية جعلت أحدهم يقول: سندمر النظام العراقي، والآخر يقول: سنتقدَّم حتىٰ نصل بغداد!! ثم وجه الإمام خطاباً للشعب أزال عنه كل قلقٍ بكلمته المعروفة: «لقد جاء لصّ وألقىٰ حجراً»[٢]!

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد الموسوي خوئيني ها، مجلة حوزة، العدد المزدوج: ٣٧ـ٣٨.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٢.

ليس ثمة ما يبعث القلق

وضعوا في بداية الحرب تسع قواعد للمضادات الجوية في أطراف منطقة جمران لحماية بيت الإمام، وعندما كنت أذهب ذات مساء لصلاة المغرب في مسجد جمران، بدأت جميع هذه المضادات بإطلاق نيرانها فجأةً، ولم أكن إلى ذلك اليوم قد سمعت صوت طلقاتها، فهالني صوتها وذهبت فوراً إلىٰ منزل الإمام للإطمئنان على حاله لأن الأطباء كانوا قد صرحوا بأن إطلاق أي صوت مباغت يضر بصحته، وعندما وصلت إلىٰ المنزل وجدت أفراد عائلة الإمام يصرون عليه بالذهاب إلىٰ سرداب الحسينية وهو يرفض ويقول: «لا تخافوا الأمر ليس مهماً إن شئتم فادخلوا أنتم إلىٰ السرداب». وعندما رآني عند باب الحسينية ـ وكانت أصوات المضادات قد توقفت ـ قال لي بابتسامة مليحة: «هل أصابك الخوف أنت أيضاً، لا تقلق، ليس ثمة ما يبعث القلق»[١].

نحن منتصرون إن شاء اللّه

في اليوم الرابع لبدء الحرب زرتُ الإمام لتقديم تقرير عن زيارتي للأهواز وآبادان وخرمشهر التي إستغرقت يومين، فوجدته على حالته المعهودة مستبشراً باشاً ومفعماً بالأمل، وقال لي: «نحن منتصرون إن شاء اللّه»[٢].

وجدناه يصلي فزال القلق

في بدايات الحرب، سمعنا يوماً صوت اطلاق نيران المضادات الجوية، ولم نكن على معرفةٍ به فتصورنا أنه صوت إنفجار قنبلة فذهبنا وجلين إلىٰ غرفة الإمام وقد سيطر علينا القلق على سلامته، فوجدناه

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين إمام الجمراني، وقد اتضح فيما بعد أن قائد المضادات الجوية في المنطقة أراد إختبار عملها لكنه لم ينسق في ذلك مع بيت الإمام.

(٢) بني صدر، الرئيس الإيراني المخلوع، صحيفة إطلاعات، ١٣٥٩/٧/٥ هـ.ش.

يصلي في الشرفة مقبلاً على العبادة وكأنه لم يشعر بدخولنا عليه، فأزال هذا المشهد عنا كل قلق وإضطراب[١].

لا تغير في نبض قلبه

عاش الجميع حالة الإضطراب أيام القصف الجوي والصاروخي لطهران، لكننا كنا نلاحظ ـ أثناء فترات القصف ـ أن الشاشة الطبية لا تظهر أدنىٰ إزدياد في نبض قلب الإمام، وعندما كنا نقيس ضغطه كنا نجده في حالةٍ عادية الأمر الذي يكشف أنه لم يكن يخاف شيئاً أصلاً[٢].

الانفجار الصاروخي هزّ الجميع باستثنائِهِ

في حدود الساعة الثامنة وعشر دقائق من صباح أحد الأيام سقط صاروخ عراقي قرب جمران فهزّ إنفجاره المنطقة بشدة وفتح باب غرفة الإمام بقوة، وضُربت ظهري إذْ كنتُ جالساً بالقرب منه، في غضون ذلك كنت منتبهاً لحال الإمام بالكامل لكنني لم ألاحظ أدنىٰ تغيير عليه، ثم سألت أحد الأطباء الذي كان يراقب باستمرار حالة قلب الإمام بواسطة جهازٍ طبيٍ خاصٍ عن ذلك، فأجابني أن هذا الجهاز لم يظهر أي تغيّر حتىٰ في عدد ضربات قلبه[٣].

سكينته تسري إلىٰ الجميع

الشيءُ الذي كنا نجده في الإمام ويؤثر فينا عندما نلتقيه أكثر مما تؤثر فينا توجيهاته هي حالة السكينة والطمأنينة التي كان يتعامل بها مع الحوادث المختلفة. فكانت هذه الحالة تنتقل إلىٰ الذين يلتقون به[٤].

---

(١) السيدة عاطفة الإشراقي، مجلة (زن روز)، العدد: ١٢٦٧.

(٢) الدكتور بور مقدس، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٩٦.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

(٤) السيد ميرحسين الموسوي (رئيس حكومة الجمهورية الإسلامية).

وبها يبعث الأمل في قلوب الآخرين

أدرك الذين كانوا على تماسٍ بالإمام أنه كان يتمتع بنفسٍ مطمئنة كانت هي سر عدم إصابته بالإضطراب بسبب الحوادث المختلفة، والجميع يعلمون كثرة الحوادث والمشاكل والصعوبات التي مرت بها الثورة الإسلامية مُنذ بداية إنتصارها والتي كانت توقع الكثيرين في أشكال الإضطراب والقلق باستثناء الإمام الذي كان يحافظ على سكينته فيها. ولقد كان يأتيه بعض الأشخاص وقد سيطر عليهم اليأس والإضطراب بسبب ضخامة المشاكل فيسألونه: هل يمكن حل هذه المشكلة أو تلك، وكان جوابه المنطلق من سكينته القلبية وصفائِهِ الباطني هو: «المشكلة ليست مما لا يمكن حله». ثم يتحقق ما كان يخبر عنه وتحل المشكلة، فكانوا يدخلون عليه مضطربين مشوشي البال ويخرجون من عنده مطمئنين.

ويؤيد هذه الحقيقة المسؤولون المحترمون الذين كانوا يلتقون بالإمام كثيراً بحكم مسؤولياتهم، وهذه الحقيقة شاهدتها بنفسي ولم أشاهد ولا حالة واحدة تنقضها، لقد كان يتحلىٰ في أشد الأوضاع إضطراباً وتأزماً بحالةٍ نادرة من السكينة القلبية الحقيقية وبها كان يبعث الأمل في قلوب الآخرين(١).

مسيطرٌ على نفسه بالكامل

كنا نرىٰ الإمام دائماً في حالةٍ من السكينة والوقار والطمأنينة تتجلىٰ في نظراته وكلامه وفي مشيه وقعوده وقيامه، ولم يكن يتلفت إلىٰ ما حوله أثناء المشي حتىٰ لو سمع أصواتاً غريبةً. كان مسيطراً على نفسه بالكامل(٢).

---

(١) آية الله الشيخ ابراهيم الأميني (خطوات في أثر الشمس)، ج٢، ص ٢٦٨.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين علي الدواني (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٦.

ولم يعرف ما هو الخوف

سمعتُ من عائلة الإمام أنه قال لهم في لقاءاتهم العائلية: «إنني لم أعرف ظاهرة الخوف أصلاً، ولا أعرف ما يطرأ على الإنسان إذا خاف». وقد عرفنا إستناداً إلىٰ إختصاصنا الطبي عدم ظهور علائم الخوف الطبية في بدن الإمام، لأن من المعروف في علم الطب أن بدن من يصيبه الخوف يفرز مادة تُسمىٰ «آدرنالين». وهذه المادة هي التي تؤدي إلىٰ ظهور علائم الخوف مثل إزدياد نبض القلب وتغير لون الإنسان إلىٰ البياض والشحوب، وارتعاش الأعضاء وإرتفاع ضغط الدم وإصابة الإنسان بحالة غير مرغوبة. وقد كنا على مدىٰ ثمان أو تسع سنين نراقب نبض قلب الإمام وضغط دمه، وفي الفترة الأخيرة كنا نستخدم جهازاً طبياً خاصاً يعرض حالة نبض القلب على شاشة تلفزيونية تمكننا من معرفة حالة النبض في كل دقيقة، وقد وقعت خلال هذه المدة الكثير من الحوادث والمشاكل التي كان ينبغي أن تؤدي على الأقل إلىٰ إزدياد النبض وضربات قلب الإمام، لكننا لم نلاحظ ذلك ولا لمرة واحدة[١]!

ولم يكن في قاموسه الوجودي محلٌ للإضطراب

عقد رؤوساء السلطات الثلاث إجتماعاً في ليلة عيد في بيت الأخ العزيز الحاج السيد أحمد، وقد حضر الإمام لاحقاً هذا الإجتماع، وبعد فترة وجيزة شن النظام العراقي هجوماً جوياً، فتبسم الإمام وقال بطمأنينة متميزة: «ما أشد حماقة هؤلاء، إنهم لا يدركون أن قيامهم بهذا القصف في مثل هذه الليلة يفجر عداءَ الناس ضدهم». أجل لم يكن في قاموس وجود الإمام محلٌ لمفردات مثل الخوف والإضطراب والتزعزع[٢].

---

(١) الدكتور بومقدس، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٩٦.

(٢) السيد ميرحسين الموسوي، مجلة حوزة، العدد المزدوج: ٣٧ ـ ٣٨.

سكينته الروحية في ظل القصف

في أوائل شهر خرداد سنة ٦٤ [١٣ هـ.ش، حزيران ١٩٨٥م] الذي إقترن بشهر رمضان المبارك، كثف النظام العراقي من غاراته الجوية على مدينة طهران في أوقات متفرقة من الليل والنهار، وكانت ترافق أصوات القصف اصوات طلقات المدافع المضادة للجو، وتدوي هذه الأصوات المزعجة خاصة في سفوح جبال شمال طهران سالبة أهلها النوم والراحة، الأمر الذي أدىٰ إلىٰ إختلالٍ في أعمالهم اليومية بسبب الإضطراب البدني الناتج من قلةِ النوم، فكانوا يذهبون إلىٰ أعمالهم كسالىٰ متأخرين باستثناء الإمام الذي كان يحضر في محل عمله بنشاط في تمام الساعة الثامنة صباحاً كما كان حاله في الأوقات العادية رغم أن الجميع كانوا يرغبون أن يخلدوا في ساعات الصباح الأولىٰ للنوم والإستراحة تعويضاً عن عدم قدرتهم على النوم في الليل لكنه لم يكن ملزماً بالإرتباط بأحد، وقد سأله الدكتور العارفي ـ وكان مسؤولاً عن مراقبة سلامته ـ يوماً وبعد أن فحصه: ألم يتغير وضع نومكم في شهر رمضان؟ ألم يقل نومكم في هذه الأيام التي تكثفت فيها الغارات الجوية، فأجاب الإمام بالنفي، فاستغرب الدكتور جوابه وأعاد السؤال، فأعاد الإمام جوابه بالنفي[١].

لن أُغير محل إقامتي

في أواسط شهر إسفند ١٣٦٦ [هـ.ش، آذار ١٩٨٨م]: دخل غرفتي السيد الأنصاري في حدود (١١,٣٠) قبيل الظهر وقال: لنذهب يا دكتور إلىٰ الإمام، فقمتُ معه ـ دون أن أسأله عن السبب ـ ودخلنا على الإمام الذي كان يتمشىٰ في غرفته والمسبحة في يده وهو يذكر اللّه، وعندما رآنا تعجب من دخولنا عليه وبتلك الصورة المفاجئة. وكان السيد الأنصاري

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

مقرباً منه ويتحدث معه عادةً دون صعوبة، ولكنه هذه المرة أطرق برأسه إلىٰ الأرض وأخذ يتحدث بصعوبةٍ وبكلمات متقطعة فقال ما مضمونه: إن وضع المدينة أصبح بحالةٍ إضطرت معظم أهلها إلىٰ مغاردتها والذين بقوا فيها لديهم ملاجىء يحتمون بها في منازلهم، ويوجد في هذا البيت الشريف أشخاص مختلفون إجتمعوا مثل الفراشات حولكم لأسباب متنوعة مثلي أنا ومثل هذا السيد الدكتور، وهم خائفون وقلقون عليك من أخطار هذا القصف المستمر، فأذنْ لنا ـ ولو من أجلنا ـ بأن ننقلك إلىٰ مكان آمن؛ خاصة وقد وصلتنا معلوماتٌ تفيدُ أن العدو يخطط لقصف جمران من عدة قواعد صاروخية، ولدينا وثائق تؤيد صحة هذه المعلومات، لذلك فنحن نلتمس منكم بإلحاح أن ننقلكم إلىٰ مكان آمن.

ولكن الإمام أشار بكل هدوءٍ إلىٰ منزل الحاج السيد أحمد وقال: «ليأخذ أحمد عائلته ويذهب»، ثم قال بحزم: «أما أنا فلن أُغير محل إقامتي أبداً»! وكان مقصوده من ذكر السيد أحمد بالذات هو أنكم أنتم أيضاً يمكنكم الذهاب، وكان هذا الجواب يعني أن السيد الأنصاري لم يحقق ما يريد، فبكىٰ وكرر طلبه بعبارات عاطفية مؤثرة للغاية، راجياً من الإمام الإستجابة، فتبسم الإمام وقال بلطفٍ: «أيها السيد الأنصاري، لماذا تقعون في الإشتباه أثناء تدبيركم؟! ثم لماذا تغلبكم العواطف؟! تغلبوا على عواطفكم وسيطروا عليها». ثم قال بأدب كامل بعد أن شاهد شدة تضرع السيد الأنصاري إليه: «إذهبوا مع الدكتور وأعدوا مع باقي السادة مقترحاتكم وخطتكم ثم أتوني بها لأنظر في الأمر».

فرحنا كثيراً من هذا الجواب المستجيب لطلبنا في النهاية، وقد قبلت السيد الأنصاري لشدة سروري وقلت له: لقد طلب كل هؤلاء الأجلاء ـ من زعماء قم وغيرهم ـ من الإمام أن ينتقل إلىٰ مكان آمن في ظل هذه الأوضاع لكنه رفض بحزم كل تلك الطلبات، وقد قبل الآن ببركة تأثير

كلماتكم! ولكن لم تمض سوىٰ عشر دقائق على خروجنا من عنده حتىٰ إتصل السيد أحمد عبر الهاتف وقال: لا تتعبوا أنفسكم بأعداد الخطة، إنما قال الإمام لكم ذلك لكي يعتذر منكم بأدب ويتجنب إيذاءكم بالرفض الصريح لقد قال لي الآن: «إنني لن أُغير محل إقامتي أبداً»[1]!!

تأثر لما سمع دون أن يضطرب

ذهبتُ إلىٰ باختران بدعوةٍ من الحرس الثوري لإلقاءِ كلمةٍ في اجتماع لقادته عُقد هناك، وعندما وصلتُ وجدت أن برنامجهم يشتمل على إلقاء الشيخ جوادي آملي لكلمته في الجلسة الصباحية، على أن القي أنا كلمتي عصراً، لذلك قررت أن أذهب إلى مدينة حلبجة في الصباح وكانت قد شهدت للتو تلك الفاجعة المؤلمة [فاجعة القصف الكيماوي]، فأعدوا لنا طائرة عمودية كانت تحلق بنا بارتفاعات قليلة وبين الجبال لكي لا تكتشفها رادارات العدو، وعندما دخلنا المدينة شاهدنا مناظر مؤلمة للغاية لا يمكن لمن يراها أن ينساها، كانت أجساد الضحايا لم تدفن بعد، رأيتُ والدة ورضيعها وقد توفيا معاً وثدي الأم في فم الرضيع، آذتنا كثيراً مشاهدة هذه المآسي فلم نطق العودة رغم أن أصوات قذائف المدافع والدبابات كانت تهزّ المدينة فقد كانت المعارك متواصلة في أطرافها. وفي الحال عدنا، وشاهدنا في الطريق افواجاً من أهالي حلبجة وهم يتوجهون إلىٰ ايران، فطلبت من الطيّار أن يهبط بالطائرة لكي أتفقد أحوالهم وأعرب عن مواساتنا لهم. وبعد تفقد أحوالهم عدنا إلىٰ الطائرة التي عادت بنا إلىٰ محل الإجتماع فوجدته منفضاً ولم أجد من يخبرنا عن علة ذلك إلىٰ أن جاء السيد الشمخاني[2] فأخبرنا بسقوط «الفاو» بيد الجيش العراقي وهذا مالم يكن يتوقعه أحد، ولذلك فقد إنفض الإجتماع إذْ نفذ صبر الجميع.

---

(١) الدكتور بورمقدس، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٩٦.

(٢) كان يومها نائب القائد العام لقوات حرس الثورة الإسلامية.

ولم يبق سوىٰ السيد الصفائي الذي بقي من أجلي.

رجعنا إلىٰ طهران وقد سلبتنا تلك الحوادث المؤلمة والشعور بعظم المصيبة كل حيوية ونشاط، وفور وصولنا إتصلتُ بمكتب الإمام وطلبت موعداً لزيارته فقيل لي: تعالوا غداً أو بعد غدٍ مثلاً، فطلبتُ موعداً أقرب، فقيل لي: تعال الآن، فذهبتُ ودخلتُ على الإمام الذي كان قد سمع بتلك الأخبار ولكن على نحو الإجمال دون تفصيل، فشرحت له الواقعة وقد سيطر عليّ الإنفعال والإضطراب، فتأثر كثيراً لما سمع لكن دون أن يظهر عليه شيءٌ من الانفعال والإضطراب الذي سيطر علي؛ لقد إستمع لكلامي بقلبٍ مطمئنٍ بالكامل، فأزال بسكينته ووقاره الإضطراب عني وإن كانت القضية بقيت مهمة في نظري[١].

أنزلت كلماته السكينة في قلوبنا

تشرفت يوماً بلقاء الإمام، وكنت أفكر ـ قبل اللقاء ـ بأن أخبار الحرب لا تنقل بصورةٍ دقيقة له ولعله لا يعلم بها، لذلك من الأفضل أن أذهب إليه وأحدثه بها عن قرب، ولكنني عندما زرته تبسم وقال لي ـ ووجهه النوراني الذي لا يمكن أن يغيب عن ذهني يشع هيبة ـ: «إرجعوا وأنتم على ثقة بأنكم منتصرون». وقد حضر اللقاء عالم دين من كردستان وعرض على الإمام بعض المشاكل فأجابه الإمام: «هذه الأمور ليست مهمة، سنطهر المنطقة ـ إن شاء الله ـ وبعد ذلك ستُحل مشاكلكم بصورةٍ تلقائية». فأنزلت هذه الكلمات السكينة إلىٰ قلوبنا وإلىٰ درجة جعلتنا نرجع إلىٰ محال عملنا بمعنويات عالية وعزم راسخ[٢].

---

(١) آية الله السيد الموسوي الأردبيلي، صحيفة جمهوري إسلامي، ١٧/ ٣/ ١٣٧٣.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الموسوي الجزائري (إمام جمعه أهواز)، مجلة (أميد انقلاب = أمل الثورة)، العدد: ١٤٢.

لم يغير أثناء القصف الصاروخي حتىٰ محل جلوسه

في سني الحرب الأخيرة أخذ العدو يقصف طهران بالصواريخ وبمعدل عشرة صواريخ في اليوم وكان عددٌ منها يُصيب قوساً يحيط بمنطقة جمران، وقد غادر معظم أهالي طهران ومنطقة شميران منازلهم إلىٰ أماكن آمنة، لكن الإمام رفض حتىٰ الإستفادة من الملجىء للإحتماء به من القصف فلم يغيّر محل إقامته ولا برنامج عمله اليومي المعتاد، بل ولم يُغير حتىٰ مكان جلوسه في الغرفة حيث كان يجلس قرب النافذة الزجاجية، والتغيير الوحيد الذي أجري هناك هو وضع أشرطة لاصقة على زجاج النوافذ، لقد رفض الإمام حتىٰ الإستفادة من ملجىء صغير أُعد بهدفٍ آخر في مكان قريبٍ من منزله، ثم أمر لاحقاً بإزالته[١].

رفض إبعاد القرآن ومفاتيح الجنان

عجزنا عن إقناع الإمام بالإنتقال من مكانه في أشد فترات القصف الصاروخي، وكان خلف الأريكة التي كان يجلس عليها رفٌ يضعُ عليه كتاب مفاتيح الجنان والقرآن الكريم وكتباً أخرىٰ إضافة إلىٰ جهاز مذياع، وقد لاحظتم ذلك مراراً ولا شك في أفلام لقاءاته الخاصة التي يعرضها التلفزيون. وفي أيام القصف كانت شدة الإنفجارات تؤدي أحياناً إلىٰ تحريك هذه الكتب، فقلنا: لنرفع ـ على الأقل ـ هذه الكتب عن الرف لكي لا تسقط على رأس الإمام عند القصف، لكننا لم نستطع نقل القرآن ومفاتيح الجنان فقد رفض ذلك وسمح برفع الكتب الأخرىٰ، لكنه كان يحتاج إلىٰ مراجعتها ولذلك إضطررنا إلىٰ وضعها في مكانٍ آخر قريب منه. ولكن ليس قريباً من رأسه[٢].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

(٢) السيدة فرشته الإعرابي (حفيدة الإمام)، مجلة سروش، العدد: ٤٧٦.

لم يسألنا ولا سؤالاً واحداً

دخلنا على الإمام وأخبرناه أن نتيجة التحليلات والفحوص تبين بأن النزيف الأخير الذي حدث له هو بسبب جروح في معدته وأننا قد توصلنا بعد نقاش طويل ودراسة مفصلة إلى أن أفضل طريق للعلاج هو إجراء عملية جراحية، وقلنا له: لقد أتينا للإستئذان منكم والبدء بالعمل؛ فنظر الإمام إلينا بتواضع وقال: «إعملوا بما ترون الصلاح فيه». وكانت هذه طريقته في التعامل دائماً، إنني لم أرَ طوال عمري مريضاً كالإمام في طاعته ودقة عمله بتوصيات الطبيب، لم يكن يظهر أبداً أي قلق، في حين أننا كنا نُواجه ـ في الحالات المماثلة بل وحتىٰ في الحالات البسيطة الخالية من أي خطر ـ بعشرات الأسئلة القلقة من المريض عند إخباره بلزوم العملية الجراحية، أما الإمام فلم يسألنا ولا سؤالاً واحداً[1].

الموت ليس بالشيء المهم

لم يطرأ أيُ تغيير عن معنويات الإمام إلىٰ آخر نفس وآخر لحظةٍ من حياته، فقد تعامل في حديثه عن الموت بطريقته العادية التي كان يتحدث بها عن الأمور الأخرى، قال له أحد أرحامه: إن مرضكم ليس مهماً وستتحسن صحتكم، فأجابه: «لا المجيءُ شيءٌ مهم يستحق الذكر ولا الرحيل ولا الموت، كلها ليست مهمة»[2].

لا فرق عندي بين هذه الدنيا وبين الحياة الأخرىٰ

في أحد أيام سنة ١٣٥٨ [هـ.ش، ١٩٧٩م] إنخفض ضغط الدم بشدة وأصابته ذبحة صدرية شديدة، فأحس بالإنتقال إلىٰ العالم الآخر لكنه كان

(١) الدكتور إيرج فاضل.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين إمام الجمراني، صحيفة جمهوري إسلامي، الملحق الخاص بأربعينية الإمام.

في درجة عالية من الهدوء والسكينة، دون أن يصيبه ما يصيب الآخرين عادة في تلك اللحظات فيضطربون ويقولون مثلاً لنردد الصلوات على محمد وآله لآخر مرتين قبل الموت. والطريف أنه عندما إنخفض ضغطه وعاد إلىٰ الحالة الطبيعية قال للسيد أحمد: «لا فرق عندي بين هذه الحياة وبين الحياة الأخرىٰ. لقد أنجزت المهمة التي كان عليّ القيام بها وأديت واجبي وغاية الأمر أن بعض الأمور المرتبطة بالثورة لم تكتمل بعد»[١].

كان يعلم بالليلة الأخيرة

لم يختلف حال الإمام بشيء في الليلة الأخيرة من حياته عن حاله في الليالي السابقة، لقد كان يعلم ـ وقبل أن يشخص الأطباء الأمر ـ أن عمره الشريف قد انتهىٰ وأن هذا الطريق لا عودة عنه، ورغم ذلك لم يصبه أي خوف أو اضطراب أو قلق[٢].

الحوادث الجسيمة تغرق في بحر السكينة

كانت بعض الحوادث تبدو لنا جسيمة ومهمة إلىٰ درجة نصاب معها بالإضطراب فنذهب هلوعين لنخبر الإمام بها ونحن نتوقع أنه سيضطرب ويقوم ويتحرك هنا وهناك فور سماعه بأخبارها، لكننا كنا نراه يتعامل بهدوء معها وكأن شيئاً لم يحدث بالمرة، كما كنا نتعامل مع بعض الحوادث الجسيمة وكأن السماءَ قد أطبقت علينا وهدمت بيت أفكارنا، فنتصور أن الإمام سيُصاب بمثل ذلك لو أخبرناه بها، لكننا كنا نرىٰ أن تلك الحوادث ورغم جسامتها تختفي كقطرةٍ في أرض فكر الإمام الرحب وبحر سكينته العميق[٣].

---

(١) الدكتور حسن العارفي، مجلة (حضور)، العدد: ٨.

(٢) الدكتور بورمقدس، مجلة (باسدار إسلام = حارس الإسلام)، العدد: ٩٦.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الانصاري الكرماني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني).

لن يكون ثمة غد

صباح يوم الأثنين جئتُ إلىٰ بيت الإمام، تناولنا طعام الظهيرة بسرور وهناء، ولم يكن قرار إجراء العملية الجراحية له قد أُتخذ بصورة قطعية بعد، فالقرار أُتخذ عصراً، وكان الإمام قد أصيب ببعض الآلام في قلبه في نفس تلك الليلة ولم أستطع حينها النظر إلىٰ وجهه. فقال الإمام للسيدة [زوجته]: «إنني أنصحك أيتها السيدة بأن تلتزمي الصبر عند موتي ولا تجزعي». فأجابته: «وما هذا الكلام الذي تقوله؟! تناول طعامك، سيُجرون غداً العملية لك بسلامة، وسأطعمك بنفس طعامك بالقوة!!»، قال: «لا، لن أتناول طعامي، ولن يكون ثمة غد».

وعندما كان يطوي الطريق إلى المستشفىٰ عبر الزقاق الذي كان منحدراً قال وهو يبتسم: «هذا المنحدر الذي أسير فيه لن أطويه صاعداً مرةً أخرى»، وكان لهذه الكلمات عدة معانٍ، فهو قد أعرب بها عن تأسفه وقلقه لبقاء زوجته وحيدةً بعده، وكان يبدي حباً شديداً لها وكان يوصي دائماً خالي السيد أحمد بأن لا يدع الوالدة وحيدةً، أما المعنىٰ الآخر الذي أعربت عنه إبتسامته فهو أنه كان يتحلىٰ بسكينةٍ عالية واطمئنان في مواجهة الموت[1].

لا تقلقوا، الفتح والظفر حليفكم

قبل تنفيذ عمليات «الفتح المبين» أعددنا أربعة قواعد كمنطلقات لتحرك القوات في العمليات، ولكن العدو شن هجوماً سريعاً على محورين منها قبل بدء عملياتنا، وعرضهما لخطرٍ حقيقي سرىٰ إلىٰ المحورين الآخرين أيضاً، لذلك إتفق الأخوة على ضرورة الإستفسار من الإمام وتسلم أوامره بشأن ما ينبغي فعله مع وقوع هذا التطور الجديد، ولم تكن أمامنا فرصة طويلة لذلك جئتُ بسرعةٍ من ديزفول إلىٰ طهران

---

(١) السيدة زهراء الإشراقي (حفيدة الإمام)، مجلة (زن روز = إمرأة اليوم)، العدد: ١٢٢٠

التي وصلتها صباحاً وطلبت موعداً للقاء الإمام ثم زرته عصراً وعرضت عليه المشكلة الجديدة فقال: «وما الذي تنوون فعله الآن؟ هل تريدون أن تستخيروا اللّه في الأمر» أجبت: «نحن مطيعون لكل ما تأمرنا به»، فقال: «لا تقلقوا، سيكون الفتح والظفر حليفكم في هذه العمليات إن شاء اللّه، نفذوا العمليات، وإذا أردتم أن تستخيروا اللّه فاستخيروا بأنفسكم». بعث هذا الموقف المطمئن الواثق الصادر عن صاحب النفس المطمئنة الأمر والمعنويات العالية فرجعت إلىٰ ديزفول وأخبرت الإخوة بهذا الموقف، ولأنه لم ينهانا عن الإستخارة فقد تفألنا بالقرآن الكريم فخرجت إلينا هذه الآية [١٨] من سورة الفتح المباركة: ﴿**لقد رضي اللّه عن المؤمنين إذا يبايعونك تحت الشجرة...**﴾ والآية تتحدث عن غنائم كثيرة يأخذونها من العدو! فتضاعفت إثر هذه الإستخارة معنوياتنا بشأن القيام بهذه العمليات التي إخترنا لها إسم «الفتح المبين» تيمناً بقوله تعالى: ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**﴾ [سورة الفتح: ١]، فكان «الفتح» إشارة إلىٰ نتيجة العمليات و«المبين» إشارة إلىٰ عظمة الإنتصارات التي ستحققها.

ومما يجلب الإنتباه أننا بقينا لمدة سبعة شهور بعد عمليات تحرير مدينة خرمشهر التي نُفذت بعد عمليات الفتح المبين بشهرٍ واحد، نجمع الغنائم الحربية التي خلفها العدو، وبسبب كثرة مخازن العتاد التي خلفها العدو وتفرقها وعدم معرفتنا بمواقع الكثير منها، فقد كان بعضها ينفجر إثر تبادل إطلاق النار.

لقد حققت عمليات الفتح المبين أهدافها بسرعة وأخمدت نيران العدو في منطقتها، وكل ما حصلنا عليه فيها من إنتصارات ومفاخر كان ببركة روح الإمام السامية[١].

---

(١) الفريق محسن الرضائي، مجلة (شاهد بانوان = شاهد للسيدات)، العدد: ١٦٨.

إنها الحرب يومٌ لنا ويوم لهم

لن ننسىٰ أنا وسائر الأخوة الذين كانوا يتابعون لحظات هجوم العدو البعثي على مدينة خرمشهر تلك الليلة التي سقطت فيه هذه المدينة، كانت الإتصالات الهاتفية بمكتب الإمام قلما تنقطع وهي تنقل لنا سيطرة البعثيين المتوحشين على مناطق المدينة الواحدة تلو الأخرىٰ. وقد سيطر القلق والإضطراب على الأخوة في المكتب إلىٰ درجة لم يكونوا معها قادرين على القيام بأي عملٍ سوىٰ الإجابة على الإتصالات الهاتفية، دخان السجائر ملأ جو الغرفة التي كانت نوافذها قد غُطيت بالملاحف إستتاراً من طائرات العدو فقد كانت تشن غارات على المنطقة؛ وقد جاء ولدي إلىٰ الغرفة للتعرف على آخر الأخبار ونقلها إلىٰ داخل المنزل، لكنه لم يستطع التعرف على الحاضرين في هذه الغرفة فعاد وأخبر الإمام بوضعها وكانت الدقائق تمر ثقيلة للغاية إلىٰ أن حلت بنا الصاعقة بوصول خبر سقوط خرمشهر بالكامل.

لقد كلفني الإخوة بأن أتولىٰ مهمة نقل خبر هذه الفاجعة إلىٰ الإمام، لكنني كنت أخشىٰ من أن أعجز عن ذلك بسبب الحزن والأذىٰ الذي كان يضغط على صدري ويثقل لساني، لكنني إضطررت بالتالي إلىٰ دخول منزل الإمام وبمجرد وصولي إلىٰ الغرفة توجهت إليّ الأنظار للتعرف على ما أحمله من أخبار. وقلما أصابتني حالةٌ من الأذىٰ مثل تلك التي أصابتني عندما سألني الإمام: «ما الخبر؟» أجبت بصعوبةٍ بالغة: لا شيء، وقد شعر بحالتي فلم يسألني سؤالاً آخراً، ثم جلستُ بالقرب منه وأخذت بالتفرج على ما يبثه التلفزيون، وبعد ثلاث أو أربع دقائق قال لي: «ما الجديد عندك؟»، فأجبتُ وقد سيطر علي الحزن: لقد إحتلوا خرمشهر.. وعندها قال لي بلهجةِ المعاتب: «إنها الحرب، يكون الانتصار فيها حليفنا يوماً وحليفهم يوماً آخر». هذه الكلمة القصيرة تركت آثارها عليّ بما لا

أستطيع وصفه وكأنها صبت على رأسي الماء البارد ـ حسب المثل المعروف ـ، فأخرجتني من تلك الحالة من الحزن فصرت في حالة جديدة كأن الحرب لم تقع أصلاً[1].

أخذ يدعو بسكينة وطمأنينة

كثف العدو لمدة من قصفه المتواصل لجزيرة خارك والمنشآت النفطية فيها، فذهبنا إليها بمعيةِ عددٍ من أعضاء مكتب الإمام، وعندما وصلنا إليها طلب منا المسؤولون هناك ـ إستناداً إلىٰ مقرراتهم ـ أن لا نتوجه فوراً إلىٰ أرصفةِ ضخ النفط في الشاحنات لأن هذا الوقت هو الذي إعتاد فيه العدو قصفها وطلبوا منا أن نستريح أولاً في محلٍ أعدوه لنا، لكننا رفضنا وذهبنا إليها فوراً، وكنا هناك عندما أغارت على المنطقة طائرات حربية من نوع «ميغ ٢٩» وألقت (١٨) قنبلة وزن كل منها «٥٠٠» كيلوغرام سقط عددٌ منها في البحر فيما أصاب المتبقي نقاطاً متفرقة في الجزيرة دون أن تصيب أي قنبلة منها تلك الأرصفة، والطريف أن إحدىٰ القنابل أصابت ذلك المبنى الذي طلبوا منّا أن نستريح فيه!!

وعلى أي حالٍ فقد تفقدنا المنطقة وشاهدنا أوضاعها عن قرب ثم رجعنا ليلة الجمعة إلىٰ طهران، وفي صباح الجمعة أخبرتُ الإمام بعد أن استمع إلىٰ موجز أخبار الساعة الثامنة بذهابنا إلىٰ جزيرة خارك، فجلس رغم أنه كان يذهب إلىٰ الحمام عادة في هذا الوقت، وقدمتُ له تقريراً عن أوضاع الجزيرة ورسالة المسؤولين فيها إليه وقد قالوا: «مع استمرار هذه الأوضاع فإن تصدير النفط سيتوقف بعد يومين حتماً»، وكان إنقطاع تصدير النفط أمرٌ مقلقٌ للغاية في ظل شدة حاجة البلد إلىٰ العملة الصعبة خاصة في تلك الأوضاع الحساسة التي أوجدتها الحرب.

---

(١) الدكتور محمود البروجردي، مجلة (ندا)، العدد الأول.

أصغىٰ الإمام بدقةٍ لكلامي ثم أخذ يدعو وهو على سكينة وطمأنينة لا يمكن وصفها، إنها سكينة الإيمان والتوكل على اللّه، وهي سكينة كشفت لنا لاحقاً وبوضوح حقيقة أن الإمام كان أعرف بأوضاع جزيرة خارك ومستقبلها من المسؤولين المباشرين (أنفسهم)، فقد إستمر تصدير النفط من هذه الجزيرة وإلىٰ نهاية الحرب على الرغم من جميع ضغوط العدو وهجماته عليها[1].

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ رحيميان.

الفصل الثامن:

الشجاعة وقوة القلب والاباء

رضاخان لا يفهم

كتب الإمام في كتابه كشف الأسرار ويوم كانت حكومة العائلة البهلوية في ذروة قوتها: «أما رضاخان الأمي فهو لا يعرف هل تكتب كلمة السياسة بالسين أم بالصاد»[١]!

صفع بقوة أحد الدراويش

إقتحم مجموعة من الدراويش يوماً مدرسة الفيضية واحتلوا عدداً من غرفها للإقامة فيها، وكان أمر إخراجهم منها محفوفاً بعدة محاذير، لكن الإمام كان قادراً على مواجهة مثل هذه القضايا، فنهرهم وصفع أحدهم بقوة على وجهه وكان ذلك فاتحة الطريق لطردهم من المدرسة[٢].

حذَّروا من انتقاد أميركا فشنَ أعنف هجوم عليها

جاء أحد المسؤولين الحكوميين إلىٰ قم للتباحث مع الإمام فيما يرتبط

(١) آية الله الشيخ ابو القاسم الخزعلي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج٣، ص ٣٨.
(٢) آية الله العاملي، مجلة (شاهد بانوان = شاهد للنساء)، العدد: ١٦٧.

بقضية معارضته لمصادقة البرلمان الملكي على قرار منح الحصانة القضائية للأمريكيين العاملين في ايران المعروفة بلائحة «الكابتيولاسيون»، لكن الإمام لم يأذن له بالدخول عليه، فالتقىٰ السيد مصطفىٰ وقال له: إذا أراد الإمام التحدث ضد هذه اللائحة فلا يهاجم أميركا فهذا أمرٌ محفوف بالأخطار هذه الأيام أكثر من التحدث ضد الملك!، ورداً على هذا التهديد شن الإمام أعنف هجوم على أميركا وقال في خطابه المعروف بهذا الشأن: «ليعلم الرئيس الأميريكي أن شعبنا يكرهه أكثر من أي شخص آخر! إن أميركا هي عِلَّة جميع مشاكلنا ومآسينا اليوم»[1]!

أنصحك وحكومتك محذراً

بعث بعض مراجع قم برقيةً إلىٰ الشاه طلبوا منه ردع الحكومة عن إنحرافاتها عن الدين، فقال الشاه في برقيته الجوابية: «نسأل لكم التوفيق في إرشاد العوام»! فكتب الإمام خطاباً للشاه جاء فيه: «ما دمتَ تطلب التوفيق للمراجع في إرشاد العوام، فإنني أنصحك وأنصح حكومتك محذراً لكم من....»، يعني أنكم - أي الشاه - عوامٌ ينبغي تحذيركم وإرشادكم[2].

خُذْ أوراقك واذهب لا أحب جلوسك هنا

سعىٰ نظام الشاه بعد إنتفاضة (١٥) خرداد إلىٰ إنتزاع إعترافات كاذبة بأساليب التعذيب الجهنمية من الشخصيات والمجاهدين الذين إعتقلهم إثر هذه الإنتفاضة الشعبية، وكان هدفه من ذلك ترتيب وثائق مفتراة يستند إليها لمحاكمة الإمام وإدانته، ولكنه فشل في الحصول على ما يريد رغم كثرة الضغوط التي فرضها على أولئك المعتقلين، لذلك توجه إلىٰ الإمام

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، صحيفة جمهوريإسلامي، ٣/ ٥/ ١٣٦٨ هـ. ش.
(٢) آية الله الشيخ محمد المؤمن، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٣.

عسىٰ أن يحصل منه على ما يستند إليه في تحقيق ما يريد، فأرسل إلىٰ الإمام الذي كان معتقلاً في معسكر «قصر» أحد المحققين الماهرين لكي يعمل على إستجوابه والحصول منه ـ بأساليب الخداع المختلفة التي تمرسوا فيها ـ على إقرار أو إعتراف يحقق للنظام غايته. وعندما طرح المحقق أسئلتَهُ على الإمام لم يلق إلا التجاهل والإعراض، لقد قام الإمام وقال له بلهجة صارمة: «أنت مأمور أعمىٰ لسادتك، فلا يحق لك الإستجواب، خُذْ أوراقك واذهب، لا أحبُ أن تجلس هنا»[1].

سنأمر قواتنا الخاصة بتأديب مبعوثي صاحب الجلالة

في صبيحة يوم عاشوراء سنة ١٣٤٢ [هـ.ش، ١٣٨٧ هـ.ق] كان الإمام جالساً وسط الناس في منزله يستمع لخطيب المنبر الحسيني في المجلس الذي أقامه بهذه المناسبة، فدخل أحد مسؤولي منظمة الأمن (السافاك) وأوصل نفسه إلىٰ الإمام وعرف نفسه ثم قال: «إنني مأمورٌ من قبل صاحب الجلالة الملكية بأن أبلغكم رسالتَهُ بأنكم لو ذهبتم إلىٰ المدرسة الفيضية وألقيتم خطاباً فيها فإننا سنهاجمكم بالقوات الخاصة ونقتلكم تقتيلاً. فأجابه الإمام فوراً دون أن يظهر على وجهه أدنىٰ تغيّر: «عندها سنأمر ـ نحن أيضاً ـ قواتنا الخاصة بتأديب مبعوثي صاحب الجلالة»[2].

سأطلب من الناس أن يقطعوكم إرباً

في أيام النوروز من سنة ١٣٤٢ [هـ. ش] والتي صادفت ذكرىٰ إستشهاد الإمام الصادق عليه السلام (٢٥ شوال)، هاجم أفراد القوات الخاصة

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (دراسة وتحليل لنهضة الإمام الخميني)، ج١.

(٢) المصدر السابق.

التابعة لنظام الشاه، ـ وكانوا يرتدون ملابس الفلاحين ـ المدرسة الفيضية وانهالوا بالضرب على الناس وطلبة الحوزة، واستمر الإضطراب في قم ثلاثة أيام، وقد ذهب هؤلاء أولاً إلىٰ منزل الإمام حيث كان يقيم مجلساً للعزاء، فسعوا لإثارة الإضطراب في هذا المجلس، وعندها إضطر الإمام لأن يتحدث بنفسه، فهددهم قائلاً: «إذا سعيتم إلىٰ إثارة الإضطراب، فسأطلب من الناس أن يقطعوكم إرباً» فخاف أفراد القوات الخاصة، ثم وقعت في المدرسة الفيضية تلك الحادثة عصراً[1].

كيف تُغلق بابي وأولادي يضربون

كنتُ في منزل الإمام عندما جاؤوه بخبر هجوم جلاوزة الشاه على المدرسة الفيضية وقيامهم بإلقاء البعض من فوق سطحها إلىٰ الأرض، وضرب الرجال الطاعنين في السن، وتخريبهم غرف المدرسة وإحراقهم نسخ القرآن الكريم ومهاجمتهم للأهالي على طريقة المغول، وقبيل الغروب كانت الأخبار تصل متتابعة بأن هؤلاء الجلاوزة ينوون مهاجمة منزل الإمام، فأمَر أحد السادة بإغلاق باب المنزل، وعندما إلتفت الإمام لذلك قام وقال: «إنهم يضربون أولادي طلبة الحوزة في المدرسة ويخربونها، فكيف تُغلقُ باب منزلي؟»، ثم أمر فوراً بفتح باب المنزل وتوجه لفتحها بنفسه، وقال: «إسمحوا بالدخول لكل مَن أراد»[2].

وذهب بنفسه وفتح الباب على مصراعيه

مما لا نقاش فيه أن الإمام كان يتحلىٰ بشجاعةٍ فائقة في قضية المدرسة الفيضية المعروفة، أرسل الشاه ألفاً من جلاوزته متنكرين بملابس مدنية وارتكبوا تلك الجريمة في المدرسة ثم خرجوا منها على هيئةِ

---

(١) آية الله الشيخ محمد المؤمن، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٣.

(٢) آية الله الشيخ التوسلي، المصدر السابق، ج٢.

الفاتحين وتظاهروا في شوارع قم وهم يرددون هتافات «الخلود للشاه»، وقد أوجدوا حالة من الرعب في المدينة سلبت الجرأة على الإعتراض من الجميع. وكان مقر هؤلاء الجلاوزة في ثانوية «حكيم نظامي» القريبة من منزل الإمام، ولذلك تصور بعض الحاضرين أن هؤلاء الجلاوزة يتجهون لمهاجمة بيت الإمام، فقالوا له: إن هؤلاء المسلحين ـ وعددهم كبير ـ يتجهون إلىٰ منزلكم وهم يرددون الشعارات. وتصور بعض آخر أن من الضروري إغلاق باب المنزل ووضع قفلٍ عليه من الداخل مثلاً لمنع دخول الجلاوزة إلىٰ المنزل، فأغلقوا الباب وهم يتصورون أن الإمام راضٍ بذلك لكنه عندما عرف بذلك نزل من الغرفة ـ دون أن يتحدث مع أحد ـ وذهب بنفسه وفتح الباب على مصراعيه، وعاد إلىٰ تلك الغرفة القريبة من الباب وجلس فيها في حين كان صوت تحرك أفراد القوات الخاصة يشتد في كل لحظة، ورغم ذلك بقي جالساً ومستعداً دون أن يصيبه أدنىٰ قلقٍ من أن يدخل هؤلاء الألف من الجلاوزة منزله وينفذوا خططهم[١].

يجب أن أكونَ بين إخواني في المدرسة الفيضية

كان الإمام حاضراً في مجلس العزاء المقام في منزله بمناسبة ذكرىٰ وفاة الإمام الصادق عليه السلام في يوم (٢٥ شوال) الذي صادف في تلك السنة يوم الثاني من فروردين سنة ١٣٤٢ [هـ.ش]، فجاؤا بعدد من جرحىٰ حادثة المدرسة الفيضية وقد ارتفعت أصوات البكاء والشعارات من جموع الأهالي الذين كانوا يتبعونهم، دخلوا منزل الإمام الذي لم يكن لديهم مأوىً سواه يخفف عنهم آلامهم، ولجأوا إليه شاكين من جور جلاوزة النظام الفاسد، ومنتظرين من قائدهم الكبير أن يهديهم سبل الفوز برضا الله بواسطة مجاهدة الطاغوت، الإمام فمسحَ الإمام بيد الرأفة

(١) آية الله الفاضل النكراني، المصدر السابق، ج٦.

والأبوة على رؤوس الجرحىٰ وواساهم، في وقتٍ كان الخوف قد سيطر على الجميع إذْ كان إحتمال مهاجمة جلاوزة النظام لمنزل الإمام يزداد قوة بشدة وقال: «ليبق باب المنزل مفتوحاً، وليخرج مصطفىٰ»، ثم أمر الحاضرين بالصلاة وقال: «ما أحسن أن نقوم للصلاة، فإذا هاجمنا الجلاوزة نكون في حال الصلاة فنفوز بفيضٍ عظيم، فيهاجموننا ونحن متوجهين للحضرة الإلهية، فيكون ذلك أعظَم فلاح وإنتصار لنا، وأكبر فضيحة لهم». قال الإمام كلمات بهذا المضمون ثم أقيمت الصلاة.

إنقضى ذلك اليوم وكان الخوف والرعب مسيطراً على الجميع ـ بدرجةٍ أو بأخرى ـ باستثناء الإمام الذي كان يقف كالجبل الشامخ يبعثُ السكينة في قلوب الناس. وأتذكر أنه قام فجأةً وقال: «يجب أن أذهب إلى المدرسة الفيضية لكي أكون بين إخواني أواسيهم فيما يجري عليهم». وهنا ارتفعت أصوات البكاء وطلبات الرجاء لمنعه من الذهاب، لقد أدركوا خطورة ذلك عليه، ولذلك إرتفعت أصوات بكاء وتوسلات الحاضرين جميعاً ـ وكان المجلس حاشداً ـ وتدخل جماعة للتباحث معه حتىٰ أقنعوه بعدم الذهاب.

وكان هناك أيضاً بعض جواسيس النظام وعناصر منظمة الأمن (السافاك) يسعون لترسيخ أجواء الرعب والمطالبة بإغلاق باب منزل الإمام، وهذا ما رفضه بحزم وأصرّ على إبقاء الباب مفتوحاً بوجه الناس، وقد بقي الناس في منزل الإمام شطراً من تلك الليلة[1].

لماذا تقومون بمثل هذه الأعمال

ينقل المشهدي حسين ـ الذي كان يوزع الشاي في بيت الإمام (ونفوه إلىٰ تركيا)، أن الإمام قال لجلاوزة النظام: «ما هذه الضجة التي أثرتموها؟ ألا تستحون؟! لماذا لم يأت أحدكم ويدق الباب ويقول: ليخرج

(١) السيد غلام حسين الأحمدي، صحيفة كيهان، ١٣٥٨/٦/٢٩ هـ.ش.

الخميني، وحينها كنتُ سأخرج لكم». ثم نقل لي السيد [الإمام] بنفسه فيما بعد وفيما يرتبط بتلك الليلة قائلاً: «عندما وصلنا إلىٰ آبار النفط ونحن في طريقنا إلىٰ طهران، قلتُ: إن جميع مصائبنا هي بسبب هذا النفط! لماذا تقومون بمثل هذه الأعمال... وأخذتُ أحدثهم بمثل هذه الأحاديث حتىٰ وصلنا طهران، وكان أحدهم ـ وهو الجالس إلىٰ جانبي ـ يبكي حتىٰ وصلنا إلىٰ طهران»[١].

أنا روح اللّه الخميني

في يوم (١٥) خرداد مساءً وبالتحديد قبيل أذان الفجر وصل جلاوزة الشاه إلىٰ منزل الإمام لاعتقاله، فضربوا خادمه في ساحة المنزل، وعندما عرف الإمام بذلك صاح بهم: «ما هذه الأعمال الوحشية؟ أنا روح اللّه الخميني، فلماذا تتعرضون للآخرين؟ لماذا ترتكبون هذه الأعمال الوحشية»[٢].

لماذا تضربون هؤلاء؟

كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل عندما تسلق أفراد القوات الخاصة جدار المنزل ـ وقد بقيت آثار سواد أحذيتهم العسكرية عليه إلىٰ فترة قريبة ـ، دخلوا المنزل وأخذوا يصرخون ويضربوننا وهم يطلبون أن نفتح باب غرفة الإمام، فقلنا: وما علاقتنا بذلك إن المفتاح عنده فلماذا تؤذوننا. ثم كسروا قفل الباب، وفي غضون ذلك خرج السيد من الباب الخلفية لساحة المنزل إلىٰ الزقاق وهو يحمل عباءته فأحاط به الضباط والشرطة والقوات الخاصة فصاح بهم: «ما هذه الوحشية، لماذا تؤذون الناس؟ إذا كنتُ أنا مطلوبكم فلماذا تضربون هؤلاء؟»[٣]

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (بيام إنقلاب)، العدد: ٦٠.

(٢) كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٢.

(٣) المصدر السابق.

يرفض أن يحرسه أحدٌ

في تلك الأيام الصعبة التي تلت فاجعة المدرسة الفيضية، كان الجلاوزة يتعرضون بالضرب المبرح للناس، ورغم ذلك كان الإمام يخرج بمعية الشيخ الصانعي فقط في المساء ويسير في أزقة قم، وقد طلبتُ منه أن يسمح ببقاء بعض الأشخاص في منزله ليلاً لحمايته من الأخطار والهجمات الليلية المحتملة، لكنه رفض ذلك ورفض أيضاً أن يرافقه أحدٌ لحمايته»[١].

اخرجوا إنني خارج إليكم

في أيام إخضاع الإمام للإقامة الإجبارية بعد إخراجه من السجن، إقترح السيد الروغني أن يقيم الإمام في منزله، وقد استقر عددٌ كبيرٌ من أفراد عناصر منظمة الأمن (السافاك) في منزل مقابل لمنزل السيد الروغني كما إستأجروا منزلاً لنا قريباً من منزله، وكان يُرابط هناك حدود (٣٠) نفراً من عناصر السافاك، ولم يكونوا يسمحون بالدخول على الإمام إلا لوالدتي أو لأُختي. وقد بقي الإمام في بيت السيد الروغني في منطقةِ قيطرية سبعة شهور، ثم قال رئيس منظمة السافاك ـ وكان لقبه «الأنصاري» ـ للإمام: متىٰ ما رغبتم في العودة إلىٰ قم أحضرنا لكم سيارة تنقلكم. فرجعنا إلىٰ قم حيث كان منزل الإمام قد خصص للرجال فاستأجروا لنا منزلاً مجاوراً فتحوا له باباً على منزل الإمام، وأقمنا هناك ثمانية شهور، بدءً من الأيام الأولىٰ من النوروز إلىٰ يوم ١٣ آبان [٤/نوفمبر] فألقىٰ الإمام خطابه الآخر الذي عارض فيه لائحة الكابيتولاسيون [لائحة منح الحصانة القضائية للأميركان العاملين في ايران]. وإثر ذلك هاجموا المنزل ليلاً بعد أن تسلقوا جداره المرتفع واحداً إثر الآخر وكنت أراهم فقد كنت في إيوان

---

(١) آية الله الفاضل اللنكراني، المصدر السابق، ج٦.

المنزل، فناديتُ الإمام الذي كان في الجانب الآخر من ساحة المنزل، وفي أثناء ذلك ركلوا الباب المتصلة بقسم «البراني» من بيت الإمام، ولما سمع الإمام صوتي صاح بهم: «لقد كسرتم الباب، أنا قادم»! ثم تسلق الجدار شخص آخر ودخل الباب، وعندها ظهر عليّ الخوف، وكان الوقت سحراً، فخرج الإمام وصاح بهم: «لقد كُسرت الباب، اخرجوا، إنني خارجٌ إليكم». فلما رأوا الإمام قد خرج من الغرفة ويتجه نحوي وقد كنتُ واقفةً في الإيوان قفزوا ـ عبر الجدار أيضاً ـ إلىٰ الخارج.

ثم جاء الإمام اليّ وأعطاني ختمه ومفتاح خزانة أوراقه ووثائقه الخاصة وقال لي: «إحتفظي بهما حتى يأتيكِ خبرٌ مني»؛ ثم خرج فأخفيتهما خشية من أن يأخذوهما. وقد أخفيتُ الختم إلىٰ أن وصل السيد للعراق فبعث لي برسالة من النجف قال فيها: «سلمي ختمي إلىٰ شخص أمين لكي يأتيني به»، فأخبرت الشيخ الإشراقي بالأمر فقال: إن الشيخ عبد العلي القرهي رجل ثقة ولديه جواز سفر. فكتبت رسالة للإمام وسلمتها له مع الختم والمفتاح، فذهب بها إلىٰ النجف وسلمها للسيد[1].

أنا جنديٌ للإسلام

بعد إطلاق سراح الإمام وخروجه من سجن النظام الشاهنشاهي، نشرت صحيفة إطلاعات مقالة قالت فيها إن العلماء ساوموا النظام الحاكم، فألقىٰ الإمام خطاباً كذب فيه هذا الإدعاء وأدان نشر المقالة، فأرسل النظام العقيد المولوي رئيس منظمة السافاك لكي يعتذر من الإمام، فطلب لقاءً خاصاً به ـ على إنفراد ـ، ولكن الإمام لم يكن يوافق على عقد لقاءات خاصة مع أي من رجال السياسة سواء كانوا من الحكومة أو غيرها، لذلك أمر بأن يحضر اللقاء عددٌ من الأشخاص فحضروا وكنتُ أنا

(١) السيدة خديجة الثقفي، زوجة الإمام، مجلة (ندا)، العدد: ١٢.

أحدهم، وقد بدأ العقيد المولوي الحديث واعتذر من الإمام وقال إن ما حدث كان خطأً، لكنه ضمن كلامه عبارة تُشَمُ منها رائحة الإهانة والتهديد إذْ قال: لا تضطرونا يا سيدي للقيام بما يقتضيه عملنا العسكري! فأجابه الإمام فوراً وبحدة وقد وضع إصبعه على صدره المبارك: «وأنا أيضاً جنديٌ للإسلام، فلا تضطرونا للقيام بما يقتضيه واجبنا العسكري»[1].

يا رُجيل لا تفعل ما يجعلني آمر بطردك

كان من المقرر أن يلقي الإمامُ خطاباً في يوم عاشوراء سنة ١٣٤٢ [هـ.ش، ١٣٨٧ هـ.ق]، وكان عناصر أفراد قوات الشاه الخاصة يُرابطون في المدرسة الفيضية، وقد سادت المدينة حالة من التأزم الشديد وقد شاع أن الإمام معرضٌ لأخطارٍ شديدة لذلك نصحوه بأن لا يذهب إلىٰ المدرسة الفيضية، لكنه رفض ذلك بل وأبىٰ إلا أن يذهب إليها بسيارة مكشوفة، لذلك إستقل سيارة جيب وذهب إلىٰ المدرسة ودخلها وهو في وسط الأهالي، والقىٰ خطابه الذي وجه فيه تهديداً صريحاً للشاه قال فيه: «يا رُجيل! لا تفعل فعلاً يجعلني أقول للناس أن يطردوك من هذا البلد»[2]!!

سأذهب بسيارةٍ مكشوفة

قبل يوم من حادثة الخامس عشر من خرداد سنة ١٣٤٢ شاهدت في قم عدة شاحنات تحمل القوات الخاصة التابعة للشاه جاؤا لمنع الإمام من إلقاء خطابه، فذهب جماعة إليه وقالوا: إن حياتك في خطر فلا تخرج اليوم، فأجابهم: «كلا، سأخرج بسيارةٍ مكشوفة لكي يراني الجميع»[3]!

(١) حجة الإسلام والمسلمين التوسلي، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ١٣.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين حسن الروحاني، مجلة (زن روز)، العدد: ٨٥١.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين حسن الروحاني، صحيفة كيهان، ٢٤/٣/١٣٦٢ هـ.ش.

لا تخافوا أنا معكم

زرت الإمام بعد عدة أيام من إعتقاله ونقله إلىٰ طهران، وقلت له: أحب أن تخبرني عما جرىٰ عندما هاجموا منزلكم، فتبسم وقال: «لقد دخلوا المنزل وركلوا الباب وكسروها فصحت بهم: أخرجوا إنني قادم بنفسي إليكم، ثم ارتديت ملابسي وخرجتُ وركبت السيارة في المقعد الخلفي وجلس إلىٰ جانبيَّ إثنان منهم، ورغم أنهما كانا مسلحين إلا أن الإضطراب سيطر عليهما بشدة ووضوح عندما تحركت السيارة بنا، كانت أقدامهما ترتعش باستمرار، فنظرت إليهما وقلت لهما: ما الذي أصابكم؟ ولماذا ترتعش أقدامكم؟! قالوا: الحقيقة يا سيدي هي أن الرعب والخوف قد سيطر علينا، نحن قلقون تجاه ما سيجري علينا لو عرف أهل قم أننا نذهب بكم! كان هذا حالهم رغم أن عدة سيارات مسلحة أخرىٰ كانت تحميهم»، ثم قال الإمام: «فوضعت يدي على أرجلهم وقلت: أنا معكم، لا تخافوا، ولا تضطربوا ما دمتُ معكم، فأزلت عنهم الإضطراب والقلق. . . . »[1].

عملكم أسوء من عمل اليهود

بدأت الحكومة البعثية بإخراج الايرانيين المقيمين في العراق، فكان البعثيون يعتقلون كل يوم عدداً كبيراً منهم ويؤذونهم ويصادرون أموالهم ويخرجونهم بصورةٍ مهينةٍ، ثم أعلنت الحكومة أن على جميع الإيرانيين الخروج من العراق خلال ستة أيام، وكان ذلك في فصل الشتاء، فأخذ الايرانيون يستعدون للخروج، وقرر الإمام أيضاً ذلك وهذا مالم تكن الحكومة العراقية ترغب فيه لذلك بعثت خبراً إلىٰ النجف بأنها سترسل

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين حيدر علي الجلالي الخميني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٦.

وفداً يضم أحد معاوني صدام إسمه علي رضا للإلتقاء بالإمام والتباحث معه بهذا الخصوص، فأعلن: «إنني لن أسمح لهم بالدخول إلىٰ منزلي ولا يحق لأي منهم الإلتقاء بي، وقد أرسلت جواز سفري لمهره بتأشيرة الخروج لكي أخرج مع أبناء وطني».

وقد أثار هذا الموقف الشعور بالخطر لدىٰ الآخرين لأن المدعو علي رضا هذا كان معروفاً بالوحشية والتمادي في الظلم، لذلك طلب جمعٌ من العلماء والأهالي من المرحوم الشيخ نصرالله الخلخالي أن يطلب من الإمام أن يلتقي بهذا المسؤول، فلما نقل له هذا الطلب أجابه: «لقد قررت مُنذ البداية أن ألتقي به، ولكن يجب أولاً أن أكسر شوكتهُ لكي لا يتصور أنه ـ ولكونه قد جاء من بغداد ـ يمكنه أن يلتقي بي بسهولة، فاتركوه حتىٰ تُكسر شوكته، وعندها أسمح له باللقاء».

ثم أذن لهذا الوفد بزيارته، وقال لهم أثناء اللقاء بكل صراحة: «لقد كان تعاملكم أسوء من عمل اليهود وإسرائيل، عندما أخرجوا اليهود من العراق أمهلوهم ستة شهور ثم مددوها بعد إنتهائها لكي يتموا إنجاز أعمالهم، وأنتم لم تمهلوا الإيرانيين سوىٰ ستة أيام»[1].

الحكومة الايرانية على خطأ وأنتم أيضاً على خطأ

وقع نزاع بين الحكومتين العراقية والإيرانية بشأن الحدود وشط العرب أيام إقامة الإمام في النجف الأشرف، فسعت الحكومة البعثية للحصول على بيانات ضد الحكومة الإيرانية المتجبرة من علماء النجف، وكانت تتصور أن الإمام سيُصدر بياناً مطولاً ضد الشاه لما قاساه من حكومته ولأنه منفي في العراق فسيكون موقفه مؤيداً للحكومة العراقية ولكنه خاطب وبكل صراحة محافظ كربلاء ورئيس منظمة الأمن ورئيس الشرطة

---

(١) آية الله السيد عباس حاتم اليزدي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٢.

وقائمقام النجف الذين اجتمعوا به لهذا الغرض، وقال لهم: «الحكومة الإيرانية على خطأ وأنتم أيضاً على خطأ، ولا علاقة للحوزة ولمراجع الشيعة بهذه المشكلة القائمة بينكم لكي يصدروا بياناتٍ بشأنها، إذهبوا وحلوا مشكلتكم بأيديكم».

وقد أثار هذا الموقف الجريء غضب المرتزقة البعثيين حتىٰ قال أحد الذين حضروا هذا الإجتماع: سنخرج الخميني من النجف غداً، فلما سمع الإمام بذلك قال: «إنهم يتصورون أنني مسرور بالإقامة في بلدٍ يُحارب فيه الإسلام علنا وتُنتهك نواميسه وحرماته، هذا جواز سفري خذوه وارسلوني حيثما شئتم، فأي مكان أذهبُ إليه هو أفضل من هنا، إن المكان الذي أكون فيه في راحة هو الذي يكون المسلمون فيه مرتاحين، فأي شيءٍ يريحني هنا؟»، وكان ذلك في وقتٍ أعرب فيه بعض المراجع عن عدم إرتياحهم لموقف الإمام، وأعربوا عن قلقهم من أن يرسل الجهاز الحاكم في العراق قواتٍ مسلحة لمهاجمة مدينة النجف الأشرف وتدميرها[١].

إنني لا أخاف أحداً

يقول أحد الأصدقاء: كنتُ أعرّف الإمام لبعض الأشخاص في حرم أبي الفضل العباس عليه السلام ، فاستدعاني وهمس في أُذني: «ما الحاجة إلىٰ هذا العمل؟ أقول ذلك خشيةً عليك». وقد وقعت لي أنا أيضاً حادثة مماثلة، فعندما جاء الشيخ حسن الكروبي بكتاب «ولاية الفقيه» لكي أُصححه لغوياً قال لي: يقول لك الإمام: «لا ينبغي أن يعرف أحد أنك تقوم بهذا العمل لنا.. ولا أقول ذلك خشية على نفسي بل عليك، فأنا لا أخاف أحداً»[٢].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد الكريمي، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ١١.

(٢) آية الله محمد هادي معرفت، مجلة حوزة، العدد: ٣٢.

بأي جرأةٍ وشجاعة يخرج لوحده؟!

كان الإمام يتمشىٰ كل يومٍ نصف ساعة عندما كان في ضاحية نوفل لوشاتو في باريس، فجاء أفرادُ شرطة المدينة مضطربين في صباح أحد الأيام، وقد علاهم الإستغراب من جرأة الإمام وشجاعته، وهو يخرج وحده في المحافل العامة ولحضور الصلاة، رغم أنه شخصية عالمية وأعداؤه كثيرون، وكانوا قد رأوا الإمام في ذلك اليوم وقد خرج ـ بعد صلاة الفجر وتعقيباتها ـ يتمشىٰ لوحده في أزقة نوفل لوشاتو والشوارع المحيطة بمحل إقامته(١).

ليدخل عليّ الجميع دون تفتيش

ينقل أحد مقربي السيد الخميني: كنا نفتش الداخلين على السيد خشية أن يكونوا حاملين للأسلحة، فلما عرف بذلك أمر بأن يدخل عليه الجميع دون تفتيش، وكان هذا الأمر مثيراً للإعجاب بعمقِ شجاعته. وكانت الشرطة الفرنسية تقوم بإغلاقِ الشارع المؤدي إلىٰ محل إقامة الإمام في نوفل لوشاتو عند إقامته لصلاة الجماعة أو عند إلقائِهِ خطاباً، كما كانت تراقب الأوضاع باستمرار وتفتش الطرودات البريدية وغيرها بدقةٍ، وقد تم إستبدال عناصر حفظ الأمن المستقرين في هذا المحل بعناصر أخرىٰ أكثر خبرة وذوي رواتب أعلى كما ضُوعف عددهم إلىٰ عشرة أضعاف، وذلك بعد إنتشار هذه الإشاعات، فقد أخبروا أعضاء مكتب وبيت الإمام، أن الحكومة الفرنسية حصلت على تقرير يفيدُ بأنه تم إستئجار مجموعة من المرتزقة من رعايا إحد الدول الآسيوية لاغتيال الإمام مقابل (٥٠٠) مليون دولار، ويُلاحظ بوضوح أن الأوضاع في مدينة

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد المحتشمي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج١.

باريس وضواحيها والمطارات والمواقع الحساسة ومراكز تجمع الجامعيين، غير عادية[١].

إن أميركا عاجزة عن ارتكاب أي حماقة

كان معظم مسؤولي الحكومة يعارضون إحتلال وكر الجاسوسية [السفارة الأميريكية]، وكانوا يطرحون كل يوم مشكلة جديدة، فواحدٌ يقول: لا يمكن الدخول في معركة ضد أميركا، وآخر يقول: إن أميركا أنزلت قواتها في المنطقة، وآخر يقول: إن الاسطول الحربي الأميريكي قد دخل المنطقة، أما الإمام فقد قال: «إن أميركا عاجزة عن إرتكاب أية حماقة»! وعندما شكىٰ أحد رجال الثورة للإمام من كثرة المؤامرات، وضع الإمام يده على صدره وقال بكل طمأنينة: «لماذا أنت خائف؟ لن يحدث أي سوء»[٢].

لا يخشىٰ غير اللّه

لم يرضَ الإمام حتىٰ في أصعب الأوضاع وأكثر أيام ما قبل إنتصار الثورة خطراً أن يبقىٰ بعض الأخوة في منزله كحرسٍ له، وكنتُ أحياناً أراه يسير لوحده أو مع شخص واحد فقط في أزقة قم دون أن يخشىٰ أحداً غير اللّه[٣].

ليس ثمة خطر

في الأيام الأولىٰ لعودة الإمام إلىٰ ايران أعددنا له غرفة وضعت لنوافذها زجاجات مضادة للرصاص، لكنه عندما دخل الغرفة فتح نوافذها وبابها وقال: ليس ثمة خطر[٤]!!.

---

(١) موسوعة كوثر، ج٢، نقلاً عن وثائق منظمة الأمن الملكي (السافاك)، نقلاً عن المهندس مهدي بازرجان، مجلة (١٥) خرداد الشهرية. خرداد، ١٣٦٩ هـ.ش.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٢.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد علي الغيوري، صحيفة رسالت، ١٤/٤/١٣٦٨ هـ.ش.

(٤) السيد المقصودي، مجلة (زن روز)، العدد: ٩٠٢.

لو كان الأمر بيدي لضربت أول بارجة أميريكية...

نقل الحاج السيد أحمد أن الإمام قال يوماً: «لو كان الأمر بيدي لضربت أول بارجة حربية أميريكية تدخل الخليج الفارسي»، هذا الموقف الحازم جعل مسؤولية قادة الدولة جسيمة للغاية، فهم من جهة كانوا يصرحون بضرورة تحقيق ما يريده الإمام وكانوا يؤمنون بذلك، لكنهم زاروا الإمام للتباحث معه أكثر بشأن تبعات هذا الموقف، فقال لهم: «رغم أنني قلت: لو كان الأمر بيدي لضربت أول بارجة حربية تدخل المنطقة، ولكنكم أنتم قادة الدولة، فادرسوا الأمر بصورة مستوعبة واستشيروا الخبراء العسكرين ثم اتخذوا القرار الذي فيه صلاح النظام والمسلمين»[١].

لم يكن يخشىٰ أيةَ قوة

كان الإمام في جميع أعماله لا يتوجه سوىٰ إلىٰ اللّه تعالىٰ فلم يكن يطلب سوىٰ رضاه عزوجل، ولم أرَهُ ولا لمرةٍ واحدة يخشىٰ أي قوة، بل قد شاهدت فيه طوال أربعين سنة تشرفت فيها بمعرفته مظاهر هذه الشجاعة حتىٰ في أصعب الأوضاع، فكان يرفض في أشد الأيام خطورة أن يلازمه أحد لحراسته، بل وكان يصرح بأن لا يعرض أحدٌ نفسه لمشقةِ حمايته وحماية بيته[٢]!!

إسمحوا للمهاجمين بالمجيء

توليتُ مسؤولية تنظيم برنامج لقاءات الإمام بعد انتصار الثورة. وقبل إنتصارها كان أبناء الشعب الإيراني يأتون إلىٰ قم للإستماع إلىٰ خطاباته في

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الآشتياني، مجلة (إطلاعات هفتكي)، العدد: ٢٤٨١.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد الغيوري، المصدر السابق، العدد: ٢٤٤٢.

المسجد الأعظم أو في منزله. وكان بعض الأشخاص في العهد السابق أيضاً يعقدون لقاءات خصوصية معه لكنه لم يكن يسمح أبداً لأيٍّ من المسؤولين الحكوميين باللقاءات الخصوصية المنفردة، فإذا حضر أحدهم عنده طلب من بعض الأخوة أن يحضروا اللقاء معه.

أما بعد إنتصار الثورة، فكان له نوعان من اللقاءات؛ العامة وكانت تعقد في البداية في المدرسة الفيضية حيث كان يتوافد عليها أبناء الشعب من جميع المدن الإيرانية لزيارة الإمام بعد عودته من فرنسا، ولكن إثر إستشهاد عدد من النساء بسبب شدة الإزدحام فيها؛ وإصرار الجماهير على زيارته رغم ذلك؛ إضطر إلىٰ نقل المحل إلىٰ الأزقة المحيطة بمنزله في قم فكان يصعد إلى سطح المنزل ويحيّ زائريه. أما النوع الثاني فهي اللقاءات الخاصة التي كان يعقدها في غرفةٍ صغيرةٍ متواضعة للغاية مع أشخاصٍ يأتون لزيارته من داخل ايرن وخارجها، وكان يلقي أحياناً خمس خطاباتٍ في اليوم في هذه الغرفة أو في ساحة المنزل، ورغم أنه كان يتعب بسبب هذه اللقاءات إلا أن شدة حبه للناس كانت تمنعه من الحدِّ منها. وكانت آخر اللقاءات العامة التي حضرها قبل إنتقاله إلىٰ طهران هي التي إستقبل فيها جمعاً حاشداً من أهالي محافظة آذربيجان الشرقية، وأثناء حديثه معهم جاؤا بخبرٍ يقول أن عدداً من أعضاء حزب الشعب المسلم يزمعون مهاجمة منزله فقال: «إسمحوا لهم بالمجيء»! فجاؤا ثم عرف أهالي قم بالأمر قبيل الظهر فخرجوا في مظاهرات غاضبة ضدهم! ولعلي لم أرَ التأثر والحزن ظاهراً على الإمام بمثل ما ظهر عليه في ذلك اليوم فقد كانت هذه أول ضربة توجهها عناصر من الجبهة الداخلية ضد الثورة الإسلامية، وكانت سبباً بظهور الأزمة القلبية التي أصابته ونُقل إثرها إلىٰ مستشفىٰ القلب في طهران. وبعد خروجه من المستشفىٰ وإستقراره في جمران وتحسن صحته نسبياً، عاود الحضور في اللقاءات العامة والخاصة وإستقبال زائريه فيها، واستمر إستقباله لزائريه في اللقاءات العامة كل

أسبوع مرة إلىٰ قبيل وفاته باستثناء السنة الأخيرة من حياته، حيث خصص لقاءً عاماً كل أسبوعين مرة تحضره عوائل الشهداء فقط لشدة حبه لها[١].

لا يمكن وصفها بأنها حكومة

كانت كلمات ومواقف الإمام في مواجهة الحكم البعثي في العراق صرخة رفض في وسط الصمت المطبق، فكانت المرة الأولىٰ ولعلها الأخيرة التي تكسر فيها جو الإرهاب الشديد شخصية علمائية سياسية تعيش في ظل سلطة هذا الحكم الإرهابي وتقول: «لا يمكن وصف هذه الحكومة بأنها حكومة، إنها لن تصمد في مواجهة الشعوب»[٢].

إدانة الحكومة البعثية وهو في العراق

حدث نزاع سياسي بين الحكومتين الايرانية والعراقية أيام إقامة الإمام في النجف، فعمدت الحكومة العراقية إلىٰ إيذاء الإيرانيين المقيمين في العراق وإرعابهم إلىٰ درجة أنها أدخلت الخوف حتىٰ على بعض الشخصيات الدينية والعلمية في النجف الأشرف، فتحدث الإمام ضد النظام البعثي في وقتٍ لم يكن يتجرأ أحد على الكلام في ظل هذا الإرهاب، وألقىٰ كلمته هذه في إحدىٰ الليالي في منزله وبحضور عددٍ كبير من الزوار الذين اجتمعوا فيه، وقد سجلت الكلمة على شريط صوتي وقد قال في جانب منها: «... هذه الحكومة العراقية ـ لو صح لي أن أسميها حكومة ـ..»[٣]

(١) حجة الإسلام والمسلمين التوسلي، صحيفة جمهوري إسلامي، ١٣/ ٣/ ١٣٦٩ هـ. ش.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، (دراسة وتحليل لنهضة الإمام الخميني) ج٣.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين عبد العلي القرهي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٦.

يدينُ رئيس أميركا فكيف يخاف هؤلاء؟

جاء يوماً وفدٌ رسميٌ يضم (١٤) شخصاً من المسؤولين العراقيين لزيارة الإمام في النجف إثر وفدٍ حكومي ضم أربعة أشخاص جاء لزيارة الإمام وعاد دون نتيجة. فطلب الإمام مترجماً يحضر اللقاء للقيام بالترجمة، فذهبت للمترجم الذي خاف من الحضور ثم إعتذر وأفصح أن هذا الوفد يضم المحافظ وهو شخصٌ ظالمٌ ومجرم... وأخذ يعدد رذائله ثم طلب أن نحذر الإمام منه، فقلتُ له: ويحك ما تقول لقد أدان الإمام في خطاب ألقاه سنة ١٣٤٣ [هـ.ش، ١٩٦٤م] رئيس أميركا، فهل تراه يخاف من هؤلاء؟ لو نقلتُ له تحذيرك لطردني!! فضحك المترجم وخرج، ثم دخل الوفد الحكومي، وكنتُ واقفاً في ساحة المنزل ولعلهم لم يروني أو تصوروا أني لا أعرف العربية إذْ سمعتُ المحافظ وقد ظهر الخوف عليه وهو يقول لمرافق له: ماذا أفعل عندما أدخل؟ فأجابه: قبّل يد الخميني! ثم دخلوا على الإمام ونصبوا أجهزة التصوير والتسجيل دون أن يعترض الإمام إلىٰ أن أكملوا نصبها وعندها أمرهم بجمعها وإخراجها!! باستثناء كاميرة التصوير إذْ طلبوا منه أن يسمح لهم الإمام بالتقاط صورة واحدة فقط لكنه رفض بحزم. ولما أتموا كلامه خرجوا من عنده دون أن يبدي لهم في سلوكه أو كلامه أدنىٰ إهتمام[1].

مَن الذي تفاهم مع الحكومة؟!

نشرت صحيفة إطلاعات مقالاً تحدثت فيه عن حصول تفاهم بين العلماء وحكومة الشاه، فأرسل السيد الخميني رسالة شفهية لمسؤول الصحيفة واسمه المسعودي جاء فيها: «ما هذا التفاهم واين حصل؟ ومع مَن؟ هل أنا الذي تفاهمتُ معها أم غيري، يجب توضيح الأمر»، فأرسل المسعودي رسالة قال فيها أن المقال لم نكتبه نحن بل بعثته لنا منظمة الأمن (السافاك)، فأجابه

---

(١) المصدر السابق.

السيد الخميني: «إذن عليك أن تعلن ذلك في الصحيفة، وإلا أعلنت ذلك بنفسي وأدنتك»، فالتمس المسعودي إعفاءه وعدم القيام بذلك مكرراً الإعتذار، وفي غضون ذلك جاء العقيد المولوي رئيس منظمة السافاك في طهران، إلىٰ قم وزار الإمام وقال له بلهجةٍ تهديدية: إن صلاحكم أن تكفوا عن هذا الإعتراض وتكذيب صحيفة إطلاعات وإلا فنحن جنود على أي حال ولدينا واجبات، وعند هذه الكلمة صاح به الإمام: «ويحك يا رُجيل! متى كنت جندياً؟! لو كنتم جنوداً لما ألبسوكم عباءة النساء لكي تفروا! نحن الجنود الذين دافعنا وندافع عن هذا البلد». فبُهت العقيد ولم يقل شيئاً[1].

سأذهب يوم عاشوراء إلىٰ المدرسة الفيضية

في اليوم الأول من شهر محرم الذي تلا حادثة المدرسة الفيضية إستدعاني الإمام وقال لي: «إجمعوا العلماء وقولوا لهم أن يعدوا أنفسهم لكي يتحدثوا جميعاً عن القضايا الراهنة»، وفي صباح اليوم الثامن من محرم ذهبتُ إلىٰ قم لأُقدم له تقريراً عن هذه المهمة، وأتذكر أننا كنا جالسين في ذلك اليوم في ساحة منزله، فدخل موكبٌ للعزاء الحسيني من أهالي قم وهم يلطمون ويقرأون أشعار الرثاء والمصاب، فسألني الإمام عن الشعارات التي يرددونها فأخبرته أنها الأشعار القديمة المألوفة فقال: «وهل هي شعارات يقرأونها؟ لقد أقيم مجلس العزاء في منزلنا مُنذ ثمانية أيام، وصعد هؤلاء الخطباء المنبر ولم يقولوا شيئاً، إصعدوا أنتم وسألحق بكم أنا أيضاً» ثم قال: أريد الذهاب إلىٰ المدرسة الفيضية في يوم عاشوراء للتحدث فيها. فأرسلوا إثنين من السادة لكي يخطبوا فيها»[2].

---

(١) كتاب (ناكفته ها = مما لم يُقال) ذكريات الشهيد مهدي العراقي.

(٢) آية اللّه الشهيد المحلاتي، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ١٠٣، وكان الإمام قد أمر. بعد وقوع فاجعة الفيضية. أن تُذكر هذه الفاجعة في أشعار المراثي والمواكب الحسينية لكي لا تنسىٰ هذه الجريمة الشنيعة التي إرتكبها الشاه.

الفصل التاسع:

الاستقامة والهيبة والجاذبية الروحانية

يتحدث بوقار

كانت ثمة دنيا أخرىٰ على بعد نصف ساعة من مدينة باريس، فهناك يقيم آية اللّه الخميني الذي يدل إسمه على معارضة الشاه، في منزل صغير في ضاحية باريس، ويتعرف القادم على هذا المنزل من خلال مشاهدة دوريات قوات الدرك والأمن والشرطة بسياراتها المجهزة بالرادارات، رأينا حول المنزل حشداً وقوراً من شخصيات دينية وكسبة كادحين وجامعيين ايرانيين جاؤا من المانيا، تونس وانجلترة، وعندما دخلنا المحل خلعنا أحذيتنا أولاً وكأننا ندخل مسجداً، كانت غرفة صغيرة وقد جلس آية اللّه الخميني على فراش صغير وحوله مجموعة من الأوراق والكتب، وكان يرتدي لباساً رمادياً وعمامة سوداء، وهو يتحدث بوقارٍ دون أن يرفع صوته[1].

يرفض أن نحمل له مظلة

لم يكن الإمام يسمح لنا بأن نحمل له مظلة تقيه من الأمطار والثلوج

(١) مراسل صحيفة الفيغارو الفرنسية، باريس، سنة ١٩٧٨م.

التي كانت تنزل عليه وهو ينتقل من منزله إلىٰ محل عقد اللقاءات في باريس[1].

لا يغطي رأسه بالعباءة

الإمام عدو لدود للوساوس. لم يكن يمسك بعصا ولا يستعمل المظلة ولا يغطي رأسه بالعباءة مهما كانت كثافة الأمطار وشدة البرد، كان لا يحب أن يحمل أحدٌ له مظلة وكان لا يستفيد من العصا ولا يعتقد بالتفسير الشائع الذي يرىٰ أنه من بلغ الأربعين ولم يستخدم العصا فقد عصى[2].

يكره الباطل مُند صباه

ينقل السيد بسنديدة [شقيق الإمام] أن الإمام كان في حداثته أفضل فتيان خمين في مسابقات الركض، وكان صاحب الرقم القياسي بين أقرانه في القفز وهو ابن ثمان أو تسع سنين، وقد كُسرت قدمه مرة بسبب ذلك. ويقول أحد رفاقه في اللعب في تلك الأيام، أنه لم يكن أحد من فتيان محلة «سنبرى كاران» [حيث كان يقيم الإمام] في خمين يجرأ على إستخدام الكلمات النابية أو القيام بالأفعال المشينة والباطل خوفاً منه[3].

هيبته سيطرت على الشاه

يبدو لي أنها كانت سنة ١٣٣٤ [هـ.ش، ١٩٥٥م]، عندما نفذ المرحوم الشهيد ذو القدر وبأمر من المرحوم الشهيد نواب صفوي، وفي مسجد شاه محاولة إغتيال «علاء» رئيس وزراء الشاه الذي كان يستعد للذهاب إلىٰ العراق لتوقيع معاهدة حلف بغداد، ولكن الرصاصات لم

---

(١) السيد مصطفى كفاش زاده.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين المسعودي الخميني، من كلمة له في إحدى الجبهات الجنوبية أيام الحرب المفروضة.

تصبه، وإثر ذلك أمر «علم» وزير الداخلية يومذاك باعتقال أعضاء منظمة «فدائيان إسلام»، وأُشيع يومها أن النظام ينوي إعدامهم، وكان الشاه قد سافر مع زوجته ثريا إلىٰ الهند، فألح عددٌ من الأشخاص على السيد البروجردي القيام بعمل لإنقاذ أعضاء منظمة فدائيان إسلام، لكن السيد البروجردي لم يقم بعمل مؤثر في هذا المجال، فاضطر الإمام إلىٰ أن يكتب بنفسه رسالة إلىٰ الشاه الذي كان قد إلتقاه مرتين بأمر من السيد البروجردي وقال إثر عودته من إحداهما: «لا أحب أن أُثني على نفسي، ولكن هيبتي سيطرت على الشاه فأفقدته السيطرة على لسانه»[١].

يسير بوقار ورزانة

في بداية دخولي الحوزة تعرفت في ساحة المدرسة الفيضية على سيد لم يكن معمماً يومئذٍ إسمه السيد مصطفىٰ، وكنت أراه يأتي ويذهب من المدرسة دائماً برفقةِ سيد وقورٌ للغاية يسير برزانة وسكينة يرتدي ملابس مرتبة ويديم الإطراق إلىٰ الأرض، فسألته يوماً عن هذا السيد الجليل فقال: إنه أبي[٢].

وكان ذا هيبة خاصة

كان الإمام ذا وقار وهيبة خاصة، ينظر إلى أمامه دوماً أثناء سيره ولا يتلفت، وكان نظيفاً ومرتباً جداً[٣].

ولا يتلفت أثناء مشيه

كان الإمام يتميز عن بعض أساتذة الحوزة بوقار خاص، كان يمشي

---

(١) آية الله الشيخ صادق الخلخالي.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدواني.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد حسن المرتضوي اللنكروري، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج٤، ص ١٣٩.

بوقار وطمأنينة مشهودة دون أن يتلفت يميناً وشمالاً لكي يرىٰ مَن ما حوله أو يتفرج على الغادين والرائحين، وكان يتنقل عادة مشياً على الأقدام، وكل ذلك كان يشكل علامة لسمو روحه وبهذا كان يقدم للطلبة درساً عملياً فيما ينبغي أن يكونوا عليه[1].

لم نكن نستطيع النظر إلىٰ عينيه

من النعم الجليلة التي حظيت بها في حياتي، هي مجاورة بيت الإمام، فمنذ وعيتُ كنا نسكن في محلة «يخجال قاضي» في مدينة الشهادة والثورة قم، وهي المحلة التي يقع فيها بيت الإمام، وذكرياتي عنه ترجع إلىٰ ما قبل حوادث سنة ١٣٤٢ [هـ.ش، ١٩٦٣م]، وقد لا أستطيع ـ بحكم صغر سني يومذاك ـ أن أتحدث عن عظمة شخصيته بكل أبعادها وصفاتها المعنوية والإلهية السامية، ولكنها رغم ذلك نفذت أبعادها إلىٰ أعماق روحي وقلبي منذ طفولتي إلىٰ درجة أصبح معها الإمام أُسوة كاملة لي في مراحل حياتي اللاحقة؛ لقد كان شديد الالتزام بالمسائل الشرعية في أبسط الشؤون الحياتية، كما كان يتابع القضايا الاجتماعية، وكنت أشعر ـ حتىٰ في طفولتي ـ بالهيبة والوقار الخاص متجلين فيه، ولذلك لم نستطع مثلاً التحديق في عينيه أبداً بل وحتىٰ النظر المباشر لهما، ولو لفترةٍ قصيرة، ورغم أننا كنا نلتقيه باستمرار في الأماكن العامة والمساجد لكننا كنا نهابُ حتىٰ من أن نكلمه أو أن نتحدث في محضره، وعندما كنت طفلاً ألعب مع الأطفال، كنا غالباً نعرف بقدومه من صوت الطلبة الذين كانوا يطرحون عليه أسئلتهم عند سيره في الزقاق، وعندها كنا نقطع لعبنا أو حديثنا ونقف جانباً فإذا وصل إلينا سلمنا عليه[2].

---

(١) آية الله الشيخ محمد اليزدي، المصدر السابق، ص ٣١٤.

(٢) السيد حسن شيرزاد، مجلة (شاهد)، العدد: ١٨٦.

هزتني نظرته الخاطفة لي

سألت الدركي الذي كان يقف على حافة الطريق للحراسة عن بيت آية اللّه الخميني، فأشار إلىٰ منزلٍ صغيرٍ ومتواضع يقع على الجانب الآخر من الشارع، فأثار الأمر استغرابي، لأنني لم أكن أتوقع أن يسكن زعيم الشيعة في مثل هذا المنزل المتواضع للغاية! ولم يسألني الدركي عن هويتي وعلة سؤالي عن منزل آية اللّه الخميني، لكنني بادرت إلىٰ تعريف نفسي كمراسل للمجلة الأسبوعية «باري ميج»، وأنني قد جئتُ لزيارة آية اللّه الخميني وإجراء مقابلة معه، فقال لي: عليك الإنتباه إلىٰ لزوم أن تخلع حذاءك قبل الدخول إلىٰ المنزل!. . . .

بعد أن خلعت حذائي دخلت غرفة خالية من الأثاث لم أرَ إلىٰ ذلك الحين نظيراً لها الا في المباني التي إكتمل بناؤها حديثاً ولم تُسكن بعد! لم أرَ فيها أي أثاث سوىٰ قطعة بساط متواضعة مفروشة على الأرض، لم يكن يوجد شيء سواها يجذب الأنظار في تلك الغرفة التي كانت تُضاءُ بمصباح عريان معلق بسلك في سقفها. . ثم عرفت نفسي وقدمت بطاقتي الصحفية وقلت أنني جئت لإجراء مقابلة مع الإمام، فعرفني رجل ملتحي ومؤدب للغاية بمؤلفٍ كتب عن حياة الإمام، لكنني قلت ـ وقد أظهرت نفاذ صبري: إنما جئتُ للقاء الإمام فلماذا لا تخبروه بحضوري؟ أجابوني: إن آية اللّه يستعد لإقامة الصلاة فقد حان وقتها وستراه عند خروجه. . . . . كان يسيرُ بخطوات هادئة، فأثّر فيّ للغاية وقاره وسكينته وقد كانت المرة الأولى التيْ أراه عن قرب؛ توقف عندي لحظة لا تتجاوز الثانية الواحدة ونظر لي نظرةً واحدة لم تستغرق مدتها الثانية الواحدة أيضاً لكنها هزتني من الأعماق، ولم تكن هذه الهزة الوجدانية ناتجة من الرهبة أو الإستغراب بل كانت نتيجة لشعور خاصٍ لا يمكنني وصفه. . . . وحريٌ بي أن أقول أنني لست من مؤيدي آيَة اللّه الخميني أو الملك

الإيراني ولا من معارضي أي منهما، كما أنني لستُ حديث العهد بالعمل الصحفي، ولم تكن المرة الأولىٰ التي ألتقي رجلاً سياسياً مشهوراً لكي أتأثر بشخصيته نتيجة لقلةِ تجربتي أو لسذاجتي، لكنني خضعت لتأثير هذا الرجل بتلك النظرة الخاطفة[1]!

شخصيته تخضع القلوب وتجذب الجميع

لقد تأثر زملائي الذين إلتقوا الإمام الخميني للمرة الأولىٰ في نوفل لوشاتو بشخصيته الروحانية التي تنفذ للأعماق وبسكينته وصلابته في مواجهة الحوادث الصعبة، . . . كانت له شخصيةٌ قويةٌ جداً تفرض على كل القلوب الإحترام العميق لها وتجذب كل إنسان بقوة، كانت له جاذبية لا تُقاوم، لقد حضرت إلقاءَهُ إحدىٰ خطاباته في حسينية جمران على جمع من المسلمين الأجانب بمناسبة ذكرىٰ إنتصار الثورة الإسلامية، فأثرَ فيّ بقوة صوته الصافي، المفعم بالهدوء والطمأنينة الخالي من أي إرتعاش، ومما لاشك فيه أن إجتماع هذه الصفات في شخصٍ كهل بمثل سن الإمام يثير العجب في كل إنسان[2].

ثابت القدم وذو رؤية بعيدة المدىٰ

لم يكن الإمام يظهر حالاته الروحية ومشاعره، كان يتحدث بلهجة هادئة مطمئنة، ويحلل الأمور بعمق قبل أن يتكلم، وكان دائماً في سعي دؤوب لتحقيق أهدافه، وأعتقد أن من المقومات الأساسية لشخصيته هي أنه ثابت القدم ومقاوم وعميق ومفكر وذو رؤية بعيدة المدىٰ[3].

---

(١) مراسل مجلة «باري ميچ» الفرنسية، مجلة (مرزداران = حماة الحدود)، العدد: ٥٣.

(٢) السيد ڤاندي، صحفي فرنسي.

(٣) السيد مالارد، صحفي فرنسي.

إمتنع عن الإستعانة بالآخرين لصعود المنصة

كانت المنصة التي وضعت للإمام في مقبرة «جنة الزهراء عليها السلام»، عالية، لذلك إنحنىٰ أحد العلماء المجاهدين لكي يصعد الإمام على ظهره ثم يرتقي المنصة، لكن الإمام رفض، وبقي واقفاً حتىٰ عثروا على كرسي لكنه لم يصعد عليه حتىٰ إبتعد عنه أشخاصٌ أرادوا إعانته على الصعود، ثم صعد بنفسه على الكرسي ثم على المنصة[1].

يمشي بخطوات رزينة وقامة مستقيمة

كان الإمام يسير في الشارع على الجانب الأيمن مثل مسير السيارات، وخطواته تشبه خطوات المسيرة العسكرية، وكانت قامته عند المشي مستقيمة ورأسه مرفوعاً، وهو يتجنب وضع العباءة على رأسه أو الإطراق بها حتىٰ عند نزول الأمطار رغم أن ذلك عند غيره أمرٌ طبيعي وغير إرادي عادة[2].

يلتزم الصمت الا إذا ساله سائل

كان الإمام يلتزم الصمت عادة في المجالس إلا إذا سأله أحد عن شيءٍ، فكان يجتنب المألوف لدىٰ البعض من المبادرة إلىٰ الكلام في المجالس والإعراب عن أرائهم في القضايا المختلفة، أجل إذا سُئِلَ عن شيءٍ أجاب بأجوبةٍ دقيقة[3].

التعامل هناك بذاك النحو

قلتُ لأخي يوماً: إنني أرىٰ للإمام وجهين متباينين، فهو داخل المنزل فريد في تعامله الودود، أما في خارجه وفي غرفة الإستقبال

---

(١) السيد محمد كاظم نيكنام، صحيفة جمهوري إسلامي، ١١/١١/١٣٥٩ هـ. ش.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (دراسة وتحليل لنهضة الإمام الخميني)، ج١.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الصابري الهمداني، (خطوات في أثر الشمس)، ج٣، ص ٢٧١.

«البراني» فهو جديٌ للغاية، وقد كنت إذا زرته في «البراني» وسألته عن شيءٍ وأجابني قلت له: فلماذا يختلف تعاملك يا سيدي هنا وهناك؟!، أجابني: «التعامل هناك بذاك النحو!» ولا جرأة لنا بعد ذلك على تكرار القول، كما أننا لا نتجرأ على إطالةِ النظر في عينه التي كانت تمتاز بنظراتٍ نافذة وقوية تجعلنا نطرق برؤوسنا لا إرادياً، أما في داخل المنزل حيث نحظىٰ بكرامة الجلوس معه على مائدةٍ واحدة ونتناول معه الطعام، أو نرافقه وهو يتمشىٰ في ساحة المنزل، فإننا نجده في غاية اللطافة ويقرن إجابته على أسئلتنا بالبسمات عادة[١].

يجيب أحياناً بصوتٍ قوي حفظاً لوقتِ الآخرين

كان الإمام وقوراً رزيناً هادئاً، إذا جلس إلتزم الصمت والسكون مهما طال جلوسه مالم يكلمه أحد فيجيبه: أجل كان أحياناً يجيب على أسئلة بعض الطلبة في الدرس بصوت قوي يجعلهم يكفون عن الإفراط في النقاش، ويحفظ بذلك وقت سائر الطلبة من الضياع[٢].

المفتاح هنا

كان الإمام يساعدنا حتىٰ في الأعمال البسيطة، أتذكر أن السيد أحمد كان عنده في الغرفة فقال له: «إعطني المفتاح الذي على الرف»، فنظر السيد أحمد إلىٰ الرف وقال: لا يوجد هنا مفتاح! فأجابه: «أنظر جيداً، المفتاح على الرف»، فعاود النظر ولم يجده، فنظر له الإمام نظرته المهابة الخاصة فتراجع السيد أحمد، وقام الإمام بنفسه ووجد المفتاح على الرف وقال له: «أنظر، إنه هنا»[٣].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين حسن الثقفي، المصدر السابق، ج١، ص ١٤٠.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين عبد العلي القرهي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٦.

(٣) الحاج عيسىٰ الجعفري.

كان قليل الكلام

كان الإمام قليل الكلام، لكنه إذا تكلم كان كلامه جامعاً شافياً، وعموماً فإن من صفاته البارزة الصمت إلا في موارد الضرورة[١].

وكثير التفكر في جميع أحواله

إمتاز الإمام بحالة خاصة من الوقار والسكينة والهيبة المقترنة بغاية التواضع، وكان صامتاً قليل الكلام في معظم أوقاته، لا يتكلم إلا بمقدار الضرورة، وكلامه كان محسوباً بدقة وموزوناً وقصيراً وكان في غير اللقاءات العامة التي يخطب فيها، يقلل الكلام ويكثر التفكر، تراه متفكراً في جميع أحواله ويستفيد من أوقاته بأقصىٰ مقدارٍ ممكن[٢].

وجدته ذا هيبة مميزة

زرت الإمام في بدايات إقامته في النجف، فوجدته ذا هيبة مميزة يلتزم عادة الصمت في المجالس إلا أن يسأله أحدٌ سؤالاً فيجيبه[٣].

يتكلمُ بوسائل عدة!!

لا أتذكرُ أنني سمعتُ أبداً ولا كلمة واحدة غير ضرورية من الإمام طوال السنين التي كنتُ أحضر عنده كل يومٍ صباحاً ما بين عشرين إلىٰ خمسين دقيقة أيام إقامته في جمران، كانت تعرض عليه الكثير من الأسئلة المهمة فكان يجيب على بعضها بالسكوت، وعلى بعضها الآخر بنظرةٍ أو بإشارة بيده، أو بكلمةٍ، أو بجملةٍ أو أحياناً بمزيج من إثنين أو أكثر من

(١) آية الله الشيخ جعفر السبحاني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين إمام الجمراني، صحيفة جمهوري إسلامي، ملحق خاص بمناسبة مرور أربعين يوماً علىٰ وفاة الإمام.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد مرتضى الموسوي، الأردبيلي الأبركوهي.

هذه الأساليب في الجواب مقرونةً بإبتسامة أو بتقطيبة للحاجبين! يُضاف إلىٰ ذلك أن طبيعة صوته أثناء الجواب تكشف بدقةٍ بالغة درجة إهتمامه أو تأكيده على موضوع السؤال[1].

لا يتجرأُ أحدٌ على الغيبة في محضره

في الإجتماعات اليومية التي كانت تعقد في النجف الأشرف في بيت الإستقبال في منزله «البراني» والتي كان يحضرها لمدة نصف ساعة كل يوم يتوجه بعدها لزيارة الحرم العلوي المطهر، كان الإمام يلتزم الصمت الكامل إلا في الموارد الضرورية التي يرىٰ أن من اللازم أن يتكلم فيها بشأن بعض الأمور، وقد جاءني يوماً أحد علماء النجف وقال بتعجب: ما أشد صمت هذا السيد الجليل!، ولم يكن أحدٌ يتجرأ في حضور الإمام على أن يغتاب شخصاً أو يتكلم عن آخرين في غيبتهم[2].

يجتنب الجدال والنقاش بدافع التفاخر

كان للإمام باعٌ طويل في المباحثات العلمية وفي مناقشة الآراء وتمييز الصائب منها عن غيره، وفي الإجابة على الإشكالات العلمية، لكنه كان يلتزم الصمت إذا كان البحث والنقاش جدلياً محضاً أو بهدف التفاخر، فلا يتكلم حينئذٍ بل يكتفي بالإصغاء إلا أن يُوجه إليه سؤال فيجيب عليه[3].

هيبته سلبتني القدرة على الكلام

أتذكرُ أن عظمة شخصية الإمام قد استولت عليّ بالكامل في المرة الأولىٰ التي زرته فيها وإلىٰ درجةٍ سلبتني القدرة على التكلم وعرض السؤال الذي

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد العلي القرهي، مجلة (اطلاعات هفتكي) العدد ٢٤٤٢.

(٣) آية الله الأميني، مجلة (بيام انقلاب)، العدد: ١٠٥.

أردت طرحه عليه، وكانت هذه الهيبة صفة ملازمة له، فانتبه الشهيد السعيدي ـ وكان من قدماء تلامذة الإمام ومن أفاضل الذين يحضرون درسه ـ إلىٰ حالتي فأخذ سؤالي وعرضه على الإمام الذي أجاب عليه[1].

الهيبة والوقار مع شدة التواضع

كان الإمام جميل البيان في تدريسه، يبين المطالب العلمية بأفضل بيان، وكان يحضر درسه عددٌ كبيرٌ من الطلبة، وكان رؤوفاً بطلابه يتجنب التكلف في التعامل معهم لكنه ـ إلىٰ جانب ذلك ـ كان يتميز بقوة الشخصية والهيبة والوقار وقد إشتهر بذلك رغم شدة تواضعه[2].

يبتسم مودةً

قلما شوهد الإمام يضحك أو يمازح طلبته في المحافل العامة، فإذا أراد الإعراب عن شدة مودته لأحد الطلبة إبتسم في وجهه، وكان هذا كافياً لنا[3].

كل حركاته وسكناته على وفق الآداب الإسلامية

بحكم قوة شخصيته الإستثنائية، تميز الإمام بجاذبية خاصة لا يمكن معرفة أسرارها بدقة، كان يجذب الإنسان بكل حركاته وسكناته التي كانت جميعاً على وفق الآداب الإسلامية بنظراته، بطريقته في بيان القضايا والنطق بالكلمات وحتىٰ بارتفاع أو إنخفاض صوته، لقد إنجذبت إليه بقوة وعشقته مُنذ اليوم الأول لحضوري درسه[4].

---

(١) آية اللّه الصانعي، المصدر السابق، العدد: ٦٠.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين حسن الروحاني، مجلة (زن روز)، العدد: ٨٥١.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين احمد الصابري الهمداني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج٣، ص ٢٧١.

(٤) حجة الإسلام والمسلمين الموسوي خوئيني ها، مجلة حوزة، العدد المزدوج: ٣٧ ـ ٣٨.

يتميز بحالة روحانية خاصة

كان سلوك الإمام عند دخوله المدرسة الفيضية أو حضوره في المحافل الدينية أو الإجتماعية، يجذب إليه كل مَن يراه ويجعله يرغب في إطالة النظر إليه، وكان يتميز بذلك، كان يتميز بحالةٍ روحانية عالية يشعر بها كل مَن يتعامل معه حتىٰ لو لم يكن يعرفه من قبل[1].

مَن يراه يذهل عن غيره

من الخصوصيات البارزة التي كنتُ أراها في الإمام والتي لا زالت عالقة في ذهني، حالة الوقار والسكينة والإتزان في جميع الحركات والسكنات. فإضافة إلىٰ ما حباه اللّه تعالىٰ من طلعةٍ وسيمة منيرة وقامة معتدلة، كان يتميز بالإلتزام بأن تكون كريمته مرتبة وكذلك حال عمامته وملابسه التي كانت تتميز بشدةِ نظافتها، وكان لا يلبس إلا المصنوع داخل البلد، كما كان يتميز بنظراتٍ نافذة يوجهها في المواقع المناسبة، وبحركات متزنة في قيامه وقعوده، وبطريقة جاذبة في تحدثه مع الآخرين، وبحالةٍ عميقةٍ من السكينةِ والوقار أثناء مشيه، وغير ذلك من خصوصياته التي كان يحس بها وينجذب إليها كل مَن يراه بقوة، فكان كل مَن يراه في مجلسٍ أو في زقاق أو في الحرم المطهر للسيدة المعصومة فاطمة بنت الإمام الكاظم عليه السلام، ينشد إليه ويتابع النظر إليه مدة يذهل خلالها عما حوله[2].

نسي الصحفي أسئلته وطلب موعظة وإرشاداً

قرأتُ في إحدىٰ الصحف العلمانية التركية مقالاً طريفاً لكاتب كان قد أساء القول في الإمام بما استطاع كما هو حال باقي كتاب الصحف التركية قبل إنتصار الثورة الإيرانية، ثم حدث له أمرٌ جديرٌ بالملاحظة خلال لقائِهِ

(١) آية اللّه محمد الإمامي الكاشاني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين علي الدواني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٦.

بالإمام لإجراء مقابلة صحفية، يقول هذا الكاتب الصحفي: حملتُ معي قائمة طويلة من الأسئلة البلهاء وأنا أذهب للقاء الإمام من قبيل: كيف سيكون وضع الأقليات الدينية؟ ماذا سيفعلون بالنساء؟ هل قررتم تدمير المصانع؟. . . لكن هذا الكاتب الصحفي عندما دخل على الإمام أصابته حالةٌ خاصة من التأثر والإضطراب والخجل جعلته يلتزم الصمت ويعرض عن طرح تلك الأسئلة، وكل ما طلبه من الإمام هو أن يقدم له نصيحة وموعظة فيما يرتبط بحياته الخاصة ويرشده، فأوصاه الإمام بأن يتعرف على الإسلام ويقيم مناسكه العبادية[1].

يتبسم إعجاباً

س: في إحدىٰ مقابلاتكم الصحفية مع الإمام طرحتم عليه سؤالاً أضحكه، فما قصة ذلك؟

ج: أجل، لقد كانت تلك اللقطة مثيرة لإنتباه الناس كثيراً، لأنه كان عادة لا ينظر إلا نادراً للذي يجري معه مقابلة صحفية، فإذا وافق على إجراء مقابلة جلس على البساط في غرفته وأخذ بالإجابة على الأسئلة وهو مطرق للأرض عادة، وكان هذا حاله أيضاً في المقابلة التي أجريتها معه بتاريخ (٢٣/ ١٢/ ١٩٧٨م) وكان الدكتور يزدي حاضراً فيها للترجمة، وكنتُ أعرف أنه ينوي توجيه بيان للبابا ومسيحي العالم فسألته: هل تسعون إلىٰ أن يكون البابا حليفاً لثورتكم وما هي رسالتكم له؟ فرأيته فجأةً يرفع رأسه ويتبسم قبل أن يجيب على سؤالي، ثم سألتُ الدكتور يزدي عن علةِ إبتسامة الإمام فقال: لقد أعجبه سؤالكم فأعرب عن إعجابه بهذه الإبتسامة، وكانت المرة الأولىٰ التي أراه فيها مبتسماً[2].

---

(١) السيد حامد الغار، كتاب (الثورة الإسلامية في ايران).

(٢) السيد ملارد، صحفي فرنسي.

لا يغطي رأسه بالعباءة أو المنديل

لم نرَ الإمام أبداً لا في البرد ولا في الحر يفعل ما يفعله العلماء من تغطية الرأس بالعباءة، أو ما كان يفعله علماء النجف من وضع منديل كبير على العمامة وشده تحت الحنك إتقاءً للبرد، وكانت تلك الحالة سيئة المظهر، وفي المقابل كان يلتزم بالإمساك بطرفِ عباءَتِهِ وضمه إلىٰ صدره لكي لا يحركها الهواء أثناء المشي[1].

نشعر بروحانية خاصة عند الاستماع لكلامه

إنتبهنا مرةً إلىٰ أن عدداً من الجامعيين الفرنسيين يحضرون كل ليلة للإستماع إلىٰ خطابات الإمام، فسألناهم ـ بواسطة احد الأخوة الذي كان يجيد اللغة الفرنسية ـ: هل تعرفون اللغة الفارسية وتفهمون ما يقوله الإمام؟ فأجابوا: نحن لا نعرف الفارسية ولا نفهم شيئاً مما يقوله الإمام! فسألناهم: لماذا تحضرون إذن كل ليلة إلىٰ هنا وتستمعون لكلامِهِ؟ فقالوا: إننا نشعر بحالةٍ روحانية خاصة عندما نحضر ونستمع لكلامه[2]!

لا تفقدوا إتزانكم في ظل أي ظرف

قبل إعتقال الإمام راجت إشاعة خروج الشاه من ايران، وكانت الأجهزة الحكومية في قم تقوي هذه الإشاعة، فسحبت الشرطة من المراكز وقطعت الكهرباء عن بعض مناطق مدينة قم، وأخذ الأهالي يتبادلون التبريكات في الأزقة، واجتمع جمع حاشد في منزل الإمام وأكد أحدهم صحة الخبر بصورة جازمة، وأصر الأهالي والطلبة أن يذهب الإمام إلىٰ الحرم كتعبير عن الشكر على هذا النصر وعندما لاحظ إصرارهم قال: «لا

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين علي الدواني (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٦.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد المحتشمي، كتاب (أزهار من بساتين الذكريات).

تفقدوا إتزانكم في ظل أي ظرف حتىٰ لو سمعتم خبراً ما». فتفرق السادة إثر ذلك وأحبطت المؤامرة التي يحيكها العدو بترويج تلك الإشاعة[1].

قام بهيبة وسرعة قبل أن يكمل المترجم الترجمة

حلت الساعة الثامنة في صباح اليوم الذي حضر فيه وزير الخارجية السوفيتي «إدوارد شيفرنادزة» لتسليم رسالة «غورباتشوف» الجوابية، والإمام لم يدخل غرفة اللقاءات كما هي عادته في كل يوم، وبقي وزير الخارجية السوفيتي ومسؤولي وزارة الخارجية في الجمهورية الإسلامية، واقفين ينتظرون قدومه إلىٰ الساعة الثامنة والنصف حيث دخل الإمام وتوجه فوراً ـ دون أن ينظر إلى أحد ـ، وجلس في مكانه المعتاد، فجلس وزير الخارجية السوفيتي على الكرسي الذي وضع له.

رئيسُ الجهاز الدبلوماسي للقوةِ الشرقيةِ العظمىٰ الذي كان يظهر باستمرار في المحافل الدولية والقصور الفخمة للدول الغربية القوية وهو يتحرك بخطوات واثقة وبوجه يحكي قوة حكومته كما أظهرت ذلك التقارير الخبرية المصورة مراراً، وجد نفسه هذه المرة ـ ولعله للمرة الأولىٰ ـ يحضر لقاءً رسمياً بحالة أخرىٰ تختلفُ كثيراً عما إعتاده، لقد خلع حذاءَهُ ودخل حافياً غرفةً صغيرةً متواضعةً للغاية ووقف على بساط قديم قد تغيّر لونه، لذلك ظهر هو أيضاً بحالةٍ أخرىٰ بدت عليه آثارها مثل الرعشة الخفيفة التي بدت عليه بوضوح وهو يقرأ رسالة غورباتشوف الجوابية.

لقد بدت عليه هذه الحالة المضطربة مُنذ اللحظة الأولىٰ لجلوسه على الكرسي في مقابل الإمام، وقد ظهر الإضطراب واضحاً عليه في جلوسه غير المستقر ووضع رجليه، وقد بقي على هذه الحالة إلىٰ أن إنتهىٰ من

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ التوسلي، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ١٣.

قراءة الرسالة؛ وطوال مدة اللقاء ظهر الجمود على جميع أجزاء بدنه وكأنه تمثال باستثناء الرعشة الخفيفة التي كانت تظهر على رأسه ويديه.

أما المترجم الذي وصفه الخبراء بأنه يتكلم اللغة الروسية بطلاقة؛ والذي حضر اللقاء للقيام بمهمةِ الترجمة؛ فلم يستطع ترجمة ولا جملة واحدة بدون تلكؤ وكان يسعىٰ للتغطية على ذلك بإظهار سعالٍ متكلف وتنقية حنجرته.

وبعد الإنتهاء من ترجمة رسالة غورباتشوف، تكلم الإمام فوراً وعلى مدىٰ حدود دقيقة واحدة وقال ثلاث عبارات أعرب في الأولىٰ ـ وبكل صراحة بعيداً عن المجاملات الدبلوماسية ـ عن أسفه لعدم إهتمام السيد غورباتشوف بالصورة المطلوبة بالموضوع الأساسي الذي احتوته رسالة الإمام إليه؛ ثم وقبل أن يكمل المترجم ترجمة العبارة الثالثة من كلامه، قام الإمام لمغادرة الغرفة بهيئة من الهيبة والسرعة في الحركة أوجدت حالة غير مألوفة لم تسمح لأحدٍ بأن يتحرك من مكانه فضلاً عن القيام لمصافحة الإمام أو تقبيل يده[١].

لازلت أشعر برعشةٍ خاصة

قال خالي [السيد أحمد] يوماً: لا زلت إلىٰ الآن وبعد كل هذه السنين التي عشت فيها مع الإمام أشعر برعشةٍ خاصة في بدني، كلما ناداني لِما أراه فيه من هيبة وصلابة[٢].

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردي.

الفصل العاشر:

الجدية والاجتهاد في العمل والنشاط العلمي

كان يديمُ المطالعة

كان الإمام ـ على ما أتذكر ـ يطالع ويقرأُ باستمرار، وكان يلقي دروسه في مسجد «السلماسي» في قم، يذهب للتدريس عصر كل يوم قبل ساعة ونصف من غروب الشمس ثم يعود إلىٰ المنزل، كما كان يذهب للتدريس قبل الظهر ثم يعود، وكان ينام بعد طعام العشاء، وينشغل بالمطالعة بعد صلاة الفجر أيضاً[1].

لا يتوقف عن المطالعة إلا عند سماع الآذان

كان يحدث كثيراً أن نجلس عند الإمام من الصباح إلىٰ الظهر في الغرفة وهو مشغول بالمطالعة طوال ذلك دون أن يتكلم إلا أن يُوجه أحد إليه سؤال فيجيب بمقدار الضرورة، فلا يتوقف عن المطالعة والتحقيق إلا عند سماع أذان الظهر وعندها يضع القلم ويتهيأ لإقامة الصلاة[2].

شدة إلتزامه بالدرس

السيدة مصطفوي: أماه سمعتُ أن زواجكِ كان في شهر رمضان،

---

(١) السيدة زهراء المصطفوي.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين المسعودي، من كلمةٍ له في جبهات القتال أيام الحرب المفروضة.

وكان ذلك خلاف المتعارف بين الناس، فما هو سر ذلك؟

زوجة الإمام: السر هو أن الدروس كانت تتوقف في شهر رمضان!

السيدة مصطفوي: هل أن هذا يعني أن الإمام كان ملتزماً بالدراسة إلىٰ درجة لم يكن معها مستعداً لتعطيلها حتىٰ من أجل زواجه؟!

زوجة الإمام: أجل، كان السيد شديد الإلتزام بالدراسة، فقال إن شهر رمضان مناسب لإقامة مراسم الزواج لتوقف الدراسة فيه[1]!!

لم يتغير برنامجه في المطالعة يوم وفاة نجله

لم يُؤدِ إستشهاد المرحوم السيد مصطفىٰ إلىٰ وقوع أدنىٰ إضطراب لا في الحالة الروحية أو الفكرية للإمام ولا في نظم برنامجه اليومي، وكان قد خصص ساعة كل يوم لقراءة الكتب الجديدة التي تصله، فمثلاً كان يقرأ جميع كتب المرحوم الدكتور الشريعتي، وكان يحب كثيراً مؤلفات الشهيد المطهري وكان يؤيدها هي ومؤلفات السيد الطالقاني، أما فيما يرتبط بكتب الدكتور الشريعتي فكان يعتقد أنها لا تشتمل على إنحرافات كثيرة تسوغ كل تلك الإعتراضات والهجمات الموجهة ضدها. وأتذكر أنه كان في أيام إستشهاد السيد مصطفىٰ يقرأ كتاب «طلوع إنفجار» من تأليف «حاج سيد جوادي». يقول السيد أحمد: عندما عاد الإمام من مراسم تشييع جنازة ولده، فتح في الوقت اليومي المخصص للقراءة، كتاب «طلوع إنفجار» وتابع مطالعته فيه[2].

---

(١) مجلة (ندا) الفصلية، العدد: ١٢.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الدعائي، صحيفة إطلاعات، ١٣٥٩/٨/٣ هـ.ش. ويقول المرحوم جلال آل حمد [الكاتب الإيراني المحقق] في حديث له عن لقائِهِ بالإمام: «أثار تعجبي الشديد أنني شاهدت عنده كتابي «التغريب» الذي كان خرج حديثاً من المطبعة، وكان يطالعه فقلت لسماحته: ما شأنكم بمثل هذه الكتابات التافهة!!».

علّمنا بعمله لزوم الاجتهاد في العمل

كان برنامج حياة الإمام يختلف عما كان مألوفاً لدىٰ زملائِهِ في أيام الدراسة، فهم كانوا يلتزمون بإمامة صلاة الجماعة، ويذهبون في أشهر محرم وصفر ورمضان للخطابة وأمثال ذلك. أما الإمام فكان يتميز بتوجيه كل جهده للمطالعة والتحقيق مبيناً لك بذلك أهمية هذا الأمر عملياً، لم نكن نراه يتصدىٰ أبداً لإمامة الصلاة اللهم إلا أن يأتم به أحدٌ عند إقامته للصلاة، وكان سر ذلك أنه خصص معظم وقته للمطالعة والتحقيق.

أتذكر أنه كان يأخذنا في شهور الصيف إلىٰ منطقة «دركه» أو مدينة «محلات» وأمثالها لكي نقضي فيها هذه الشهور الثلاثة التي تتعطل فيها الدراسة، وبقي ملتزماً بذلك في فصل الصيف على مدىٰ عشر سنين أو خمسة عشر عاماً؛ إذ كنا صغاراً وكانت شدة الحر في صيف قم مؤذية، يُضاف إلىٰ ذلك أن الهواء الطيب في تلك المناطق يوفر له الأجواء المناسبة للعمل وللطاقة، لكننا طوال هذه المدة لم نرَه ولا مرةً واحدة يذهب إلىٰ حفل ضيافة ومأدبة أو يخرج إلىٰ الشارع، فكان يتوجه فور نزوله من السيارة إلىٰ المنزل الذي نقضي فيه أيام العطلة، فيفرش بساطاً في جانب الظل من ساحة المنزل وينهمك بالعمل العلمي إلىٰ أن تصل أشعة الشمس إليه فيقوم حينئذٍ لتجديد الوضوء وإقامة الصلاة ثم تناول طعام الظهيرة ثم يستريح ليقوم عصراً بفرش البساط نفسه على الجانب الآخر من ساحة المنزل وينهمك في عمله، وكان بذلك يقدم لنا درساً عملياً في لزوم الاجتهاد في العمل[1].

كانت كثرة الكتب حوله تمنع من رؤيةِ شخصه!

كنت أرىٰ الإمام ـ مُنذ أن وعيتُ ـ في وسط كتبه دائماً، وعندما كنت أدخل عليه لتقديم الشاي، كنتُ أرىٰ كتباً كثيرة مفتوحة بين يديه وحوله

---

(١) السيدة زهراء المصطفوي، مجلة (شاهدبانوان)، العدد: ١٤٩.

وهو منهمك بالمطالعة والتحقيق، وكانت الكتب من الكثرة بحيث كانت تمنع عن رؤية شخصه أحياناً، كان الإمام يقضي معظم أوقاته في البيت وهو منشغل بنشاطاته العلمية، فلا يخرج من المنزل الا قبل ساعة ونصف من غروب الشمس يذهب فيها للتدريس[١].

قرأ معظم كتب القصص المعروفة

لا تسنح الفرصة هذه الأيام للإمام لقراءة الكتب القصصية، لكنه كان في السابق ـ مثلاً عندما كان في النجف ـ يقرأ لعله مئآت الصفحات من الكتب كل يوم، بينها قصص أو كتب إجتماعية، كان يأتي بعدة كتب فيقرأ عشرين صفحة من هذا الكتاب وعشر صفحات من ذاك وخمس عشرة صفحة من الثالث، لقد قرأ معظم كتب القصص المعروفة سواء ذات الاتجاه السياسي أو الإجتماعي، مثل كتاب «نهرو» المعروف باسم «نظرة إلى تاريخ العالم»، أو كتاب قصة «زوج السيدة الغزالة» الذي قرأه بالكامل!! أريدُ أن أقول أن الإمام يقرأ مثل هذه الكتب[٢].

يطالع المجلات ومقالات الصحف

كان الإمام كثير المطالعة والقراءة، ولعلي أستطيع القول بأنه قرأ جميع كتب «كسروي»، وقرأ جميع الكتب العرفانية، كما كان يطالع المجلات ومقالات الصحف في الوقت الذي لم تكن مطالعتها شائعة بين الناس[٣].

قرأ مؤلفات معظم الكتاب العالميين الكبار

الإمام يحب القراءة والمطالعة ولازال يقرأ حتىٰ تتعبَ عيناه، وأتذكر أننا

---

(١) السيدة فريدة المصطفوي، صحيفة إطلاعات، ١١/ ١٢/ ١٣٦٠ هـ.ش.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (بيام إنقلاب)، العدد: ٦٠.

(٣) آية الله صادق الخلخالي.

عندما كنا نذهب في الصيف أيام العطلة إلىٰ إحدىٰ المدن أو نأتي إلىٰ طهران، كان يكثر من مطالعة الكتب المتنوعة حتىٰ ملَّ من ذلك الذي كانوا يأتونه بها. لقد قرأ مؤلفات معظم الكتّاب العالميين الكبار، فهو أكثر علماء الدين مطالعة للكتب ذات الموضوعات الإجتماعية أو السياسية، قرأ تاريخ ايران مراراً وهو على إطلاعٍ دقيق بتاريخ مجريات النهضة الدستورية[١].

المطالعة من أجل معرفة أفضل بمسار الحوادث

يقضي الإمام معظم أوقاته في المطالعة والقراءة لكي يكون على معرفة أفضل بمسار الحوادث داخل ايران وخارجها، ولعله يخصص لذلك مالا يقل عن ثمانِ ساعات يومياً، وأبسط ما يقرأه هو جميع الصحف الصباحية والمسائية، والطريف أنه إذا تأخرنا عن تسليمه الصحف في الموعد المقرر خمس دقائق جاء إلىٰ خلف الباب وسأل عنها[٢].

التنوع في المطالعات

يشتملُ برنامج الإمام العملي على مطالعات في التاريخ أو التفسير أو كتب الأخلاق والحديث، فهو يطلب أحياناً مثل هذه الكتب ويستفيد منها في الفرص المناسبة[٣].

قبل تسلمه القيادة

كان الإمام في زمان مرجعية السيد البروجردي وقبل تسلمه لمسؤولية قيادة الجهاد، منهمكاً في المطالعة والدراسة إلى درجةٍ أننا أحياناً لم نكن نراه إلا على مائدة الطعام أو لعشر دقائق في المساء[٤].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني مجلة (جهاز روستا)، العدد: ٧٥.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، مجلة (بيام إنقلاب)، العدد: ٥٠.

(٣) المصدر نفسه

(٤) السيدة فريدة المصطفوي.

لا ينام بعد صلاة الفجر

كان وقت المطالعة والقراءة مستقلاً في برنامج الإمام عن أوقات الترويح والعمل، فقد كانت جميع أعماله تسير على وفق برنامج منظم بدقةٍ، ومن الطبيعي أن يشمل التنظيم أمر المطالعة أيضاً. وأتذكر ـ مُنذ طفولتي ـ إهتمامه الواضح بالمطالعة فكنا نراه منهمكاً بالقراءة عندما نستيقظ صباحاً، فإنه لم يكن ينام بعد صلاة الفجر[١].

جديته في النشاط العلمي

كان الإمام كثير المطالعة والتحقيق، وكنتُ إذا دخلت عليه أراه غارقاً وسط الكتب التي كانت تحيط به وقد بلغ إرتفاع صفوفها المتر أحياناً وهو جالس بينها خلف المنضدة الصغيرة، وكان يبقىٰ فترات طويلة في هذه الغرفة فلا يخرج منها حتىٰ إذا أراد شاياً فهو يكتفي بأن يضرب بالملعقة على الفنجان، أجل يقوم من مكانه لتناول الطعام، وإذا جاء أحدُ الأصدقاء لزيارته دخل عليه في هذه الغرفة[٢].

كان طوال يومه منهمكاً بالعبادة أو المطالعة

التحقت عائلة الإمام به بعد مدةٍ مديدة من وصوله إلىٰ النجف حيث كان يسكن في بيتٍ متواضع إستأجره لذلك خصص جانباً منه لعائلته والجانب الآخر للإستقبال «البراني»، وكان الإمام طوال يومه إما في حال العبادة أو المطالعة والقراءة على وفق نظام دقيق وكان في ذلك درسٌ عظيمٌ ومستمر للذين كانوا يترددون على بيته ويرون أحواله عن قرب[٣].

---

(١) السيدة زهراء المصطفوي.

(٢) السيدة صديقة المصطفوي، مجلة (سروش)، العدد: ٤٧٦.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عباس علي عميد الزنجاني، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج٤ ص ٣٨.

مواصلة النشاط العلمي في شهور العطلة

رغم أن عمر الإمام كان قد تجاوز الخمسين عاماً إلا أنه كان أحياناً ينشغل بالمطالعة والبحث على مدىٰ ست ساعات متواصلة، فمثلاً أقام الإمام شهور الصيف الثلاثة سنة (١٣٧٠ هـ.ق) في مدينة محلات، فكان طوال هذه المدة يبدأ بهذا النشاط العلمي بعد تناوله لطعام الإفطار ومن الساعة السادسة صباحاً إلىٰ الساعة (١٢) ظهراً، فإذا تعب من القراءة إنشغل بالكتابة وتقرير أفكاره[١].

يوصي بقراءة تفسير السيد الطالقاني

أوصاني الإمام بقراءة كتاب «برتوى أز قرآن = قبسات قرآنية» وهو التفسير الذي كتبه المرحوم آية اللّه السيد الطالقاني، وقد رأيت المرحوم حجة الإسلام السيد مصطفىٰ يقرأ هذا الكتاب فقال هو أيضاً أن والده أوصاه بمطالعته[٢].

كان يتابع لوحده حضور دروس الشيخ الشاه آبادي

حدثني الإمام يوماً فقال: «عندما كان المرحوم آية اللّه الشيخ الشاه آبادي يتردد على قم إلتقيته مرة في المدرسة الفيضية وعرضت عليه سؤالاً بشأن مسألةٍ عرفانية، فلما أجابني علمتُ أنه من أهل الخبرة، فطلبت منه أن يدرسني فأبىٰ لكنني واصلت الالحاح حتىٰ قَبِلَ أن يدرسني الفلسفة إذْ تصور أنني أطلب دراسة الفلسفة، فقلت له: لقد درستُ الفلسفة ولم أحضر عندك من أجلها، إنما أطلب دراسة العرفان (كتاب شرح الفصوص)، فأبىٰ ثم قبل بعد إلحاحي عليه»، فسألته: وكم كان

---

(١) آية اللّه الشيخ جعفر السبحاني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد الدعائي، صحيفة كيهان، ١٨/١١/١٣٥٩ [هـ.ش].

عدد الحاضرين في هذا الدرس؟ أجابني: «كنتُ في معظم الأحيان أدرس العرفان عنده لوحدي، فإذا زاد العدد أصبحنا ثلاثة طلبة لا أكثر». ثم سألته: وهل درست كتاباً آخراً عند الشيخ الشاه آبادي؟ فقال: «درست عنده في أيام العطلة وأيام الخميس والجمعة كتاب «مفاتيح الغيب»، وقد كتبت حاشية على هذا الكتاب في الأيام نفسها التي كنت أدرس فيها هذا الكتاب وكتاب شرح الفصوص». ثم سألته: ما هي الكتب الأخرىٰ التي درستها على الشيخ الشاه آبادي؟ فقال: «كتاب منازل السائرين»، سألته: وكم كان عدد الحاضرين في هذا الدرس، أجاب: «كنت أحضره لوحدي، ولعله كان يشارك أحياناً شخصٌ أو إثنان ولكن كانوا ينقطعون عن متابعة الحضور بعد فترة وجيزة».

ثم سألته: كيف كان الشيخ الشاه آبادي؟ أجاب: «سألت الشيخ الشاه آبادي يوماً: إن المطالب التي تتحدث عنها غير موجودة في الكتب، فمن اين تأتي بها؟ فقال: إنها تُقال! يعني أنها من عنده». ثم أضاف: «إن له حقاً عظيماً عليّ، كان متضلعاً في الفلسفة والعرفان، سألته: كم سنة إستغرقت دراستكم العرفان عنده؟ قال: «لا أتذكر بالضبط، لكنها ما بين خمس إلى ست سنين»، وأضاف: «عندما كان الشيخ الشاه آبادي يدرس كتاب «شرح الفصوص» كان ما يقوله يتمايز عن شرح القيصري للفصوص. كان لديه الكثير من عنده».

هذه أمورٌ تحدث عنها بنفسه قبل عدة أيام وقد دونت نص عباراتِهِ. وقد سألته: ما هو أول كتاب ألفتموه؟ قال: «أظن أنّ أول كتاب ـ أو الأفضل أن أقول أول شيءٍ ـ كتبته كان «حاشية على [حديث] رأس الجالوت»، ثم كتبتُ شرحاً مستقلاً لهذا الحديث الشريف، وكان ذلك بعد دراستي عند الشيخ الشاه آبادي، عندما جاء الشيخ الشاه آبادي إلىٰ قم لم أكن متزوجاً، ثم واصلتُ دراستي عنده بعد زواجي أيضاً».

سألته: على حدّ علمي إنكم ألفتم كتاب «مصباح الهداية» ـ وهو في العرفان ـ وعمركم (٢٧) سنة، وعندما أصبح عمركم (٢٩) عاماً كتبتم «شرح دعاء السحر»، ويقول البعض أنكم كتبتم كتاب «الأربعين حديثاً» قبل أن تتزوجوا والكتاب يشتمل علىٰ سبعة أحاديث في المسائل العقلية و(٣٣) حديثاً في الأخلاق؟ فقال: «لا أتذكر بالضبط، ولكن ما يبدو لي هو أنني كتبت أولاً الحاشية على حديث رأس الجالوت» ثم أضاف: «ولكن يمكن أن يكون الأمر كما تقول»[١].

لا ينام في الليل أكثر من ساعتين أو ثلاث

إضافة إلىٰ البيانات والخطابات؛ كان الإمام يكتب الكثير من الرسائل إلىٰ أرجاء البلد، ولا أنسىٰ ما نقله المرحوم الحاج السيد مصطفى بشأن أيام وقوع مشكلة جمعيات المدن والقرى [إحدىٰ اللوائح التشريعية التي أعدها النظام الملكي وضمنها بنوداً معارضة للإسلام تهدف إلى تحجيم دوره في المجتمع]، إذْ قال: لا ينام السيد أكثر من ساعتين أو ثلاث في الليل فيما يقوم في بقية الليل بكتابة الرسائل إلىٰ علماء البلاد وأستطيع القول أنه كتب مئات الرسائل إلىٰ القرىٰ وإلىٰ علماء المدن وبَيَّنَ فيها الأخطار التي تحدق بالعالم الإسلامي وكشف فيها دور إسرائيل وأميركا في إيجاد هذه الأخطار وأن هدفهما هو إبادة الإسلام، وكانت بعض هذه الرسائل تُطبع وتوزع فكان لها تأثيرٌ كبيرٌ وإنعكاس واسع، وأتذكر إحداها وهي التي وجهها الإمام للشيخ الفلسفي الذي قرأها من على منبر مسجد «أراك»، وكنت حاضراً في ذلك المجلس، وقد لاحظت كيف أن الناس قد توجهوا إليه بكل وجودهم بمجرد أن قال: أما رسالة آية اللّه الخميني فهي. . . ، فقد كان لرسائل الإمام تأثيرٌ قويٌ في الناس، وكان الإمام قد

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٦.

ختم هذه الرسالة بسورة الفيل كاملة، وعندما وصل الشيخ الفلسفي لقراءة هذه السورة سيطر الحماس على الناس وأخذوا يكررون الكلمة الأخيرة من الآية مراراً وبصوت واحد، فمثلاً عندما قرأ الشيخ الفلسفي قوله بأصحاب الفيل في تضليل أخذ الحاضرون بتكرار كلمات «الفيل» و«تضليل» مراراً، فكانت قراءة رسالة الإمام بصورة الأنشودة الجماعية في المسجد وأوجدت حالة حماسية قوية في الحاضرين[١].

يقوم في منتصف الليل لكتابة بيان

... فيما يرتبط بالسيرة الجهادية للإمام، فإنّ إنشغاله بالتدريس في النجف الأشرف لم يشغله عن متابعة أوضاع ايران بل كان يتابعها بدقةٍ، فكان يؤكد علينا باستمرار على إيصال الأخبار إليه بحكم كوننا كنا مسؤولين عن متابعة الشؤون السياسية، وكنا ننتبه أحياناً أنه نهض في منتصف الليل لكتابة بيان[٢].

لم أرَهُ فارغاً عن العمل ولا مرة

بلغت جدية الإمام في العمل وعلى الرغم من كبر سنِهِ إلىٰ درجةٍ لا يستطيع أحدٌ من المقربين منه أن يدعي بأنه رآه ـ ولو لمرة واحدة ـ فارغاً من القيام بعملٍ ما، وقد شاهدنا في هذه المدة التي كنا في خدمته أن لا محل في حياته لشيءٍ اسمه الاستراحة عن العمل في خدمة الناس والثورة الإسلامية؛ فلم يكن ثمة فرق عنده بين الصيف والشتاء والسبت والجمعة والعيد وغيره، كان في جميع أوقاته منشغلاً إما بالعبادة أو المطالعة العلمية أو قراءة التقارير المختلفة الواصلة إليه[٣].

---

(١) آية الله الخامنئي، مجلة (١٥ خرداد) الشهرية، العدد: ١٤.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الناصري، مجلة (بيام إنقلاب)، العدد: ٥٤.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

كان يعمل ليلَ نهار

عندما كان الإمام في فرنسا كان يعمل ليل نهار، ولم يكن يمر عليه يومٌ دون خطاب يلقيه أو مقابلة يجريها أو بيان يصدره، وكان الصحفيون الأجانب يقولون: لم نرَ مثل هذا الزعيم! لا يوجد مثله رجلُ دين يجلس في غرفة صغيرة لا تتجاوز ابعادها (٣×٢) أمتار، خالية من الخدم والحشم لكنه يحرك ايران كلها بكلماته[١].

يبدأُ عمله المتواصل بتلاوة القرآن

كان البرنامج اليومي للإمام أيام إقامته في باريس على النحو التالي: ينام يومياً بين أربع إلىٰ ست ساعات، فيما يقضي بقية الساعات في عملٍ متواصل، فكان يبدأ عادة بعد صلاة الفجر بتلاوة القرآن ثم قراءة التقارير والأخبار إلىٰ الساعة الثامنة صباحاً. وكان يجيب بنفسه على الرسائل التي تصله من أرجاء العالم، وكان ينام حدود الساعتين بعد طعام الظهيرة ثم يتابع أعماله إلىٰ وقت صلاة المغرب، ويواصل العمل بعد صلاة العشاء إلىٰ منتصف الليل، ويقول المقربون منه أنه كان يذهب إلىٰ فراشه للنوم في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل[٢].

يخصص وقتاً لمطالعة ترجمات الصحف

لم يكن الإمام ينام أكثر من أربع ساعات في اليوم، فكان يذهب إلىٰ فراشه في الساعة (١١) مساءً، لكننا كنا نسمع صوت الأوراق يأتي من غرفته في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، وكان ينبغي في آخر الليل إعداد التقارير الصحفية المترجمة التي لم تتوفر له ـ بسبب كثرة المشاغل ـ

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة حضور، العدد: ٣.

(٢) مراسل صحيفة إطلاعات الموفد إلىٰ نوفل لوشاتو سنة ١٩٧٨ م، صحيفة إطلاعات ١٣/ ١١/ ١٣٧١ هـ.ش.

فرصة قرائتها في النهار، لكي يطالعها مساءً في الساعات التي خصصها لها[١].

لا يترك عمله ويتوجه إلينا

ليس من عادة الإمام أن يترك عمله ويتوجه لمحادثتي دون برنامج معين إذا دخلت عليه لمجرد كوني إبنته! كلا، ليس في حياته مثل هذا، فنحن ندخل عليه فنسلم ونجلس وهو يتابع عمله، كقراءة الرسائل الواردة والتقارير الخبرية، أو الإستماع للإذاعة ومشاهدة التلفزيون، لكنه إذا عرف ـ بفراسته ـ أن لدينا أمراً مهماً نريد عرضه عليه ولم يكن التلفزيون يبث برنامجاً مهما، أطفأه وتوجه لنا وعلينا حينئذٍ أن نعرض سؤالنا بإيجاز ونحصل على الجواب في فترة وجيزة[٢].

لا يتخلىٰ عن مسؤولية العمل رغم شدة التعب

يقول أحد العاملين في خدمة الجمهورية الإسلامية: زرت الإمام يوماً وقلت له: لقد تعبتُ من العمل، إن أعمالي كثيرة لا أقدر على القيام بها، فاقبلوا إستقالتي وعينوا شخصاً في منصبي لكي استريح قليلاً. فقال في الجواب: «إذا كان بإمكان أحد أن يترك العمل ويتخلىٰ عن المسؤولية، فأنا الأولىٰ بذلك إذ أنني أحوج للإستراحة مع كبر سني وشدة تعبي»، فأصابني الخجل مما قلتُ والتزمت الصمت[٣].

ولا يترك العمل حتىٰ أثناء المشي

كان من بين فقرات البرنامج اليومي للإمام المشي لمدة (٤٠ ـ ٦٠)

---

(١) السيدة مرضية الحديدجي، مجلة (زن روز)، العدد: ٩٥٤.

(٢) السيدة زهراء المصطفوي، مجلة (شاهد بانوان)، العدد: ١٤٨.

(٣) السيد محمد جواد المهري، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٣٣.

دقيقة كل يوم وإلىٰ جانب قيامه بذلك كان يقوم بأعمالٍ أخرىٰ في الوقت نفسه، فأحياناً كان يستمع خلال المشي لأخبار الاذاعة، أو يقرأ، فنصحه الأطباء فيما بعد بأن يترك القراءة أثناء المشي فتركها لكنه كان يدأب في ذكر اللّه أثناء المشي، وطوال هذه السنين المديدة التي كنت خلالها في خدمته لا أتذكر أني رأيته ـ ولا لمرة واحدة ـ بدون عملٍ يقوم به[1].

خدمة الإسلام والمسلمين أهم من كل شيءٍ

ليعلم العاملين في خدمة الجمهورية الإسلامية في أي منصب أو موقع كانوا، أن خدماتهم المخلصة وصبرهم وتحملهم لمشاكل الثورة ومصاعبها، من أفضل الطاعات، وعليهم أن ينتبهوا متىٰ ما أصابهم التعب إلىٰ قول الإمام: «إذا فتشتم أرجاء العالم فلن تجدوا أحداً أشد تعباً مني، لكن خدمة الإسلام والمسلمين أهم من كل شيء»، فإن تذكر هذه الجملة كفيلٌ بأن يزيل عنهم التعب بل ولا يسمحون له بالنفوذ إلىٰ نفوسهم.

وكان الإمام قد قال هذه العبارة ضمن خطاب وجهه لقائد (الفرقة ٦٤ أرومية) في بداية إنتصار الثورة، وبعد الحادثة المفجعة التي وقعت في مدينة «نقدة» في محافظة آذربيجان الغربية بسبب خيانة بعض أعضاء الحكومة المؤقتة[2].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، صحيفة رسالت ٩/ ٣/ ١٣٧٢ [هـ.ش].

(٢) آية اللّه بني فضل، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٤٥.

الفصل الحادي عشر:

استثمار فرصة العمر

يحرص على الوقت

بعد أن عُرف الإمام إجتماعياً كمرجع وشخصية روحانية قيادية، أخذ الأهالي يتجمعون كل يوم وبكثرة عند المجسد الأعظم لكي يسلموا عليه ويقبلوا يديه بعد خروجه من الدرس، ولذلك وحرصاً على الوقت أخذ يستخدم سيارة الأجرة للمجيء إلى المسجد والعودة منه إلى المنزل[1].

يتعلم التركية ليواصل تبليغ رسالة ربه

بدأ الإمام بتعلم اللغة التركية فور وصوله إلى تركيا، فقد أراد من ذلك تبليغ رسالة ربّه بين الناطقين بها، وقد أثار إهتمامه المشهود بتعلمها الخوف في العقيد أفضلي ـ وهو من مسؤولي منظمة السافاك الأمنية والمسؤول عن مراقبة الإمام في تركيا ـ، وخشي أن يؤدي تعلمه التركية إلى تمكينه من متابعة معارضة النظام وتعبئة الأتراك ضده لذلك كتب في تقرير بعثه إلى مسؤوليه في طهران: «لا ينبغي أن يترك وحاله هنا»، فكانوا ينقلون الإمام كل يوم إلى مكان[2].

---

(١) آية الله يوسف الصانعي.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (دراسة وتحليل لنهضة الإمام الخميني)، ج٢.

لم يكن يسمح لأحد بتضييع وقته

لم يكن الإمام يسمح للصحفيين الذين يأتون لمقابلته بتضييع وقته إلىٰ أن يعدوا وسائلهم[١].

ويدعو الىٰ إحترام الوقت

يقول أحد السادة وهو مسؤول الأمور المالية في مكتب الإمام: طوال (٩ ـ ١٠) أعوام ـ وهي مدة إقامة الإمام في جمران ـ كان يستقبلنا في ساعة معينة كل صباح لمتابعة شؤون عمل المكتب، فإذا تأخرنا لعلةٍ إستدعانا بعد خمس دقائق. وكان أحياناً يستعد لإستقبال الزوار في اللقاءات العامة بعد إخباره بذلك لكنه يضطر إلىٰ الإنتظار دقائق قد تصل أحياناً إلىٰ عشرة لعدم إكتمال مقدمات اللقاء، فكان يعترض على ذلك وعلى إستدعائِهِ قبل إعداد مقدمات اللقاءات، كما كان يعترض إذا بقي بعض الأشخاص في اللقاءات الخاصة أكثر من الوقت المخصص لهم ويؤكد لزوم الإلتزام بالوقت المخصص دون زيادة ولا نقصان[٢].

كان يستفيد من عمره بالحد الأقصىٰ

كان الإمام يستفيد من أبسط فرصةٍ للمطالعة والكتابة أو العبادات الأخرىٰ المذكورة، ولو قسمنا مؤلفاته المطبوعة فقط على أيام عمره المبارك لعرفنا جيداً شدة إستفادته من ساعات بل دقائق عمره، رغم أنه لم يكن من أهل كثرة الكتابة؛ بل كان يستفيد حتىٰ من النصف ساعة التي خصصها للمشي في الصباح والمساء بتوصية من الأطباء في الآونة الأخيرة، فخصص لها أدعية وأذكار يتلوها أثناء المشي لكي يقرن المشي

(١) السيدة مرضية الحديدجي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٤.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين إمام الجمراني، صحيفة جمهوري إسلامي، الملحق الخاص بمناسبة مرور أربعين يوماً علىٰ وفاة الإمام.

بالتعبد والذكر، كما كان عادة يتلو ذكري اللعن والسلام الواردين في زيارة عاشوراء مائة مرة لكل منهما أثناء المشي في الأيام التي يقرأ فيها هذه الزيارة[1].

يقوم بعدة أعمالٍ في آنٍ واحد

كثيراً ما كان الإمام يقوم في آن واحد بعدة أعمال، فمثلاً إستدعاني يوماً لأمر في أوائل الشهر الأول من سنة ١٣٦٨ [هـ.ش، ، آذار ١٩٨٩م]، فدخلتُ عليه بعد ساعة من غروب الشمس، وكان منشغلاً بتعقيبات صلاة العشاء والمسبحة في يده وقد نام على ظهره وهو يقوم برفع قدميه ووضعهما طبقاً لما أوصاه الأطباء، ويتفرج على ما يبثه التلفزيون وقد خفض صوته لكي يستمع للإذاعة، دون أن يمنعه كل ذلك من مداعبة حفيده علي الذي اضطجع إلىٰ جانبه مقلداً لحركاته[2].

عمر الامام مبارك

يمكن القول بأن العمر الحقيقي للإمام ليس (٨٧) عاماً، فقد إستفاد منه بضعفِ سعته، إذ شاهدناه مراراً يقوم بعدة أعمال في وقت واحد، فمثلاً كان يأخذ بيدِ المسبحة وينشغل بذكر اللّه ويأخذ بالأخرىٰ المذياع للتعرف ـ بواسطة الإستماع للأخبار ـ على الأوضاع الداخلية والخارجية، يقوم بكل ذلك أثناء المشي الذي كان يقوم به عصراً كرياضة لحفظ سلامته[3].

حدثني بأمرٍ يستغرق دقيقةً واحدة

لم يمكن الإمام يسمح أبداً أن يضيع وقته، وقد رأينا مراراً كيف أنه

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الرسولي المحلاتي، مجلة حوزة، العدد المزدوج : ٣٧ ـ ٣٨.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين رحيمیان.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين رحيمیان.

يستثمر الدقائق القليلة التي تذهب هدراً عادةً قبل إعداد مائدة الطعام، فكان يقوم فيها بتلاوة القرآن أو القراءة، وقد دخلت عليه مرةً لعمل فلما انتهىٰ نظر إلىٰ ساعته وقال: «هل يمكنك أن تحدثني بأمرٍ يستغرق دقيقة واحدة فقط؟»، لكن هذه الدقيقة إنتهت قبل أن أعثر علىٰ ما طلبه، ثم فتح المذياع في الوقت المقرر لسماعه موجز الأخبار فأدركتُ أنه إنما أراد بطلبه أن لا تضيع حتى الدقيقة الواحدة قبل موعد الأخبار[1].

ليس لديه وقت ضائع

لا يجلس الإمام في منزله ولا دقيقة واحدة دون عمل فهو إما يستمع للمذياع أو يتفرج على التلفاز أو يقرأ الرسائل والتقارير الواصلة إليه، وكان يصطحب المذياع حتىٰ في الحمام ويعلقه على كتفه عند الوضوء. أستطيع القول بثقةٍ أنه ليس لديه أي وقتٍ ضائعٍ أبداً[2].

يستثمر حتىٰ الدقيقتين لتلاوة القرآن

كان الإمام يستثمر حتىٰ الفرصة القليلة التي لم تكن تتجاوز أحياناً الدقيقتين لتلاوة القرآن بين إنتهاء صلاة العصر وبين إحضار طعام الظهيرة[3].

يستفيد من جميع أوقاته

كان الإمام يستفيد بدقةٍ من جميع أوقاته، فمثلاً إذا أوصاه الأطباء بالمشي من أجل سلامته، كان يقوم أثناء المشي بعملٍ مفيد آخر، فخلال مشي الصباح كان يستمع لمداولات مجلس الشورىٰ عبر المذياع، ويستمع

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردي، ملحق صحيفة سلام، ١٢/ ٣/ ١٣٧٢ [هـ.ش].

(٢) السيدة زهراء المصطفوي، مجلة (شاهد بانران)، العدد: ١٤٨.

(٣) السيدة مرضية الحديدجي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٤.

خلال مشي العصر للإذاعات الأجنبية أو يطالع الصحف المسائية، فهو يقوم بعملين على الأقل في آن واحد، يعمل بتوصيات الأطباء ويطّلع على تطورات الأوضاع[1].

لم يغفل عن العمل الصالح في أصعب الظروف

لم يغفل الإمام حتىٰ في الليلة التي سبقت إجراء العملية الجراحية له وحيث كان راقداً على فراش المرض وقد اشتد به الضعف وكان المغذي الطبي موصولاً به ـ لم يغفل عن المطالعة وتلاوة القرآن والتهجد وإقامة صلاة الليل، فلم يكن يرضىٰ أن تضيع منه أي فرصة مهما كانت قصيرة[2].

(١) الدكتور حسن العارفي.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الرسول المحلاتي، مجلة حوزة، العدد المزدوج، ٣٧ ـ ٣٨.

الفصل الثاني عشر:

الذكاء والدقة واليقظة والفراسة

لم أرَ أذكىٰ من الإمام

لم أرَ طوال عمري شخصاً أذكىٰ من الإمام، ويُنقل أنه كان يتمتع بدرجةٍ عالية من الفراسة والذكاء تجعله يعرف ما يدور في ضمير الإنسان وذهنه لذلك لم يكن بالإمكان الإلتزام بغير الصدق في محضره[1].

يحل مسألة رياضية معقدة

بعد أن بلغ الإمام مرتبة الإجتهاد، طرحت في العالم مسألة رياضية معقدة، قيل أنه لم يستطع أن يحلها في ايران سوىٰ شخصٌ واحدٌ هو السيد روح اللّه الخميني، وتقولُ هذه المسألة الرياضية التي طرحها أحد علماء الرياضيات: إذا كان لدينا ثلاث قبعات خضر وقبعتان بلون أصفر وواحدة بيضاء وكنا في الظلام المطلق وقد وضع شخص إحداها على رأسه فكيف نعرف لون هذه القبعة؟ وقد حلَّ الإمام هذه المسألة دون الإستعانة بالقلم والورقة للحساب، الأمر الذي أثار موجة قوية من الإعجاب[2].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين إمام الجمراني صحيفة جمهوري إسلامي الملحق الخاص بمناسبة أربعينية الإمام الخميني.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين المسعودي الخميني، من خطاب له في جبهات القتال إبان الحرب المفروضة.

يكتفي لفهم المطالب الصعبة بالإصغاء

يقولُ أحد زملاء الإمام في الدراسة: عندما انتقلنا من خمين إلىٰ أراك للدراسة فيها، كان الإمام يكتفي بالإصغاء للأستاذ أثناء الدرس دون أن يحتاج إلىٰ المطالعة الإضافية أو مباحثة الآخرين، في حين كان بقية الطلبة يبذلون جهوداً مضنية مضاعفة لتعلم الدرس فإذا حضروا في اليوم التالي وجدوا الإمام أفضل منهم في إستيعاب الدرس وفهمه، لقد كان مُذ ذاك يتمتع بذكاء وقوة حفظ وإستعداد من الدرجة العليا[1].

يجيب على الاشكالات العلمية بداهةً

كان الإمام جدياً للغاية في تدريسه ودقيقاً ومتعمقاً في مطالعاته العلمية، فإذا حضر لإلقاء الدرس كان محيطاً بالكامل بجميع أبعاده، فإذا طرح الطلبة أسئلتهم العلمية ـ أو إشكالاتهم حسب الإصطلاح الحوزوي ـ عليه أجابهم ببداهةٍ واستيعاب كامل، ولا أتذكر أنني سمعت الإمام ـ ولا لمرة واحدة طوال مدة حضوري لدرسه ـ يقول في الإجابة على إشكال يُعرض عليه: «ينبغي أن أبحث فيه ثم أجيبكم»؛ ولهذا الأمر دلالة أخرىٰ على قوة البداهة وذكاء الإمام الإستثنائي[2].

أفهم ما يريده قبل أن يتم كلامه

إمتاز الإمام بنظرةٍ عميقة ثاقبة وفراسة خاصة ليس في تعامله مع نظام الشاه وحسب بل مع كل شخصٍ أو حزب أو مجموعة كان يتعامل معها، فكان يتعرف من أول تعامل على هوية كل طرف وهدفه، وقد سمعتُ أخي الشهيد السيد مصطفىٰ ينقل عن الإمام قوله: «أحياناً، عندما يأتي

---

(١) المصدر السابق.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الهاشمي الرفسنجاني، مجلة (ندا)، العدد الأول.

شخصٌ إليّ ويريد التحدث عن أمر، فإنني أفهم قبل أن يتم كلامَهُ ما يريده وما يخطط له وما سيحصل عليه من لقائِهِ بي»[١].

جاء من أجل التحقيق في الأمر

كان الإمام يتحلىٰ بذكاءٍ فريد. جاء المرحوم السيد اللواساني لزيارته عندما كان تحت الإقامة الإجبارية في منطقة «قيطرية»، ولم يكن يُسمح يومئذٍ بزيارته إلا لعدد محدد من الأشخاص منهم السيد آللواساني الذي كان يشبه الإمام كثيراً ولم يكن رئيس حراس البيت وأعضاء منظمة السافاك قد رأوا السيد اللواساني من قبل، لذلك فإنّ رئيس الحراس إستأذن للدخول على الإمام وتقبيل يده بعد أن دخل عليه السيد اللواساني، وبعد أن دخل وقبّلَ يد الإمام برك على ركبتيه وأخذ ينظر إلىٰ وجه الإمام تارةً وإلىٰ وجه السيد اللواساني تارة أخرىٰ، ثم خرج من الغرفة بعد بضع دقائق فقال الإمام: «لقد دخل هذا الرجل من أجل أن يتعرف على أوجه الشبه والتمايز فيما بيننا»؛ وعندما حققنا في الأمر لاحقاً أدركنا صحة ما قاله الإمام، واتضح أن الحراس أصيبوا بالقلب عندما رأوا السيد اللواساني إذْ تصوروا أن الإمام قد خرج من المنزل ثم عاد، فجاء رئيسهم للتحقيق في الأمر[٢].

كأن الله الهمني أن أقول

نقلت حافلات شركة النقل الداخلي لمدينة طهران أفراد القوات الملكية الخاصة إلىٰ قم، كما وصل إليها أعضاء منظمة الأمن (السافاك) وهم يسعون لتنفيذ خطةٍ معدة مسبقاً، وأتذكر جيداً أن الإمام كان جالساً في زاويةٍ من منزله عندما جاء المرحوم الشهيد مهدي العراقي وقال له شيئاً في أُذُنه، وكان ذلك

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج١.

(٢) الدكتور محمود البروجردي، المصدر السابق، ج٣.

في اليوم الثاني من شهر فروردين الذي وافق يوم ذكرىٰ إستشهاد الإمام الصادق عليه السلام ، فقال الإمام شيئاً للشيخ صادق الخلخالي ليبلغه للجميع ففعل: وكان ذلك بعد أن عمد عملاء السافاك الحاضرين في المجلس إلىٰ رفع أصواتهم بالصلوات على محمد وآله. . ، فقال المرحوم الحاج مهدي العراقي للإمام: أظن أن هذا الأمر مؤامرة فإنني الاحظ حضور عدد من المشبوهين في المجلس، أما الكلمة التي قالها الإمام للشيخ الخلخالي لكي يبلغها للجميع، فإني أتذكرها جيداً، وقد سألتُ الإمام عنها فيما بعد فقال: «كأن اللّه ألهمني أن أقول هذه الجملة»، وكانت الجملة هي: «أبلغو هؤلاء؛ أنهم لو استمروا في إطلاق الشعارات في هذا المجلس فإنني سأذهب إلىٰ الحرم المطهر [لمرقد السيدة فاطمة بنت الإمام الكاظم عليه السلام] وأصدع بكلامي عبر مكبرات الصوت المنصوبة فيه»: أضاف: «لقد انقدح في ذهني فجأة أن أقول ذلك»، ولما سمع عملاء السافاك هذا القول غادروا المسجد فوراً، ثم وقعت في عصر ذلك اليوم فاجعة مدرسة الفيضية، يقول الإمام: «كانت مهمتهم إرتكاب هذه المجزرة في المنزل، ولكن عندما أعلن الشيخ الخلخالي قولي هذا، إضطرب وضعهم ولم يعرفوا ما ينبغي لهم أن يفعلوه، فاتصلوا بطهران من أجل ذلك. وكان مجلس العزاء المنعقد في المنزل قد إنتهىٰ، لذلك فكروا بارتكاب المجزرة في مكانٍ آخر، وقد ارتكبوها». وقد قال أحد أولئك العملاء فيما بعد: لقد أصابتنا الحيرة إثر الإعلان عن موقف الإمام هذا، إذْ كان علينا أن نستلم الأوامر من طهران بشأن ما بنبغي أن نفعله[1].

أحبط بفراسته المؤامرة الملكية

كان نظام الشاه يسعىٰ ـ قبل إنتفاضة ١٥ خرداد ١٣٤٢ [هـ.ش، ٥/ حزيران/ ١٣٦٣] ـ إلىٰ فبركة وثائق لإدانةِ الإمام، وضمن هذا السياق، جاء لزيارته ـ وبوساطة أحد علماء الدين الإيرانيين ـ شخصٌ عرّف نفسه

---

(١) الدكتور محمود البروجردي، مجلة (ندا)، العدد الأول.

بأنه دبلوماسي مصري مقيم في لبنان وقال: إنني مبعوث من قبل الرئيس جمال عبد الناصر لأرفعَ لسماحتكم آيات شكره وتقديره لجهادكم ضد إسرائيل، ولكي أبلغكم إستعداده الكامل لتقديم جميع أشكال الدعم والمساعدة ـ من الأموال والسلاح وغيرها ـ لكم لمواصلة جهادكم المقدس في هذا الطريق حتىٰ تحقيق النصر.

أجاب الإمام على هذا العرض بقوله: «إن جهادنا من الشؤون الداخلية لبلدنا ولا حاجة لأي مساعدة أو تدخل من قبل الآخرين لمواصلته». وفيما بعد عرف الإمام عندما كان في السجن، أن هذا المبعوث الذي ادعىٰ أنه دبلوماسي مصري إنما جاء موفداً من قبل حكومة الشاه لإيجاد ذريعة تستغلها لضرب الإمام، فأحبط الإمام هذه المؤامرة بيقظته وفراسته(١).

إحتفظي بهذا الختم

عندما هجموا على منزلنا لاعتقال الوالد، أعطىٰ الإمام ختمه لوالدتي وقال لها: «إحتفظي بهذا الختم، فإذا أرسلتُ لك في طلبه فابعثيه لي»، لذلك أخفت والدتي الختم لكي لا يكتب أحدٌ شيئاً ويختمه به، ولم نكن حتىٰ نحن نعرف بذلك؛ إلىٰ أن استقر في النجف بعد نفيه إلىٰ تركيا، فبعث إليها رسولاً لكي يتسلم الختم منها فسلمته له(٢).

يزيدون وينقصون في كلامي

إمتاز الإمام بأنه لم يكن يقبل بإجراء لقاءات خاصة على إنفراد، وكان يعلل ذلك بقوله: «إن بعضهم يزيدون وينقصون في كلامي»، ولذلك كان يستدعي إثنين أو ثلاثة من السادة أو من طلبته فيحضرون عنده أثناء عقد اللقاء(٣).

---

(١) مجلة (شاهد بانوان)، شهر إسفند سنة ١٣٧٠ هـ.ش.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (آشنا)، العدد التجريبي الأول.

(٣) آية الله الخلخالي، صحيفة إطلاعات، ٣/ ٤/ ١٣٦٨ [هـ.ش].

ليس لدينا مكان خلوة!

لم يكن الإمام يلتقي بأي من المسؤولين على انفراد، فإذا طلبوا ذلك رفض وقال: «ليس لدينا مكان خلوة»، وكان هدفه هو قطع طريق إدعائِهم لأشياء خلاف الواقع لأنهم سيصطدمون بتكذيب الشهود الذين يحضرون اللقاء لمزاعمهم[1].

هؤلاء يريدون الفرار من الحساب الشرعي

تم عزل الحاج السيد أبي الفضل مصباح من مسؤولية سدانة حرم السيدة المعصومة فاطمة بنت الإمام الكاظم عليه السلام بسبب تأييده للإمام، ثم ذهب ـ وكان من الأثرياء ـ إلىٰ باريس وزار الإمام وقال له: إن عندي (٨٦) مليون تومان وأريد أن أقدمها لسماحتكم، فهذه هي الأيام الأخيرة من عمري. ويبدو أن أحد الأشخاص كان قد شجعه على ذلك لكي يستطيع الإمام زيادة طلبة الحوزة، وكان هذا المبلغ كبيراً يومئذٍ، ولكن الإمام رفض قبولَهُ وشكر السيد مصباح، فتعجبتُ من ذلك وسألته عن سبب رفضه فقال: «إنهم يتهموننا ويتهمون نهضتنا بالإرتباط بالرأسماليين والإقطاعيين رغم أننا لم نأخذ منهم شيئاً، فكيف سيكون الحال لو قبلنا أن نأخذ من الأثرياء مالاً؟!».

وكان الإمام بعد انتصار الثورة الإسلامية يرفض إستلام المبالغ الضخمة التي كان يأتي بها بعضهم ويقول: «إن هؤلاء لم يدفعوا ما عليهم من الحقوق الشرعية (حقوق اللّه وحقوق الناس)، ويريدون من دفع هذه المبالغ الفرار من الحساب الشرعي»[2].

أدركتُ أنهم اعتقلوا مصطفىٰ

بتاريخ ١٣٤٣/٩/٢٩ [هـ.ش، ١٩٦٤م] وصل المرحوم آية اللّه

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين حسين العادلي، مجلة (إطلاعات هفتكي)، العدد: ٢٤٤٢.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين أحمد الخميني، موسوعة كوثر، ج١.

السيد الخوانساري إلىٰ اسطنبول وزار الإمام، وقد ورد في تقرير منظمة الأمن (السافاك) بشأن هذا اللقاء: . . .ثم جرىٰ الحديث عن وضع عائلة الخميني، فأبلغ الخوانساري سلامها إلىٰ الخميني وأخبره عن سلامتها، ثم سأله الخميني عن حال ولده مصطفىٰ، فقال السيد الخوانساري: إنه في طهران، فقال الخميني: «أعلم أنه في طهران، ولكن في أي مكانٍ من طهران؟»، فقال الخوانساري: وهل انت على علم باعتقاله؟! قال: «قبل فترة كتبتُ رسالة إلىٰ عائلتي بموافقة المنظمةً، فقالوا في رسالتهم الجوابية: السيد مصطفى يستريح الآن. فعلمتُ من ذلك أنهم اعتقلوه»[1].

أحبط بذكاء خطة العقيد

بعد إطلاق سراح الإمام من الإقامة الجبرية في قيطرية طهران، أراد العقيد المولوي معاون رئيس منظمة السافاك في طهران أن يجلس في السيارة إلىٰ جانب الإمام لكي يوهم الناس بأن الخلافات قد انتهت، ولكن الإمام أحبط هذا المسعىٰ بذكاء، إذْ تجاهل ووضع إلىٰ جواره على مقعد السيارة «سماوراً» لكي لا يستطيع العقيد مولوي الجلوس إلىٰ جانبه[2].

.. بل أردتم أن تخبروني بوجود مثل هذه الزنزات!

عندما نقلوا الإمام إلىٰ طهران حبسوه لمدة (١٩) يوماً في مكانٍ ثم نقلوه إلىٰ زنزانة إنفرادية بقي فيها يوماً كاملاً، وقد قال عنها فيما بعد: «كان طولها أربعة أقدام ونصف، وقد أخذت أتمشىٰ فيها طبق برنامجي اليومي على مدىٰ ثلاث فترات، كل فترة نصف ساعة»؛ ثم نقلوه إلى منزلٍ يشتمل على غرفة واحدة وساحة صغيرة فيها حوض ماء صغير، فجاء إليه المدعو «باكروان» والذي أُعدم فيما بعد وقال له معتذراً: أعذرنا

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين حميد الروحاني، كتاب (دراسة وتحليل الإمام الخميني)، ج٢.

(٢) موسوعة كوثر، ج١، والسماور هو الجهاز الذي يستخدم لغلي الماء بهدف إعداد الشاي.

يا سيدي، لم يكن هذا المنزل قد إكتمل إعداده لذلك إضطررنا إلىٰ نقلكم الليلة الماضية إلىٰ تلك الزنزانة! فقال له الإمام: «كلا، بل أردتم أن تخبروني بوجود مثل هذه الزنزانات»[1]!!

لم ترغبوا في أن أكون بين الناس

نقل الإمام يوماً حادثة نفيه إلىٰ تركيا على النحو التالي: «نقلوني إلىٰ المطار مباشرة، وعندما صعدنا الطائرة وجدنا أنهم فرشوا لنا ملحفةً صوفية على قسمٍ من أرضية الطائرة ورتبوها لجلوسنا، وكانت طائرة نقل بضائع، فاعتذروا قائلين: لقد اضطررنا حرصاً على السرعة إلىٰ نقلكم بهذه الطائرة لعدم وجود طائرة نقل ركاب مستعدة للتحليق، فقلت لهم: ليس الأمر كذلك، بل لم ترغبوا في أن أكون بين الناس»[2].

في عودتي الصلاح الكامل

عندما شاع الحديث عن عزم الإمام على العودة إلىٰ ايران، بدأت مساعٍ حثيثة من طرق عدة لصده عن ذلك وأطلقت تحديدات تقول: ينبغي للإمام أنْ يجتنب العودة إلىٰ ايران حفظاً لحياتِهِ وحياة أبناء الشعب ولذلك قال بعضهم: أن الصلاح في أن لا يعود الآن فقال: «بل إن في عودتي الصلاح الكامل، لأن أميركا لا تريد لي ولا للشعب ولا للثورة ولا لإيران الصلاح»[3].

عدم السماح للطفيليين بالتدخل

كان الصحفيون الذين يسعون لمعرفة حقائق الأمور والإطلاع بدقةٍ على آراء الإمام يرفضون بحزم إجراء مقابلات مع الذين كانوا يحيطون

---

(١) الدكتور محمود البروجردي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الهاشمي الرفسنجاني، صحيفة جمهوري إسلامي، ١٣/١١/١٣٥٩ هـ.ش.

بالإمام، فهم كانوا يعرفون أن كتابة آراء هؤلاء لا تفيدهم بشيء لأنها لا تعبر عن آراء ومواقف الإمام الفكرية والسياسية ولا تكشف عن التحركات السياسية والإجتماعية للشعب الايراني، فآراء الإمام ومواقفه كان يبينها بنفسه ولا يستطيع القيام بذلك غيره، كما أن تحركات الجماهير في ايران كانت تتبع أوامره شخصياً لا أوامر غيرِهِ أيا كان.

ولذلك كان هؤلاء الصحفيون يتعرفون على آراء الإمام ومواقفه وخطواته في التحرك من خلال إجراء المقابلات معه مباشرةً أو مطالعة خطاباته وبياناته في المناسبات الخاصة مثل أيام التاسع والعاشر من المحرم أو من الرسائل التي كان يبعثها للشعب الإيراني أو لبعض العلماء، وكانت النتيجة كثرة طلباتهم لإجراء مقابلات صحفية مع الإمام، فكانت هذه المقابلات تستنزف قسماً كبيراً من وقته، ولكن الإمام كان يسمح بذلك، إذْ أنه بنظرته النيرة لم يسمح لهؤلاء الصحفيين الدوليين الماهرين الذين اعتادوا أن يصنعوا من القشةِ جبلاً، لم يسمح لهم بتوجيه أضعف ضربة لتحركات النهضة والثورة الإسلامية أو ترويج أبسط التصورات الخاطئة التي قد تؤثر على مسيرة نهضته من خلال عرض تقارير غير صحيحة عن آرائِهِ ومواقفه. وكان إذا بلغه صدور بعض المواقف غير السليمة من هذا الطرف أو ذاك بادر إلىٰ الإشارة إليها وتفنيدها من خلال إصدار بيان أو إلقاءِ خطاب أو إجراء مقابلة صحفية. وأقول بلغة صريحة واضحة: ان الإمام لم يكن يسمح في تلك الأيام لأيّ فضولي بالتدخل تطفلاً في شؤون قيادة الثورة[1].

من الأفضل أن أبقىٰ يقظاً

يقول السيد [الإمام] بشأن حوادث مقبرة جنة الزهراء عليها السلام [أثناء

---

(١) الدكتور حسن حبيبي، صحيفة إطلاعات، ١٩/ ٧/ ١٣٦٠ هـ.ش.

زيارته لها إثر عودته إلىٰ ايران]: «كادت روحي تزهق اليوم بسبب شدة لطف الناس بي! لقد انتبهت إلىٰ أنني بلا عمامة ولا حذاء ولا عباءة، وكدت أفقد الوعي، ويبدو أن المحيطين بي قد إلتفتوا لحالي فأخذوا يصرخون بالناس لكي لا يتدافعوا نحوي ولكن دون جدوىٰ، رفعوني على الأيدي وأدخلوني سيارة الإسعاف وهناك كدتُ أفقد الوعي بالكامل، فالتفت ـ وأنا في تلك الحالة ـ إلىٰ شخص وبيده قطنة يريدُ وضعها على أنفي، ولم أكن أعرف هل هو صديق أو عدو، فرأيت أن من الأفضل أن أبقىٰ يقظاً لكي لا يقتلوني ـ إذا كان هذا الشخص عدواً ـ وأنا فاقد الوعي، لذلك أشرت بيدي التي قد استولىٰ عليها الضعف أن يبعد تلك القطنة عني ففعل. . . . »[١]

ينبغي أن يكون الرقم أكبر من هذا بكثير

في الأيام الأولىٰ للحرب كنت يوماً عند الإمام فقال لي: «حققوا في عدد ما لدينا من البنادق وأخبروني بالنتيجة». فذهبت وجمعت القادة العسكريين كلهم وأخبرتهم بأمر الإمام، فتم إبلاغ مختلف صنوف القوات: البرية والجوية والدرك وغيرها، فأعطونا إحصائية بذلك ولو ذكرت الرقم الآن لضحكتم تعجباً من قلته لكنني إقتنعت به لأنني تصورته عدداً كبيراً فقد كنا في بدايات الحرب ولم نطلع بعد على الأرقام الحقيقية للسلاح والعتاد والأفراد، على أي حال قدموا لي إحصائية بوجود عدة آلاف من البنادق فدخلت على الإمام وقرأت له الأرقام وما عند كل صنف من الجيش من البنادق، فقال بعد قليل من التأمل: «ينبغي أن يكون الموجود منها أكثر من هذا الرقم بكثير»، تعجبت من ثقته وهو يجزم بهذا القول ثم إنتقل الىٰ حديث آخر وقال: «إعلموا أن السلاح الذي أدخر في البلد أُعد لمواجهة قوة كبرىٰ مثل روسيا، فينبغي أن يكون أكثر بكثير من

---

(١) السيدة زهراء المصطفوي، مجل (شاهد بانوان)، العدد: ١٦٧.

هذه الأرقام. إذهبوا وابحثوا عن الأسلحة والعتاد حتىٰ تعثروا عليها»[1].

لستُ أنا المقصود من قولهم «الامام»

كانت الأيام الأولىٰ من سنة ١٣٥٨ [هـ.ش، ١٩٧٩م] مفعمة بالحلاوة والمرارة أيضاً، وسبب المرارة هي التحركات والفتن التي كانت تقوم بها بعض المجاميع والأحزاب والعلمانيين وذوي التعصبات القومية للمطالبة بسهمها المزعوم من مكاسب الثورة. في أحد تلك الأيام ذهبت بمعية الوالد المبجل لزيارة حرم السيدة المعصومة [فاطمة بنت الإمام الكاظم عليه السلام] وزيارة الإمام الذي كان يومها مقيماً في قم، وكان عددٌ من الأهالي معظمهم من مؤيدي السيد الشريعتمداري قد أخذوا بالتظاهر في المدينة مُنذ ساعات الصباح الأولىٰ لذلك اليوم، وأخذ عددهم يزداد حتىٰ بلغ حدود الألفين قبيل الظهر، فتوجهوا ـ وكان بعضهم يحملون العصي ـ نحو الحرم وكان يبدو أنهم يريدون التجمع عند مبنىٰ دار التبليغ.

وعند إرتفاع أذان الظهر قام الإمام كعادته لصلاة الظهرين، وبعد دقائق دخل أحد أعضاء مكتب الإمام ـ وأظنه كان الأخ الكريم سماحة حجة الإسلام الشيخ الصانعي ـ وأراد إخبار الإمام بأمرٍ رجّح أن أنقله إليه بنفسي، قال لي: قُلْ للإمام إن أكثر المتظاهرين قد اجتمعوا حول مبنىٰ دار التبليغ وقد أعلنوا عبر مكبرات الصوت التابعة لهذا المبنىٰ: لو أمرنا الإمام بالرجوع إلىٰ منازلنا فسنطيع أمره. فاطلب منه أن يخبرنا برأيه فإن كان موافقاً ذهبنا وأعلنا إجازته لهم بالعودة إلىٰ المنازل.

فدخلت على السيد وكان منشغلاً بتعقيبات صلاة الظهر، فأخبرته بالأمر بدقةٍ فقال لي: «لست أنا المقصود من قولهم «الإمام»، لا حاجة

(١) آية الله الخامنئي، صحيفة جمهوري إسلامي، ٣/ ٧/ ١٣٦٢، وكان السيد الخامنئي يومها ممثل الإمام الخميني في مجلس الدفاع الأعلىٰ.

للإجازة». فخرجت ونقلتُ للشيخ الصانعي نص جواب الإمام، فأراد الإطمئنان بنفسه فدخل على الإمام ـ الذي لم يكن قد بدأ صلاة العصر بعد ـ وعرض عليه الأمر فقال: «لقد قلت: لست أنا المقصود من قولهم «الإمام»»، فعدنا معاً ولم تمر أكثر من دقيقتين حتىٰ إرتفعت أصوات من مكبرات صوت دار التبليغ وهي تقول: لقد قال الإمام الشريعتمداري: إرجعوا إلىٰ منازلكم، أجركم على الله! فعرفنا معنىٰ كلمة الإمام[1].

حنكته في كشف الأدعياء

. . .إحدى كرامات الإمام ما ارتبط بادعاءِ عدة للعرفان والإرتباط بإمام الزمان ـ عجل الله فرجه ـ، فبعد سماعهم لهذا الإدعاء رأىٰ بعض مسؤولي الدولة ضرورة الكشف عن حقيقة هذا الإدعاء، فإن كان هؤلاء المدعين كاذبين أُعلن ذلك لكي لا يقع أحدٌ بسببهم في الضلالة، فتوسط اثنين من مسؤولي الدولة في الحصول على موعد لهؤلاء المدعين للقاء بالإمام الذي عرف بفراسته مُنذ اللحظة الأولىٰ أنهم من أهل الرياء ولكشف حقيقتهم للآخرين طرح عليهم ثلاثة أسئلة وقال لهم: «إن كنتم على إتصال بإمام الزمان ـ عجل الله فرجه ـ فاعرضوا عليه الأسئلة التالية وأتوني بالجواب: ـ

اسألوه أولاً: ما هي الصورة الموجودة في منزلي والتي أحبها كثيراً؟ وثانياً؛ ما هي طبيعة إرتباط الحادث بالقديم (وهذه مسألة علمية)، وثالثاً: اسألوه عن شيءٍ أضعته وأنا أبحث عنه فأين أجد ضالتي؟»! فاتضح بعد مدة إنحراف هؤلاء الأدعياء الذين زعموا أنهم على اتصال بإمام الزمان عليه السلام إذْ عجزوا عن الحصول عن أجوبة هذه الأسئلة[2].

---

(١) السيد علي الثقفي، شقيق زوجة الإمام.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الآشتياني، مجلة (مرزداران)، العدد: ٨٦.

يتسلم الاشارات بدقةٍ وعمق

من الطبيعي أن النشاط الذهني للإنسان يضعف إذا تقدم في العمر فتقل قدرته على الفهم السريع للمسائل، أما الإمام فلم تصبه هذه الحالة أبداً وحتىٰ في الدقائق الأخيرة من عمره فإنني كلما زرته وجدته في سرعة الفهم وإدراك القضايا كشاب ابن اثنين وعشرين سنة وليس كشيخٍ طاعنٍ في السن، لذلك استغنيتُ عن تقديم التوضيحات المفصلة التي كنتُ أعرضها عليه في البداية عند رفع تقاريري له، وأخذتُ أكتفي بإشاراتٍ مقتضبة كان يستلمها بدقةٍ وعمق[1].

الدقة في دراسة الاحتمالات المختلفة

بعد إستشهاد السيدين الرجائي وباهنر في شهريور سنة ١٣٦٠ [هـ. ش، آب ١٩٨١م]، زرت يوماً الإمام ـ وكنتُ يومها وزيراً للخارجية ـ وأخبرته بقضية عزمي على الذهاب إلىٰ منظمة الأمم المتحدة للإشتراك في إجتماعاتها للمرة الأولى فقال: «لست معارضاً لأصل هذا الأمر، ولكنكم هل فكرتم مسبقاً في إمكانية منعهم لكم عن قولٍ ما تريدون؟»، قدمتُ بعض التوضيحات وقلتُ: ظواهر الأمور لا تبعث على الإطمئنان من ذلك، فقال: «هل فكرتم مثلاً باحتمال قيامهم بقطعهم لأسلاك مكبرات الصوت عند وقوفكم خلف المنصة لإلقاء خطابكم، فيوجهون بذلك إهانة لكم؟»، وقد هزتني دقة الإمام في دراسة الإحتمالات المختلفة التي لا ينتبه لها الآخرون[2].

لولا أن هدانا الله

زرتُ الإمام يوماً بمعيةِ عدد من القادة الميدانيين لقوات الحرس،

---

(١) السيد المهندس ميرحسين الموسوي، مجلة حوزة، العدد: ٣٧ ـ ٣٨.

(٢) السيد ميرحسين الموسوي، مجلة حضور، العدد: ٢.

فاستأذنته في بداية اللقاء في التكلم في تعريف الحاضرين له، وبدأت حديثي المختصر تبركاً بالآية الكريمة: ﴿**الحمدللّه الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه**﴾ [الأعراف: ٤٣]، لكنني سهوت في تلاوتها وقلت: لولا هدانا اللّه، فصحح الإمام قولي فوراً وقال ﴿**لولا أن هدانا اللّه**﴾[١].

نبهني الإمام إلىٰ تلك المفارقة

كنتُ في أوائل إنتصار الثورة الناطق باسم الطلبة الجامعيين السائرين على نهج الإمام، وقد ظهرت مراراً في مقابلات تلفزيونية في مبنىٰ وكر الجاسوسية (السفارة الأميريكية) خلال قضية إحتلالها، وأنا أرتدي معطفاً من صنع أميريكي دون أن أنتبه لهذه المفارقة، إلىٰ أن انتبهت لذلك عندما قال الإمام ـ الذي كان يتحلىٰ بدقةٍ عالية ـ: «هل أنّ ما يرتديه هذا السيد من صنعِ وطني؟»[٢].

لا يخدعكم ببكائِهِ إنه يكذب

ضمن متابعتي لقضية مهدي الهاشمي، زرت الإمام يوماً وقدمت تقريراً له بشأنها مع شريط مسجل لاعترافاته، فقال: «حتىٰ لو قدمتم هذا الشريط للشيخ المنتظري، لما غيّر من موقفه، ولأنكر صحة هذه الإعترافات وقال: إنكم انتزعتموها منه تحت التعذيب». وقد قلتُ له خلال هذا اللقاء: لم يُضرب مهدي الهاشمي إلى اليوم ولا جلدةً واحدةً. وقد سمعتُ فيما بعد أن الإمام شاهد محتويات هذا الشريط مرتين أو ثلاث، والذي يجذب الإنتباه هنا تعليقه على القسم الأخير من هذه الإعترافات، فقد بكى الهاشمي وأعرب عن ندمه وطلب العفو، فعلق

(١) القائد البحري علي الشمخاني.

(٢) السيد ابراهيم اصغر زاده، صحيفة رسالت، ٧/ ٢/ ١٣٧١ هـ.ش.

الإمام على ذلك بقوله: «لا يخدعكم بذلك، إنه يكذب، حركاته متصنعة وليست صادقة». لكننا لم نفهم معنىٰ هذا التعليق الذي يكشف عن عمق ذكاء الإمام وبصيرته، وقد أثبتت الحوادث اللاحقة وكذلك إعترافات المتهم فيما بعد أن بكاءه وتضرعه كان بهدف خداع المسؤولين وصرف أنظارهم عن أمورٍ أهم[1].

لا تجدون كلاماً يصيبه بالعيّ

لا يصيب العيُّ الإمام في الإجابة على أي كلامٍ يُوجَّهُ إليه، فلو تفرغتم أياماً عدة للبحث عن كلام تقولونه له ويعجزهِ عن الرد بجوابٍ مناسب، لما وجدتم كلاماً بهذهَ الخصوصيات، إن بداهة الإمام في الجواب تثير الإعجاب حقاً، والسبب هو ما كان يحظىٰ به من منطقٍ خاص به.

فمثلاً دعوني رسمياً مرة لزيارة الصين وقد أخبرته بذلك ضمن حديثي معه وقلت: وجهت جمعية النساء في الصين دعوة لي لزيارة هذا البلد، فاكتفىٰ بأن رفع رأسه وقال: «تريدين الذهاب إلىٰ الصين؟»، فضحكتُ وقلت: لم أقرر بعد، لكنني شعرت أنه ينهاني عن الذهاب وإن لم يفصح، وعندما دخلت عليه مرة أخرىٰ قال: «إقتربي مني»، وكان عدد من أفراد العائلة عنده، ففعلتُ فهمس في أذني قائلاً: «لا تذهبي الىٰ الصين»، فقلتُ: سمعاً وطاعة. وانقضىٰ الأمر، لكنني سألته فيما بعد: لماذا همستم بهذا الأمر في أذني؟ أجابني: «وهل تريدين أن أهمس في قدمك؟»! قلت: لا أقصد ذلك، أقصد لماذا أسررت إليّ بهذا الأمر؟ فقال: «إنما أخرجتكِ من بين الحاضرين لكي أُسِرَّ لكِ بهذا الأمر»[2]!

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الريشهري، كتاب (خاطرات سياسي = ذكريات سياسية).

(٢) السيدة زهراء المصطفوي.

دقته في قطع الطريق على الاستغلال السياسي

كان مسؤولو الحكومة العراقية قد طلبوا مراراً إجراء لقاءات خاصة بالإمام لكنه كان لا يرغب ولا يأذن بها قدر المستطاع فإذا رأى ضرورة بعضها أَذِنَ بها ودعا عدد من المعتمدين عنده والثقاة الذين كانوا يحظون بمكانة مرموقة في النجف إلىٰ حضورها، لكي لا يستطيع المسؤولون العراقيون إستغلالها سياسياً وينسبون بعض المواقف التي يريدونها إلىٰ الإمام؟ وكان المرحوم آية اللّه المدني وبعض السادة العلماء العرب الموثوقين من الذين يدعوهم الإمام لحضور هذه اللقاءات[١].

قوة حضوره الذهني وحفظه للمطالب العلمية

أثناء إستنساخي لتعليقات الإمام على كتاب «شرح فصوص الحكم»، كنتُ أراجعه باستمرار فيما يرتبط بتلك التعليقات وقد جذب إنتباهي ثباته على الآراء العلمية التي تبناها فيها رغم مرور قرابة ستين عاماً على تأليفِهِ لها وترقيه المتواصل طوال هذه السنين في المجالات المعنوية والعلمية، فاتضح لي وكأنه كان قد وصل إلىٰ الذروة العلمية مُنذ الخطوة الأولىٰ؛ هذا في حين أن من المألوف لدىٰ المحققين أنهم يعيدون النظر في آرائِهم التي توصلوا إليها في البداية، إذا واصلوا البحث والتحقيق، فيصلحون بعضها بل وقد ينقضون بعضها الآخر.

والقضية الأخرىٰ التي لاحظتها أثناء ذلك، أنني كنت أسأله عن عشرات الموارد في هذه التعليقات أثناء إستنساخي لها فكان يجيبني في كل مورد وكأنه قد فرغ من كتابته للتو، الأمر الذي يكشف قوة حضوره الذهني وقوة حفظه للمطالب العلمية التي وجدتها واضحة بالكامل عنده رغم مرور (٦٠) عاماً على كتابته لها[٢].

---

(١) صحيفة جمهوري إسلامي، ١٩/٦/١٣٦١ هـ.ش.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

كيف وقّع البيان وهو هنا؟!

أثناء زيارتي للنجف الأشرف، قال لي السيد أحمد يوماً: لقد وصل للإمام بيانٌ من ايران وقعه عدد من العلماء، فلما رأىٰ إسمك بينهم سأل: كيف وقّع هذا البيان وهو الآن هنا [في النجف]! فأجبته: إنني وكّلتُ السادة أن يكتبوا إسمي ضمن الموقعين على مثل هذه البيانات(١).

أرجع الرسالة لكي يصححوها

سلمني أعضاء المكتب رسالة وطلبوا أن أحملها إلىٰ الإمام لكي يوقعها، فلما جئتُ إليه كان بجدِّدُ الوضوء، سألني عن حاجتي فأخبرته، فقال: «إصبر» فلما أسبغ وضوءَهُ جففَ يده وأخذ الرسالة وقرأها وأعادها وقال: «أرجعها وقل لهم: إن فيها خطأ في الإملاء، فليصححوها لكي أوقعها»! وعندما قرأتُ الرسالة وجدتُ أنهم كتبوا إحدى كلماتها بالغين بدل القاف! لقد كان دقيقاً إلىٰ هذه الدرجة في أعمالِهِ(٢).

دقته في الاصغاء لما يُقال

من خصائص الإمام البارزة دقته في الإصغاء لمن يتكلم في محضره صغيراً كان أو كبيراً في حين أننا عادة نصغي للمتحدث إذا كان شخصية علمية أو معنوية مرموقة، لكننا قد لا ندقق في قوله إذا كان شخصاً عادياً أو صغيراً، الإمام كان دقيقاً في الإصغاء لما يُقال في حضوره أو للكلمات التي تُبثُ عبر الإذاعة أو للتقارير والآيات والأناشيد التي تُقرأ في الحسينية في بداية اللقاءات، فإذا وجد فيها ما يرىٰ لزوم تصحيحه صححه، فمثلاً جاء لزيارته يوماً عدد من أبناء شهداء مدينة كاشمر مع جمع من عوائل الشهداء، وكانوا قد

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الموحدي الكرماني.

(٢) السيد رحيم ميريان.

أعدوا نشيداً فاستأذنت منه أن يسمح لهم بقراءتِهِ في اللقاء، فأذن بذلك، ولما انتهىٰ اللقاء ذهب الإمام إلىٰ غرفته وذهبت أنا إلىٰ المكتب حيث جلست هناك فدق الجرس بعد فترة وجيزة واستدعاني للدخول عليه، فتعجبت وقلت في نفسي: لا بد أن الأمر هام فقد كنت في محضره قبل قليل ولم يقل لي شيئاً. فلما دخلت عليه قال: «قل لهم أيها الشيخ الكروبي أن يغيّروا كلمة «المفتين» من النشيد الذي أنشدوه آنفاً»! وكان النشيد يخاطب الإمام بأنه قد حطم الفراعنة وأشباه قارون، وفضح «المفتين»، أي الذين يفتون بغير الحق لصالح الحكومات الظالمة، فقلت له: لكن هذا المعنىٰ صحيح يا سيدي على أي حال. فقال: «ليكن الأمر كما تقول، ولكن وصف «المفتي» عام ويشمل أيضاً غير العملاء من المفتين، لذلك ينبغي حذفه من النشيد»[١].

لا بد أنهم أخفوا في الحوض شيئاً

إنخرط أولاد إمام جمعة همدان يومذاك ضمن صفوف المنافقين، فذهبت إلىٰ منزله لتحذيره من ذلك ومن خطط أولاده حفظاً لحرمته، لكنني شعرتُ أثناء كلامي معه بأن المكان غير آمنٍ وتوقعت أن ثمة مَن يستمع لكلامنا، لكنني لم أظهر ذلك، وختمتُ كلامي وقلت: إنني سأزوركم غداً لإكمال الحديث، وخرجت من عنده بهدوء ثم فتحت فجأةً باب الغرفة السفلية فوجدتُ زوجة إمام الجمعة وقد نصبت لاقطة للصوت وهي تسجل كلامنا لأولادها، فأخذتُ منها جهاز التسجيل واللاقطة لكي أُسلمها للأخوة الحرس وعندما أردت التوجه اليهم إلتقيتُ بإمام الجمعة وهو ينزل من السلم فلما رآني قال: ألم تذهبي بعد يا سيدة دباغ، قلت: كلا يا سيدي، لقد بقيتُ لكي أكشف شبكة التجسس التي تديرها السيدة زوجتكم. فأنكر قولي فقلت: لقد وضعت السيدة جهازاً للتسجيل ولاقطةً للصوت وسجلت كلامنا! قال:

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين مهدي الكروبي.

ولكن لا توجد أيةُ لاقطة للصوت في الغرفة العليا. أجبته: لا بد أنها أخفتها تحت الفراش أو في عباءتِكم. لكن هذا القول آذاه وأخذ يجادلني. فخرجت وأنا أحمل جهاز التسجيل واللاقطة الثانية وذهبت بها للحرس. ثم زرت الإمام وأخبرته بالواقعة وعرضت عليه أدلة الإثبات، فقال «إعملوا ما ترونه مناسباً، يجب حفظ الثورة». ومُنذ ذلك اليوم فهمتُ من قولِهِ هذا أنه سيزيح كل مَن يقف بوجه الثورة حتىٰ لو كان عالماً دينياً أو مسؤولاً كبيراً، لذلك لم يكن صحيحاً ما قاله البعض ـ عندما أمر الإمام بإنزال صور الشيخ المنتظري من الدوائر الحكومية ـ بأنها المرة الأولىٰ التي يتعامل فيها بهذه الطريقة، فقد رأيتُ بنفسي إنه تعامل بمثل ذلك مُنذ بداية الثورة.

وعلى أي حال، فبعد أن حصلنا على أمر الإمام تابعنا الموضوع وسيطرنا على بيت إمام جمعة همدان فرأينا في سردابه حوضاً مغطىٰ، فلما عرف الإمام بذلك قال: «لا بد أنهم أخفوا فيه شيئاً ولذلك غطوه»! فقلع الأخوة غطاء الحوض فوجدوا فيه (٤٠) بندقية من نوع (ج ـ) وعدد كبير من المسدسات والقنابل اليدوية[١]!!

يتذكر بعد سنين إسماً ورد في رسالة

عندما زرت الإمام في النجف وعرفته بأن إسمي هو «دباغ»، قال: «ألست السيدة دباغ التي ذكرها الشهيد السعيدي في إحدىٰ رسائله؟»، وقد أثارت هذه الدقة إنتباهي، فالرسالة التي أشار إليها كانت ترجع إلىٰ سنة (٤٨، أو ٤٧) [هـ.ش، ٦٩ أو ٦٨م]، في حين أنني زرته سنة ٥٣ [هـ.ش ١٩٧٤م]، فكيف تذكر بعد كل هذه الأعوام إسماً ذكره الشهيد السعيدي في إحدىٰ رسائله مرةً واحدة[٢].

(١) السيدة مرضية الحديدجي (رباغ).

(٢) المصدر نفسه.

أعرفك مُنذ بداية النهضة

المرة الأولىٰ التي حظيت فيها بلقاءِ خاص بالإمام كانت في بداية إنتصار الثورة وفي تلك الغرفة المتواضعة ذات الأبواب الخمسة في منزله في قم، كان الإمام جالساً في آخر نقطةٍ في الغرفة، وما أن دخلتُ حتىٰ فقدتُ فجأةً القدرة على المشي فبركتُ ولم استطع التحرك، فأعانني الشهيد الحاج مهدي العراقي والسيد عباس التوكلي وأوصلوني إلىٰ غرفة الإمام وقد سيطرت عليّ حالة من الدهشة هيبةً له، فمسح بيده على ركبتي، ثم مسح على رأسي بعد أن أثنىٰ الشهيد العراقي عليّ وعندها قبّلتُ يده وحاولت تقبيل ركبته فمنعني. وكان هذا هو اللقاء الأول وقد دعا لي الإمام أثناءه. وقد زرته بعد الحرب، وأحببت أن أعرف هل يتذكر لقائي الأول به أم لا فقال: «إنني أعرفك، أعرفك مُنذ بداية النهضة»[١].

لو أيدته لضاعف ذلك من نشاط معارضيه

طلبت من الإمام مرة وبإلحاح أن يكتب تقريظاً لكتاب «الحجاب» للمرحوم الشهيد المطهري لكي يعرف الناس أنه يحظىٰ بتأييده فينتشر في المجتمع، لكنه لم يوافق على ذلك وقال: «لو أيدته لضاعف ذلك من نشاطات معارضيه واكتسب الكتاب صيغة وسيلة للنزاع السياسي»[٢].

لا تقتربي مني!

قالت لي إحد الصحفيات الأجنبيات يوماً: ليس لدينا صورةً أو فيلماً يظهر حضور إمرأة عند الإمام (وكان الإمام لا يسمح بالتصوير إذا كانت ثمة إمرأة بالقرب منه خشية من إستغلال ذلك لأغراض سيئة)، لذا حبذا

---

(١) السيد محسن رفيق دوست.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد محمود الدعائي.

لو إقتربت من الإمام عند خروجه من الخيمة بحجةِ أنك تريدين طرح سؤال عليه لكنّا نستطيع تصوير فيلم تكونين فيه إلىٰ جانبه فنثبت به خطأ الدعايات الغربية التي تزعم أن الإمام يحمل نظرة سلبية تجاه النساء. فلما خرج الإمام من الخيمة توجهتُ إليه لأطرح عليه سؤالاً فأشار إليّ بيده: أن لا تقتربي مني! ومرَّ.

وفي المنزل قال لي بلغةٍ مفعمة بالرأفة: «هل أوصاك أحد أن تعرضي عليّ ذلك السؤال في الطريق؟»، قلت: نعم يا سيدي، فقال: «كان عليك أن تخبريني مسبقاً بذلك لكي أرشدك إلىٰ أسلوب التعامل مع هؤلاء فإن من المحتمل أن تكون لهم أغراضٌ غير سليمة يسببون لنا مشاكل بها». ثم اتضح فيما بعد صدق حدس الأمام وعرفت أن تلك الصحفية كانت من المنحرفين.

وبعد يومين أعطاني الشيخ الإشراقي صورةً، أمره الإمام بأن يسلمها لي، وكانت صورة إلتقطها أحد المصورين بمهارة فائقة عندما كنت أغلق الباب عند خروج الإمام من المنزل. ولعل الإمام أهداني هذه الصورة لأنه عرف أنني أحب ـ كباقي السادة ـ بالإحتفاظ بصورة له معي[١]!

لا تفتحه أنت أيضاً يوجد من يتكفل بذلك

وصل إلىٰ محل إقامة الإمام في باريس يوماً، شخصان قالا إنهما مبعوثان من قبل الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات ـ وكان يومها شخصية مهمة ـ وانهما يحملان رسالة منه للإمام، وطلبا موعداً للقاء بالإمام وتسليمه الرسالة، فحدد وقتاً لهما واستقبلهما الإمام وقد حضر اللقاء عددٌ منا، لأننا لم نكن مطمئنين بالكامل من هويتهما، وقد تكلما عما يريدان بلغةٍ عربية فصحىٰ وأجابهما الإمام. وعندما إستعدا للخروج وضعا أمام

(١) السيدة مرضية الحديدجي.

الإمام ظرفاً كبيراً وقالا: إن رسالتنا موجودة في هذا الظرف؛ فلما خرجا قلتُ للإمام: إننا لا نعرفهما يا سيدي، فلسنا مطمئنين من وضعهما، فقال: «وأنا أيضاً شككت بهما». قلت: إذا كان الأمر كذلك فلا تفتح هذا الظرف، واسمح لي بأن أذهب به إلىٰ الخارج وأفتحه هناك. فقال: «كلا، لا تفتحه أنت أيضاً، يوجد هنا مَن يتولىٰ مسؤولية فتح مثل هذه الظروف».

ولم يكن يومها من ينتبه إلىٰ مثل هذه المسائل الأمنية، ويحتمل أن يضع الأعداء قنبلة في كتاب أو ظرف ويأتي بها للإمام، فتطوعت إحدىٰ الأخوات الثوريّات للقيام بمهمة فتح مثل هذه الظروف والطرود وقالت للإمام: إنني مستعدة لدفع الخطر عنكم حتىٰ لو كلفني الأمر حياتي، فروحي فداءٌ لكم، فاسمحوا لي بأن أتولىٰ مهمة أخذ مثل هذه الظروف والطرود بعيداً عنكم وأفتحها هناك لكي لا تتعرضوا لأي خطر محتمل، فقبل الإمام بتوليها لهذه المهمة [بعد تلقيها التعليم اللازم لذلك][1].

أبعدوا عنكم القلق لن يحدث شيء

أثناء إقامتنا مع الإمام في نوفل لوشاتو، قالوا لي يوماً قبيل الغروب، يوجد بين الذين جاؤا لزيارة الإمام شخص تحومُ حوله الشكوك، وقد تناقل الأخوة خبره مُنذ وصوله إلىٰ محل إقامة الإمام، فسألتُ السيد المحتشمي عن ذلك فقال: إن الإخوة يشكون بهذا الشخص. ثم أقيمت الصلاة وشارك هذا الشخص فيها ثم جاءني وطلب الإذن بالدخول على الإمام، فأخبرت الإمام بذلك فقال: ليدخل، فاشرتُ إلىٰ السيد المحتشمي بأن نجلس في الغرفة عندما يدخل هذا الشخص، ففهم مرادي وجلسنا فلما دخل الشخص المعلوم الغرفة تناول فوراً يد الإمام ووضع رأسه على

(١) حجة الإسلام والمسلمين فردوسي بور.

ركبتي الإمام وانفجر بالبكاء، وبقي على هذه الحالة عشر دقائق ـ دون مبالغة ـ لم يرفع رأسه خلالها رغم محاولات الإمام المتكررة لرفع رأسه. ولما خفت حدة البكاء رفع رأسه وأخرج من جيبه حزمةً من الأوراق النقدية ووضعها أمام الإمام وخرج دون أن يقولُ شيئاً!!

إستولىٰ علينا ـ أنا والسيد المحتشمي ـ الشعور بالخجل بسبب سوء ظننا بالرجل وحكمنا المسبق عليه ورجحنا أن نخرج من محضر الإمام بسرعةٍ، فلما هممنا بالخروج خاطبنا الإمام بالقول: «ثقوا بأنه ما مِن أحدٍ من كسبةِ سوق طهران يأتي إلىٰ هنا بهدف قتلي، فأبعدوا عنكم القلق»!، وكان الرجل من كسبة طهران لكننا لم نخبر الإمام بأننا نشك في سلامة نواياه، إلا أنه عرف ما يجول في نفوسنا عندما لاحظ جلوسنا في الغرفة أثناء اللقاء، فاعتذرنا قائلين: لكثرة ما قالوا لنا أن سلوك هذا الرجل يثير الشك إضطررنا إلىٰ البقاء عندك أثناء مجيئه لزيارتك[١].

---

(١) المصدر السابق.

الفصل الثالث عشر:

الدقة في الالتزام بالشرع

يصبر حتىٰ يجف عرق بدنه

ينقل بعض الأشخاص أنهم رأوا الإمام في الحمامات العامة يصبر ـ بعد أن يكمل إستحمامه ـ حتىٰ يجف عرق بدنه بالكامل ثم يرتدي ملابسه، لأنه كان يرىٰ أن ارتداء الملابس قبل أن يجف عرق البدن خلاف الإحتياط[1].

يسافر إذا رأىٰ في الصيام شبهة

كان الإمام يسافر عندما يرىٰ في صيامِهِ شبهة عدم الجواز لاحتمال أن يكون ضاراً له، ويصومُ إذا اطمئن من أن الصوم لا يضره[2].

الاحتياط والانفتاح في التعامل مع الموقوفات

كان للإمام رأيٌ إجتهادي خاص بشأن الموقوفات وكيفية الوقف، وكان يحتاط كثيراً تجاهها ولا يجيز صرف ولا دينار واحد خلاف رأي الواقف وصيغة الوقف لكنه كان يأذن لنا بالتصرف فيما يرتبط بشؤون الحكومة في

---

(١) آية الله الإيزدي النجف آبادي.

(٢) آية الله الإيزدي النجف آبادي، ويبدو أن سبب سفره إذا كان في صيامه شبهة، هو إجتناب الشبهة وحفظ حرمة شهر رمضان.

إدارة أمور الناس وذلك لتبديل الوقف بوضع أحسن، فمثلاً سألناه مرة عن الموقوفات التي تقع على حافة الشوارع أو التي تمنع تعريض الطرق فأجاب: «إن النظام في أي بلد يحتاج ـ ولا شك ـ إلىٰ طرقٍ وتعريض الشوارع، لذلك يمكنكم أن تأخذوا قيمة مباني الموقوفات التي تقع في مسير التعريض من البلدية وتشتروا بها المباني المناسبة في مكانٍ آخر»[١].

أبطلوا حكم المصادرة إذا كان غير شرعي

قال الإمام أثناء لقائه بأعضاء لجنة متابعة أوامره بشأن الأموال المصادرة: «إذا كان حكم المصادرة لا ينطبق مع موازين الشرع، فعليكم أن تحكموا بإبطاله، ولا يحق لأحدٍ الإنتفاع بالأموال خلال مدة توقيفها، فإذا كان مثلاً البيت الذي يسكن فيه منها، عليه أن لا يتصرف فيه حتىٰ يتضح حكمه بصورةٍ نهائية»[٢].

يجب إلغاء الربا

في أول لقاءٍ عقده أعضاء المجلس الثوري مع الإمام، أكد الإمام بصورةٍ مشددة عليهم أن يتخذوا الإجراءات اللازمة لإلغاء الربا من النظام المصرفي في ايران بأسرعِ ما يمكن، وبناءً على ذلك تم تكليف المجلس الثوري بإعداد لائحة قانونية لإلغاء الربا والقروض الربوبية[٣].

لا أستطيع أن أخصص لك راتباً

قال الإمام لولده السيد أحمد قبل أن يرتدي العمامة والزي الحوزوي: «لن أستطيع أن أخصص لك راتباً من رواتب الحوزة مالم تتعمم كسائر طلبة

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد إمام الجمراني.

(٢) آية الله الموسوي الأردبيلي، صحيفة جمهوري إسلامي، ٨/ ١٠/ ١٣٦١ هـ.ش، كتاب (محضر نور) ج٢، ص ١٠.

(٣) صحيفة كيهان، ١٠/٩/١٣٥٨ هـ.ش، (محضر نور)، ج١، ص ٢٤٨.

الحوزة»، ولذلك كانت السيدة والدته تعطيه ما يحتاجه من أموالها الشخصية عندما كان يذهب للمدرسة والدرس سواءً في ايران أو في النجف، إلىٰ أن تعمم، وعندها خصص له الإمام راتباً شهرياً بمقدار رواتب باقي طلبة الحوزة، وقد تعامل بالصورة نفسها مع السيد مصطفىٰ أيضاً[1].

لا يمكن طبع الكتاب بهذه الأموال

سمعتُ بنفسي الوالدة تقول للإمام يوماً في النجف: لماذا لا تسعىٰ لطبع كتاب السيد مصطفىٰ في تفسير القرآن؟ فقال: «ليس لدي مالٌ أطبعه به»، قالت: وهل من غير الجائز أن تطبعه بهذه الأموال؟ أجاب: «ليست هذه الأموال مخصصة لطبع الكتب»، فسكتت الوالدة ولم تقل شيئاً. لقد عرفت من ذلك شدة دقة الإمام في صرف الأموال الشرعية، فهذه الأموال مخصصة للمحتاجين ولذلك رفض أن يأخذ منها شيئاً لطبع كتاب ولده في تفسير القرآن[2].

ليس الوقت مناسباً للإحتفالات

كان الإمام يعتقد بلزوم أن يكون للزوجةِ مهراً ويدقق في ذلك، فعندما كان يأتيه بعض الأشخاص لكي يجري لهم عقد الزواج؛ كان يرفض إجراء العقد إذا قالوا أن المهر هو مثلاً نسخة من القرآن الكريم، ويأمر بتخصيص شيءٍ كمهرٍ للزوجة، لكنه كان ـ في المقابل ـ لا يحب المراسم غير الضرورية في الزواج، وقد نهىٰ بشدة عنها عندما تزوج أخي حفيدته وكان ذلك أيام الحرب وقال: «ليس الوقت مناسباً لمراسم الإحتفال والمآدب»[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

(٢) السيدة فريدة المصطفوي، صحيفة اطلاعات، ١/٨/١٣٥٩ هـ.ش.

(٣) السيدة فاطمة الطباطبائي، الملحق الخاص لصحيفة إطلاعات بمناسبة الذكرىٰ السنوية الأولى لوفاة الإمام، ١٤/٣/١٣٦٩ هـ.ش.

الاحتياط في صرف سهم الامام

لم يكن الإمام يأذن بصرف سهم الإمام عليه السلام من الخمس لبناء المساجد إلا إذا توفر شرطان: الأول أن تكون ثمة حاجة لبناء المسجد، والثاني أن ميزانية البناء لا يمكن توفيرها من طرقٍ أخرىٰ مثل التبرعات، فإذا كان الذي يطلب إجازة لصرف الأموال لبناء مسجد ملتفتاً لهذين الشرطين وذكرهما في استفتائِهِ أجاب الإمام: «طبقاً للفرض المذكور يجوز لهم الدفع»، وإلا كان جوابه: «يجوز الدفع إذا كان ثمة حاجة للمسجد ولا يمكن توفير الميزانية من طريق آخر». وهذه الفتوىٰ تختص بأصل بناء المسجد أما فيما يرتبط بالأمور غير الضرورية أو ذات الأهمية الثانوية مثل تزيين المسجد بأحجار الزينة أو المفروشات الراقية ونظائرها فلم يكن يعطي إجازة مطلقة بذلك، والنماذج على ذلك كثيرة، فمثلاً إستجازه شخص مرة لصرف مبلغ (٣٠) ألف تومان من سهم الإمام لشراءِ سجادة لمسجد في شارع أبي ذر في طهران فأجاب الإمام: «لا أجيز ذلك»[١].

يدفع الدية

كان الإمام يشعر بمسؤولية أكبر تجاه الذكور من ذريته، فمثلاً جرح ولدي علي مرة ـ قبل بضع سنين ـ وجه حفيد عمته أثناء اللعب، وعندما عرف الإمام بذلك أعطىٰ الولد الجريح مقداراً من المال كديةٍ على جرحه، أي أنه رأى دفع هذه الدية من واجبه لأنه جد علي من جهة والده[٢].

شدة الدقة تجاه بيت مال المسلمين

يقول الحاج السيد أحمد: إثر استشهاد السيد مصطفى بقيت والدتي في بيت ولدها الشهيد (١٠ ـ ١٥) يوماً ولم يكن جهاز الهاتف في منزله

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

(٢) السيدة فاطمة الطباطبائي، صحيفة جمهوري إسلامي، ١٣/ ٣/ ١٣٦٩ هـ.ش.

مفتوح الصفر لكي يكون بالإمكان الإتصال عبره بايران فقالت وهي المفجوعة بولدها: ألا يوجد جهاز هاتف يمكنني أن أتحدث عبره مع أولادي في ايران؟ فقال لها الإمام: «إن إستشهاد مصطفىٰ ليس مبرراً للإستفادة من بيت المال، فهذا متعلق بالمسلمين ولا يجوز لي شرعاً أن أسمح بالإستفادة من الهاتف الذي هو من أموال بيت مال المسلمين لكي تتصلي بأولادك، لا علاقة لاستشهاد ولدك مصطفى بالإستفادة من بيت مال المسلمين»[1].

الوصية بالورع عن المحرمات

الشيء الوحيد الذي كان الإمام غالباً ما يوصي به أرحامه لكي يكون إلتزامهم الأول دائماً هو: أداء الواجبات واجتناب المحرمات[2].

يتشدد في رعاية الاختلاط بغير المحارم

كان الإمام يتعامل باحترام ومودة مع أصهاره وزوجات أبنائِهِ على حدٍّ سواء، لكنه لم يكن يوافق علىٰ كثرة تردد أصهاره على بيته لأنهم ليسوا محارماً لجميع أفراد عائلته وهو كان يتشدد في رعاية عدم الإختلاط بغير المحارم؛ ولذلك كانت توجد باستمرار فاصلة بيننا وبين أصهارنا بسبب وجود بناتٍ أخريات في المنزل ليسوا من محارمهم جميعاً، ولم يكن من المألوف في السابق ما هو رائج اليوم من أن يأتي الصهر الجديد كل يوم إلىٰ بيت عائلةِ زوجته بدءً من يوم العقد، لقد بقي الحال في بيت الإمام على الوضع السابق، ولذلك كان تردد الأصهار عليه محدوداً لوجود بناته وحفيداته فيه الأمر الذي يستلزم أن يكون تردد غير المحارم عليه محدوداً[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الآشتياني، مجلة(مرزداران)، العدد: ٥٦.

(٢) السيدة فاطمة الطباطبائي.

(٣) السيدة فريدة المصطفوي.

رعاية الشرع أثناء التمثيل ايضاً

قال الإمام مرة بشأن مسلسل «خريف الصحراء» التلفزيوني: «من الممكن أن يكون قد وقع ما يخالف الشرع أثناء إنتاج هذا المسلسل، ولكن هذا لا يعني أن بثَّهُ مخالفاً للشرع». فقلت له: لا أعرف أي مقطعٍ من المسلسل تشيرون إليه؟ فقال: «ذلك المقطع الذي يظهر جلوس إمرأةٍ ورَجل لوحدهما في غرفةٍ يتحدثان فلا يجوز شرعاً أن يجلسا بهذه الحالة إذا لم يكونا من المحارم، ولكن تصوير هذا المشهد جائز لا يخالف الشرع»[1].

تشدده تجاه فعل المحرمات وترك الواجبات

كان الإمام قليلاً ما ينصح الآخرين بلسانه، فهو يبين بعمله الصالح ويميزه عن العمل القبيح، ونحن نميز هذا العمل عن ذاك من خلال ملاحظة ردة فعله المتمايزة تجاه العمل الحسن عنها تجاه القبيح، وكان يتعامل فيما يرتبط بفعل المحرمات وترك الواجبات بشدة أكبر من تعامله مع ترك المستحبات[2].

ينهىٰ عن الاختلاط غير الضروري مع غير المحارم

لم يكن الإمام يرىٰ من ضرورة لتحدث النساء مع غير محارمهن، لذلك كنا لا نجلس مع أي من أحفاده إذا بلغ سن التكليف في غرفةٍ واحدة في بيته، والطريف أنه إذا دخل أحد هؤلاء غرفة الإمام ونحن عنده لم يكن يأمرنا بالخروج بل كان يطلب من حفيده أن يخرج! أو إذا كنت جالسة عنده وأراد حفيدٌ له بلغ سن التكليف أن يدخل عليه ـ وهذا الحفيد هو بمثل سن ولدي ـ نهاه عن الدخول بسبب حضوري عنده[3].

---

(١) السيد محمد الهاشمي، الرئيس السابق لمؤسسة الإذاعة والتلفزيون في ايران، مجلة سروش، العدد: ٥١٠.

(٢) السيدة زهراء المصطفوي.

(٣) السيدة فاطمة الطباطبائي.

لا فرق بينكِ وبين أختك

من القضايا التي كان يهتم بها الإمام إجتناب الإختلاط بين غير المحارم، وأتذكر أن عمري لم يكن قد تجاوز عشر سنين عندما ناداني مرة؛ وكنتُ ألعب مع إخوتي وابن خالتي لعبة الإختفاء وكنت محجبة أيضاً لكنه رغم ذلك نهاني وقال لي: «لا يوجد فرقٌ بينكِ وبين أختك الكبيرة فكيف تلعبين مع الأولاد وهي لا تلعب معهم؟»[١].

لا تخلطوا الخرافات بالشرع

عندما دخلنا القاعة التي كنا نحضّر فيها معظم دروسنا الجامعية رأينا يوماً جداراً خشبياً وضعوه فيها لعزل الطلاب عن الطالبات، ولعلي أنا أيضاً قد أخبرت الإمام بذلك لكن من المؤكد أنه عرف به من مصادر أخرى، كما أن السيد الخامنئي قد حدثه عنه في الأسبوع التالي فكان أمر الإمام هو: «عليهم أن يزيلوا هذا الجدار ولا يخلطوا الخرافات والأمور المبتدعة من قبل الناس بأحكام الشرع»[٢].

يتأذىٰ لصدور ما يخالف الشرع

كان الإمام يتأذىٰ كثيراً ويتغير حاله إذا رأىٰ صدور ما يخالف الشرع من أحد، وكان مثلاً ينبّهنا بحزمٍ إذا ظهر من أيدينا أكثر من الحد الشرعي المجاز أثناء تناول الطعام[٣].

لا يوقظ أحداً للصلاة

الإمام الذي لم يترك نافلة الليل ولا ليلة واحدة، لم يُوقظ ـ في

---

(١) السيدة عاطفة الإشراقي، مجلة (زن روز)، العدد: ١٢٦٧.

(٢) السيدة فاطمة الطباطبائي، مجلة (زن روز)، العدد: ١٢٦٧.

(٣) السيدة فاطمة الطباطبائي، ملحق صحيفة إطلاعات الخاص بالذكرىٰ السنوية الأولى لوفاة الإمام، ١٤/٣/١٣٦٩ هـ. ش.

الوقت نفسه ـ أحداً لصلاة الفجر ولا لمرة واحدة[١].

ينبغي تعليم الأولاد أحكام الشريعة قبل بلوغهم

كان تعامل الإمام مع أولاده وبناتِهِ بعد بلوغهم سن التكليف منطلقاً من أحكام الشرع وهو لا يداهن فيها أحداً لكنه كان لا يوقظ أحداً، منهم للصلاة لأنه يعتقد بعدم توجه التكليف الشرعي للنائم، كما كان يعتقد بضرورة تعليم الأولاد أحكام الشرع وتعريفهم بالفضائل والرذائل قبل بلوغهم سن التكليف الشرعي[٢].

شديد الغضب لحرمات الله

رأيتُ بنفسي مرة غضبَ الإمام ـ وكم كان شديداً ـ بسبب صدور معصية من أحدهم، نحن إذا رأينا معصية من أحدٍ نهيناه عن المنكر، أما الإمام فإنّ ردة فعله أشد من ذلك بكثير، فهو يغضب بعمقٍ ويظهر غضبه على وجهه ونظراته ويهتز بدنه[٣].

أسدلْ الستار

زرتُ الإمام في قم وطلبتُ منه بإلحاح الإنتقال إلىٰ طهران للعلاج لأن الإمكانات الطبية فيها أفضل فوافق، وقد وعدته بأن أكون له طبيباً وممرضاً في آن واحد، ولكن رعاية الضوابط الشرعية لم تكن مناسبة يومذاك في مستشفىٰ القلب التي رقد فيها لذلك ناداني وقال لي: «أسدل الستار وتعال لفحصي وحدك»[٤]!.

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (بيام إنقلاب)، العدد: ٦٠.

(٢) السيدة فاطمة الطباطبائي.

(٣) السيدة زهراء المصطفوي.

(٤) الدكتور حسن العارفي، مجلة حضور، العدد: ٨.

يعطي الدية لابنته عن إصابةٍ غير متعمدة

كان بالقرب من بيتنا بيتٌ تقطنه عائلة صديقة لنا، وكان الإمام لا يرىٰ من الصالح أن نتردد على ذلك البيت، ولم أكن يومها قد بلغتُ سن التكليف لكن أختَيَّ كانتا قد بلغتا سن التكليف والفرق بين عمر كل منا سنتان؛ لكننا وبسبب جهالة الطفولة ذهبنا يوماً إلى بيت صديقتنا تلك، فلما عاد الإمام قبيل غروب الشمس من الدرس إلىٰ المنزل وسمع أصواتنا ونحن نلعب في الزقاق؛ إستدعانا فذهبنا إليه وقد سيطر علينا الخوف، ودخلنا السرداب ـ حيث كنا نقطن فيه أيام الصيف ـ، فوجدناه قد حمل عصا غليظة! وكان يعلم أننا لا نتحمل التأديب بهذه العصا، لذلك أخذ يضرب بها جدار السرداب بغضب وهو يقول: «ألم أنهاكنَّ عن الذهاب»، ـ ولم أكن أنا مخاطبة بهذا القول مُنذ البداية ـ، وظل يضرب الجدار بالعصا حتىٰ انكسرت وتطايرت قطعة منها وأصابت رجل أختي الكبيرة، صدِّيقة. وعلى أي حال فقد سكن غضب الإمام، ولما عرف بأن لون رجل أختي قد تغيّر بسبب إصابتها بتلك القطعة، جاء إليها ورأىٰ رجلها أعطاها شيئاً من المال كديةٍ عن هذه الإصابة غير المتعمدة[1].

التذكير المستمر لرعاية الحجاب

كنا نضطر أحياناً للدخول على الإمام فجأةً لإخباره ببعض الأمور الضرورية، فنطلب الإذن بالدخول فور قرعنا الباب، فإذا كان عنده أحد محارمه قال بسرعة: «إصبروا قليلاً»، ثم يأمرهن بالتحجب لكي ندخل، والعكس صحيحٌ أيضاً، فإذا كنا في غرفته وأرادت إحدىٰ محارمه الدخول قال: «يا اللّه يا اللّه يوجد أحدٌ من غير المحارم في الغرفة». ولا يخفىٰ أن كل ذلك كان يقوم به للتذكير، وإلا فإن محارمه شديدات الإلتزام دائماً بالحجاب[2].

---

(١) السيدة زهراء المصطفوي.

(٢) السيد خادم، أحد حرس بيت الإمام، كتاب (في رثاء النور).

أمر الأهل بالورع وأداء الواجبات

كان الإمام يكن لوالدتنا إحتراماً شديداً إنطلاقاً من آداب الشرع وأخلاق الإسلام، ويتوقع منها ما قرره عليها الشرع، وقد قال لها عند زواجهما: «ما أطلبه منكِ هو الورعُ عن الحرام واداء الواجبات، وما سوىٰ ذلك فأنتِ وشأنكِ، لا أتدخل فيه أصلاً»[1].

يجتنب النظر إلى المسلِّمات عليه

لاحظت بنفسي الإمام وهو يسحب الشال الكبير الذي كان يضعه على ركبتيه عادة ويغطي به يده اليسرىٰ عند زيارة النساء له للتسليم عليه لكي لا يقبِّلْنَ يده إذا شعر بعزم إحداهن على ذلك، كما كان يُديرُ وجهه إلىٰ اليمين قليلاً عند رده لسلامهن رغم أن عادته كانت التبسم بوجه زائريه عند رده لسلامهم[2].

الدقة في رعاية ممتلكات الناس

طوال مدة إقامته في النجف، كان الإمام يذهب إلىٰ كربلاء مراراً كل عام لزيارة الإمام الحسين عليه السلام في أيام الزيارات المخصوصة، فينزلُ في بيتٍ متواضع أعده له أحد الكويتيين ويقيم في غرفة الإستقبال صلاة الجماعة مع عددٍ محدود من الأخوة فإذا زاد عدد المأمومين أقامها في ساحة المنزل التي كانت تبلغ مساحتها حدود (٥٠) متراً مربعاً وكان عددٌ من المصلين يصلون على عباءاتهم بسبب عدم توفر ما يكفي من المفروشات في المنزل، وكان على الإمام أن يمر عبر صفوف الجماعة للوصول إلىٰ مقدمة المصلين عند خروجه إلىٰ ساحة المنزل، وكان جميع المصلين ـ ولاريب ـ يحبون أن يطأ الإمام بقدمه المبارك عباءاتهم ويفتخرون بذلك، وكان هو أيضاً يعلم بذلك، لكنه كان ـ رغم ذلك ـ يعبر بصورة ملتوية وبخطوات متباينة وبدقةٍ بالغة سواء

---

(١) السيدة زهراء المصطفوي، من كلمةٍ لها في جامعة الشهيد شمران في مدينة الأهواز.

(٢) غلام علي الرجائي.

كان من خلف الصفوف أو من محل فرش المصلين لعباءاتهم، لكي لا يطأ عباءة أو حذاء أي منهم، وليعلم بذلك مقلّدوه لزوم الرعاية الدقيقة لحقوق الناس وممتلكاتهم[1].

شدة دقته في العمل بالشريعة

عندما كان الإمام يهمُّ بدخول المسجد، كان يقف وينظر بدقة إلىٰ مدخله ـ الذي يكون عادة ممتلئاً بأحذية الطلبة والناس الذين دخلوا المسجد قبله ـ فإذا وجد مكاناً خالياً دخل وخلع حذاءه قرب العتبة وإذا لم يجد مكاناً خالياً خلعه حيث وقف وأخذ يسير حافياً على رؤوس أصابعه لكي لا يطأ حذاءَ أحدٍ فيكون ذلك بمثابة تصرفٍ بممتلكات الآخرين بدون إذنهم الأمر الذي يكشف شدة دقته في رعاية أحكام الشريعة[2].

قد يكون مكتوب فيها إسم محمد أو علي

كنا نفرش أمام باب محل إقامة الإمام في باريس صحفاً لأن أكثر الأيام كانت ممطرة والأرض رطبة، وكانت هذه الصحف أجنبية بالطبع. وجاء يوماً عددٌ من الزوار من ايران ومعهم صحف ايرانية فأخذتُ منها صفحات الإعلانات وفرشتها عند باب المنزل إذْ لم تتوفر لدي يومذاك جرائد أجنبية، ووضعت عليها حذاءَ الإمام لكنه عندما أراد وضع قدمه في الحذاء لاحظ ذلك فتوقف وسألني: «كأن هذه الجريدة إيرانية»، أجبته: نعم يا سيدي ولكنها صفحة الإعلانات، لكنه رغم ذلك رفض وضع قدميه عليها وقال: «قد يكون مكتوب فيها اسم محمد أو علي»[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين أحمد رحمت.

(٣) السيدة مرضية الحديدجي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٤.

إنتبهنا حينئذٍ إلىٰ ما كنا نفعله

أراد الإمام يوماً دخول قسم الإستقبال في بيته في النجف لإمامة صلاة الجماعة فلاحظ أحذية المصلين متراكمة عند الباب بما لا يمكن معه الدخول إلا بأن يدوس عليها الداخل، وكنا نحن الحوزويون بل والكثير من الفضلاء ندوس عليها وندخل دون إنتباه إذْ لم يكن لنا سبيل آخر، أما الإمام فقد وقف وأمر بتنحيةِ قسمٍ منها جانباً لكي لا يدوس عليها فانتبهنا حينئذٍ أن ما كنا نفعله من مصاديق التصرف بممتلكات الآخرين الذي لا يخلو من إشكال شرعي إذا كان بدون رضاهم(١).

إنّ بالي مشوش!

رغم أن الإمام كان يدفع قيمة إستئجار المنزل الذي كان يسكنه في جمران، إلا أنه استدعىٰ يوماً ـ قبل شهر رمضان ـ أعضاء عائلة صاحب هذا المنزل وقال لهم: «إن بالي مشوش، لا أدري هل أنكم راضون من سكني فيه أم لا؟»، فأعربوا ـ بعدة تأكيدات ـ عن رضاهم الكامل وأنهم مفتخرون بذلك بل وصرحوا أن الإمام قد تفضل عليهم بقبوله السكن في منزلهم وأن عليهم أن يشكروا اللّه إلىٰ يوم القيامة على هذه النعمة الجليلة.

وبعد أن استمع لكلام الرجال طلب أن تدخل عليه نساء عائلة صاحب المنزل، فدخلن وقال لهن: «لعلكن ترغبن في العيش في هذا المنزل ولم تكن راضيات بالإنتقال إلىٰ مكان آخر»؛ فأجبنه معربات عن كامل رضاهن بسكنه في منزلهن، فلما إطمئن من رضاهن قال: «حسنٌ أنا باقٍ هنا»(٢).

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج١.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرماني، المصدر السابق ج٢.

لماذا يتصرفون بالبيت بدون إذن مالكه

ـ قاموا يوماً بإيجادِ ثلاث فتحات صغيرة مساحة كل منها [٥× ٥ سم٢] في سقف غرفة عمل الإمام بهدف نصب مصابيح قوية لا غنىً عنها لتوفير الإضاءة اللازمة لتصوير بعض لقاءاته الرسمية أو خطابه السنوي للشعب بمناسبة يوم «النوروز»، وعندما دخلنا عليه في صباح اليوم التالي طبق البرنامج المعتاد، بادرنا بالقول ـ بلهجةٍ عنيفةٍ وقد ظهر عليه الأذىٰ والإنزعاج الشديد ـ: «ما هذا العمل الذي قاموا به ولماذا فعلوه؟» فبيَّنا له أنه بهدف توفير الإضاءة اللازمة، فقال بعد تأملٍ وصمتٍ ممزوج بالألم: «لماذا يتصرفون بالبيت بدون إذن مالكه؟». لم تبق لنا بعد الذي رأيناه ـ جرأة لمتابعة العمل فصرفنا النظر عنه وأصلحنا السقف وأعدناه إلى ما كان عليه، وقد قال لي الشيخ الصانعي الذي لازم الإمام عشرات السنين: «لم أرَ الإمام ـ طوال عمري ـ يتأذىٰ وينزعج مثل الذي أصابه اليوم إلا نادراً»[١].

إعذروني كثيراً، لقد سببتُ لكم مشقة كبيرة

شعرنا ـ أيام قصف النظام العراقي للمدن الإيرانية ـ أن علينا واجباً مؤكداً هو أن نبني للإمام ملجأً من القصف؛ فزاره الأطباء لإقناعه بالقبول بذلك وقالوا له: إن أصوات القصف تضر بصحتك، فأجابهم: «إن أصوات القصف لا تؤثر فيّ فلماذا تبنون لي ملجأً؟»، وبعد أن فشل الأطباء في إقناعه دخلنا عليه ـ ونحن عدة من العاملين في مكتبه ـ لإقناعه بذلك حتىٰ أن الشيخ أنصاري تضرع وبكىٰ وقال؛ إسمح لنا بأن نبني لكم ملجأً تبقىٰ فيه عشر دقائق أثناء الغارات المعادية، فأجابه الإمام: «وهل أن للجميع ملاجىء؟ هل أن لجميع سكنة جنوب طهران ملاجىء؟ فما الذي يميزني عنهم لكي تبنوا لي ملجأً؟!». وظل رافضاً إلىٰ أن قال له السيد أحمد: أريدُ

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

أن أجلب إثنين من هذه الملاجىء الجاهزة لزوجتي وأطفالي، وعندها قال الإمام: إذا كان الأمر كذلك فلا إعتراض لي عليه؛ فاستفدنا من هذه الفرصة ـ أو لعلنا أسأنا الإستفادة منها ـ واشترينا ما طوله اثني عشر متراً من هذه الملاجىء الجاهزة الدائرية الشكل ونقلناها بواسطة الرافعات الضخمة ووضعناها بين غرفة السيد أحمد وغرفة الإمام وكانت الفاصلة بينهما حدود إثني عشر متراً، ووضعنا لهذا الملجأ بابين يُفتح الأول على غرفة السيد أحمد، والثاني على غرفة الإمام الذي كان هدفنا الأول حمايته هو، لقد أحكمنا بناء الملجأ واستخدمنا الإسمنت في تقوية جدرانه إلىٰ درجةٍ جعلت هدمه مهمة صعبة للغاية عندما أمرنا الإمام بذلك!

إتصلوا بي في الساعة التاسعة مساءً وأخبروني باستدعاء الإمام لي فذهبت إليه فأمرني بهدم الملجأ، ولأنني كنت أعرف صعوبة المهمة قلتُ له: إن هدمه يستغرق أياماً طويلة ويسبب ضجيجاً مؤذياً للغاية فأجابني: مهما كان الضجيج مؤذياً فإنني مستعدٌ لتحمله، فقوموا أنتم بمهمتكم»! وعدنا أن نبدأ العمل صباح الغد لكننا لم نكن عازمين على ذلك حقاً، لقد ذهبنا إلىٰ السيد أحمد في الصباح وطلبنا منه أن يذهب للإمام ويقنعه بصرف النظر عن هدم الملجأ الذي يجاور غرفته فإن ذلك يسبب له إزعاجاً شديداً، لكنه أجاب على طلب السيد أحمد بالقول: «يجب هدمه، وأنا مستعد لتحمل الضجيج الناتج من ذلك، قل لهم لا يقلقوا عليّ من هذه الناحية». لقد كان قراره نهائياً لا رجعة فيه.

لم نستطع بدأ العمل في ذلك اليوم لأننا لم نكن قد هيأنا الأدوات اللازمة فأجلناه إلىٰ الغد، وخلال هذه المدة إستدعاني الإمام مرتين وأكد عليّ أن ننجز العمل، والجدير بالإنتباه ما قاله لي عند ذلك، قال: «إن هذا البيت ليس ملكاً لنا لكي نتصرف فيه كيفما أردنا، إنه مستأجر فيجب إرجاعه إلىٰ الحالة التي إستلمناه بها».

بدأنا العمل وظهرت أمامنا مشكلة جديدة، وهي أن الكتل الحجرية والإسمنتية للملجأ كانت ثقيلة جداً لا يمكن رفعها إلا بواسطة رافعة ضخمة كان ينبغي الإتيان بها إلىٰ أرضٍ مجاورة للملجأ، فقال لنا الإمام: «إذهبوا أولاً إلىٰ مالك هذه الأرض وإستأذنوه لإدخال الرافعة إلىٰ أرضه، وإذا لم يأذن لكم ففكروا حينئذٍ بوسيلة أخرىٰ»! والمشكلة أننا لم نكن نعرف من هو مالك هذه القطعة من الأرض ولم نرَهُ أصلاً طوال (١٢) عاماً أقمنا هناك، ثم ذهبنا إلىٰ السيد إمام الجمراني وأخبرناه بأن الإمام قد إشترط علينا أن نحصل على إذن مالك الأرض، وبعد ساعتين أو ثلاث إتصل بنا السيد إمام الجمراني وقال: أنتم مأذونون بالدخول إلىٰ تلك الأرض، فجئنا إلىٰ الإمام وقلنا له: يبدو أن السيد إمام الجمراني يعرف مالك هذه الأرض وقد أذن لنا بدخولها، فوافق الإمام.

لقد إستخدمنا أربعة من أجهزة الحفر الكهربائية لإحداث شقوق في جدران الملجأ مقدمة لهدمه فأحدثت ضجيجاً شديداً كان يصعب علينا كثيراً تحمله رغم أننا شباب وعمال، لكن الإمام تحمله بسعةِ صدرٍ على مدىٰ حدود عشرة أيام، بل ورغم كل الأذىٰ الذي سببناه له كان يقول لنا كلما مرَّ علينا أثناء برنامج مشيه المعتاد في ساحة المنزل: «إعذروني، لقد سببت لكم مشقة كبيرةً، إعذروني كثيراً»!!

وكنا نشعر بالخجل من موقفه النبيل هذا رغم أننا نحن الذين هيأنا مقدمات هذا الأذىٰ والإزعاج له مُنذ البداية، فأسرعنا بإكمال العمل وإرجاع منزله المستأجر إلىٰ ما كان عليه، وكان ذلك ـ بلا شك ـ سبباً لرضاه[١].

---

(١) السيد مصطفى كفاش زاده.

تريدون أن تدخلوني النار

كان الإمام شديد الإحتياط في صرف الحقوق الشرعية وبيت المال حتىٰ أنه قال مرةً بألم: «تريدون أن تدخلوني النار»، وذلك لأنهم طلبوا شراء مروحة هوائية صغيرة لمنزله في النجف! كما أنه لم يأذن لزوجته باستخدام جهاز الهاتف التابع لبيت المال من أجل الإتصال بأولادها في إيران للإطمئنان على حالهم بعد ليلة أو بضع ليالٍ من إستشهاد ولدها السيد مصطفىٰ، فقد كان يعتبر الإستفادة من هذا الهاتف حتىٰ لهذا السبب خلاف الشرع[١].

أنا غير مستعدٍ لتحمل النار

تحدث المرحوم الحاج السيد مصطفىٰ يوماً فقال: توسطتُ مرةً عند الإمام للحصول على مقدارٍ من المال لأحد الحوزويين، فلم يستجب لي، عاودت التوسط للمرة الثانية، فأثار تعجبي رفضه للمرة الثانية، ولما عاودت التوسط للمرة الثالثة قال لي؛ «هذا هو مفتاح الصندوق الذي فيه الأموال [الشرعية]، وهذا هو الصندوق، أضعه تحت تصرفك لتأخذ منه ما تشاء وتعطيه لهذا الحوزوي، ولكن بشرطٍ واحد هو أن تتحمل بنفسك الذهاب إلىٰ النار بسبب هذا الفعل. أنا غير مستعدٌّ لذلك فلا أستطيع أن أعطي شيئاً من سهم الإمام عليه السلام لهذا الحوزوي لأنه غير مستحق لهذه الأموال الشرعية بسبب عدم جدارته، فإن كنتَ مستعداً لتحمل النار فهذه الأموال وصندوقها ومفتاحها بيدك، إفعل بها ما تشاء»[٢]!!

إسترجعوا ما أعطيتموه لغير أصحابه

إثر حادثة الثاني من شهر فروردين التي صادفت ذكرىٰ أستشهاد الإمام

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٢.

(٢) آية الله الشيخ محمد الفاضل اللنكراني، المصدر السابق، ج٦.

الصادق عليه السلام في (٢٥ شوال)، والتي هاجم خلالها عملاء الشاه المدرسة الفيضية وعاثوا فيها تخريباً وقتلوا الكثير من طلبتها ونهبوا أموالهم؛ إثر هذه الحادثة أصابت طلبة الحوزة مشاكل إقتصادية صعبة، فقام عدة من الطهرانيين وخاصة المرحوم الشهيد الحاج مهدي العراقي بجمع أموال لمساعدة الطلبة المتضررين في أبدانهم وأموالهم جراء هذه الحادثة، وأتوا بالأموال وسلموها للإمام الذي كلفني والحاج الشيخ عبد العلي القرهي بأخذها إلىٰ قم وتوزيعها على أولئك الطلبة، فحسبنا الأموال ووجدنا أن بإمكاننا إعطاء كل طالب أربعين توماناً، فذهبنا إلىٰ مدرسة خان بعد ثلاثة أيام لإنجاز هذه المهمة وأعلنا خبر توزيع هذه الأموال من قبل الإمام على الطلبة فكنا نعطي كل طالب يأتي إلينا (٤٥) توماناً ونضيف إليها مثلها لمن يقول إن محتويات غرفته أو أمواله سلبت خلال الحادثة، وقبل أن يحل الظهر وصلنا مبعوث من الإمام يحمل منه رسالة تقول: «إننا لا نؤيد هذه الطريقة في تقسيم الأموال»[١]. وقال المبعوث: إنّ رأي الإمام هو أنّ هذه الأموال خاصة بمن سلبت ممتلكاتهم أو جُرحوا أثناء الهجوم على المدرسة الفيضية فلا تشمل جميع الطلبة».

جمعنا ما بين أيدينا فوراً وذهبنا إلىٰ منزل الإمام ولما أخبرناه بما فعلنا قال: «لقد وقعتم في خطأ واشتباه، إن هذه الأموال جاء بها السادة لكي توزع على المتضررين من الطلبة، فلا يجوز إعطاء شيءٍ منها لغيرهم». سألناه: وماذا نفعل الآن؟ أجاب: «عليكم أن تتلافوا الخطأ باسترجاع ما أعطيتموه لغير المتضررين من الطلبة»! فلما سمعت هذا الجواب ـ وكنت أرجو أن يغض النظر عما سلف ـ قلت: هذا محال! كيف نسترجع ما أعطيناه؟ قال ـ بلهجةٍ حازمة ـ: «لا مناص من ذلك يجب أن تسترجعوه»!

---

(١) يكشف هذا الموقف دقة الإمام في مراقبة الأعمال المرتبطة به، فرغم أن الذين كلفهم بتوزيع هذه الأموال هم من الثقاة والمعتمدين عنده إلا أنه واصل الإشراف علىٰ حسن أدائهم لما كلفهم به.

غرقنا في التفكير في كيفية جبران هذا الخطأ بعد خروجنا من المنزل حتىٰ توصلنا إلىٰ حلٍّ كان هو في الواقع خطأً آخراً، لقد ذهبنا عصراً إلىٰ مدرسة خان وأعلنا أن على الطلبة غير المتضررين بأبدانهم وأموالهم خلال هجوم المدرسة الفيضية والذين إستلم كل منهم مبلغ (٤٥) توماً منا أن يتلطفوا بإرجاعها ويتسلموا قبال ذلك (٢٠) توماناً جائزةً على إرجاعها، وكنا قد قررنا أن نستحصل إجازة الإمام لدفع العشرين تومانا هذه بأي وسيلة كانت، وأخذ الطلبة يتوافدون لإرجاع المبلغ وكان بعضهم يرفض قبول العشرين توماناً لكننا كنا نصرُّ عليهم أن يقبلوها لشعورنا بالخجل من تضييعنا لوقتهم في الصباح.

ولم تمضِ أكثر من ساعة أو ساعتين على بدء عملنا الجديد حتىٰ جاءونا برسالة جديدة من الإمام تُنبهنا إلىٰ خطأ هذا العمل أيضاً، فجمعنا ما بين أيدينا فوراً وذهبنا إليه وقلنا: إننا أعطينا كل مَن أرجع المبلغ الأول عشرين توماناً كجائزة تشجيعية على إرجاعهم المبلغ الأول، فقال: «لا يوجد مسوغ لإعطاء هذه الجائزة»، قلنا: إننا نلاحظ يا سيدي أن مَن يأخذ المبلغ الأول يعتبره لاحقاً ملكاً له ومع ذلك يرجعه لنا! قال: «إنما يقوم بواجبه وهو يرجعه، والقيام بالواجب لا يستلزم تقديم جائزة»، ثم تابع توضيح الخطأ بقوله: «إن هؤلاء السادة متدينون، وقد أعطيتموهم مالاً ليس لهم، ثم أعطيتموهم جائزةً على إرجاع ماليس لهم! إن هذه الأموال خصصها أصحابها لمصارف محددة، فلما تتصرفون فيها خلاف رأي أصحابها، يجب إرجاع الأموال التي أعطيتموها لغير الموارد المخصصة لها».

فقلنا ـ أنا والشيخ القرهي ـ له بلهجة المتضرع: وكيف نجبر الأمر وقد صرفنا من العصر إلى الآن ما بين العشرة إلىٰ العشرين ألف تومان؟ فتلطف بنا في النهاية وقال: «سأجبر الأمر بنحوٍ أو بآخر من سهم الإمام لأنكم أعطيتم هذه الأموال لطلبة الحوزة، ولكن عليكم أن توزعوا ما تبقىٰ

من الأموال على الذين خُصصت لهم»، فقمنا بتوزيعها طبق ما أمرنا خلال الأيام اللاحقة حتىٰ اعتقلوا الإمام وكان قد بقي عندنا مقدارٌ قليل منها فبعث إلينا ـ من السجن ـ رسالة أكد فيها أن نصرف ما تبقىٰ من الأموال على مواردها تلك، الأمر الذي يكشف عمق شعوره بالمسؤولية تجاه هذه الأمور الشرعية، إذْ أن الأوضاع الصعبة التي كان يعيشها في أسر الأعداء في ظل ذاك الإضطراب الذي سيطر على الجميع، كل ذلك لم يُنسه الإهتمام بصرف ذاك القسم المتبقي من أموال المسلمين ـ وكان مقداره قليلاً ـ في الموارد المخصص لها[١].

لا يجوز لك الاتصال بطهران عبر هذا الهاتف

كان الإمام ينهىٰ عن الإكثار من إستخدام جهاز الهاتف [الذي كان من ممتلكات بيت المال]، أجل، كان يسمح بالإتصالات الهاتفية داخل النجف دون الإتصال بكربلاء أو مدنٍ أخرىٰ فقد حرّم علينا حتىٰ على ولده السيد أحمد ذلك إذْ قال له: «لا يجوز لك أن تتصل بواسطة هذا الهاتف بطهران أو غيرها»، ولكنه كان يستثني من ذلك الإتصالات المرتبطة بشؤون النهضة الإسلامية، كأن نستلم عبر الهاتف أخبار إيران أو ننقل إلىٰ الأخوة فيها بيانات الثورة، وقد أعطىٰ السيد أحمد مرة للشيخ الرضواني وكان مسؤولاً عن الأمور المالية في بيت المال، تكلفة عدد من الإتصالات الهاتفية الشخصية إحتمل عدم رضا الإمام بالإستفادة من الهاتف العام لإجرائِها[٢].

لا زيادة لراتب السيد مصطفىٰ

كان المرحوم الحاج السيد مصطفىٰ يتسلم كل أسبوع من الإمام مقداراً ثابتاً من المال لا يزيده الإمام شيئاً، لذلك عندما أراد السيد

---

(١) آية الله الشيخ يوسف الصانعي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج٣، ص ٢٩٠.

(٢) كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٤.

مصطفىٰ الذهاب لأداء فريضة الحاج هيأ ميزانية السفر من ثمن بيته الذي باعه في قم وأضاف إليه مقداراً من المال أهدته إليه زوجته[١].

وحتىٰ بعد أن بلغ مرتبة الاجتهاد

جهاز الإمام دقيق في صرف الحقوق الشرعية، فقد بقي يعطي ولده السيد مصطفىٰ الراتب الحوزوي المحسوب لتوفير ميزانية معاشه دون أن يؤثر على ذلك بلوغ السيد مصطفىٰ مرتبة الإجتهاد التي تؤهله لأن يستلم بنفسه سهم الإمام عليه السلام وأن يتصرف في الأموال الشرعية[٢].

ليس واجباً السلام على الأجانب

يتشدد الإمام فيما يرتبط بالإختلاط بين غير المحارم، فمثلاً إن أعمار أبنائي وأبناء أخي السيد أحمد متقاربة وهي ما بين (١٥ ـ ١٦) عاماً، فإذا دعينا يوماً لتناول طعام الظهيرة في بيت الإمام لا نصطحبهم معنا، وإذا إصطحبناهم ذهبوا إلىٰ بيت السيد أحمد فيتناول الرجال طعامهم هناك فيما تتناول البنات الطعام معنا في غرفة والدتنا في بيت الإمام، لكي لا يجلس الأبناء والبنات من غير المحارم ـ وإن كانوا أرحاماً ـ على مائدةٍ واحدة، بل ولا حاجة لأن يسلم بعضهم على بعضٍ فهذا ليس بواجب، وأنا نفسي كان عمري (١٥) عاماً عندما تزوج المرحوم الشيخ الإشراقي اختي، فدعانا يوماً إلىٰ مأدبة في منزله، وعندما دخلتُ مع والدي إلىٰ منزله خرج الشيخ الإشراقي إلىٰ حديقة المنزل لاستقبالنا فقلت لوالدي: هل أسلم عليه؟ أجاب: «ليس السلام واجباً»، فاضطررت إلىٰ المرور عبر الحديقة لكي أجتنب السلام عليه. بل وحتىٰ والدتي، سلمت للمرة الأولىٰ على عمي (أي آية اللّه السيد بسنديدة) بعد أربعين عاماً من زواجها بأخيه ـ أي والدي ـ! وكان ذلك بعد أن اعتقلوا السيد

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الناصري، المصدر السابق، ج٤.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين فردوسي بور، مجلة (بيام إنقلاب)، العدد: ٤٥.

ونفوه إلىٰ تركيا، فقد عزم عمي على السفر إلىٰ تركيا لزيارة أخيه، فجاء إلىٰ خلف الباب وقال: أريد أن أتحدث مع السيدة مباشرة لعلها تريدُ إيصال رسالة مباشرة إلىٰ السيد، وعندها إضطرت السيدة للسلام عليه، وأتذكر أنها أعربت عن أذاها لأنها إضطرت لذلك في غياب السيد الوالد وقالت: كيف الحال إذا لم يكن السيد راضياً بهذا السلام؟ فقلت لها: لا أظنه لا يرضىٰ بذلك فقد تقدمت في العمر وكنت مضطرة لذلك. ولكن الإمام لا يعترض على الموارد الواجبة والضرورية.

واعلموا أنه لا يقول مثلاً: لا تذهبن إلىٰ الجامعة لأن المدرسين رجال، أو لا تخرجن من البيت لشراء شيء، أو لا تركبن سيارة الأجرة الصغيرة أو الباص، أجل إنه يؤكد على أن نتحدث بجدية، وعلى أن لا نتحدث بدون ضرورة مع الرجال، أما إختلاط الرجال والنساء في مراسم الضيافة والجلوس مع غير المحارم فيها وتحدث النساء فيها مع الرجال والبنات مع الأبناء، فكان يعتقد بحرمةِ كل ذلك باستثناء التحدث بشأن العمل. وعلى أي حال، فهو بعيدٌ عن التحجر، بل يلاحظ مقتضيات الزمان ويتعامل بالتوازن المعهود في جميع شؤونه حتىٰ في لباسه[١].

يجب العمل حسب ما ورد في الوصية

حدثني المشهدي حسين وهو رجل كبير خدمَ الإمام سنين طويلة في قم وفي النجف، فقال: أخبروا الإمام يوماً بأنّ رجلاً أفغانياً توفي ولا وارث له وقد اتخذ الإمام وصياً له، فأرسلني الإمام للتحقيق بشأن تركتِهِ، فذهبت إلىٰ منزلِهِ ولم أجد فيه ما ينفع سوىٰ معطفاً جلدياً ثميناً، فعدت وأخبرتُ الإمام بما رأيت وطلبتُ منه أن يهبني هذا المعطف، فقال لي بحزم: «كلا يجب التصرف بهذا المعطف الجلدي طبق ما ورد في الوصية». فآذاني هذا الموقف

(١) السيدة زهراء المصطفوي، مجلة (شاهد بانوان)، العدد: ١٤٩.

خاصة وأنا قد خدمته سنين طويلة وكنت محتاجاً لهذا المعطف أيضاً، لكنني بعد أن فكرت في الأمر عرفت أن الحق مع الإمام[1].

ليدفع كل شخصٍ ثمن بطاقته

إثر خروج الشاه من ايران قرر الإمام العودة إليها، ولكن جميع الأخوة في ايران تقريباً كانوا معارضين لعودته خشيةً عليه، وكانوا يقولون: لا زال الوقت مبكراً لعودته، وكان من حقهم أن يقلقوا إذْ أن أوضاع الثورة وتطوراتها كانت تحتمل تعرض الإمام لأخطارٍ شديدة، ولو حدث له شيء ـ لا سمح الله ـ فإن آثار ذلك على مستقبل الثورة واضحة، لذلك كانت الإتصالات الهاتفية مستمرة تطلب مني أن أنقل للإمام تعبير أصحابها عن هذا القلق، وقد فعلت، لكنه كان قد اتخذ قراره النهائي، وتم إستئجار طائرة للعودة على أن يدفع كل شخص ثمن بطاقته، لذلك لم يدفع الإمام سوىٰ ثمن بطاقته وبطاقتي[2].

يرفض طبع رسالته العملية من الحقوق الشرعية

مما إمتاز به الإمام أنه كان يأبىٰ دفع شيءٍ من الحقوق الشرعية لطبع رسالته العملية وكان يقول: «يجب على المقلدين الحصول على الرسالة لمعرفة أحكام دينهم، لذلك فعليهم أن يشتروها»[3].

لا يجوز شراء هاتف لي من بيت المال

بقي بيت الإمام يخلو من جهاز الهاتف إلىٰ بداية الثورة، وكان أهالي المدن الأخرىٰ فيها قد اعترضوا على ذلك وقالوا للإمام: نحن بحاجة إلىٰ

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين السيد مجتبىٰ الرورباري، مجلة (١٥ خرداد)، العدد المزدوج: ٥ ـ ٦.
(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة حضور، العدد: ٣.
(٣) حجة الإسلام والمسلمين السيد الموسوي خوئيني ها، مجلة حوزة، العدد المزدوج: ٣٧ ـ ٣٨.

الإتصال بكم، فوجود الهاتف في منزلكم ضروري، فأجابهم: «لا يُصرف شيء من بيت المال لطبع رسالتي العملية أو لوضع الهاتف في منزلي». وبقي منزله يخلو من جهاز الهاتف إلىٰ أن دفع أحد الكسبة المتدينين ميزانية خط هاتف واشترى جهازه باسم الإمام ونصبه في منزله[1].

لا يطبع بياني بأموال الأمانات

بعد إصدار الإمام لبيانه التاريخي الذي عُرف ببيان البراءة وجدت أن من الضروري إطلاع جميع مسلمي العالم ـ وليس مسلمي ايران فقط ـ عليه كمقدمة لسعيهم لتحقيق مقاصده، لذلك قررتُ ترجمته إلىٰ اللغات: العربية، الإنجليزية، الفرنسية والأوردية، وطبعه، فبدأنا العمل من أجل ذلك، وفي مراحله النهائية عندما حدثت قضية جديرة بالإنتباه هي أنه كان من الضروري أن تكون طبعات ترجماته ذات شكل مناسب لأهمية البيان ولكي تكون مناسبةً لتوزيعها عبر سفارات الجمهورية الإسلامية الأمر الذي كان يستلزم إستخدام ورق مناسب وتقنية متطورة في الطباعة وجدنا أنها غير متوفرة داخل ايران لذلك تحدثت بنفسي مع السيد ميرحسين الموسوي رئيس الوزراء للحصول على العملة الصعبة اللازمة لإستيرادها من الخارج فأخبرني أن من الصعب على الحكومة يومذاك توفير العملة الصعبة اللازمة، وعندما عرفنا مشاكل الحكومة في هذا المجال صرفنا النظر عن الإستعانة بالحكومة وأخبرت السيد أحمد بذلك فقال: سأعرض الأمر على الإمام فإذا وافق خصصنا لكم مقداراً من العملات الصعبة من الأموال الشرعية الموجودة عنده، ونقدمه لكم بسعر أقل من سعر السوق الحرة لكي تنجزوا هذا المشروع. وبعد أيام سألتُ السيد أحمد عن النتيجة فقال: لقد قال الإمام: «لا أرضىٰ أبداً بأن يُطبع بياني بالدولارات الموجودة عندي كأمانة».

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين مصطفىٰ الزماني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٥.

وعلى أي حال فقد إتخذنا قراراً نهائياً بطبع البيان بالإستفادة من العملة الصعبة بسعر السوق الحرة، ولكن العبرة المهمة التي أودُ الإشارة إليها هي أن المهم بالنسبة للإمام هو حفظ بيت المال وليس المهم عنده أن يطبع أولا يطبع بيانه من قبل أحد أعضاء مكتبه[١].

علينا واجبٌ إسلامي تجاه أفغانستان

عندما طُرِحَ تحليلٌ يقول: أننا لو تعاملنا مع جارتنا الشمالية [الاتحاد السوفيتي يومذاك] بشيءٍ من الليونة فيما يرتبط بقضيةِ أفغانستان لكان بإمكاننا أن نحلَّ مشكلتنا مع العراق بصورةٍ أيسر، ورغم أن هذا التحليل كان مجرد رأي تحليلي سياسي ولم يُقترح كسبيل لحل المشكلة، الا أن الإمام قال: «إنّ علينا واجباً شرعياً تجاه أفغانستان فشعبها مسلم»، لقد كان ينظر إلىٰ القضية الأفغانية من أفق الأمة الإسلامية وليس من زاوية الرؤية القومية الايرانية[٢].

رغم ضخامة الامكانات المالية التي كانت بيده

رغم ضخامة الإمكانات المالية التي كانت بيد الإمام خاصة في السنين الأخيرة التي كان فيها يعطي حدود المائة مليون تومان كل شهر كرواتب لطلبة الحوزات الدينية المختلفة، إلا أنه رغم ذلك لم يكن يأخذ شيئاً من هذه الأموال الشرعية لمصاريف حياته الشخصية[٣].

لم يكن يأخذ من سهم الامام لمصاريفه الشخصية

كان الإمام ملتزماً بأن لا يأخذ لمصاريفه الشخصية ولا ريالاً واحداً

(١) حجة الإسلام والمسلمين الآشتياني، صحيفة جمهوري إسلامي، ١٣/ ٣/ ١٣٦٩ هـ.ش، العدد الخاص بالذكرىٰ السنوية الأولىٰ لوفاة الإمام.
(٢) السيد ميرحسين الموسوي، مجلة حضور، العدد: ٢.
(٣) آية الله الفاضل اللنكراني.

من سهم الإمام. فقد كان يعيش على عائد بسيط يأتيه من قطعةِ أرضٍ ورثها من أبيه بصورةٍ مشتركة مع أخيه الأكبر السيد بسنديده، وبقي ينظم مصاريف معيشته على ضوء هذا العائد المتواضع حتىٰ بلغ مرتبة الإجتهاد والمرجعية الدينية، وكانت هذه من خصوصياته أيضاً[1].

لن أجيب على هذا الاستفتاء

كان الإمام يسعىٰ إلىٰ تحري الدقة في الإجابة على الأسئلة خاصة الإجتماعية منها بحيث يكون جوابه بصيغةٍ لا يمكن للعدو إستغلالها لأغراضه، فمثلاً عندما أجاز شرعاً مساعدة المناضلين الفلسطينيين من الأموال الشرعية، إدعىٰ أحد المستغلين ـ كان إمام مسجدٍ في طهران ـ أنه مكلفٌ من قبل الإمام بجمع الحقوق الشرعية لصالح الفلسطينيين، وقد أثار هذا الإدعاء الفرح في الجميع من جهة والتعجب من جهةٍ أخرىٰ لأن هذا الشخص بالذات إنفرد ـ دون غيره ـ بهذا الإدعاء، ولذلك كتب الشيخ الكروبي ـ على ما أتذكر ـ سؤالاً أشبه بالإستفتاء من الإمام يقول: هل أنّ هذا الشخص ـ وذكراسمه ـ مجازٌ من قبلكم لهذه المهمة، فأخذتُ السؤال وعرضته على الإمام فقال: «لا أجيب على هذا الإستفتاء»، قلت: لماذا؟ قال: «لأنّ إسم هذا الشخص مذكورٌ فيه، وهو مرتبط عائلياً بالعالم الفلاني (وكان يسكن في النجف) الذي هو في طريقه إلىٰ أن يصبح مرجعاً، فإذا أجبت على الاستفتاء بالنفي أضر ذلك بهما معاً، ولا أرىٰ من الصحيح السماح باستغلال هذا الجواب ضدهما، لذلك قدموا سؤالاً عاماً ـ دون ذكر إسمٍ ـ بصيغةٍ هي: هل أجزتم أو عينتم شخصاً لجمع الحقوق لهذا الغرضٍ، وفي هذه الحالة سأجيب على الإستفتاء»[2].

---

(١) آية الله الشهيد المحلاتي، مجلة (١٥ خرداد) الشهرية، العدد: ١٠.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين السيد الدعائي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج١.

أنا مقيدٌ بالتكليف الشرعي

وصل للإمام تقريرٌ يذكر أن أحد العلماء المجازين من قبله في استلام الحقوق الشرعية والتصدي للأمور الحسبية، يُفرط في الإستفادة من الحقوق الشرعية لنفسه، ولذلك أمرني بإعداد إحصاء للمبالغ التي يسلمها هذا الشخص للمكتب من الحقوق الشرعية، فأعددت ذلك وسلمته للإمام الذي قال ـ بعد عدة أيام وبلهجة حازمة ـ: «قولوا لفلان أن يقدم تقريراً بجميع مصاريفه الشخصية خلال عشرة أيام ومن اين أتىٰ بالمال الذي إشترىٰ به الشيء الفلاني»، ثم قال بلهجةٍ مفعمةٍ بالألم والحزن في آنٍ واحد: «أنا مقيدٌ بالتكليف الشرعي»، يجب أن يتضح كل شيء في غضون عشرة أيام وإلا فإنني سأضطرُ إلىٰ اتخاذ اللازم وعندها سيفتضح هذا الشخص ويسقط إجتماعياً»[1].

لم يكن ضرورياً أن تطبعوه

كان الإمام حازماً في رفض صرف حتىٰ دينار واحد من أجل الحصول على الشهرة، فمثلاً كان قد ألّف كتاباً [فقهياً] عنوانه «الدماء الثلاثة»، فطلبتُ منه أن يسمح لي بطبعه فأعطاني نسخته الوحيدة، فطلبت مبلغ خمسة آلاف تومان لطبعه، فأبىٰ وقال: «لم أعطِ ولن أعطي شيئاً من هذه الأموال [الحقوق الشرعية] لمثل هذا». فاقترضت هذا المبلغ من آية اللّه السيد بسنديدة وطبعت الكتاب، وعندها عرفت منظمة الأمن (السافاك) بطبعه فصادرت معظم نسخه، واضطررت أن أبيع أثاث منزلي لتسديد مبلغ القرض. وبعد إطلاق سراح الإمام تم إرجاع نسخ الكتاب ثم وزعناها على طلبة الحوزة ورغم ذلك رفض الإمام إعطاء شيء من تكاليف طبع الكتاب وقال: «لم يكن من الضروري أن تطبعوه»[2].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين المسعودي، مجلة (نور علم)، الدورة الثالثة، العدد: ٧.

إذا كان الخاتم من ذهب فاخلعه

كان أحد طلبة الإمام يتردد على قرية قريبةٍ من قم للتبليغ الديني فيها، وكانت القرية بحاجة إلىٰ مسجد، فتطوع إثنان من مقلدي الإمام فيها لتحمل تكاليف بنائِهِ شريطة أن يضع الإمام بنفسه حجر الأساس لبنائِهِ، فأطلع المرحوم الإشراقي الإمام على الأمر فأجابه: «لست من أهل القيام بهذه الأعمال»، ثم أن صديقنا المبلغ سأل الشيخ الإشراقي عن الحل والحاجة لبناء المسجد ضرورية؟ أجاب الشيخ الإشراقي قائلاً: أن الأمر الوحيد الذي يلزم الإمام بتنفيذ هذا الشرط هو الشعور باقتضاء الواجب الإلهي لذلك، فإذا تم توضيح الأمر له وأحس بالواجب فسيأتي لوضع حجر الأساس لبناء المسجد حتماً. وبالفعل عندما شرحنا الأمر للإمام وبيّنا حاجة القرية للمسجد، وافق على الشرط وزار القرية لوضع حجر لبناءِ مسجدها، والقضية الجديرة بالإنتباه هنا هي أنه عندما أُقيمت مراسم وضع حجر الأساس وقام الإمام لذلك لم يتوجه إلى محل وضع الحجر الأساس مباشرة بل إنحرف باتجاه شاب كان جالساً إلىٰ جانبي وهمس له بشيءٍ ثم ذهب ووضع الحجر الأساس ولا أتذكر هل أنني سمعت ما قاله لذلك الشاب أو أن الشاب أخبرني فيما بعد أن الإمام قال له: «إذا كان الخاتم الذي في يدك مصاغاً من الذهب فاخلعه»[1].

لا ينبغي الخوف من آثار العمل بالشرع

كتب أحد السفراء إستفتاءً إلى الإمام جاء فيه: نُدعىٰ أحياناً إلىٰ مراسم يُوضع على موائدها الخمر، فإذا إمتنعنا عن الذهاب حملوا موقفنا على محامل غير سليمة وسبب لنا ذلك مشاكل في علاقاتنا الخارجية، فأجاب الإمام: «يجب الإمتناع عن الذهاب لمثل هذه المحافل والإفصاح

---

(١) آية الله محمد المؤمن، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٥.

لهم عن سبب الإمتناع لكي يدركوه بصورة تدريجيّة، لا ينبغي الخوف من تأثير ذلك على العلاقات. فهي أهون من ذلك»[١].

شطّ الوالد، لا إشكال في صلاة الولد

بتاريخ ٢٦/ ١٠/ ١٣٦٢ [هـ.ش، ١٦/ ١/ ١٩٨٤م] بعث شابٌ صغير سؤالاً للإمام جاء فيه أن أباه غير ملتزم بالدين وقد قال له إنه لا يرضىٰ بصلاته في منزله فهل يحق له ذلك وما هو تكليفه فأجاب الإمام: «لقد قال شططاً، لا يحق له ذلك، ولا إشكال في صلاة الإبن، ليصلِّ في بيت أبيه»[٢].

هل والدكم ثقة؟

أردنا مرةً أن نأخذَ للوالد إجازة من الإمام للتصدي للأمور الحسبية، فلحقت بالإمام بعد خروجه من المسجد حيث ألقىٰ درسه، وهو في طريق عودته إلىٰ المنزل حيث إعتدتُ أنْ أعرض عليه أسئلتي واستفيض من فيوضه، فسرتُ معه في أزقة محلة «يخجال قاضي» حيث يقع منزله وقلت له: هل تجيزون والدنا ـ وهو العالم الديني في إحدىٰ القرىٰ ـ بالتصدي من قبلكم للأمور الحسبية؟ فسألني: «هل هو ثقة؟»، فأجبت: نعم، فقال: «لقد أجزته»، وهذا يعني أنه يراعي جميع الشروط الشرعية لمنح الإجازة حتىٰ مع شخصٍ يحبه بكل وجوده[٣].

لا أستطيعُ توقيع هذه الورقة

كنت يوماً عند الإمام عندما طرقوا الباب، فذهبت لفتحه وإذا برسولٍ جاء يحمل رسالة من السيد البهبهاني وكان يومها من الشخصيات السياسية

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) آية الله الصانعي، كتاب (سوكنان آشناي دل = مرتبة لحبيب القلب).

والدينية ذات الوجاهة والنفوذ، قال الرسول: سلموا هذه الرسالة للسيد وقولوا له: إن السيد البهبهاني يطلب منكم توقيعها، عدت للإمام بالرسالة فلما قرأها قال: «قولوا لحاملها أن يدخل»، فخرجت ورجعت معه، فقال له الإمام: «كل مَن يطلب أن أكتب له إجازة الإجتهاد، ينبغي أن يكون حتماً قد قضىٰ معي عشر سنين في النشاط العلمي، لذلك فأنا معذور عن توقيع هذه الورقة». ثم أرجع الرسالة للذي جاء بها، وقد لا يكون هذا الموقف مهماً إذا نظرنا إليه مجرداً عن ظرفه لكن أهميته تتضح عندما نعرفُ أن دعم السيد البهبهاني للإمام كان أمراً في غاية الأهمية والتأثير لصالح الإمام يومذاك، ولكن الإمام لم يكن ينظر لأي إعتبارات كهذه، كان نظره منحصراً بالحقيقة الإلهية[١].

هل هو مسلم؟

عندما استعدت الطائرة للتحليق ونقل الإمام إلىٰ منفاه في تركيا سلمه أحد مسؤولي أمن النظام الملكي جواز سفره وقال له: أنتم الآن ذاهبون إلىٰ تركيا وستلتحق بكم عائلتكم فيما بعد. وقد رافق العقيد الأفضلي الإمام إلىٰ منفاه جالساً إلىٰ جانبه في الطائرة وبعد أن حلقت الطائرة اقترب أحد المضيفين من الإمام وقال: هل تسمحون لي بتقديم الشاي لكم؟ فسأل الإمام العقيد الأفضلي: «هل هذا الرجل مسلمٌ؟»، أجاب المضيف فوراً: فديتك يا سيدي، أنا من عائلة علمائية أيضاً! ثم عرّف جدَّهُ الذي كان من علماء الدين، وعندها وافق الإمام أن يقدم له الشاي[٢].

لأنه مسيحي لم أكتب إسم «روح اللّه»

جاء رئيسُ شرطة ضاحية نوفل لوشاتو يوماً بصورة، أُلتقطت للإمام

(١) حجة الإسلام والمسلمين المسعودي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج٤، ص ١٥٤.
(٢) السيدة مرضية الحديدجي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٤.

وهو يصلي، وطلب أن يوقعها الإمام، فاستجاب ووقعها له، لكنني عندما دققتُ في التوقيع لاحظت أنه يختلف بعض الشيء عن توقيعه المعروف فقد سقطت كلمة من إسمه، فسألته عن ذلك فقال: «لأنه مسيحي ولا يعرف الوضوء بالطبع، لذلك لم أكتب إسم «روح الله» لكي لا يمس لفظ الجلالة بيده»[1].

ليس في منزلي محلاً للهمز واللمز

كان الإمام يوماً في مجلسٍ يحضره جمع من فضلاء الحوزة فسأله أحدهم عن قضية علمية لكن سؤاله كان في الواقع تعريضاً وهمزاً بأحد العلماء، فتغيّر وجه الإمام وقال: «ليس في منزلي محلٌ للهمز واللمز، يجب أن تكون هذه المجالس إلهية ولا يصح أن تكون من المجالس التي يُتعرضُ فيها للمؤمنين والمسلمين بالهمز واللمز»[2].

توجد بعض الإشكالات في وضوئِك

ذهبنا يوماً لزيارة الإمام في طهران أيام فرض الإقامة الجبرية عليه من قبل نظام الشاه إثر اعتقاله بسبب حوادث (١٥ خرداد ١٣٤٢ هـ.ش) [٥/ ٦/ ١٩٦٣م]، لكنهم لم يسمحوا لنا بزيارته فبقينا بالقرب من محل إقامته حتىٰ وصل خبر عزمهم على نقله إلىٰ محلة «قيطرية» حيث أقام أربعة شهور في منزل أحد العلماء يُقال أنه من محبيه، وقد بقينا معه في ذلك المنزل، وأتذكر أنه رآني يوماً حال الوضوء فقال لي: «توجد بعض الإشكالات في وضوئِك هي...» كان الإمام وقوراً وحسن التعامل للغاية[3].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين المسعودي، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج٤، ص ١٥٣.

(٣) السيد المشهوري جعفر (خادم الإمام)، مجلة (أميد إنقلاب) العدد: ٢٥.

إخلع خاتمك الذهبي

كان إذا دخل رجلٌ على الإمام ـ أيام إقامته في باريس ـ وفي إصبعه خاتمٌ من ذهب طلب منه فوراً أن يخلعه[1].

عينوا مهراً محدداً

كان الإمام يرفض إرتفاع مهر العروس لكنه لم يكن يقنع بأن يجعل أحدٌ مهرها نسخة من القرآن فقط! كان يقول: عينوا مهراً محدداً، قولوا: المهر سكتان أو عشر من السكك الذهبية أو عشرة آلاف تومان. . .»[2].

هل أن أباها راضٍ

جاؤوا يوماً بفتاةٍ ليعقد لها الإمام قراناً ولم يكن والدها معها بل حضرت مع والدتها، فسأل الإمام الذي توسط لإجراء العقد: «هل أن أباها راض بهذا الزواج؟»، أجاب: نعم، لكن الإمام لم يجرِ صيغة العقد بل قال: «إذا لم يكن أبوها راضياً فالعقد باطل»، فقالوا: إن أباها قد أعلن موافقته شفهياً وتحريرياً. فسكت الإمام، ثم قال مرة أخرىٰ «العقد باطلٌ بدون رضا الأب»، ثم أجرىٰ صيغة عقد الزواج[3].

إدفع له الدية

كانت أول مشكلة واجهناها ونحن في طريقنا من المطار إلىٰ مقبرة جنة الزهراء عليها السلام، هي التي حدثت في ساحة الحرية، فإزدحام الجماهير فيها كان شديداً الىٰ درجة أن الجماهير رفعت السيارة على الأيدي للحظات وفقدتُ أنا السيطرة عليها وعندما إستقرت على الأرض ثانيةً،

---

(١) السيدة فاطمة الطباطبائي، مجلة (زن روز)، العدد: ١٢٦٧.

(٢) السيدة مرضية الحديدجي، مجلة (زن روز)، ١٢/ ٣/ ١٣٦٩ هـ.ش.

(٣) آية الله الحائري الشيرازي، نشرة (تربيت)، صيف ١٣٦٥ هـ.ش.

أدت شدة الإزدحام إلىٰ أن تدوس السيارة على ساق أحدهم وتكسرها، فلما عرف الإمام بذلك فيما بعد أمرني أن أذهب الىٰ هذا المصاب وأدفع له الدية الشرعية عن كسر ساقه، فذهبت إليه وقدمت له الدية لكنه رفض القبول باستلامها[١].

لا ينبغي تعريضه للإهانة

عندما إعتقلت القوات التابعة للجنةِ إستقبال الإمام الجنرال رحيمي [من جلاوزة النظام الملكي] قال الإمام: «لا ينبغي تعريضه للإهانة إلىٰ أن تتم محاكمته»[٢].

أعدموا المفسدين فقط

أتذكر جيداً الأيام الأولىٰ التي تلت إنتصار الثورة الإسلامية المباركة، لقد إقتادت فيها جماهيرُ حزب اللّه حدود عشرين شخصاً أو أكثر من المفسدين من أقطاب النظام الملكي بينهم: هويدا، رحيمي، ربيعي، نصيري وغيرهم، وجاؤا بهم إلىٰ مدرسة علوي وكان بعض الأخوة يعتقد بوجوب إعدامهم جميعاً ويصرُ على ذلك، لذلك تقرر سؤال الإمام بهذا الخصوص فقال: «إعدموا الذين يصدق عليهم بوضوح حكم الشرع بأنهم مفسدون في الأرض فجزاءُ هؤلاء معروف، أما الآخرين فأتركوا أمرهم للمحكمة الإسلامية لكي تصدر عليهم أحكامها طبقاً لموازين الشريعة الإسلامية»[٣].

لا يحق لكم التفتيش

يقولُ الإمام: حتىٰ لو دخلتم منزل أحد لضبط المخدرات، فلا

---

(١) السيد محسن رفيق دوست، مجلة (أميد إنقلاق)، العدد: ٢٥.

(٢) السيد جواد صفويان، كتاب (خطوات في أثر الشمس)، ج٢، ص ٦٠.

(٣) حجة الإسلام والمسلمين الآشتياني، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٩٣.

تفتشوا ثلاجته أو مجموعات صوره، وليس لكم القيام باعتقاله أو فضحه إذا عرفتم ـ عرضاً ـ قيامه بارتكاب المعاصي»[1].

إنزعوا القيود عن أيديهم

جاؤا بمجموعة من أفراد القوات الشاهنشاهية الخاصة وقد عصبوا عيونهم وقيدوا أيديهم إلىٰ ساحة مدرسة علوي، ودخل على الإمام مَن أخبره بالمجيء بهم على هذه الحالة، فتغيّر وجه الإمام وقال: «ليس هذا صحيحاً، إذهبوا وانزعوا القيود عن أيديهم»، وكان هذا الموقف مفاجأة لم يتوقعها الذي جاء بالخبر وكذلك المتواجدون في ساحة المدرسة إذْ قالوا: إن تنفيذ هذا الأمر ليس عملياً فهو يشتمل على مخاطر! فأصر الإمام على موقفه وأرسل مَن يخبرهم بأمره للمرة الثانية ثم الثالثة دون جدوىٰ حتىٰ أرسل ولده مؤكداً لزوم نزع القيود عن أيديهم وكان تنفيذ هذا الأمر عليهم صعباً للغاية[2].

يحب الإقتصاص ممن قام بالتعذيب

كلفني الإمام بمهمةٍ تشكيل لجنةٍ للتحقيق في أوضاع السجون إثر إنتشار إشاعات تتحدث عن وجود التعذيب فيها الأمر الذي أصاب الإمام بأذىً شديد فأمرني بتشكيل هذه اللجنة وقال: «يجب أن تزور هذه اللجنة جميع السجون وتتعامل بحزم مع الموضوع، فإذا ثبت وقوع التعذيب يجب الإقتصاص ممن قام به»، ولضمان تحقق ذلك عين الإمام ممثلاً له في هذه اللجنة لكي تزور بصلاحيات أوسع جميع السجون وتتحدث بحرية مع السجناء[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين ناطق النوري، صحيفة كيهان، ١٣٦١/٨/٢٨ هـ.ش.

(٢) السيد عبد المجيد معاديخواه.

(٣) آية الله الموسوي الأردبيلي، صحيفة إطلاعات، ١٣٥٩/٩/١٩ هـ.ش.

حذارِ من ظلمِ السجناء

بعد لقاء له بالإمام، سلم آية اللّه المنتظري السيد أحمد شكوىٰ كتبها إثنان من المعتقلين بتهمة الإرتباط بقضية مهدي الهاشمي، وطلب منه تسليمها للإمام الذي بعث لي ـ بعد إطلاعه على مضمون الشكوىٰ وكانت موجهة ضد وزارة الأمن ـ رسالة مضمونها هو: «حذارِ من إنزال الظلم بهؤلاء وحذار من أن يسيء موظفو وزارة الأمن التعامل مع السجناء بعيداً عن أنظار المسؤولين»[١].

لا يحق لي ذلك

تعرض جنين أختي للموت في بطنها وكان عمرها بومذاك (١٨) عاماً وعمر جنينها (٧) شهور، فاتفقت كلمة الأطباء على أن من غير الممكن إنقاذهما معاً ويجب التضحية بأحدهما لإنقاذ الآخر، وطلبوا من الإمام الموافقة على التضحية بالجنين لإنقاذ الأم، فقال معاتباً: «لا يحق لي أن أكون سبباً لموت موجود آخر لكوني أحبُ إبنتي، فكلاهما من عباد اللّه ومن الأحياء»!

وكان هذا الإيمان الراسخ والإخلاص العميق في وجدان الإمام سبباً لأن يتفضل اللّه بالنجاة على الأم وجنينها معاً[٢].

لنفذت حكم إعدام أحمد بنفسي

إثر إعتقال ولده إختفىٰ المرحوم آية اللّه الطالقاني عدة أيام عن

(١) حجة الإسلام والمسلمين المحمدي الريشهري، كتاب (خاطرات سياسي).

(٢) السيدة زهراء المصطفوي، صحيفة إطلاعات، ١٤/ ٣/ ١٣٦٩ هـ.ش. وينقل عن أرحام الإمام أنهم كانوا يُلاحظون الإمام في تلك الأيام يعيش حالة روحية صعبة للغاية، فهو ذو عاطفة جياشة وكان يرىٰ إبنته معرّضة للموت في كل لحظة، وقد أمر يومها بالقيام بختم «أمن يجيب» من أجل شفاء البنت وجنينها.

الأنظار تعبيراً عن إعتراضه ثم زار الإمام الذي قال له: «إنّ ولدك من المنحرفين المرتبطين بالعصابات اليسارية، فلا ينبغي أن يؤذيك إعتقاله إلىٰ هذه الدرجة» ثم قال: «أقسمُ باللّه لو ابتلىٰ أحمد بالانحراف وكان حكمه الإعدام، لنفذت الحكم بنفسي»[١].

إذا أدت العملية الىٰ وفاة إحداهما فهذا قتل

إصطحبتُ إبنتي التوأمين الملتصقتين (من جهة الرأس) «لا له ولادن» لزيارة الإمام وإستفتيناه بشأن إجراء عملية جراحية للفصلِ بينهما فقال: «إذا أدت العملية الجراحية إلىٰ وفاة إحداهما فهذا قتل، أما إذا كان إمكان بقائهما معاً على قيد الحياة موجوداً فلا إشكال في إجراء العملية»[٢].

سيُعتقل عددٌ من الأبرياء

عندما أرادوا تشريح جسد المرحوم السيد مصطفىٰ لم يسمح الإمام بذلك وقال: «سيُعتقل حينئذٍ عددٌ من الأبرياء ولن يعيد اعتقالهم لنا، السيد مصطفى»[٣]!!

لا يعرض نفسه للأذىٰ من أجلي

لم أحظ أنا بلقاء الإمام لكن والدتي وأختي حظيتا بلقاء خاص به وأخبرتاه بإضرابي عن الطعام فقال: «ليس هذا عملاً صحيحاً»، ولذلك أنهيتُ هذا الإضراب، وكان الإمام قد قال لأختي: «ليمتنع عن الرد عليهم

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين الآشتياني، مجلة (مرزداران)، العدد: ٩٣

(٢) السيد صفائيان (الأب بالتبني للبنتين)، صحيفة إطلاعات، ٣/ ١٢/ ١٣٥٩ هـ.ش

(٣) موسوعة كوثر، ج١، ولا يخفىٰ أن هذا الموقف يستند ـ إضافة إلىٰ الإحتياط بشأن المسائل الشرعية ـ إلىٰ قضية أخرىٰ أشار إليها الإمام بنفسه فيما بعد، وهي أن القيام بتشريح جسد السيد مصطفىٰ يعطي ذريعة للنظام البعثي لإعتقال عدد من أصحاب الإمام ويعدمهم بعد أن يحملهم مسؤولية جريمة قتل السيد الشهيد مصطفىٰ.

مهما وجّهوا من الإهانات لي وللثورة لكي لا يعرض نفسه للأذىٰ من أجلي»[١].

هل تحتملُ أنها مضرة؟

أدمنت مدةً تدخين السجائر عندما كنتُ في النجف، وفي الأيام الأخيرة من تلك المدة شعرت بأن التدخين يضرني، فقد كثر سعالي وكانت تصيبني حالة من ضيق النفس والدوران، ولأن الإمام كان قد أفتىٰ في رسالته العملية بحرمة إستعمال المضرات، أردت أن أسأله هل أن هذه المسألة تصدق على التدخين أم لا، لذلك قلتُ له ونحن في طريق العودة من الحرم [مرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام]: هل التدخين من هذه المضرات يا سيدي؟ لكنه لم يجبني على هذا السؤال مباشرة بل نقل لي حكاية ملخصها أن المرحوم الميرزا المجدد الشيرازي كان يدخن الغليون فزاره شخص ورأىٰ عنده الغليون ووسائله الأخرى الخاصة بالتدخين، فسأله: أليس في تدخين الغليون ضرر؟ أجاب السيد: هل تحتمل أنها مضرة؟ قال: نعم، فقال السيد: إذن أخرجها من هنا لا حاجة لي بها!، فأثر فيّ كلام الإمام إلىٰ درجةٍ تركت في الليلة تلك نفسها التدخين وزالت عني أضراره[٢].

لينهض ويجتنب هذا العمل

حدث مرةً أن الإمام شاهد أثناء مروره في رواق حرم أمير المؤمنين عليه السلام خلال الزيارة إلىٰ أن أحد الزوار قد هوىٰ على العتبة

---

(١) السيد كوروش الفولاذي، مجلة (شاهد بانوان)، العدد: ١٦٤ ـ ١٦٥، وكانت الشرطة البريطانية قد اعتقلت السيد الفولاذي وحبسته عدة سنين أثر انفجار وقع في لندن، وعرضته لأشكال من التعذيب رغم أن عمره لم يتجاوز (١٨) عاماً.

(٢) حجة الإسلام والمسلمين عبد العلي القرهي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، ج٦.

المباركة يقبلها؛ ولم يكن الإمام يتلفت عادةً أثناء سيره خاصة وهو في الحرم العلوي المطهر حيث لم يكن يتوجه للأمور الظاهرية أصلاً؛ وعندما رأىٰ هذا المشهد قال بسرعةٍ لأحد السادة الذي كان يرافقه: «قُلْ لهذا السيد أن ينهض ويجتنب هذا العمل»(١).

يجب على المسؤولين منع نشر مثل هذه الكتب

وصلنا خبرٌ يفيد أنّ الإجتماع الرابع لمجمع فقهاء المسلمين الذي عُقد في مكة قد وضع في قائمة الكتب المحرمة إسم كتاب صدر باللغةِ العربية يتحدث عن بشارات القرآن الكريم بالثورة الإسلامية والإمام الخميني من خلال تطبيق بعض الآيات على حوادث الثورة وتاريخ الإمام بالإستعانة ببعض التفسيرات والتأويلات وحساب الحروف، وقد استغل الأعداء ذلك لشن حملة إعلامية واسعة ضد الثورة الإسلامية، وإثر إبلاغ الإمام بذلك أعلن عن رفضه الشديد لنشر مثل هذه الكتب وقال: «لا توجد في القرآن أيّة إشارة لهذا الموضوع»، وأضاف: «يجب على المسؤولين منع نشر مثل هذه الكتب»(٢).

شريطة أن لا يتضمن ذلك تأييد غير المسلمين

كان الإمام حازماً للغاية في التعامل مع أخطار الآثار السيئة للثقافات المادية المبتذلة على أفكار المسلمين، وكان شديد الحساسية تجاه ذلك، ولذلك كان يرىٰ أنه حتىٰ الإستفادة من علوم الأجانب مشروطة بشروطٍ خاصة. فمثلاً إتصلوا يوماً بي من مركز التنمية الثقافية للأطفال والأحداث وقدموا إستفتاءً إلى الإمام بشأن حكم شراء الكتب السليمة والمفيدة للأطفال والأحداث إذا كان الناشر لها أو المؤلف أو المترجم من غير

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان، مجلة (باسدار إسلام)، العدد: ٣٩.
(٢) السيد كمال الخرازي، صحيفة إطلاعات، ٢٧/ ٥/ ١٣٦٠ هـ.ش

المسلمين فأجاب الإمام على ذلك بالقول: «يُستفاد قدر المستطاع من الكتب التي ألفها مسلمون، ولكن إذا كان المورد ضرورياً، وكان الكتاب جيداً جداً فلا إشكال في شرائِهِ شريطة أن لا يتضمن ذلك تأييد غير المسلمين»[1].

حتىٰ لو عارضكم جميعُ الناس

لقد قال الإمام مراراً: «لو وجدتم [الخطاب هنا لأعضاء مجلس صيانة الدستور] قانوناً صادق عليه مجلس الشورىٰ وكان مخالفاً لقوانين الإسلام والدستور الإسلامي فردوه حتىٰ لو عارضكم جميع الناس»[2].

صادقوا على قانون إلغاء الربا

في الليلة التي عزم الإمام فيها على الإنتقال من طهران ـ مدرسة علوي ـ للإقامة في قم أصرَّ على الأخوة بالقول: «تعالوا الآن إلىٰ هنا مادمت مقيماً في طهران لكي يصادق المجلس الثوري على قانون إلغاء الربا»[3].

---

(١) حجة الإسلام والمسلمين رحيميان

(٢) آية الله المهدوي الكني، صحيفة إطلاعات، ٥/ ٥/ ١٣٦١ هـ.ش

(٣) آية الله الشهيد البهشتي، صحيفة جمهوري إسلامي، ٤/ ٩/ ١٣٦٠ هـ.ش

رواة الحوادث المنقولة في الكتاب

١ : الشيخ علي أكبر الآشتياني (عضو مكتب الإمام وممثله في قوات الدرك)
٢ : الشيخ صادق إحسان بخش (إمام جمعة مدينة رشت الإيرانية)
٣ : الشيخ أحمد الأحمدي (عضو مجلس الثورة الثقافية)
٤ : الشيخ محمد تقي الإشراقي (صهر الإمام)
٥ : السيدة زهراء الإشراقي حفيدة الإمام
٦ : السيدة عاطفة الإشراقي حفيدة الإمام
٧ : السيدة نعيمة الإشراقي حفيدة الإمام
٨ : السيدة فرشتة الإعرابي حفيدة الإمام
٩ : الأستاذ حامد الغار كاتب وصحفي
١٠ : السيد مهدي إمام الجمراني (رئيس منظمة الأوقاف والحج)
١١ : الشيخ محمد الإمامي الكاشاني (عضور سابق في مجلس صيانة الدستور)
١٢ : الشيخ محمد ابراهيم الأنصاري الكرماني (من تلامذة الإمام)
١٣ : الشيخ محمد علي الأنصاري الكرماني (عضو مكتب الإمام)
١٤ : السيد عبد المجيد الإيرواني (من تلامذة الإمام)
١٥ : الشيخ غلام حسين الأحمدي
١٦ : الشيخ أديب
١٧ : الشيخ رضا الأستاذي (من مدرسي حوزة قم)
١٨ : الشيخ محمد الإشراقي الأصفهاني (نجل إمام جمعة كرمانشاه)
١٩ : السيد ابراهيم أصغر زادة
٢٠ : الشيخ ابراهيم الأميني (عضو مجلس الخبراء)
٢١ : السيد علي الأميني

٢٢ : الشيخ عباس الإيزدي النجف آبادي

٢٣ : السيدة ربابة البافقي (خادمة في بيت الإمام)

٢٤ : السيد محمود البروجردي (صهر الإمام)

٢٥ : ابو الحسن بني صدر (رئيس الجمهورية الإسلامية المخلوع)

٢٦ : السيدة بهجت خاتم (إبنة مرضعة الإمام)

٢٧ : الشيخ مسيح البروجردي (حفيد الإمام)

٢٨ : الشيخ محمد علي البرهاني

٢٩ : الشيخ مرتضىٰ بني فضل

٣٠ : السيد مرتضىٰ بسنديده (شقيق الإمام)

٣١ : الدكتور مسعود بورمقدس (من الأطباء المعالجين للإمام)

٣٢ : السيد علي أكبر بروورش

٣٣ : الشيخ محمد رضا التوسلي (من أعضاء مكتب الإمام)

٣٤ : السيد محمد قاسم التيموري

٣٥ : السيد حسن الثقفي (شقيق زوجة الإمام)

٣٦ : السيدة خديجة الثقفي (زوجة الإمام)

٣٧ : السيد علي الثقفي (شقيق زوجة الإمام)

٣٨ : الحاج عيسىٰ الجعفري (خادم الإمام)

٣٩ : الشيخ محمد تقي الجعفري (خادم الإمام)

٤٠ : السيد عبد الجواد جبل العاملي

٤١ : الشيخ حيدر علي الجلالي الخميني

٤٢ : المشهدي جعفر (خادم الإمام)

٤٣ : السيد مهدي شمران

٤٤ : الشيخ محي الدين الحائري الشيرازي (إمام جمعة شيراز)

٤٥ : الدكتور حسن حبيبي (عضو مجلس صيانة الدستور)

٤٦ : السيد محمد باقر الحجتي

٤٧ : السيدة مرضية الحديدجي (نائبة سابقة في مجلس الشورىٰ الإسلامي)

٤٨ : السيد عباس خاتم اليزدي (عضو لجنة الإستفتاءات في مكتب الإمام)

٤٩ : السيد خادم (من حرس بيت الإمام)

٥٠ : السيد علي الخامنئي (قائد الثورة الإسلامية)

٥١ : السيد الشهيد محمد الحسيني البهشتي (رئيس السلطة القضائية الأسبق)

٥٢ : السيد كمال الخرازي (وزير الخارجية الإيرانية)

٥٣ : الشيخ ابو القاسم الخزعلي (عضو سابق في مجلس صيانة الدستور)

٥٤ : السيد أحمد الخميني

٥٥ : السيد حسن الخميني (حفيد الإمام)

٥٦ : الشيخ صادق الخلخالي (أول رئيس للمحاكم الثورية)

٥٧ : السيد محمود الدعائي (من أعضاء بيت الإمام في النجف، نائب في مجلس الشورى الإسلامي)

٥٨ : الشيخ علي الدواني

٥٩ : الشهيد محمد علي الرجائي (رئيس الجمهورية الإسلامية الأسبق)

٦٠ : السيد غلام علي الرجائي

٦١ : السيد محسن الرضائي (قائد قوات حرس الثورة السابق)

٦٢ : السيد وكني (من عناصر مؤامرة إنقلاب «نوجه» العسكري)

٦٣ : الشيخ احمد رحمت (من أعضاء مكتب الإمام)

٦٤ : الشيخ محمد حسن رحيميان (من أعضاء مكتب الإمام ورئيس مؤسسة الشهيد)

٦٥ : الشيخ غلام رضا الرضواني (من أعضاء مكتب الإمام في النجف وعضو مجلس صيانة الدستور)

٦٦ : السيد هاشم الرسولي المحلاتي (من أعضاء مكتب الإمام)

٦٧ : السيد حميد الروحاني (من أعضاء مكتب الإمام ومؤلف كتاب دراسة تحليلية لنهضة الإمام الخميني)

٦٨ : الشيخ حسن الروحاني (نائب سابق في مجلس الشورى الإسلامي)

٦٩ : السيد مجتبىٰ الرودباري (من تلامذة الإمام)

٧٠ : الشيخ مصطفىٰ الزماني

٧١ : احمد سالك الكاشاني

٧٢ : الشيخ جعفر السبحاني (من تلامذة الإمام)

٧٣ : السيد محسن رفيق درست

٧٤ : السيد محمد السجادي الأصفهاني

٧٥ : الشيخ محمد سروش المحلاتي

٧٦: السيد علي الشمخاني (من قادة حرس الثورة، ووزير الدفاع)

٧٧: السيد علي أكبر الشجوني

٧٨: السيد حسن السليمي

٧٩: الشيخ نصرالله الشاه آبادي

٨٠: السيد حسين شهرزاد (جار الإمام في قم)

٨١: السيد صفائيان

٨٢: الشيخ احمد الصابري الهمداني

٨٣: الشيخ مرتضىٰ الصادقي الطهراني

٨٤: الشيخ حسن الصانعي (من أعضاء مكتب الإمام)

٨٥: الشيخ يوسف الصانعي (من تلامذة الإمام ورئيس الإدعاء العام في الجمهورية الإسلامية سابقاً)

٨٦: السيد جواد صفويان

٨٧: السيدة عاتقة صديقي (زوجة الشهيد الرجائي، نائبة سابقة في مجلس الشورىٰ الإسلامي)

٨٨: العقيد علي صياد الشيرازي (قائد القوة البرية الأسبق)

٨٩: السيد حسن الطاهري الخرم آبادي (عضو سابق في مجلس صيانة الدستور)

٩٠: السيدة فاطمة الطباطبائي (زوجة السيد أحمد الخميني)

٩١: الفريق قاسم عي ظهير نجاد (رئيس هيئة أركان الجيش السابق)

٩٢: الدكتور حسن العارفي (طبيب معالج للإمام)

٩٣: السيد حسين العادلي

٩٤: الشهيد الحاج مهدي العراقي (من قدماء أنصار الإمام)

٩٥: الشيخ محمد العباني الخراساني (نائب في مجلس الشورىٰ الإسلامي من تلامذة الإمام)

٩٦: الشيخ عبد الرحيم العقيقي البخشايشي

٩٧: الشيخ عباس علي عميد الزنجاني (من تلامذة الإمام)

٩٨: الشيخ غلام رضا (خادم بيت الإمام)

٩٩: السيد علي الغيوري

١٠٠: الدكتور إيرج فاضل (طبيب معالج للإمام)

١٠١: الشيخ محمد الفاضل اللنكراني (من قدماء تلامذة الإمام)

١٠٢: الشيخ محمد الفاضلي الإشتهاردي

١٠٣ : الشيخ اسماعيل فردوسي بور (من من اعضاء مكتب الإمام في النجف وإمام جمعة بوشهر السابق)

١٠٤ : الشيخ لطف علي الفقيهي

١٠٥ : الشيخ محي الدين الفرقاني (من أعضاء مكتب الإمام في النجف)

١٠٦ : الشيخ محمد علي الفيض

١٠٧ : السيد كوروش الفولاذي

١٠٨ : الشيخ حسن القديري (من تلامذة الإمام وعضو مجلس صيانة الدستور)

١٠٩ : الشيخ عبد العلي القرهي (من أعضاء مكتب الإمام ومرافقه في النجف)

١١٠ : السيد مصطفىٰ كفاش زادة (من أعضاء مكتب الإمام)

١١١ : السيد محمد رضا كلانتر المعتمدي

١١٢ : الشيخ مهدي الكروبي (رئيس مجلس الشورىٰ الإسلامي)

١١٣ : السيد جعفر الكريمي (من أعضاء مكتب الإمام)

١١٤ : السيد محمد صادق اللواساني (من قدماء زملاء الإمام)

١١٥ : البروفسور الفرنسي ملارد

١١٦ : السيد علي اكبر المحتشمي (من أعضاء مكتب الإمام في النجف، نائق في مجلس الشورىٰ)

١١٧ : الشيخ عباس المحفوظي

١١٨ : الشهيد فضل الله المحلاتي (من تلامذة الإمام وممثله في قوات حرس الثورة)

١١٩ : الشيخ محمد المحمدي الريشهري (وزير الأمن في الجمهورية الإسلامية السابقة)

١٢٠ : السيد محمد حسن المرتضوي اللنكرودي (من تلامذة الإمام)

١٢١ : الشيخ علي اكبر المسعودي الخميني

١٢٢ : الشيخ علي المشكيني (رئيس مجلس الخبراء)

١٢٣ : ١٢٤ : ١٢٥ : السيدات : فريدة المصطفوي، زهراء المصطفوي، صديقة المصطفوي (بنات الإمام)

١٢٦ : السيد عبد المجيد امعاد يخواه

١٢٧ : الشيخ محمد علي الموحدي الكرماني (من تلامذة الإمام)

١٢٨ : الشيخ محمد محمد هادي معرفت (من تلامذة الإمام)

١٢٩ : السيد جواد المقصودي

١٣٠ : السيد ميرحسين الموسوي (رئيس وزراء الجمهورية الإسلامية السابق)

١٣١ : السيد محمد علي الموسوي الجزائري (إمام جمعة اهواز)

١٣٢ : الشيخ محمد المؤمن (عضو مجلس الخبراء)

١٣٣ : السيد روح اللّه المهدوي

١٣٤ : الشيخ محمد رضا المهدوي الكني

١٣٥ : السيد عبد الكريم الموسوي الأردبيلي (رئيس القوة القضائية السابق)

١٣٦ : السيد مرتضىٰ الموسوي الأبركوهي

١٣٧ : السيد محمد الموسوي الخوئيني ها (رئيس الإدعاء الإسلامي العام السابق)

١٣٨ : البرفسور الفرنسي مونتي

١٣٩ : السيد محمد رضا المهري

١٤٠ : السيد عباس المهدي (وكيل الإمام في الكويت)

١٤١ : السيد محمد جواد المهدي

١٤٢ : السيد محمد الموسوي البجنوردي (عضو مجلس القضاء الإسلامي الأعلى سابقاً)

١٤٣ : السيد حسين الموسوي التبريزي (رئيس الإدعاء العام سابقاً)

١٤٤ : السيد رحيم ميريان (من أعضاء مكتب الإمام)

١٤٥ : الشيخ محمد رضا الناصري

١٤٦ : الشيخ علي اكبر ناطق النوري (رئيس مجلس الشورى السابق)

١٤٧ : الشيخ حسين النوري الهمداني (من تلامذة الإمام)

١٤٨ : الشيخ ريحان اللّه النخعي (من تلامذة الإمام)

١٤٩ : السيد محمد كاظم نيكنام

١٥٠ : الشيخ عباس الواعظ الطبسي

١٥١ : الشيخ علي اكبر الهاشمي الرفسنجاني (رئيس الجمهورية الإسلامية السابق)

١٥٢ : السيد محمد الهاشمي (رئيس منظمة الإذاعة والتلفزيون السابق)

١٥٣ : الشيخ محمد اليزدي (رئيس القوة القضائية السابق)

المصادر

أولاً: الكتب (وجميعها بالفارسية)

١ ـ (إمام خميني درآنية خاطره ها= الإمام الخميني في مرآة الذكريات)، تأليف الشيخ علي الدواني، طهران، منشورات مطهر، سنة ١٣٧٣ [هـ.ش]

٢ ـ (إنقلاب إسلامي درايران = الثورة الإسلامية في ايران)، تأليف حامد الغار

٣ ـ (بابه پاى آفتاب = خطوات في أثر الشمس)، تأليف أمير رضا ستوده، طهران منشورات بنجرة)، سنة ١٣٧٤[هـ.ش]

٤ ـ (أبعادى ...نداز شخصيت إمام خميني = بعضٌ من أبعاد شخصية الإمام الخميني)، إنتشارات هادي، طهران، سنة ١٣٦٨[هـ.ش]

٥ ـ (بررسي وتحليلي أزنهضت إمام خميني = دراسة وتحليلٌ لنهضة الإمام الخميني)، السيد حميد الروحاني، منشورات دار الفكر، دار العلم، قم، سنة ١٣٥٨[هـ.ش]

٦ ـ (خاطرات سياسي = مذكرات سياسية) الشيخ محمد المحمدي الرشيهري، مؤسسة المطالعات والبحوث السياسية، طهران، ١٣٦٩[هـ.ش]

٧ ـ (درسايه آفتاب = في ظل الشمس)، الشيخ محمد حسن رحيميان، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٣٧٠[هـ.ش]

٨ ـ (مرگذ شتيهاى وثيره أززندگى إمام خميني = حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني)، مصطفى الوجداني، منشورات «بيام آزادى»، قم، سنة ١٣٦٢[هـ.ش]

٩ ـ (شريك صلوات = شريك في الصلوات)، غلام علي الرجاي، منشورات «بيام آزادي» طهران ١٣٧٢[هـ.ش]

١٠ ـ (صحيفه نور)، موسوعة تضم بيانات وخطابات ورسائل الإمام الخميني، طهران، مؤسسة الوثائق الثقافية للثورة الإسلامية، ١٣٦٣[هـ.ش]

١١ ـ (طليعه إنقلاب اسلامي = ريادة الثورة الإسلامية)، مركز النشر الجامعي، طهران، ١٣٦٢[هـ.ش]

١٢ ـ موسوعة (كوثر)، موسوعة تضم خطابات الإمام الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، طهران، ١٣٧١[هـ.ش]

١٣ ـ (گلهاى باغ خاطرة = أزهار من بساتين الذكريات)، مركز التنمية الفكرية للأطفال والأحداث، طهران، ١٣٧١[هـ.ش]

١٤ ـ محضر نور، ج١،ج٢، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني

١٥ ـ (وثير گيهاى أززندگى إمام خميني = خصوصيات في سيرة الإمام الخميني)

١٦ ـ (يادواره أربعين ارتحال إمام = في ذكرىٰ مرور أربعين يوماً على وفاة الإمام)، جمعية نساء الجمهورية الإسلامية، طهران، ١٣٦٨[هـ.ش]

ثانياً: الصحف، والمجلات والمنشورات

١ ـ مجلة (آشنا = المعروف)، العدد الأول

٢ ـ مجلة (آنيده سازان = بناة المستقبل)، الاعداد: ١١، ٢٠، ١٤٤

٣ ـ مجلة (آرمغان = الهديه)، العدد: ١١

٤ ـ مجلة (آزدگان = الأحرار)، العدد: ٥

٥ ـ مجلة (أميد انقلاب = أمل الثورة)، الأعداد: ٢٥، ١٤٢، ٢٠٥

٦ ـ مجلة (إطلاعات هفتگى = إطلاعات الأسبوعية)، الأعداد: ١٩٢٤، ٢٠٤٧، ٢١٧٧، ٢١٩٥، ٢٤٤٢، ٢٤٨١

٧ ـ مجلة (پيك إرشاد = رسول الإرشاد)، عدد الشهر الرابع سنة ١٣٦٨

٨ ـ مجلة (بليس إنقلاب = شرطة الثورة)، السنة التاسعة، العدد: ١٠٠

٩ ـ مجلة (١٥ خرداد) الشهرية، الأعداد: ٥، ٦، ١٠، ١٤

١٠ ـ مجلة (بيام إنقلاب = رسالة الثورة)، الأعداد: ٢٤، ٤٥، ٤٨، ٥٠، ٥٢، ٥٤، ٥٩، ٦٠، ٧٠، ٨١، ٨٢، ٩٢، ١٠٤، ١٠٥، ١٢١، ١٨٣

١١ ـ مجلة (باسدار إسلام = حارس الإسلام)، الأعداد: ١، ٦، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٣، ٢٤، ٢٨، ٣٣، ٣٩، ٤٥، ٥٨، ٨٦، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٦، ١٠٢، ١٠٣

١٢ ـ مجلة (جوانان إمروز = شباب اليوم)، العدد ٦٣٨، ٧٦٦

١٣ ـ مجلة (جهاد روستا = جهاد القرية)، العدد: ٧٥، ٢٢٢

١٤ ـ مجلة (جهاد)، العدد: ٣

١٥ ـ مجلة (حضور)، العدد: ٣، ٤

١٦ ـ مجلة (حماسه مقاومت = ملحمة الصمود)، العدد: ٢

١٧ ـ مجلة (حوزة)، الأعداد: ٣٢، ٣٧، ٣٨، ٤٥، ٤٩

١٨ ـ منشور (دررثاى نور = في رثاء النور)، منشور خاص بمناسبة أربعينية الإمام الخميني

١٩ ـ مجلة (رشد دانش آموز = تنمية الطالب)، السنة الثالث، العدد: ٣

٢٠ ـ مجلة (زن روز = إمرأة اليوم)، العدد: ٨٥١، ٩٠٤، ٩٥٤، ٩٦٦، ١٢٢، ١٢٦٧

٢١ ـ منشور (سوكنامه آشناى دل = مرثية حبيب القلب)

٢٢ ـ مجلة (سروش = الهتاف الإلهامي)، العدد: ٤٧٦، ٥١٠

٢٣ ـ مجلة (شاهد)، العدد: ١٨٦

٢٤ ـ مجلة (شاهد بانون = شاهد للنساء)، الأعداد: ١٤١، ١٤٨، ١٤٩، ١٦٨

٢٥ ـ مجلة (صالحين روستا = صالحى القرية)، العدد: ٣

٢٦ ـ مجلة (مرزداران = حماة الحدود)، العدد: ٦، ٢٩، ٥٣، ٥٦، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٩٣

٢٧ ـ مجلة (نور علم)، الدورة الثالثة، العدد: ٧

٢٨ ـ مجلة (ندا)، الأعداد: ١، ١٢

٢٩ ـ صحف: إطلاعات، كيهان، سلام، رسالت، جمهورى إسلامي

يُضاف إلىٰ ذلك ذكريات منقولة من اشرطة صوتية لكلمات وخطابات ومقابلات خاصة أجريت مع رواتها.

الفهرست

الفصل الثاني:

بساطة العيش العلوي والمواساة للأمة

الفصل الثالث:

القناعة والزهد والاقتصاد

الفصل الرابع:

اجتناب مظاهر الترأس والتعظيم لشخصه

الفصل السادس:
الرأفة والرحمة والعواطف الجياشة

الفصل السابع:

طمأنينة النفس والسكينة والوقار

الفصل الثامن:

الشجاعة وقوة القلب والاباء

الفصل التاسع:

الاستقامة والهيبة والجاذبية الروحانية

الفصل العاشر:

الجدية والاجتهاد في العمل والنشاط العلمي

الفصل الحادي عشر:
استثمار فرصة العمر

الفصل الثاني عشر:
الذكاء والدقة واليقظة والفراسة

الفصل الثالث عشر:

الدقة في الالتزام بالشرع